الدكتور محمد علي البار

المسلمون في الاتحاد السوفيتي عبر التاريخ

الجزء الأول

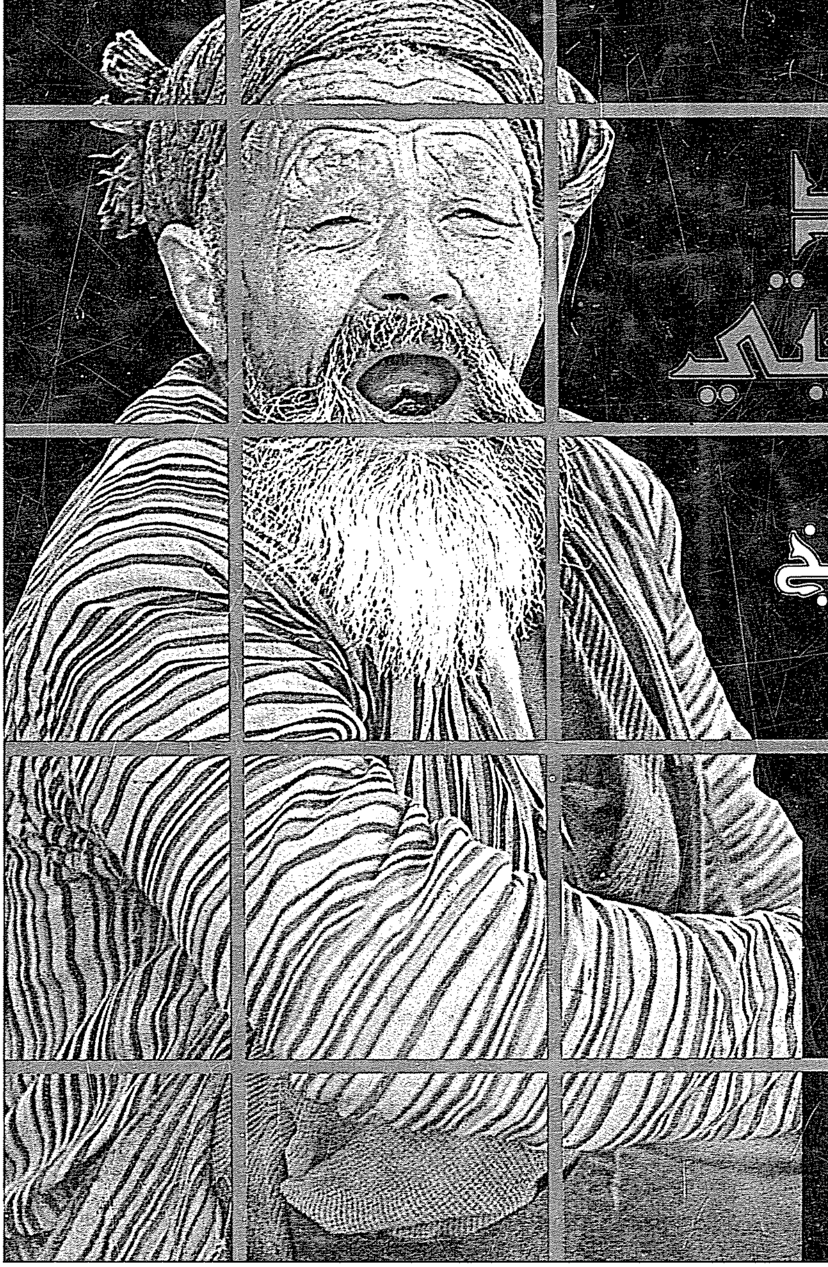

دار الشروق

المسلمون في الاتحاد السوفيتي

عبر التاريخ

الجزء الأول

الطبعة الأولى

١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة
لدار الشروق - جدة

دار الشروق جدة
للنشر والتوزيع والطباعة
تليفون: الادارة: ٦٣١٠٠٣٢ (٠٢) المكتبة: ٦٤٢٦٦١٠ (٠٢)
برقياً: مشكاتنا - تلكس SHORCO SJ ٤٠١٢٠٩
ص.ب. ٤١٤٦ - جدة - المملكة العربية السعودية

الدكتور محمد علي البار

المسلمون في الاتحاد السوفيتي عبر التاريخ

الجزء الأول

دار الشروق
جدة
للنشر والتوزيع والطباعة

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى والدي الذي علّمني القرآن

وحبّ المؤمنين أينما كانوا والاهتمام بأمورهم

اعترافاً ببعض فضله وجميل إحسانه .

محمد علي الكبار

شكر وتقدير

أود أن أتقدم بالشكر الى جميع الأخوة الكرام الذين أمدوني بكثير من المراجع الهامة. أذكر منهم الدكتور محمد يعقوب التركستاني محرر صفحة التراث في جريدة المدينة الذي نشر بعض فصول هذا الكتاب في صفحته والذي أمدني بكثير من المراجع الهامة. وكذلك الاستاذ رحمة الله عناية الله التركستاني الذي يعمل في رابطة العالم الاسلامي الذي فتح لي مكتبته التي تكاد تكون متخصصة في التركستان الشرقية والغربية. وأتقدم بالشكر ايضا الى الأخ الكريم العلامة السيد عمر حامد الجيلاني على ملاحظاته القيمة وعلى المراجع التي أمدني بها. كما أشكر الاستاذ السيد محسن أحمد باروم صاحب دار الشروق على المراجع القيمة التي أعارني إياها وعلى اهتمامه بطبع الكتاب ونشره. كذلك أشكر الأخ الدكتور أحمد سقاف البار والشيخ عبدالوهاب الديلمي والشيخ حسن باسندوه والاستاذ محمد الوزير والعلامة السيد محمد أحمد الشاطري على إمدادهم لي ببعض المراجع.

وأخص بالشكر استاذي وشيخي الحبيب العلامة الداعية الى الله السيد أحمد مشهور الحداد الذي لم يبخل عليّ بتوجيهه وملاحظاته ودعواته.

الى هؤلاء جميعاً أتقدم بالشكر وأرجو أن يجزيهم الله عني خير الجزاء.

المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لك ربي انت المعز المذل الخافض الرافع مالك الملك.. يا من «تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شيء قدير». فكم من أمم قد رفعت وكم من امم قد خفضت.. ذلك بما قدمت ايديهم وما ربك بظلام للعبيد وانما هي سنن كونية وقوانين طبيعية اذا اخذت بها أمة ارتقت وعزت واذا خالفتها ذلت وهانت..» سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً.

بالأمس كان المسلمون أعزة يحكمون العالم ويسيطرون على الدنيا فخالفوا أوامر ربهم وتناسوا تعاليم نبيهم فتباغضوا وتحاسدوا وتدابروا وتقاطعوا وتنازعوا (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم) واضاعوا الصلوات واتبعوا الشهوات وغرقوا في الملذات فصدق فيهم وعد ربهم ﴿فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلوات واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا﴾.

وصدق فيهم وعيد نبيهم تتداعى عليكم الامم كما تتداعى الاكلة على قصعتها فقالوا: أمن قلة نحن يومئذ يا رسول الله.. قال لا بل انتم كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل لأنهم قد أصيبوا بالوهن وحب الدنيا وكراهة الموت.

بالأمس ضاعت الاندلس ثم ضاعت تلك الأراضي الشاسعة الواسعة الممتدة التي حكمها المسلمون على طول ضفاف نهر الفولجا من قازان

حتى استراخان، ثم ضاعت بعدها جبال الاورال وسهوبها وتبعتها جبال القفقاس ووديانها وضاعت القرم.. وتوالت الهزائم وتوسع الروس (الذين وصفهم لنا ابن فضلان وابن رسته والمسعودي وابن بطوطة بأنهم أمة همجية شقر الشعور زرق العيون قباح الوجوه أهل غدر وأقذر الأمم) في اراضي المسلمين واحتلوا سهوب قازاخستان.. وزحفوا شرقاً وغرباً وجنوباً حتى احتلوا جميع مناطق التركستان التي تزيد مساحتها على أربعة ملايين كيلو متر مربع.. في حملات متتابعة بدأها ايفان الرابع المشهور بإيفان الرهيب سنة ٩٦٠ هـ (١٥٥٢ م) عندما احتل خانية قازان الاسلامية التترية، وفي بضع سنوات توالى سقوط تلك الخانيات (الدويلات) التي فرقتها الخلافات فسقطت خانية استراخان سنة ٩٦٥ هـ (١٥٥٧ م) وسقط نهر الفولجا بأكمله في يد إيفان.. وفي غضون ثلاثين سنة كانت القوات الروسية قد اخترقت جبال الاورال واحتلت مناطق البشكير ووصلت الى شواطىء بحر قزوين (بحر الخزر) الشمالية. كما اتجهت شرقاً حتى احتلت سيبيريا الغربية سنة ٩٨٨ هـ (١٥٨٠ م).

وتوالت هزائم المسلمين في تلك الاصقاع وواجهوا حرباً صليبية شرسة قادها ايفان الرهيب بتوجية من البابا.. وتبعها خلفاؤه.. ولم يكن غريباً أن تسقط قازان بعد سقوط غرناطة بأيدي الاسبان بستين عاماً فقط[١]...

وليس غريباً أن يقوم إيفان الثالث جد ايفان الرهيب سنة ٨٨٥ هـ (١٤٨٠ م) بإنهاء سيطرة تتار قازان المسلمين على موسكو التي دامت ٢٤٠ عاماً.. وإنما الغريب أن ينام هؤلاء عن الخطر المحدق بهم وهم يسمعون نداءات البابا المتكررة الى فاسيلي الثالث والد إيفان الرهيب لكي يقتلع المسلمين من وطنهم ويقوم بحرب صليبية مقدسة ضد المحمديين (كما كان يدعوهم) واعداً أياه بملكوت السماء وبالقسطنطينية

(١) سقطت غرناطة سنة ٨٩٨ هـ (١٤٩٢ م).

التي كان قد احتلها محمد الفاتح السلطان العثماني المجاهد سنة ٨٥٧ هـ (١٤٥٣ م)...

واستمرت الخلافات بين خان قازان وأولاد عمومته خانات استراخان والقرم وإمارة قاسموف التترية وخانية سيبيريا.. وهم غافلون عما يدبره لهم البابا وإيفان الرهيب...

وما هي إلا سنوات حتى اجتاحتهم قوات إيفان الرهيب وامتلكت تلك المساحات الشاسعة من أراضيهم وواجهوا حرب إبادة حقيقية.. وكانت سياسة ايفان تجاه تتار الفولجا تتلخص فيما يلي[1]..

« بالنسبة للاشراف المسلمين والامراء اما أن يرتدوا الى المسيحية أو الطرد من وطنهم والخراب الاقتصادي الكامل أو التصفية الجسدية لمن يبدي أقل مقاومة.

«أما الجماهير المسلمة فقد اخضعت للصهر الديني فمنذ عام ٩٦٣ هـ (١٥٥٥ م) اعتمدت سياسة رده بالقوة.. وكان المرتدون (ستاروكرياشين) يتمتعون بوضع شرعي تجاه القانون مماثل لرعايا القيصر...

« وعومل الدين الاسلامي بكل قسوة وهدمت الجوامع وطرد رجال الملا (علماء الدين) من المدن وصودرت الاوقاف الاسلامية»..

واستمرت سياسة إيفان في عهد خلفائه وخاصة من أسرة رومانوف التي امتد حكمها من سنة ١٠٢٢ هـ (١٦١٣ م) حتى سنة ١٣٣٦ هـ (١٩١٧ م).. ثم استمرت تلك السياسة بصورة أشد وأعتى في عهد القياصرة الحمر إبتداء من لينين ومروراً بستالين وحتى عهد خروتشوف وبريجينيف..

---

(١) نقلا عن كتاب (المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي)

لقد بدأ بطرس الملقب بـ العظيم ١٠٩٢ - ١١٣٨ هـ (١٦٨٢ - ١٧٢٥ م) سياسة الوصول الى المياه الدافئة..... واتجه جنوباً صوب أزوف (شمال البحر الاسود) واحتلها سنة ١١٠٨ هـ (١٦٩٦ م) ولكن الدولة العثمانية استعادتها منه سنة ١١١٢ هـ (١٧٠٠ م).

وبدأ بطرس محاولة الاستيلاء على القوقاس سنة ١١٣٥ هـ (١٧٢٢ م) ولكنه واجه هو وخلفاؤه حرباً شرسة من أهالي القوقاس الاشداء الذين كان يقودهم رجال الطريقة النقشبندية الصوفية من أمثال الإمام الملا محمد الملقب بالغازي محمد ثم تلميذه الإمام الشيخ محمد شامل.. ودامت تلك المقاومة الباسلة ١٣٧ عاماً انتهت بسقوطه أسيراً سنة ١٢٧٦ ه (١٨٥٩ م).. ومغادرته ارض الداغستان الى تركيا ومنها الى المدينة المنورة حيث دفن في بقيعها سنة ١٢٨٩ ه (١٨٧١ م)..

وشهد عهد كاثرين ١١٧٦ - ١٢١١ هـ (١٧٦٢ - ١٧٩٦ م) ونيقولا الأول ١٢٤١ - ١٢٧٢ هـ (١٨٢٥ - ١٨٥٥ م) واسكندر الثاني ١٢٧٢ - ١٢٩٩ هـ (١٨٥٥ - ١٨٨١ م) أضخم التوسعات على حساب أرض المسلمين...

وتقول المصادر الرسمية الروسية (١) (لقد قامت الحكومات القيصرية بمصادرة أخصب أراضي المسلمين في قازان وعلى طول نهر الفولجا والقوقاس والقرم والتركستان والاورال وقازاخستان.. **وفي خلال القرنين السابقين لثورة اكتوبر صادرت حكومات القياصرة المتعاقبة ٤١،٦٧٥،٠٠٠ دياستين (١ دياستين = ٢،٧ فدان) أي أكثر من مائة مليون فدان من الأراضي الزراعية الخصبة).**

وفي عهد كاثرين الثانية التي يعتبر عهدها من أكثر العهود تسامحاً

(١) نقلا عن كتاب .The Soviet Union and The Muslim World

مع المسلمين قامت بمصادرة مئات الآلاف من أخصب الأراضي في القرم وأعطتها لعشاقها المفضلين بوتمكين وبولجاكوف وزوبوف وزوتوف واليوناني كاتشيوني[١]..

ولم تكتف الحكومات الروسية المتعاقبة بمصادرة أراضي المسلمين وطردهم منها بل قامت أيضاً بمصادرة جميع أملاك الاوقاف الاسلامية التي كانت كبيرة جداً والتي كان ينفق منها على المساجد والمدارس الاسلامية وأعمال الخير[٢]...

ورغم التنافس بين الدول الأوروبية على اقتسام العالم الإسلامي ووجود صراعات حادة بلغت حد الحرب السافرة إلا أنهم كثيراً ما كانوا يجتمعون في مؤتمرات باريس ولندن وبرلين وسان استفانيو للاتفاق على تقسيم الغنائم التي لم تكن سوى أرض المسلمين...

وكانت عهودهم مع الدول الاسلامية وخاصة مع دولة الخلافة العثمانية لا تساوي قيمة الورق التي كانت تكتب عليه تلك المعاهدات عندما تحين أول بادرة للغدر وأول فرصة للخيانة..

ومن ذلك عهود بريطانيا مع شاه ايران لمحاربة نيقولا الأول فلما دخلت إيران الحرب ضد روسيا تخلت عنها بريطانيا فجأة وتركتها لقوات روسيا الأكثر عدداً والأحسن عدة.. ثم اتفقوا مع روسيا لاقتسام الغنائم.. وسقطت بذلك المناطق الواقعة شمال نهر الرس (أراكس) في يد روسيا.. وبذلك تمت سيطرة روسيا على كرجستان وأرمينية وأريفان واقليم أرّان (جمهورية أذربيجان السوفيتية الحالية) وذلك سنة ١٢٤٤ هـ (١٨٢٨ م). ليس ذلك فحسب بل كان على إيران أن تدفع أيضاً لروسيا تعويضاً مقداره ٣٦ مليون روبل وأن تتنازل عن أي مطالبة

(١) نقلا عن كتاب The Soviet Union and The Muslim World.

(٢) المصدرين السابقين.

بالقوقاس[١]...

وقامت الدول الأوروبية وعلى رأسهم روسيا بتحريض اليونان للثورة ضد الدولة العثمانية[٢] وكانت الدولة العثمانية قد أعادت للإسلام شيئاً من مجده القديم لكن سرعان ما اعتراها الضعف وانغمس كثير من حكامها في الترف وتوالت بين سلاطينها المؤامرات يكيدونها بعضهم لبعض ويقتل الأخ منهم أخاه ويغتال الابن أباه في سبيل الوصول الى سدة الحكم وكرسي الخلافة فتناوشتهم الأحقاد وحقت عليهم كلمة العذاب وتكاثرت عليهم أمم أوروبا تتقاسم أراضيهم وتستلب ممالكهم واحدة إثر الأخرى..

واجتمعت اساطيل أوروبا الصليبية لتدك الاسطول العثماني المصري في معركة نافارين سنة ١٢٤٣ هـ (١٨٢٧ م).. وفي العام التالي وصلت جيوش نيقولا الأول أمبراطور روسيا الى أبواب القسطنطينية (اسطمبول) عاصمة الخلافة الاسلامية.. والخلافة مشغولة بحربها مع محمد علي باشا الذي امتدت أطماعه ليستقل بمصر والشام وبلاد العرب في حرب شرسة ضد الخلافة وتمده فرنسا كي يشغل الدولة العثمانية ويساهم في تقويضها حتى يسهل على الدول الغربية بعد ذلك ابتلاعها فتسقط دول المغرب العربي واحدة اثر الأخرى في يد فرنسا وتمتلك بريطانيا مصر وتمد نفوذها الى السودان.... وتتطلع هذه الدول الى الشام تثير فيه الحروب والقلاقل وتصطاد كل دولة منها ما تستطيع اصطياده في ذلك الماء العكر الذي لوثته الخلافات والحزازات والنعرات..

وضاعت اليونان من دولة الخلافة سنة ١٢٤٦ هـ (١٨٣٠ م).. واستولت روسيا على مصب نهر الدانوب وامتلكت الشواطىء الشمالية

(١) عن المصدر السابق.
(٢) المصدر السابق

والشرقية والغربية للبحر الاسود[١].

وفي مؤتمر لندن سنة ١٢٥٦هـ(١٨٤٠م) اجتمعت روسيا وبريطانيا والنمسا وبروسيا (المانيا) واتفقوا على تقسيم أراضي الدولة العثمانية التي اطلق عليها نيقولا الأول لقب (رجل أوروبا المريض) واحتجت فرنسا على نسيانها في هذه القسمة فأشركوها معهم في الغنيمة في عام ١٢٥٧ هـ (١٨٤١ م)[٢]. وامتازت أطماع نيقولا الأول بأنها لا يمكن اشباعها.. وكان نهمه لامتلاك القسطنطينية لا حد له مما اثار مخاوف منافسيه من الدول الأوروبية وخاصة بريطانيا وفرنسا اللتان اتفقتا على وضع حد لهذه المطامع التوسعية الرهيبة. وقامت حرب القرم المشهورة من سنة ١٢٧٠ هـ (١٨٥٣ م) الى سنة ١٢٧٣ هـ (١٨٥٦ م) ووقف الانجليز والفرنسيون يحاربون مع الاتراك للحد من مطامع الدب الروسي.. وما أن انتهت الحرب بانتصار تركيا وفرنسا وانجلترا حتى وقعت معاهدة باريس التي كان الخاسر الوحيد فيها دولة الخلافة.. نعم لقد اتفق الصليبيون مرة أخرى واقتطعت كل دولة منها جزءاً من أرض الخلافة اذ لم يكن غرض الحرب هو مساعدة الاتراك بل ايقاف نيقولا عند حده الذي اراد ان يفوز بالغنائم وحده.. فجاء هؤلاء الانجليز والفرنسيون يحاربونه ليشاركوه في الغنائم.. ويالها من مهزلة مضحكة مبكية.. تخرج فيها الدولة المنتصرة وهي تركيا وقد فقدت أراضيها للدولة المنهزمة وهي روسيا.. وكل ذلك بسبب اخلاص حلفائها (الانجليز والفرنسيين) لها .. ويا له من اخلاص وصداقة لا نزال نعاني منها الى اليوم حيث تقف الدول الغربية الصديقة في كل موقف وقرار مع اسرائيل وضد اصدقائها العرب!! فما أشبه الليلة بالبارحة!!.

واتجهت روسيا بعد هذه الحرب الى آسيا الوسطى بموافقة الدول

---

(١) و(٢) المصدر السابق. The Soviet Union and The Muslim World.

الاوروبية الاستعمارية وتم تقسيم الغنائم.. وسمح للدب ألروسي أن يحتل ارض البخارى والترمذي والخوارزمي والفارابي وابن سيناء.. وفي عام ١٢٨٢ هـ (١٨٦٥ م) احتلت جيوش نيقولا الاول طشقند عاصمة اقليم الشاش الذي أخرج الإمام ابي بكر محمد بن علي القفال الشاشي وفخر الاسلام محمد بن أحمد بن الحسين الشاشي واحتلت سمرقند عاصمة تيمورلنك التي وصفها ياقوت الحموي بقوله (ليس في الأرض مدينة ا . د ولا أطيب ولا أحسن مستشرفا من سمرقند)، وذلك في سنة ١٢٨٥ هـ (١٨٦٨ م).. وفي عام ١٢٩٠ هـ (١٨٧٣ م) تحولت خانية بخاري الى محمية روسية وفي العام التالي لاقت خيوه (خوارزم) نفس المصير.

أما مدينة خوقند (فرغانة) فقد واجهت حملات جنكيز خان الذي بعث من جديد.. وبعد مقاومة شعبية استمرت عاما كاملا قامت قوات القياصرة بدك المدينة بكاملها وابادة سكانها عن بكرة أبيهم الا من استطاع منهم الفرار.. واغتصبت الفتيات المسلمات وامتهنت المقدسات وديست الكرامات.. وسويت مدينة خوقند الباسلة بالتراب..

وسقطت مرو عاصمة اقليم خراسان والتي أخرجت عبد الله بن المبارك وأحمد بن حنبل والفضيل بن عياض والآف العلماء - سقطت مرو ونسا وسرخس وبيهق بيد القوات الروسية في الحرب التركمانية التي امتدت من سنة ١٢٩٠ هـ (١٨٧٣ م) حتى ١٣٠٢ هـ (١٨٨٤ م)..

وهكذا سقطت المناطق التي أخرجت لنا الآف العلماء ومئات الأئمة مثل النسائي والسرخسي والبيهقي وغيرهم.. وواجهت ابادة واذابة وتغيرت اسماء المدن واندثرت أخرى تحت الانقاض..

وفرض الروس لغتهم ومنعوا الكتابة بالحرف العربي وحولوه الى الحرف الكيريلي الروسي.. ومرة أخرى حانت الفرصة للدب الروسي لتوسيع ممتلكاته في اتجاه الغرب عندما حدثت فتنة البوسنة والهرسك

(التي تقع في يوغسلافيا حاليا) والتي كانت خاضعة للخلافة العثمانية فقامت روسيا بإعلان الحرب ضد تركيا في عام ١٢٩٤ هـ ٢٤ ابريل (١٨٧٧ م) وانتهت الحرب بهزيمة تركيا ومعاهدة سان استيفانو المهينة سنة ١٢٩٥ هـ (١٨٧٨ م). والتي بموجبها انفصلت رومانيا عن أملاك الدولة العثمانية وأعلن استقلال الصرب واستولت روسيا على مصب نهر الدانوب وضمته لأراضيها كما استولت على ميناء باطوم الهام على البحر الاسود.. وأصبح بذلك البحر الاسود بحيرة شبه روسية والغريب ان بريطانيا رغم أنها لم تدخل الحرب الا أنها احتجت على تقسيم الغنائم دونها فكان نصيبها جزيرة قبرص التي كانت تابعة للدولة العثمانية حتى ذلك الوقت[١]. والتي خضعت للحكم الاسلامي منذ ان فتحتها القوات الاسلامية في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه عندما أرسل معاوية بن ابي سفيان أول غزوة بحرية شارك فيها الصحابي الجليل أبو أيوب الانصاري وبنت ملحان (أم حرام) التي بشرها رسول الله ﷺ بأنها ستركب البحر كالملوك على الأسرة في سبيل الله.. والتي جمحت بها دابتها فماتت في قبرص ودفنت فيها رضي الله عنها[٢] سنة ٢٨ هـ. وبموجب اتفاقية سان استيفانو هيمنت روسيا على دول البلقان واعتبرت حامية الارثوذكس..

وعندما أحست روسيا بغيرة الدول الغربية وخاصة بريطانيا والنمسا وألمانيا عقدت معهم مؤتمر برلين واضطرت للتنازل عن بعض غنائمها لرفقائها الاوروبيين..

ولكي تعوض هذه الخسارة قامت بغزو أفغانستان واستولت على

---

(١) المصدر السابق

(٢) كتاب الجهاد صحيح مسلم شرح النووي وفتح الباري شرح صحيح البخاري أخرجه أيضاً الترمذي وابو داود.

مقاطعتي مرف وبندة عام ١٣٠٣ هـ (١٨٨٥ م[١])..

وليس الغزو الروسي الحالي لافغانستان هو أول غزو من نوعه.. كلا بل أن سياسة التوسع والغزو سياسة قديمة تمتد الى عدة قرون من الزمان.

وها هم الروس يعيدون بعد مضي قرابة قرن من الزمان احتلال أفغانستان بكاملها بدلا من احتلال مقاطعتين صغيرتين في شمال أفغانستان..

وشاهدت المناطق الاسلامية الواسعة التي احتلتها روسيا القيصرية الثورات المتتالية التي أخمدتها القوات الروسية بكل وحشية.. وقد تحدثنا بشيء من التفصيل عن هذه الثورات في صلب الكتاب فلا نعيده هنا..

وعندما انهزمت روسيا لأول مرة أمام دولة آسيوية هي اليابان عام ١٣٢٣ هـ (١٩٠٥ م) انتعشت آمال المسلمين وظهرت حركة قوية بدأت لدى تتار الفولجا والبشكير والقرم ثم عمت كل روسيا مطالبة بإيجاد دولة اسلامية مستقلة ذاتياً تدير شؤون المسلمين في روسيا[٢]..

وانزعجت دول أوربا لهزيمة روسيا، وبدأ لأول مرة تحالف حقيقي بين روسيا من جهة وفرنسا وبريطانيا من جهة أخرى..

واتفق قيصر روسيا نيقولا الثاني مع بريطانيا على عدم مد نفوذه من آسيا الوسطى عبر أفغانستان الى الهند التي كانت درة التاج البريطاني بينما تم اقتسام النفوذ في ايران حيث هيمنت روسيا على شمال ايران واذربيجان وأعطيت نفط باكو بينما سيطرت بريطانيا على جنوب ايران ونفط عبدان ومسجد سليمان والكركوك والسليمانية..

---

(١) عن كتاب The Soviet Union and The Muslim World

(٢) عن كتاب المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي «تأليف بنجنبسن ولومرسييه.

والكويت والبحرين.

وانزعجت المانيا لقيام الحلف الثلاثي بين روسيا وفرنسا وانجلترا وحاولت أن تكسر هذا التحالف بالاتفاق مع روسيا وهو ما تم فعلا سنة ١٣٣٠ هـ (١٩١١ م) حيث عقدت اتفاقية سرية مع روسيا تسمح بأن تقوم المانيا بانشاء خط حديدي يمتد من اسطمبول حتى بغداد ومن بغداد حتى خانقين وتقوم روسيا بايصال هذا الخط الحديدي من خانقين الى طهران..

ولكن ما لبث الروس أن فضلوا التعامل مع بريطانيا وفرنسا وانضموا إليهما في الحرب العالمية الاولى التي اشتعلت في نوفمبر سنة ١٣٣٣ هـ (١٩١٤ م).. واتفق الحلفاء على اقتسام ما بقي من دولة الخلافة العثمانية وتصفيتها تصفية نهائية[١]..

ووقعوا في سبيل ذلك اتفاقية سرية في ١٠ ابريل سنة ١٣٣٤ هـ (١٩١٥ م) حيث تم فيها توزيع غنائم الحرب مسبقا وأعيد تأكيد هذه الاتفاقية باتفاقية سايكس بيكو التي عقدت في بتروجراد في مايو سنة ١٣٣٥ هـ (١٩١٦ م) والتي أعطيت روسيا بموجبها السيطرة على مضايق البوسفور والدردنيل وبحر مرمرة كما وافقت فرنسا وبريطانيا لأول مرة على أن تستولي روسيا على اسطمبول (القسطنطينية) وتعيدها عاصمة للكنيسة الارثوذكسية وأن تحول مسجد أيا صوفيا الى كنيسة كما كان قبل أن يحتلها محمد الفاتح سنة ٨٥٧ هـ[٢] (١٤٥٣ م).

وللأسف عندما أعلنت الحرب العالمية الاولى كان في جيوش القيصر نيقولا الثاني مليون وخمسمائة الف جندي مسلم أجبروا على قتال اخوانهم المسلمين الأتراك.. وليساهموا في ازالة دولة الخلافة من الأرض وإعادة

---

(١) و(٢) عن كتاب: The Soviet Union and The Muslim World

اسطمبول (اسلامبول) الى اسمها القديم القسطنطينية كي تتردد في جنباتها النواقيس بدلا من النداء الذي يتكرر خمس مرات كل يوم الله أكبر الله أكبر..

وكذلك كان في جيوش بريطانيا وفرنسا مئات الآلاف من المجندين المسلمين المجبرين على قتال أخوانهم.. ومما يدل على ذلك نداء جورج الخامس ملك بريطانيا وامبراطور الهند الذي صدر في ١٣ شباط (فبراير) ١٣٣٤ هـ (١٩١٥ م) والذي جاء فيه(١):

الى أصدقائنا سكان بلاد العرب:

قد علمتم أننا معشر الانجليز لم نخض غمار هذه الحرب الطاحنة ضد ألمانيا الا لأنها اعتدت على الممالك الصغيرة المتاخمة لها وهاجمتها لغير ما ذنب مع انّ ألمانيا نفسها كفلت ضمان استقلال تلك الممالك بالعهود والمواثيق الاكيدة. ولا يغيب عن بالكم ان ألمانيا لما اكتنفتها الاخطار وأحاطت بها الأزمات احتالت بدهائها على الحكومة التركية لتأخذ بناصرها وتشد أزرها. وقد استطاعت أن تصل الى مآربها بفضل المبالغ الطائلة من المال والأماني الكاذبة وكانت ترمي بذلك الى الحصول على أمر بالجهاد من سلطان تركيا ضدنا وضد حلفائنا لأن رايتنا تظل الملايين العديدة من المسلمين الذين انضم الى جيوشنا الآلاف المؤلفة منهم وأصبحوا يحاربون معنا الألمان جنبا الى جنب.. وهي ترجو من وراء ذلك أن ينقلب المسلمون ويكونوا علينا لالنا..

ولا شك أن كل مسلم صميم ملأت العقيدة الاسلامية قلبه يربأ بنفسه من أن يستخف بعقيدته ويكون العوبة في يد دولة أجنبية تجعله قربانا على مذابح مطامعها الأشعبية..

---

(١) حاضر العالم الاسلامي للأمير شكيب أرسلان

وليس جميع المسلمين من رعايا بريطانيا العظمى وفرنسا والروسية وحليفاتها وحدهم قد أظهروا آيات الاخلاص والولاء بارسال زهرة شبانهم لمساعدتنا في ميدان القتال ضد تركيا وغيرها.. بل ان الطبقة الرشيدة من الأتراك سخطت على سوء سلوك تركيا الى هذا الحد..

ولعل بينكم من يتساءل عن نوايانا بعد أن تطفأ جذوة هذه الحرب فلدفع الالتباس نصرح بما يأتي:

ان حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى وامبراطور الهند قررت انه عند انتهاء الحرب ستجعل من شرائط الصلح ومواده الرئيسية ان تكون شبه جزيرة العرب ترفل في ثياب الحرية وتستعيد رقيها القديم ونضرتها الاولى.. بربكم أفلم يكفكم ذلك؟.

لقد صرح لنا بعض مشايخ العربان برغبتهم في التخلص من يد الاتراك وبعضهم اليوم يشد أزر جيوشنا بجد سيفه.. أما الذين يرغبون فينا منكم ويخافون المجاهرة بما في نفوسهم فإليهم نسوق هذا الحديث..

لا يداخلكم ريب من جانبنا وترقبوا سنوح الفرصة المناسبة فهي آتية لا ريب فيها وعندها تخلعون عنكم رداء الظلم وتنفضون عنكم غبار الاستبداد.. وأنا لا نألو جهدا في مد يد المساعدة إليكم. كما انا نعدكم وعدا صادقا بانكم ستصيرون بحول الله وقوته أمة متمتعة بكل معاني الاستقلال..

انتم على شوق الى معرفة نوايانا من جهة دينكم الكريم الا فاعلموا ان الديانة الاسلامية قد احترمها الانكليز أجل احترام وأكبرتها كل الاكبار والتاريخ أكبر شاهد على صدق ما نقول.

ملك بريطانيا وامبراطور الهند (جورج الخامس)

وفي عام ١٣٣٥ هـ (١٩١٦ م) نتيجة الاضطهاد والقهر والتجنيد الاجباري قامت ثورة عارمة في قازاخستان وامتدت الى جميع اراضي

التركستان.. ولكن قوات القيصر واجهتها بكل قسوة وأبادت قرى بكاملها وقبائل بجميع أفرادها حتى تجعلهم عبرة.. ورغم كل أساليب البطش والتنكيل الا أن توالي الأحداث جعل هذه الثورة الشرارة للثورة الأعظم التي شملت كل التركستان والتي امتدت من سنة ١٣٣٧ هـ (١٩١٨ م) حتى سنة ١٣٤٧ هـ (١٩٢٨ م) والتي عرفت باسم ثورة البسمشتية[١]..

وفي مارس ١٣٣٦ هـ (١٩١٧ م) قام الدوما (البرلمان) الرابع بالثورة ضد استبداد القيصر وانهى بذلك حكم القياصرة.. ولكن حكومة كرينسكي لم تغير شيئا من سياسة القيصر بالنسبة لمعاهداتها مع بريطانيا وفرنسا لاقتسام العالم الاسلامي.. ووقفت بصراحة ضد آمال المسلمين في روسيا في ايجاد نوع من الاستقلال الذاتي لهم..

فلما جاء لينين في ثورة اكتوبر ١٣٣٦ هـ (١٩١٧ م) وانقلب على حكومة كرينسكي واجه حربا شرسة من قوات روسيا البيضاء بقيادة كولشاك ودينكين واركينجل الذين ساندتهم بريطانيا والحلفاء بقوة.. ولم يجد لينين أمامه الا الاستعانة بالمسلمين الذين يشكلون اكبر اقلية في الامبراطورية الروسية (٢٥ مليون حسب ما ذكره كتاب الاتحاد السوفيتي والعالم الاسلامي و ٣٥ مليون حسب ما ذكره شكيب أرسلان في حاضر العالم الاسلامي. وذلك عند بداية الثورة البلشفية).

وعندئذ توجه لينين بالنداءات المتكررة الى المسلمين داخل روسيا يعدهم فيها بالاستقلال التام واحترام دينهم وشريعتهم كما وجه النداءات الى المسلمين خارج روسيا يحثهم فيها على الثورة على بريطانيا خاصة والحلفاء عامة الذين استعمروا العالم الاسلامي وامتهنوا كرامته ونهبوا خيراته وحاربوا دينه.. والغوا شريعته..

---

(١) عن كتاب المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي

وكان مما جاء في أول بيان أصدره لينين الى المسلمين[١] (في نوفمبر ١٣٣٦ هـ (١٩١٧ م) أي بعد شهر فقط من ثورته) يا مسلمي روسيا يا مسلمي الشرق. ايها الرفاق ايها الأخوة:

(ثوروا من أجل دينكم وقرآنكم وحريتكم في العبادة.. اننا هنا نعلن احترامنا لدينكم ومساجدكم.. وان عاداتكم وتقاليدكم حرة لا يمكن المساس بها.. ابنوا حياتكم الحرة الكريمة المستقلة دون أي معوقات.. ولكم الحق في ذلك.. واعلموا ان جميع حقوقكم الدينية والمدنية مصونة بقوة الثورة).

واعلن لينين ان الاتفاقيات السرية المعقودة بين روسيا وبريطانيا وفرنسا لاقتسام العالم الاسلامي باطلة ولاغية.. وأن روسيا الثورة لا ترغب في احتلال القسطنطينية بل ستظل القسطنطينية عاصمة للخلافة الاسلامية.. وكذلك أعلن ان اتفاق بريطانيا وروسيا لاقتسام ايران اتفاق باطل ولاغي..

وقام لينين بتسليم مصحف عثمان رضي الله عنه الذي كان في حوزة القياصرة الى ممثلي مسلمي روسيا في مؤتمر بتروجراد.. وكذلك سلمهم مجموعة كبيرة من الوثائق التاريخية والآثار ويبدو أن سياسة لينين الدعائية بلغت حدا من النجاح جعل بعض المسلمين يعتقدون ان ثورة اكتوبر البلشفية هي منحة من السماء لانقاذ المسلمين من الاستعمار الاوربي.. بل وصلت دعاية لينين الى درجة الزعم بأن نظام لينين البلشفي انما يقوم على مبادىء القرآن وشريعة الاسلام[٢]!! لذلك وقف كثير من مسلمي روسيا في صف لينين منذ اللحظة الاولى.. وتبعهم الآخرون مثل زكي فيلدي طوقان قائد البشكير ورئيس أول دولة فيها عندما وجد أن روسيا البيضاء وقائدها كولشاك يرفضون أن يعترفوا

---

(١) و(٢) عن كتاب The Soviet Union And The Muslim World.

للمسلمين بأي حق في الاستقلال الذاتي.. وكذلك فعل حزب (الاش أوردا) في قازاخستان الذي قاتل في صف كولشاك ضد لينين في اول الامر الا انه حول جميع رجاله الى خندق لينين عندما رفض كولشاك الاعتراف لهم بحقهم في تكوين دولة اسلامية ذات استقلال ذاتي.

والوحيدون الذين ارتابوا في وعود لينين هم رجال الملا (علماء الدين) ومريدو الطرق الصوفية الذين كانوا يعتبرون الجميع كفارا تجب محاربتهم وأن الطريق الصحيح هو ايجاد حكومة اسلامية مستقلة غير مرتبطة لا بالبيض ولا بالحمر.. فالكل أعداء الله واعداء المؤمنين.

وهكذا قامت دولة القوقاس المستقلة بقيادة الامام الرباني الصوفي نجم الدين غوتسو الذي لقبه الروس غوتسنسكي وذلك في صيف ١٣٣٦ هـ (١٩١٧ م).. وكان يحارب قوات لينين بنفس القوة التي حارب بها قوات كولشاك .. وقد اشتهرت بطولاته وبطولات رفيقه الشيخ الصوفي اوزن حجي..

ورغم قواته الضئيلة وسلاحه البسيط الا أن هذا الشيخ الصوفي استطاع ان يواجه قوات البلاشفة حتى عام ١٣٤٤ هـ (١٩٢٥ م) عندما انهزمت قواته امام قوات لينين واستشهد هذا الشيخ المجاهد ورفيقه وكثير من رجال الطريقة النقشبندية..

وفي التركستان قام العلماء وشيوخ الطرق الصوفية بالدعوة الى اقامة الدولة الاسلامية المستقلة في التركستان وبالفعل تكونت هذه الدولة في خوقند وامتدت لتشمل معظم اراضي التركستان ما عدا طشقند التي كانت فيها حامية روسية قوية انضمت بكاملها الى صف لينين وتبعها جميع المستوطنين الروس.. ورغم ان انتماءات هؤلاء المستوطنين كانت اقطاعية وبورجوازية واستعمارية الا انهم وجدوا ان الروس الحمر خير لهم من المسلمين، وهكذا اتفقت الاقطاعية والبورجوازية والنظام

الاستعماري القيصري مع لينين للوقوف في وجه المسلمين في التركستان[1]!!

وقامت قوات لينين والمستوطنون الروس بالهجوم على خوقند في ٥ فبراير ١٣٣٧ هـ (١٩١٨ م) وللمرة الثانية يقوم الروس بدك هذه المدينة الباسلة وإبادة سكانها واغتصاب فتياتها.. وفعلوا من اعمال الوحشية والهمجية ما تتضاءل معه أعمال جنكيزخان وهولاكو[2]!!.

وامتدت روح المقاومة وارتفعت راية الجهاد يذكيها علماء الاسلام ومشايخ الطرق الصوفية واستطاعت القوات الاسلامية الضئيلة العَدد القليلة العُدد أن تصد الهجوم البلشفي على بخارى في مارس ١٣٣٧ هـ (١٩١٨ م[3])..

وانضم الى هذه الثورة انور باشا ناظر الحربية في تركيا (اثناء الحرب العالمية الاولى) فنظم امورها العسكرية أحسن تنظيم بامكانياته البسيطة.. وبنى مصنعا لصنع الرصاص وقاتل حتى استشهد على صهوة جواده مقبلا غير مدبر في يوم عيد الاضحى عام ١٣٤١ هـ (أغسطس ١٩٢٢ م[4])...

كما انضم الى هذه الثورة زكي فيلدي (والدي) طوقان قائد البشكير ورئيس أول دولة مستقلة في بشكيريا.. والتي قضى عليها لينين بمكره وخداعه[5]..

وظهرت حقائق لينين واتضحت للمسلمين أكاذيبه ودعاواه وتبدت صورته الحقيقية البشعة حيث قام بحرب ابادة للمسلمين أشد عتوا وجبروتا وعنفا من سياسة القياصرة. ففي عهده الاسود اقام مذبحة القرم ونشر المجاعة في ربوعها حتى أكل المسلمون الكلاب والقطط ثم اكلوا موتاهم.

(١ - ٣) كتاب المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي..

(٤) حاضر العالم الاسلامي للأمير شكيب أرسلان.

(٥) كتاب المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي.

وفي قرغيزيا قام بنفس حرب الابادة ونشر المجاعات.. وفي كازاخستان أباد ثلث السكان فيما يسمى بسياسة التحضير التي فرضها ما بين سنة ١٣٤٥ هـ (١٩٢٦ م) الى سنة ١٣٥٨ هـ (١٩٣٩ م) وكما يقول بنجيسن ولومرسييه (لقد سببت سياسة التحضير في الثلاثينات من هذا القرن اختفاء ثلث شعب القازاخ[١]).

واستمرت سياسة لينين في عهد ستالين بصورة أشد بطشا واكثر دموية ففي عهده تم إخلاء جزيرة القرم من جميع سكانها المسلمين ونفي شعب بأكمله الى مجاهل سيبيريا بعد ان قتل منهم مئات الآلاف...

اما بالنسبة للدين الاسلامي فقد واجه حربا شرسة مثلما واجهها في عهد ايفان الرهيب الذي فرض التنصير على المسلمين بالقوة أو الفرار من اراضيهم وأوطانهم... واستمرت تلك السياسة في عهد خلفائه وعلى الاخص في عهد بطرس الملقب بالعظيم وفي عهد نيقولا الأول.. ثم استمرت بصورة أشد وأعتى منذ مجيء الثورة البلشفية التي تظاهرت في اول الامر بأنها ستعطي المسلمين جميع حرياتهم الدينية والسياسية وتحترم دينهم وقرآنهم وشريعتهم ولكن ما أن استتب الامر للينين حتى بدأ سياسة الابادة لكل ما هو اسلامي، ففي العهود البلشفية تم اغلاق وتهديم وتحويل ٦٦٨٢ مسجدا و٧٠٥٢ مدرسة اسلامية في التركستان فقط.. وفي عام ١٣٤٧ هـ (١٩٢٨ م) تم اغلاق خمسة عشر الف مدرسة إسلامية وستة وعشرين الف مسجد[٢].

ولا يوجد في كل الاتحاد السوفيتي البالغة مساحته ٢٢,٢٧١,٠٠٠ كيلو متر مربع والذي يبلغ عدد المسلمين فيه حسب آخر احصاء رسمي سوفيتي سنة ١٣٩٩ هـ (١٩٧٩ م) ٤٣ مليوناً، لا يوجد

---

(١) كتاب المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي..

(٢) المصدر السابق.

سوى مدرستين رسميتين لتعليم القرآن والدين الاسلامي واحدة في بخارى والأخرى في طشقند[1]..

ورغم كل هذه الحرب المريعة المهولة ضد المسلمين في الاتحاد السوفيتي وتعاون الصليبيين واليهود مع الشيوعيين لابادة الاسلام واجتثاث جذوره الا ان الله قد تكفل بحفظ دينه وقرآنه.. فقد أدت سياسة الابادة والاذابة الى ان يتجذر الاسلام اكثر فأكثر وتدرك هذه الشعوب أن هويتها وبقاءها مرتبطان بالاسلام.. ولذا أصبحت كلمة الملة (بمعنى القومية عند الاتراك والفرس) مرتبطة بمفهوم الدين ارتباطا وثيقا، بحيث اصبح الحفاظ على الامة هو الحفاظ على الملة[2] (بمفهومها اللغوي العربي)..

★ ★ ★ ★

وأخيرا لقد بذلت في هذا الكتاب جهدا أرجو المثوبة عليه من الله.. ذلك لانني تصديت لموضوع صعب وشائك ولا يزال يحيط كثيرا من جوانبه الغموض...

ولقد اخترت الاتحاد السوفيتي بأكمله الذي تبلغ مساحته ٢٢,٢٧١,٠٠٠ كم مربع واندفعت خلف المد الاسلامي الى هذه البلاد منذ أن بدأ فتحها في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنة ١٨ هـ (٦٣٨ م) وحتى يومنا هذا.. فكان لا بد ان اواجه مصاعب جمة في تجميع المعلومات عن مختلف مناطق الاتحاد السوفيتي. واذا علمنا ان موسكو ذاتها كانت تحت حكم التتار المسلمين لمدة ٢٤٠ عاما وانها لم تستطع الخروج من سيطرتهم عليها الا في عهد ايفان الثالث سنة ٨٤٥ هـ (١٤٨٠ م) فاننا ندرك مدى امتداد الحكم الاسلامي الذي شمل كل الأراضي المعروفة باسم الاتحاد السوفيتي حاليا.. لقد بدأ دخول الاسلام الى اذربيجان وأرمينية وكرجستان (جورجيا) في عهد عمر رضي الله

(١) و (٢) كتاب المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي..

عنه سنة ١٨ هـ الى سنة ٢٤ هـ (٦٣٨م - ٦٤٤م).. وكذلك بدأ فتح خراسان في عهده وبدأ فتح بلاد ما وراء النهر سنة ٥٠ هـ (٦٧٠م) في عهد معاوية بن ابي سفيان وتم فتح بلاد ما وراء النهر على يد قتيبة بن مسلم الباهلي سنة ٨٨ - ٩٦هـ (٧٠٦ - ٧١٤م) في عهد الوليد بن عبد الملك.. وفي القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) كان بلغار الفولجا قد دخلوا في الاسلام بواسطة الدعاة الى الله من الصوفية ومريديهم من التجار.. وكذلك فعل أهل تركستان الشرقية..

وما لبث المغول في القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) أن تحولوا الى الاسلام بعد أن كانوا أعظم نكبة ومصيبة حلت به. وبظهور الحكم التتاري الاسلامي حكم المسلمون كل الاراضي الواقعة اليوم في الاتحاد السوفيتي ابتداء من موسكو وانتهاء بفرغانة مرورا بسهوب الفولجا وقازاخستان وجبال الاورال وفيافي سيبيريا وجبال القوقاس وشواطىء قزوين (بحر الخزر) وشواطىء البحر الاسود ومصب نهر الدانوب والدنيبر..

وكانت الدوافع للكتابة في هذا الموضوع كثيرة وهامة..

أولها: - ان بلادا اسلامية كثيرة لا تزال تقع تحت براثن الدب الروسي وتخدع بدعاواه حول محاربة الاستعمار والامبريالية وتقع فريسة له ومن بينها وطن الكاتب الأول الذي أصبح يرزح تحت الاستعمار الروسي..

وثانيها: - اننا نجهل جهلا تاما ان الاتحاد السوفيتي بأكمله كان أرضا خاضعة للاسلام وان اغلب مناطقه كانت ولا تزال آهلة بالمسلمين وان الاسلام قد دخلها منذ القرن الهجري الاول..

وثالثها: - ان كثيرا من اعلام الاسلام ودعاته وعلمائه اخرجتهم تلك البلاد وخاصة فيما يعرف بالتركستان فكان من حقهم علينا ان

نترجم لهم ولو بايجاز وننوه بفضلهم ولو باقتضاب.

ورابعها: - أن علماء الاسلام وشيوخ الطرق الصوفية ضربوا أروع المثل في الجهاد والاستشهاد ولقد تآمرت أجهزة الاعلام على تصوير علماء الاسلام وشيوخ الطرق بأنهم خاضعون للاستعمار بعيدون عن روح الجهاد فأحببنا ان نزيح عنهم هذا الحيف ونكشف عنهم هذا الظلم.. ونوضح بعض مآثرهم وصفحات من جهادهم الرائع الذي جعله الله سببا لحفظ الاسلام بل وانتشاره في تلك الديار رغم ما يواجهه من حرب ابادة واذابة دامت عدة قرون منذ عهد جنكيزخان وهولاكو واستمرت في عهود القياصرة ثم ازدادت قسوة وشدة في عهد البلاشفة.

وخامسها: - ان الاستعمار الغربي الاوربي قد عرفنا عداوته للاسلام والمسلمين واستعباده أرضهم وانتهابه خيراتهم.. ولكن كثيرا منا لا يعلمون شيئا عن الاستعمار الروسي وما فعله بالمسلمين فأحببت ان لا يقع مزيد من اوطاننا تحت براثن هذا الدب الخبيث.

ونحن لا ندعو للتحرر من براثن الاستعمار الصليبي اليهودي لنقع في براثن الاستعمار الشيوعي البلشفي..

فكلاهما شر مستطير.. بل كلاهما يختصم ثم يتفق من اجل ابتلاع المزيد من اراضينا وامتلاك ثرواتنا ومقدراتنا ومحاربة ديننا واسلامنا..

وكم رأينا من مؤتمرات عقدت في الماضي بين الدب الروسي ودول اوربا الاستعمارية وخاصة انجلترا وفرنسا لاقتسام ثروات المسلمين وبلادهم.. وكم من مؤتمرات عقدت في هذا القرن بين ستالين وروزفلت وتشرشل وديجول لتقسيم بلاد المسلمين بينهم.. وما مؤتمر يالطا الذي عقد في القرم بعد الحرب العالمية الثانية ببعيد حيث اقتسمت امريكا وروسيا العالم بأسره وعلى الأخص منه بلاد المسلمين.. وها هي المؤتمرات تلو المؤتمرات تعقد بينهم لتحل اي خلاف ينشأ حول هيمنة هذه الدولة

أو تلك.. ونحن غافلون سادرون..

وفي هذا الجو المظلم المكفهر تبرق بارقة أمل وفي هذا الليل الحالك تبزغ تباشير فجر في الافق يحمل رايته شباب وطدوا العزم على الذود عن حياض هذا الدين وفتية آمنوا بربهم فزادهم هدى ويقيناً. لا يخيفهم اجتماع الاعداء ولا ترهبهم سطوة الظالمين ولا تنال من عزائمهم سياط الجلادين.. ذلك لانهم رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فصدقهم ونصروه فنصرهم..

(ان تنصروا الله ينضركم ويثبت اقدامكم)..

(وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم..

وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا.. يعبدونني لا يشركون بي شيئا، ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون).

وان وعد الله صدق وحق.. وان نصر الله لآت ولكن اكثر الناس لا يعلمون...

جدة ١٠ رجب ١٤٠٢ هـ

القسم الأول

المسلمون في مختلف مناطق الاتحاد السوفيتي

- إنتشار الإسلام
- الاستعمار الروسي القيصري
- الثورة البلشفية
- الوضع الحالي

الفصل الأول

نظرة عامّة

علىٰ أوضاع المسلمين

في الإتحاد السّوفيتي عبْر التاريخ

يعتبر الاتحاد السوفيتي احدى الدولتين العظيمتين في العالم اليوم ومساحة أراضيه أكبر من مساحة أي دولة من دول العالم اذ تبلغ ٢٢,٢٧١,٠٠٠ كم مربع ويبلغ عدد سكانه ٢٦٢,٠٨٥,٠٠٠ حسب احصاء عام ١٣٩٩ هـ (١٩٧٩ م) الذين يتزايدون بنسبة واحد في المئة سنويا، (أي أن السكان يقدرون الآن عام ١٤٠٢ هـ (١٩٨٢ م) بـ ٢٧٠ مليوناً). ويشكل المسلمون خمس سكانه تقريبا (خمسين مليونا) بينما تشكل الأراضي الاسلامية ما يقرب من ثلث اراضي الاتحاد السوفيتي.. وبذلك يكون الاتحاد السوفيتي خامس دولة من حيث تعداد المسلمين اذ لا يسبقه في ذلك سوى اندونيسيا وبنجلاديش وباكستان والهند..

ويعيش ٧٥٪ من مسلمي الاتحاد السوفيتي في آسيا الوسطى فيما يعرف بالتركستان الغربية (لأن التركستان الشرقية أو سينكيانغ تحتلها الصين الشيوعية).. وقد قسمت التركستان الغربية الى خمس جمهوريات سوفيتية ليس لها من الجمهورية الا اسمها.. والا فهي مقاطعة أو مستعمرة روسية يحكمها مندوبون عن الكرملين ولا يستطيعون ان يتصرفوا حتى في الأمور الداخلية دون الرجوع الى اسيادهم في (الكرملين) وهذه الجمهوريات التركستانية هي: اوزبكستان وقازاقستان (وتكتب ايضا كازاخستان) وتركمنستان وطادجكستان (وتكتب ايضا تادجكستان) وقيرغيزيا (وتكتب ايضا قيرقيزيا)..

دخول الاسلام: وسنتحدث عن هذه الجمهوريات بالتفصيل عند حديثنا عن التركستان عبر التاريخ الاسلامي منذ الفتح الاسلامي الى الغزو الروسي..

وسنذكر جغرافيتها ومناطقها ومدنها ومن ظهر منها من مشاهير

علماء الاسلام بتفصيل واف يشمل معظم فصول الكتاب. ولا يقتصر وجود المسلمين بكثافة على هذه الجمهوريات الخمس وانما يشمل أيضاً جمهورية اذربيجان السوفيتية التي فتحها المسلمون لأول مرة في عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب على يد الصحابي الجليل حذيفة بن اليمان سنة ١٨ هـ - (٦٣٨ م) ثم على يد قائده عتبة بن فرقد السلمي الذي صالحه اهلها فكتب معهم كتاب الصلح الذي يعتبر مثالا لعدل الاسلام وسماحته مع الأمم المغلوبة. وإليك نص العهد الذي أعطاه عتبة بن فرقد السلمي لأهل أذربيجان..

(هذا ما أعطاه عتبة بن فرقد عامل عمر بن الخطاب أمير المؤمنين أهل أذربيجان سهلها وجبلها وحواشيها وشفارها وأهل مللها كلهم الامان على أنفسهم وأموالهم ومللهم وشرائعهم على أن يؤدوا الجزية على قدر طاقتهم ليس على صبي ولا امرأة ولا زمن (أي شيخ طاعن أو مريض مرضا مزمنا) ليس في يديه من الدنيا.. لهم ذلك ولمن سكن منهم.. ومن حسر منهم في سنة (أي لم يستطع الدفع في ذلك العام) وضع عنه (أي ترفع عنه الجزية تلك السنة)..

ومن أقام فله مثل ما لمن أقام من ذلك. ومن خرج فله الأمان حتى يلجأ الى (حرزه). كتب سنة ١٨ هـ.. (٦٣٨ م) ولقد ذكرنا هذه المعاهدة ها هنا لنرى الفرق الشاسع والبون الهائل بين ما أبداه المسلمون من تسامح وعدل تجاه الأمم المغلوبة.. وما أبداه الروس بعد ذلك من ضروب الوحشية وقهر المسلمين واذلالهم وفرض النصرانية عليهم وتشريدهم من أوطانهم.. ولننفي ما يدعيه الكتاب الغربيون وآخرهم مؤلفا كتاب المسلمون المنسيون في الإتحاد السوفيتي اللذان يدعيان ان الاسلام انما دخل بواسطة الغزو الحربي أولا وانه فرض على السكان فرضا بحد السيف.

ولا يقتصر وجود المسلمين في الاتحاد السوفيتي على هذه الجمهوريات

الست وان كانت هذه الجمهوريات اكثرها كثافة بالسكان المسلمين..

ويكثر المسلمون في مناطق كثيرة من القفقاس والمجرى الاوسط لنهر الفولجا وجبال الاورال وسيبيريا بل وروسيا الوسطى وروسيا البيضاء وليتوانيا.. ولذا فلا توجد منطقة ما في أراضي الاتحاد السوفيتي ليس فيها مسلمون سواءً قلوا أم كثروا..

لقد دخل الاسلام الى أذربيجان وأرمينية وجورجيا (جنوب جبال القوقاس وغرب بحر قزوين أو بحر الخزر وشمال ايران) في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنة (١٨ - ٢٤ هـ) (٦٣٨ - ٦٤٤ م) كما دخل الاسلام الى خراسان وهي مقسمة الآن بين تركمنستان السوفيتية وايران وأفغانستان على يد الأحنف بن قيس في عهد عمر رضي الله عنه.. وكذلك فتحت أراضي الديلم وطبرستان في عهده. (١٨ - ٢٤ هـ) (٦٣٨ - ٦٤٤ م).. وفي عهد عثمان رضي الله عنه توطدت هذه الفتوح ووسعت لتشمل شمال أفغانستان وفي عهد معاوية عبر الصحابي الحكم بن عمرو الغفاري سنة ٥٠ هـ (٦٧٠ م) نهر جيحون وفتح بلاد الصغانيان (في جمهورية أوزبكستان حاليا) وكان بذلك أول من عبر نهر جيحون (أموداريا) من المسلمين وتوالت الفتوح بعد ذلك ففتح عبيد الله بن زياد بخارى وبيكند سنة ٥٥ هـ (٦٧٤ م) ثم جاء بعده سعيد بن عثمان ففتح سمرقند وفي تلك المعركة استشهد قثم بن العباس ابن عم رسول الله ﷺ.. وتم كل ذلك في عهد معاوية بن أبي سفيان..

وفتح موسى بن عبد الله بن خازم ترمذ (موطن الامام ابي عيسى الترمذي) سنة ٧٠ هـ (٦٨٩ م) ثم جاء قتيبة بن مسلم الباهلي الذي يعتبر بحق فاتح بلاد ما وراء النهر.. ووطد الاسلام في تلك البقاع من ٨٨ هـ (٧٠٦ م) الى ٩٦ هـ (٧١٤ م).. ووصلت جيوشه الى حدود الصين وخضع له امبراطور الصين وبعث له بالجزية وبطشت كبير فيه تراب

الصين ليطأه برجله ويبر قسمه الذي قطعه على نفسه (بأن يطأ أرض الصين بقدمه). وفتح كشغر.. ووطد اركان الدولة الاسلامية فيما يعرف اليوم بتركستان الغربية أي أوزبكستان وتركمنستان وطادجكستان وقيرغيزيا..

وآنتشر الاسلام بعد ذلك فيما يعرف اليوم بتركستان الشرقية على يد الدعاة الى الله من الصوفية.. ودخل ستوق بغراخان ملك الترك الشرقيين في الاسلام وتبعه مليون شخص في القرن الرابع الهجري ٣٢٣ هـ (٩٣٤ م) وانتشر الاسلام بواسطتهم وبواسطة التجار على طول نهر الفولجا.. أو ما يعرف بطريق الفراء لأنه كان الطريق الذي تم فيه تجارة الفراء كما انتشر الاسلام ايضا بواسطة هؤلاء الدعاة الى الله من الصوفية واتباعهم من التجار على طول طريق الحرير الذي يمتد من البحر الاسود غربا حتى الصين شرقا..

وقد ترك لنا العالم والمؤرخ المشهور ابن فضلان وثيقة تاريخية هامة تصف رحلته التي قام بها بأمر الخليفة العباسي المقتدر سنة ٣٠٩ هـ (٩٢١ م) الى بلاد البلغار.. عندما جاء وفد من سكان بلغار الفولجا الى الخليفة العباسي وأخبروه باسلامهم واسلام من وراءهم وطلبوا منه أن يرسل لهم مجموعة من العلماء لتعليمهم الدين كما طلبوا منه مجموعة من المهندسين والمستشارين العسكريين ليبنوا لهم الاستحكامات والحصون والقلاع العسكرية لأنهم محاطين بأمة همجية تدعى الروس لا يعرفون دينا ولا ملة وغارقون في الوحشية.. وقد سجل ابن فضلان خط رحلته من بغداد مرورا بإيران ثم بخارى ثم خوارزم ثم كيف عبروا شمالا في اتجاه نهر الفولجا حتى وصلوا الى ملك البلغار المسلم ألمش بن يلطوار.. ووصف في اثناء رحلته التي استغرقت احدى عشر شهرا كلما صادفه من أشياء غريبة أو مهمة.. وذكر لنا أنه اصطحب معه الى جانب الفقهاء والمهندسين والاطباء سوسن الروسي مولى نذير الخرمي وتكين

التركي وبارس الصقلي ورسول الصقالبة المسلم. وترك لنا وصفا دقيقا عن الأمة الهمجية التي تدعي روسيا أو الروسيا ومعناها الأمة الشقراء والذين لم يكن يتجاوز عددهم مائة الف.. (يبلغ اليوم تعدادهم ١٣٧ مليونـــا حسب احصـــاء ١٣٩٩ هـ (١٩٧٩ م) ووصفهم ابن رستـــه والمسعودي وابن فضلان وابن بطوطة بأنهم أشر خلق الله وأنهم شقر الابدان صفر الشعور طوال القامات ضخام الاجسام مستهترون بالخمر يشربونها ليلا ونهاراً وربما مات الواحد منهم والقدح في يده، شديدو البأس شجعان لا يعرفون الهزيمة ولا يولي الرجل منهم حتى يقتل أو يُقتَل واذا نزلوا بساحة قوم لم ينصرفوا عنهم دون أن يهلكوهم أو يستبيحوا نساءهم وأولادهم ويسترقونهم.. (وهم أقذر خلق الله لا يستنجون من غائط ولا يغتسلون من جنابة كأنهم الحمير الضالة).

واذا مرض الواحد منهم ضربوا له خيمة وطرحوه فيها حتى يشفى أو يهلك لا يزوره أحد منهم ولا يتعهده بالرعاية. واذا مات الرجل منهم أحرقوا معه جاريته وخاصة اذا كان من أهل الرياسة.. واذا مات الرئيس منهم قال أهله لجواريه وغلمانه من منكم يموت معه فيقول بعضهم انا فاذا قال ذلك وجب عليه.. فيأخذون الجارية ويغنون ويرقصون ويدخل عليها ستة نفر من أهله ينكحونها واحداً بعد الآخر ثم يشدون وثاقها ويذبحونها..

ولهم لغة ودين وشريعة لا يشاركهم فيها احد.. يعبدون اوثانا ونصبا من خشب[1].. ثم تطورت بعد ذلك أحوال الروس ودخلوا في المسيحية الارثوذكسية وصاروا حماتها وسندتها بعد أن سقطت القسطنطينية (اسطمبول) على يد السلطان العثماني العظيم محمد الفاتح سنة ٨٥٧ هـ

(١) مقال للاستاذ حسين أحمد أمين في مجلة العربي بعنوان نزهة الافئدة والنفوس في معرفة احوال الروس عدد ٢٧٧ ورسالة ابن فضلان تحقيق د. محمد سامي الدهان.

(١٤٥٣ م) ولكن همجيتهم وشجاعتهم ووحشيتهم وادمانهم الخمر لم تفارقهم الى اليوم..

وانتشر الاسلام على طول نهر الفولجا بواسطة الدعاة الى الله والتجار بين بلغار الفولجا ثم انتشر بعد ذلك انتشارا عظيما على يد القبيلة الذهبية التي أسسها جوجي ابن جنكيز خان والتي اسلم أميرها بركة خان سنة (٦٥٤ - ٦٦٥ هـ) (١٢٥٦ - ١٢٦٧ م)..

وأصبح نهر الفولجا بأكمله نهرا اسلاميا وكانت حاضرتهم مدينة السرا التي زارها ابن بطوطة في رحلته المشهورة ٧١٥ هـ (١٣١٤ م) وفي ذلك العهد المبكر كانت قازان واستراخان والكفابل وشبه جزيرة القريم (كريميا) كلها اسلامية.. وعرف سكان هذه المناطق باسم التتار وهم في الواقع من القبيلة الذهبية المغولية ومن بلغار الفولجا المسلمين اختلطوا وتزاوجوا.. ثم ظهر تيمورلنك وخضعت له جميع الأراضي المعروفة اليوم باسم الاتحاد السوفيتي كما خضعت له بولندا ايضا..

وكان سلاطين التتار يحكمون نهر الفولجا بأكمله ابتداء من قازان القريبة من موسكو الى استراخان الواقعة بالقرب من بحر قزوين (بحر الخزر) كما قاموا بنشر الاسلام في بلاد البشكير ويقول الكاتبان الفرنسيان بنجيسن ولومرسييه في كتابها « (المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي) «فمنذ القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) اصطحب التجار والسفراء العرب معهم دين النبي محمد الى مملكة البلغار القائمة على المجرى المتوسط لنهر الفولجا.. ومع انتهاء القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) كانت هذه المنطقة قد أصبحت في معظمها وقفا على الاسلام الذي انطلق في القرنين التاليين ليعبر جبال الاورال ويمتد في بلاد البشكير.. وبفضل التجار المسلمين عربا كانوا أم فرسا أم اتراكا تسرب الاسلام أيضاً الى سهوب بلاد الكازاخ (كازاخستان) شمال

نهر سرداريا (سيحون) ومنها صعد في جبال قيرغيزيا حتى وصل الى سينكيانغ (تركستان الصينية)»..

«وفي مستهل القرن الثالث عشر الميلادي ٦١٧ هـ (١٢٢٠ م)حلت بالعالم الاسلامي كارثة عظمى هي كارثة الغزو المغولي التي اتخذت مظهرا صليبيا بتعاون البابا مع جنكيز خان وأولاده لسحق العالم الاسلامي.. وهنا نشطت الفرق الصوفية لانقاذ الاسلام واسبغت عليه طابعا أكثر اتصالا بالجذور الشعبية»..

«وتحول الغازي المغولي من مستأصل للإسلام الى مدافع عنه وناشر له عندما اهتدى سلاطين القبيلة الذهبية في بداية القرن الرابع عشر للاسلام (الواقع في عهد بركة خان في القرن الثالث عشر الميلادي) مما أعطى الاسلام زخما جديدا أوصله الى شبه جزيرة القرم وسهوب روسيا الجنوبية (شمالي البحر الاسود وبحر قزوين) وسيبيريا الغربية.. وامتدت هذه المرحلة من الانتشار الاسلامي حتى القرن السادس عشر الميلادي».

«وقد دخلت قبائل النوغاي في الاسلام في القرن الثاني عشر الميلادي وأدخلته الى منطقة القفقاس الوسطى.. وما انتهى القرن الخامس عشر الميلادي حتى كانت قبائل الكابارد والبلكار والشركس والكراتشاي قد دخلت جميعها في الاسلام».

وبهذا يتضح ان الاسلام لم يكن منتشراً فحسب في آسيا الوسطى (بلاد ما وراء النهر) أو التركستان منذ القرن الهجري الأول (السابع الميلادي) بل كان منتشراً في أذربيجان وجنوب القوقاس ايضا منذ القرن الهجري الأول..

ولم يأت القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) الا وقد صار بلغار الفولجا مسلمين وكذلك كان أيضاً سكان التركستان الشرقية..

المسلمون يحكمون روسيا وموسكو ذاتها لمدة ٢٤٠ عاما: وباسلام المغول في القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) وخاصة أمراء وأفراد القبيلة الذهبية انتشر الاسلام على طول نهر الفولجا وأصبح هذا النهر من منبعه الى مصبه تقريبا نهرا اسلاميا خالصا.. وكذلك انتشر الاسلام في جبال الاورال وعلى طول نهر الاورال ايضا.. ودخل الاسلام الى بشكيريا وتتاريا والى المناطق التي تسكنها القبائل النورماندية مثل ماري وموردوف وأدمورت وتحولت جميعا الى الاسلام.. وأصبحت شبه جزيرة القرم (كريميا) جزيرة اسلامية.. وظهرت المدن الاسلامية العظيمة المشهورة في بلاد ما وراء النهر مثل بخارى وسمرقند وترمذ وخوارزم وفرغانة وطشقند.. كما ظهرت مدن أقل شهرة منها ولكنها ايضا ذات تاريخ مجيد في الاسلام مثل قازان واستراخان والسرا واوفا ومدينة البلغار ومدينة الكفا والقرم وسرادق وباغجة سراي في شبه جزيرة القرم.. ومنذ عهود مبكرة كانت دربند (باب الابواب) وباكو وكنجة وبرذعة وبيلقان في أذربيجان مدنا اسلامية لها دور يذكر في التاريخ الاسلامي.

وأصبحت مدينة سيبير في سيبيريا الغربية والتي منها أخذ اسم سيبيريا عاصمة اسلامية منذ القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي)..

وتعتبر مدينة ابركوتسك الصناعية في سيبيريا مدينة اسلامية.. أما منغوليا موطن المغول الاول الذين ظهر منهم جنكيز خان وسلالته فإن ما يقرب من نصف سكانها مسلمون.. ويقع جزؤها الغربي تحت سيطرة روسيا اما جزؤها الشرقي فتسيطر عليه الصين الشعبية. وقد اسلم هؤلاء المغول منذ القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) وظهر منهم كثير من الاسر الحاكمة الاسلامية التي سيطرت على جميع اراضي الاتحاد السوفيتي الحالية وأراضي تقع حاليا تحت سيطرة الصين الشعبية.

وتعتبر مدينة اولان باتور في منغوليا السوفيتية من المدن الاسلامية ذات التاريخ العريق. وكانت هذه الامارات التترية (المغولية) تحكم أجزاء واسعة مما يعرف اليوم باسم الاتحاد السوفيتي ولم يكن امير موسكو ينصب الا بعد استئذان سلطان قازان المسلم وقد ظلت موسكو خاضعة لسيطرة التتار المسلمين لمدة ٢٤٠ سنة.

ظهور الامبراطورية الروسية واحتلال مناطق التتار المسلمين

ونتيجة للخلافات بين هذه الامارات التترية وانقسامها ضعف شأنها وبدأ في القرن الخامس عشر والسادس عشر الميلادي تكون الدولة المسكوبية (نسبة الى موسكو) وقد تكونت هذه الإمارة الروسية في القرن الحادي عشر الميلادي بعد أن تحولوا الى المسيحية الارثوذكسية في عهد فلادمير سلافيتش سنة ٣٧٨ هـ (٩٨٨ م) وانتشرت فيهم المسيحية تدريجيا حتى شملت معظم قبائلهم وأصبحوا بعد سقوط القسطنطينية بيد السلطان العثماني محمد الفاتح سنة ٨٥٧ هـ (١٤٥٣ م) ممثلي الكنيسة الشرقية بكاملها ورفعوا لواء الصليبية الحاقد ضد المسلمين.. وبدأ ايفان الثالث جد ايفان الرهيب سنة ٨٨٥ هـ (١٤٨٠ م) هذه الحرب الصليبية معلنا بذلك انتهاء سيطرة التتار المسلمين على موسكو التي دامت ٢٤٠ عاما، وذلك عندما رفض دفع الجزية لأحمد خان سلطان قازان وقامت الحرب بينهما وانهزم المسلمون وانتصر الروس في تلك المعركة وقام البابا يحث أمير موسكو فاسيلي الثالث (والد ايفان الرهيب) باشعال الحرب المقدسة ضد المسلمين ولكنه ترك هذه المهمة لولده ايفان الرهيب.

وبظهور إيفان الرهيب الذي تميز بالدهاء والقوة العسكرية وشدة الحقد على المسلمين بدأت تلوح نهايات الامارات الاسلامية التترية.. واستطاع إيفان الرهيب أن يكتسح قازان سنة ٩٦٠ هـ (١٥٥٢ م) وبعد خمس سنوات استطاع إيفان هذا أن يحتل المركز الثاني للتتار المسلمين

وهي استراخان وذلك سنة ٩٦٥ هـ (١٥٥٧ م) وبذلك أصبح نهر الفولجا خاضعاً لسيطرة إيفان..وقام إيفان بحرب ابادة للتتار المسلمين وفرض عليهم أن يتنصروا أو يتركوا أوطانهم ويهاجروا مثلما فعل الاسبان بمسلمي الاندلس ومثلما تفعل اسرائيل بمسلمي فلسطين (بصورة أشد مكراً وأكثر دهاء) وذلك بعد مرور ستين عاماً فقط من احتلال الاسبان لغرناطة..

واتجهت قوات إيفان سنة ٩٦٥ هـ (١٥٥٧ م) الى بشكيريا التي كانت قد تحولت الى الاسلام منذ قرنين من الزمان واحتل عاصمتها مدينة أوفا الشهيرة..

ومثلما فرض على تتار الفولجا التحول الى المسيحية أو الهجرة كذلك فرض إيفان على البشكير التحول الى النصرانية أو الهجرة من أراضيهم وهكذا تحول بعض تتار الفولجا الى النصرانية وعرفوا منذ ذلك الوقت باسم ستارو كرياشن وكذلك تحول بعض البشكير الى النصرانية ولكن ما أن اتيحت الحريات الدينية عام ١٣٢٣ هـ (١٩٠٥ م) إلا وظهر هؤلاء التتار والبشكير على حقيقتهم وظهروا كمسلمين حافظوا على اسلامهم في السر مدى ثلاثة قرون شهدوا فيها من الاضطهاد الديني والوحشية والهمجية ما هو جدير بأمة متوحشة همجية هي أمة الروس التي وصفها لنا ابن فضلان قبل أكثر من الف عام في رحلته الى بلاد البلغار، والتي أوردنا نتفاً منها فيما مر معنا. أما التتار الذين اجبروا على التحول الى المسيحية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلادي، فقد عرفوا باسم (نوفوكرياشن) وكان عددهم أكثر من ثلاثمائة ألف نسمة فقد عادوا الى الاسلام بمجرد السماح بالحريات الدينية عام ١٣٢٣ هـ (١٩٠٥ م).

واستطاع إيفان الرهيب أيضاً أن يوسع رقعة مملكتة الى أرض الجوفاش المجاورة لتتاريا وذلك سنة ٩٦٠ هـ (١٥٥٢ م) كما ضم اليها

أرض الموردوف والادمورت والماري ورغم ان سكان هذه المناطق كانوا من القبائل الفنلندية الوثنية الا أن مجاورتهم للتتار المسلمين جعلت الاسلام ينتشر بينهم.. فلما استولى إيفان الرهيب على أراضيهم فرض عليهم النصرانية بحد السيف فلما انقشعت الغمة قليلا في عهد كاترين في القرن الثامن عشر الميلادي اعلنوا اسلامهم. ومع ما يتسم به عهد كاترين من التسامح الديني النسبي الا انها لم تسمح لهم باقامة المساجد على اعتبار انهم كانوا وثنيين ثم اصبحوا نصارى ولم يكونوا من قبل مسلمين ولم يستطيعوا ان يجاهروا بإسلامهم الا في عام ١٣٢٣ هـ (١٩٠٥ م) عندما سمح بالحريات الدينية لفترة وجيزة. واستطاع قياصرة روسيا ان يحتلوا سيبيريا الغربية سنة ٩٨٨ هـ (١٥٨٠ م) واتجهت بعد ذلك القوات الروسية جنوباً صوب القوقاس.. وكانت القوقاس تتبع تارة الدولة الصفوية الشيعية وتارة تتبع الخلافة العثمانية.. وكانت الحرب بين هاتين الدولتين المسلمتين على اشدها مما أضعفها جميعاً وجعل أراضيها لقمة سائغة لاطماع روسيا القيصرية. وقد استطاعت القوات الروسية القيصرية ان تحتل القوقاس بعد حرب دامت منذ عام ١١٩١ هـ (١٧٧٥ م) الى ١١٩٩ هـ (١٧٨٤ م) واستمرت بعد ذلك المناوشات والمعارك الجانبية حتى عام ١٢٢٨ هـ (١٨١٣ م) عندما اعترف نادر شاه حاكم إيران بسلطة روسيا على القوقاس وعندئذ قام الامراء المحليون بمقاومة الغزو الروسي ولكنهم اضطروا للخضوع بعد أن اكتسحتهم قوات روسيا القيصرية وعندئذ قام قاضي القضاة الملا محمد الكمراوي بإعلان ردة امراء داغستان الذين استسلموا لحكم روسيا القيصرية والف كتاباً سماه (إقامة البرهان على ارتداد عرفاء طاغستان). وكان القاضي ملا محمد الكمراوي عالماً فقيهاً زاهداً مجاهداً فنشر روح الجهاد وتسمى باسم الغازي محمد واستطاع أن يلحق بالقوات الروسية بعض الهزائم وبقي في ميدان الجهاد من سنة ١٢٤٨ هـ (١٨٣٢ م) الى

سنة ١٢٥٠ هـ (١٨٣٤ م) حيث استشهد في ميدان القتال فخلفه تلميذه الامير حمزة الخنزاجي وهو أحد الامراء القليلين الذين تابعوه ورفعوا راية الجهاد حتى استشهد بعد عام.. وجميعهم من قبيلة أوار الداغستانية اللزكية الذين لا يتكلمون ويكتبون الا باللغة العربية.

وتولى الامر بعدهما الإمام العالم الرباني تلميذ القاضي ملا محمد الصوفي الشهير الشيخ محمد شامل.. واستطاع هذا الإمام ان يجاهد القوات الروسية القيصرية ويلحق بها كثيراً من الهزائم في بطولة نادرة رغم أن معظم سلاحه كان مما يغنمه من القوات الروسية وافتتح من القوات الروسية جميع القلاع والحصون المنيعة التي كانوا قد استولوا عليها وذلك في معارك طاحنة خلال عامي ١٢٥٩ هـ (١٨٤٣ م) و ١٢٦٠ هـ (١٨٤٤ م) ووقف في وجه روسيا لمدة خمسة وعشرين عاماً بسلاحه القليل وعتاده البسيط حتى نفذت ذخائرة أو كادت.. ولما اضطر الى ترك المدن والحصون والقلاع لاذ بالجبال يناوشهم منها لمدة عشر سنوات أخرى وفي عام ١٢٧٦ هـ (١٨٥٩ م) خرج الى تركيا بعد أن سقط جميع رجاله وفقد جميع ما لديه من سلاح بسيط ومؤن.. ومن تركيا توجه الى المدينة المنورة حيث مات ودفن في بقيعها عام ١٢٨٩ هـ (١٨٧١ م)...

والقاضي ملا محمد وتلميذه الشيخ شامل هما من الطريقة النقشبندية التي كان لها أعظم الأثر في اذكاء روح الجهاد والمقاومة ليس في القوقاس فحسب بل في جميع الاراضي الاسلامية التي وقعت تحت سيطرة الروس.. وهكذا نرى روسيا القيصرية تحتاج الى ١٣٧ سنة لإخضاع القوقاس لسيطرتها من سنة ١١٣٥ هـ (١٧٢٢ م) الى سنة ١٢٧٦ هـ (١٨٥٩ م).

الاحتلال الروسي لآسيا الوسطى:

وتوالى زحف القياصرة على المناطق الاسلامية في القرن التاسع عشر.. وكانت أطماع نيقولا الأول في أرض الخلافة، العثمانية وخططه للاستيلاء على اسطمبول (القسطنطينية) عاصمة الخلافة وتحويلها الى عاصمة للارثوذكسية المسيحية قد واجهت معارضة فعلية من بريطانيا وفرنسا.. بل أدى الخلاف على تركة (رجل أوروبا المريض) (وهو الاسم الذي أطلقه نيقولا الأول على تركيا) الى قيام حرب القرم المشهورة والتي دامت من سنة ١٢٧٠ هـ (١٨٥٣ م) الى سنة ١٢٧٣ هـ (١٨٥٦ م).. فقد قامت بريطانيا بتحريض السلطان العثماني على أن يقف ضد الاطماع الروسية وقدمت له المواثيق والعهود بامداده بالاسلحة والجنود.. ولكن بريطانيا وفرنسا تقاعستا عن وعودهما للسلطان حتى تم لنيقولا الأول (قيصر روسيا) الاستيلاء على مناطق واسعة من أراضي الخلافة العثمانية.. عندئذ تحركت قواتهما لايقاف المزيد من الابتلاع الروسي واعلنت بريطانيا وفرنسا الحرب ضد روسيا في ٢٧ مارس سنة ١٢٧١ هـ (١٨٥٤ م) وفي سبتمبر من نفس العام دخلت قوات فرنسا وبريطانيا وتركيا الى القرم وسقطت مدينة سيفاستوبول بعد حصار دام سنة الا خمسة عشر يوماً.. وانتهت الحرب بهزيمة روسيا وبعقد معاهدة باريس سنة ١٢٧٣ هـ (١٨٥٦ م) حيث أعيد تقسيم الغنائم بين فرنسا وبريطانيا وروسيا.. وكان الخاسر الوحيد في هذه الحرب كما في الحروب التي سبقتها ولحقتها مع الدولة العثمانية هم المسلمين واراضيهم.

وعندما رأت روسيا أن أطماعها في أوروبا (العثمانية) تصطدم باطماع الدول الغربية رفع وزير الخارجية الروسي الى القيصر اسكندر الثاني سنة ١٢٧٣ هـ (١٨٥٦ م) (أي بعد انتهاء حرب القرم مباشرة) تقريراً يوضح فيه أن مستقبل روسيا التوسعي الاستعماري ليس في أوروبا بل

في آسيا ووافق القيصر على هذه السياسة واتجهت جحافل الجيوش الروسية بعد اخضاع القوقاس واخماد ثورة الشيخ شامل سنة ١٢٧٦ هـ (١٨٥٩ م) الى آسيا الوسطى..

وكان الدافع الثاني لاحتلال اراضي التركستان هو نمو الرأسمالية الروسية وبحثها عن مستعمرات تستورد منها المواد الخام الرخيصة.. واسواق تتقبل المنتجات الروسية وكانت صناعة النسيج الناشئة في روسيا تبحث عن مصدر للقطن الرخيص كما تبحث عن أسواق لتوزيع هذه المنتجات..

وفي آسيا الوسطى (التركستان) وجدت روسيا بغيتها.. فما أن تم لها الاستيلاء عليها حتى قامت بتحويل مناطق شاسعة من التركستان لزراعة القطن الامريكي ولا تزال التركستان حتى يومنا هذا تمثل أكبر بلد لزراعة القطن في العالم بعد الولايات المتحدة الامريكية.

لقد بدأ احتلال آسيا الوسطى باحتلال طشقند عام ١٢٨٢ هـ (١٨٦٥ م) وتكوين ادارة التركستان العسكرية وتوالى سقوط المدن والخانيات التركستانية ففي عام ١٢٨٥ هـ (١٨٦٨ م) سقطت سمرقند وفي عام ١٢٩٠ هـ (١٨٧٣ م) فرضت روسيا حمايتها على خانية بخاري وفي السنة التالية أي سنة ١٢٩١ هـ (١٨٧٤ م) على خانية خوارزم.. وفي عام ١٢٩٢ هـ (١٨٧٥ م) توجهت القوات الروسية الى خانية خوقند.. وواجه الروس مقاومة شعبية مذهلة مما جعلهم يجمعون أكبر قواتهم ويدكون المدينة دكاً ويبيدون أهلها عن بكرة أبيهم عام ١٢٩٣ هـ (١٨٧٦ م).. وهذا يذكرنا بما كان يفعله جنكيزخان عندما كان يجد مقاومة شعبية فكان رده عليها هو ازالتها من الوجود...

وسقطت مرو وعشق آباد ومناطق التركمان في حروب متصلة دامت من سنة ١٢٩٠ هـ (١٨٧٣ م) الى ١٣٠٢ هـ (١٨٨٤ م) وأظهرت القبائل

خريطة توضح التوسّع الرّوسي في أراضي المسُلمين على مَدى السّنين

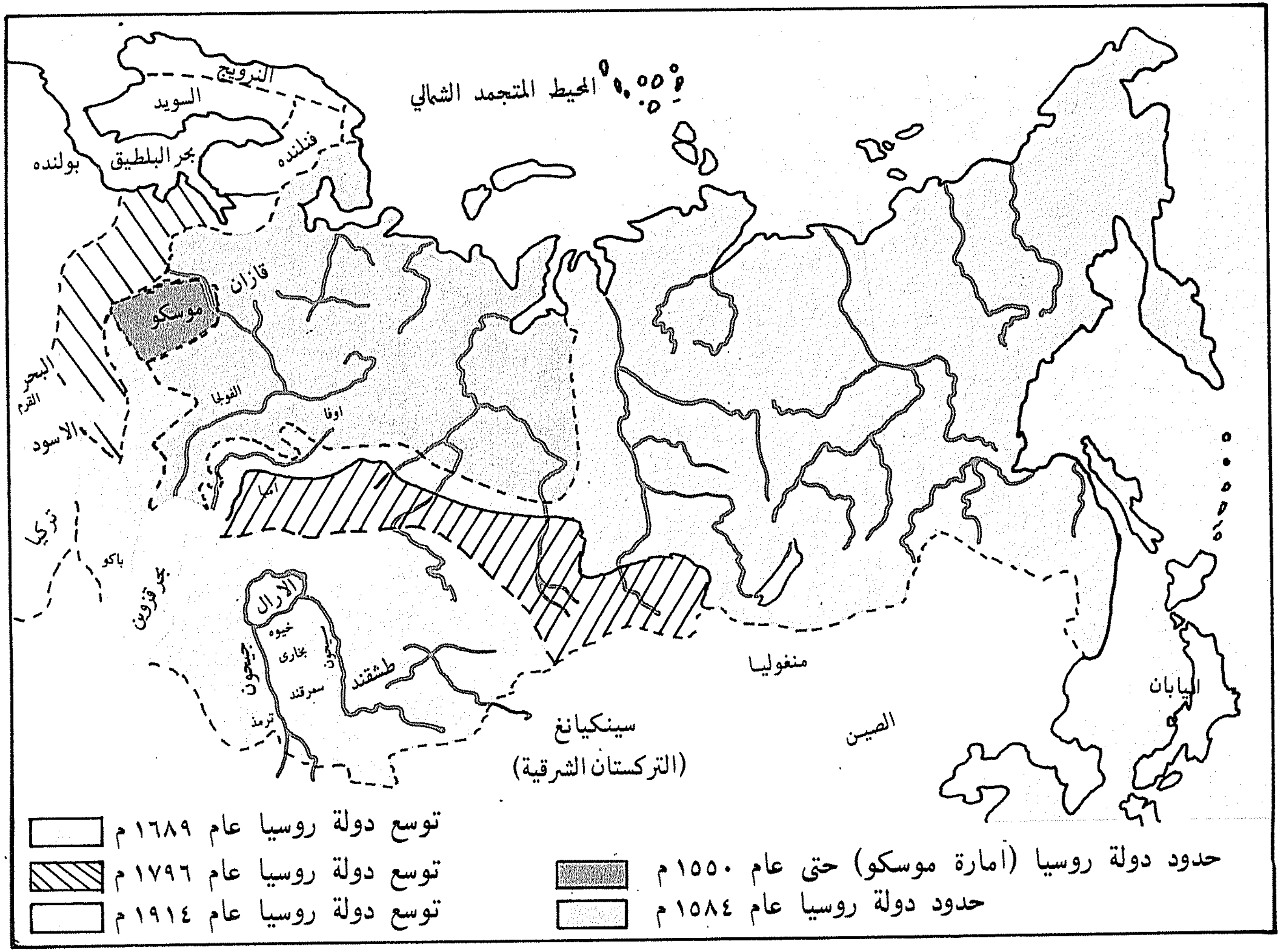

التركمانية مقاومة عنيفة في وجه المحتل الروسي.

واكتمل فتح التركستان بوصول القوات الروسية الى هضبة بامير سنة ١٣١٨ هـ (١٩٠٠ م).. ومنذ ذلك الحين وضعت التركستان تحت ادارة عسكرية روسية بينما احتفظت خانية بخارى وخانية خيوه (خوارزم) باستقلال ذاتي تحت الحماية الروسية التي كانت تتصرف في الشئون السياسية والخارجية والدفاعية للبلاد.

ويقول بنجيسين ولومرسييه في كتابهما (المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي) «يمكن تسمية السياسة العامة التي طبقت في التركستان استعمارية صرفة». وحاولت السلطات الروسية أن تعزل التركستان عزلا تاماً عن تأثيرات الحركات الاستقلالية في البلاد الاسلامية وخاصة تتار الفولجا وكتب الجنرال كاوفمان أول حاكم عام روسي على التركستان يقول «على آسيا الوسطى أن تظل في حالة من الركود والتأخر كما في القرون الوسطى الأمر الذي لا بد أن يمنع في هذا الاقليم أي امكانية للمقاومة الوطنية ضد الفاتحين...»

وكما يقول المرجع السابق «ظل التركستانيون، سليلو تاريخ مجيد ومدنية تعود الى الفي سنة، خاضعين لسياسة تمييز عنصري وديني تذكر بسياسة التمييز الحالية في اتحاد جنوب افريقيا الى أن جاءت الثورة الروسية».

واصبحت التركستان مرتعاً خصباً للاستعمار الروسي الذي لم يعد في حاجة الى وسطاء تتار واصبحت اراضي التركستان الخصبة ملكاً للمستوطنين الروس الذين حولوها الى مزارع للقطن الذي يمد مصانع النسيج الضخمة التي قامت في روسيا. تماماً مثلما فعل الانجليز عندما حولوا مصر والسودان الى زراعة القطن لتمد مصانع النسيج في لانكشاير ويوركشاير وبرمنجهام.

أما القرم فقد سقطت بيد قوات الامبراطورة كاترين سنة ١١٩٨ هـ (١٧٨٣ م) وفي عهدها تم الاستيلاء على شمال القوقاس (انظر خريطة التوسع الروسي في الاراضي الاسلامية).

ورغم التوسع الرهيب في أراضي الامبراطورية الروسية على حساب بلاد المسلمين ورغم ما واجهه المسلمون من إرهاب وتعذيب وحملات ابادة وحملات تنصير إلا أن المسلمين استطاعوا أن يصمدوا ضد هذه التيارات القوية. وكان حامل لواء المقاومة في هذه الحركات رجال الطرق الصوفية وعلى الأخص الطريقة النقشبندية والطريقة القادرية.. ونتيجة نفوذ الدولة العثمانية وارسالها الدعاة فإن الاسلام انتشر بين الشراكسة وفي بلاد الإبخاز ومنهم الاباظة الذين ظهر منهم الكاتب الصحفي فكري أباظة والشاعر عزيز اباظة الذين توطنوا مصر واشتهروا فيها وقد استطاع هؤلاء الدعاة ان يوقفوا جهود القياصرة في تنصير المسلمين بل واستطاعوا أيضاً أن يكسبوا أنصاراً جدداً عندما دخل الادجاريون والكابارد في شمال القوقاز وسكان ابخازيا والاوستين في الاسلام في بداية القرن الحادي عشر الهجري (السابع عشر الميلادي).

وكما يقول المؤلفان بنجيسن ولومرسييه في كتابهما (المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي) في هذه الحقبة الطويلة من التاريخ عاشت الشعوب التركية والقفقاسية محنة قاسية وعانت صراعاً مريراً ومستمراً للحفاظ على تراثها الروحي والبقاء كشعوب متميزة ولقد نجحت في كفاحها نجاحاً كاملا.. اذ خرج الفاتح (الروسي) مهزوماً من المجابهة فيما اندمج الاسلام المضطهد بعنف اندماجاً تاماً بثقافة هذه الشعوب وتقاليدها واصبح النواة الأكثر عمقاً لهويتها القومية.. فالشعوب المسلمة في روسيا ظلت وقبل كل شيء ورغم تغير الاحوال السياسية والعسكرية منتمية الى دار الاسلام.

وفي عهد كاترين التي كانت متسامحة مع المسلمين نسبياً والتي سمحت للتتار بالعودة الى قازان (بعد ان شردوا منها في عهد ايفان الرهيب وخلفائه) وذلك في عام ١١٨١ هـ (١٧٦٧ م) ثم منحتهم الحرية الدينية سنة ١١٨٧ هـ (١٧٧٣ م) وأعطتهم حق بناء مساجدهم ومدارسهم لأول مرة في تاريخ روسيا القيصرية..

في هذه الفترة كان تتار الفولجا قد انتشروا في اصقاع آسيا الوسطى وسهوب بلاد القازان وفي بلاد البشكير وقاموا بدور التاجر المسلم النشيط الذي لم يكن همه نشر تجارته فقط بل نشر دينه أولاً.. وعلى يد هؤلاء التتار التجار ومشايخهم من اصحاب الطرق الصوفية انتشر الاسلام انتشاراً واسعاً في القرن الثامن عشر. وقام مريدو الطريقة النقشبندية وشيوخها في القوقاس الشمالي بالدعوة الى دين الله في بلاد التشتشان (الشاشان) وبلاد الشركس والاباظة.. وذلك منذ بداية القرن التاسع عشر الميلادي.. وعندما حلت الهزيمة بالشيخ شامل - أشهر شيوخ الطريقة النقشبندية سنة ١٢٧٦ هـ (١٨٥٩ م) ظهرت أيضاً في القفقاس الشمالي الطريقة القادرية وأخذت تجذر الاسلام في صفوف الفلاحين وعامة الشعب كما أخذت على عاتقها مقاومة المستعمر الروسي وسياسته التنصيرية كما قامت بحملة دعوة في صفوف النصارى أنفسهم وان كان ذلك يؤدي بالداعي الى حبل المشنقة أو الإعدام بالرصاص فور اكتشافه.

وعندما أعلن الدوما (البرلمان الروسي) الحرية الدينية الكاملة سنة ١٣٢٣ هـ (١٩٠٥ م) عاد التتار الذين فرضت عليهم النصرانية في القرن السادس عشر الميلادي في عهد ايفان الرهيب والمعروفون باسم ستارو كرياشين والتتار الذين أجبروا على التنصر في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر والمعروفون باسم نوفوكرياشين - عادوا جميعاً الى الاسلام.. وكان عدد النوفوكرياشين عند عودتهم الى الاسلام أكثر من

ثلاثمائة ألف شخص.. أما الاستارو كرياشين فقد جاوزوا المائة ألف نسمة.

وفي فترة الهدوء النسبي من سنة ١٣٢٣الى ١٣٤٧ هـ (١٩٠٥ - ١٩٢٨ م) انتشر الاسلام بين الفلنديين الشرقيين الذين يعيشون شمال نهر الفولجا من الموردوف والأدمورت والماري..

طبيعة الحكم الروسي:

ورغم أن قانون سنة ١٣٢٣ هـ (١٩٠٥ م) أعطى جميع الشعوب الموجودة في روسيا القيصرية الحرية الدينية التامة إلا أن الحكومة الروسية عندما رأت اندفاع الاسلام وهو يعيد جميع المرتدين ويفتح آفاقاً جديدة بقوة وفعالية أذهلت الروس.. أصدر القيصر نيقولا الثاني قرارا بحل الدوما (البرلمان الروسي) وتعديل قانون الانتخاب بحيث يقل عدد الممثلين المسلمين من ٣٥ شخصاً في الدوما الثاني الى ستة وذلك في يونيه سنة ١٣٢٥ هـ (١٩٠٧ م).. وأصدر رئيس الوزراء ستوليبنين سنة ١٣٢٨ هـ (١٩١٠ م) منشوراً يوضح فيه سياسة روسيا القيصرية تجاه المسلمين في أحسن فترة مرت بالمسلمين والتي تعتبر قمة التسامح الديني الذي حصل عليه مسلمو روسيا ومع هذا فهو يقول:

(أن الصراع القائم بين العالمين المسيحي والاسلامي لم ينشأ لسبب ديني فقط بل علينا أن ندرك أنه صراع له طبيعة سياسية وثقافية دولية. وهنا يكمن بالتأكيد السر في النجاح الذي أحرزته الدعوة الاسلامية في الآونة الأخيرة. **وان لنجاح هذه الدعوة في وطننا روسيا لخطورة كبرى**.. اذ أن مسلمي روسيا وان كانوا ينقسمون فيما بينهم الى شعوب وقبائل مختلفة تتحدث بلهجات تختلف عن بعضها بعض الاختلاف الا اننا يجب ان لا ننسى اطلاقاً انهم جميعا من أصل تركي واحد يتحدث الجميع نفس لغته).

وفي عام ١٣٢٤ هـ (١٩٠٦ م) أي بعد عام واحد فقط على منح الحرية الدينية أرسل وزير الداخلية الروسي الى مجلس الوزراء تقريرا يحذر فيه من اعطاء المناطق الاسلامية حرية تكوين جمعيات سياسية ودينية ويأمر بالقاء القبض على دعاة هذه الحركات واعتبارهم خارجين على القانون بتهمة انهم جواسيس وعملاء لدولة الخلافة العثمانية.. وفعلا قامت السلطات بتصفية جميع الأحزاب الاسلامية التي تكونت عامي ١٣٢٣ و١٣٢٤ هـ (١٩٠٥ و١٩٠٦ م) مثل حزب الاتفاق الاسلامي وحزب برك وحزب تانغ تشيلار وحزب ملّي فرقة..

وفي بداية القرن العشرين سنة ١٣٢٣ هـ (١٩٠٥ م) انهزمت روسيا لأول مرة من دولة آسيوية هي اليابان وأدى ذلك الى زيادة التعاون بين روسيا وفرنسا وبريطانيا.. وتكون لأول مرة التحالف الفرنسي الروسي ثم تبعه التحالف الانجليزي الروسي عام ١٣٢٥ هـ (١٩٠٧ م).. واتفق قيصر روسيا نيقولا الثاني مع بريطانيا على عدم مد نفوذه من آسيا الوسطى الى الهند التي كانت درة التاج البريطاني.. بينما تم الاتفاق على اقتسام النفوذ في ايران حيث هيمنت روسيا على شمال ايران بينما هيمنت انجلترا على جنوب ايران وفي مقابل بترول باكو لروسيا أخذت بريطانيا بترول عبدان ومسجد سليمان على الخليج (العربي[١]))..

وانزعجت المانيا لقيام الحلف الثلاثي بين روسيا وفرنسا وانجلترا وفي عام ١٣٣٠ هـ (١٩١١ م)، عقدت المانيا اتفاقية سرية مع روسيا تسمح فيه روسيا بمد الخط الحديدي بين بغداد واسطمبول وتسمح بامتداده من بغداد الى خانقين. بينما توافق المانيا على نفوذ روسيا في ايران وتقوم روسيا بمد الخط الحديدي من خانقين على الحدود الايرانية العراقية الى طهران.

---

(١) نفضل تسميته الخليج الاسلامي بعداً عن المنازعات القومية الفارسية والعربية.

وعندما قامت الحرب العالمية الأولى في نوفمبر سنة ١٣٣٣ هـ (١٩١٤ م) اضطرت تركيا الى الانحياز الى صف دول المحور (المانيا - ايطاليا) لأنها قد عرفت نية الحلفاء في اقتسام اراضيها والقضاء عليها قضاء مبرماً.

روسيا والحلفاء يقتسمون العالم الاسلامي

وفي ١٠ ابريل ١٣٣٤ هـ (١٩١٥ م) أبرمت الاتفاقية السرية بين بريطانيا وفرنسا وروسيا والتي تم فيها اقتسام العالم الاسلامي بين هذه الدول الثلاث.. ولأول مرة توافق فرنسا وبريطانيا على ان تحتل روسيا اسطمبول وأن تسيطر على مضيق البوسفور وبحر مرمرة والدردنيل كما تعطي روسيا حق الهيمنة على جميع أراضي آسيا الصغرى.. والجزر الصغيرة التابعة لبحر مرمرة.

أما اتفاقية سايكس بيكو التي وقعت في بتروجراد في مايو سنة ١٣٣٥ هـ (١٩١٦ م) فقد تم بموجبها تقسيم تركة تركيا في آسيا حيث أعطيت بريطانيا العراق وفلسطين وأعطيت فرنسا سوريا ولبنان.. وجعلت لبريطانيا الهيمنة على الدول العربية التي ستقوم في الجزيرة العربية وأعيد تأكيد سيطرة فرنسا على المغرب والجزائر وتونس كما اعيد تأكيد سيطرة بريطانيا على مصر والسودان وعدن والكويت ودول الخليج..

وفي يوليه ١٣٣٥ هـ (١٩١٦ م) وقعت روسيا اتفاقية مع اليابان لاقتسام الصين وبقيام الثورة الروسية في اكتوبر سنة ١٣٣٦ هـ (١٩١٧ م) فضحت هذه الاتفاقيات السرية وأعلنت على الملأ.. واستطاعت بريطانيا وفرنسا اللتان خرجتا منتصرتين من الحرب ان تحققا المكاسب المتفق عليها بينهما بينما كان الوضع في روسيا قد انقلب رأساً على عقب نتيجة قيام ثورة اكتوبر سنة ١٣٣٦ هـ (١٩١٧ م).

بعض العوامل التي أدت الى مساندة المسلمين لثورة اكتوبر ١٣٣٦ هـ (١٩١٧ م)

عند قيام ثورة اكتوبر ١٣٣٦ هـ (١٩١٧ م) كان عدد المسلمين ٢٥ مليونا تقريبا حسب ما ذكره كتاب (الاتحاد السوفيتي والعالم الاسلامي) لايفار سبكتور بينما ذكر شكيب أرسلان في (حاضر العالم الاسلامي) انهم كانوا ٣٥ مليونا موزعين على ١٦ منطقة **وتقول المصادر الرسمية الروسية بأن الحكومات القيصرية قد قامت بمصادرة أخصب أراضي المسلمين في سيبيريا، وقازان وعلى طول مجرى نهر الفولجا والقوقاس وعبر القوقاس والقرم (كريميا) والتركستان وفي خلال القرنين السابقين لثورة اكتوبر صادرت حكومات القياصرة المتعاقبة ٤١,٦٧٥,٠٠٠ دياستين (ادياستين = ٢,٧ فدان)؛ من أخصب أراضي المسلمين أي اكثر من مائة مليون فدان[١].**

وواجه تتار القرم على وجه الخصوص حملات التنكيل والمصادرة.. ففي عهد كاترين ١١٧٦ - ١٢١١ هـ (١٧٦٢ - ١٧٩٦ م) قامت كاترين بمصادرة مئات الآلاف من أخصب أراضي تتار القرم واعطتها لعشاقها المفضلين بوتمكين وبولجاكوف وزوبوف وزوتوف واليوناني كاتشيوني.. وفي عام ١٢٠٦ هـ (١٧٩١ م) هاجر من تتار القرم مائة الف الى تركيا بعد ان صودرت أملاكهم وأراضيهم.. وفي عام ١٢٧٨ هـ (١٨٦١ م) بعد حرب القرم كذلك فر الآلاف الى تركيا. وفي عام ١٣١٩ هـ (١٩٠١ م) اضطر خمسون الف تتاري قرمي الى الهجرة في مواجهة سياسة الترويس التي اتبعتها حكومة نيقولا الثاني لتتار القرم.

ولم تكتف الحكومات القيصرية بمصادرة جميع الممتلكات الخاصة للتتار المسلمين وخاصة في القرم بل قامت كذلك بمصادرة جميع أملاك

---

(١) كتاب الاتحاد السوفيتي والعالم الاسلامي تأليف ايفارسبكتور.

وأراضي الأوقاف التي كانت كبيرة جداً وينفق من ريعها على آلاف المساجد والمدارس وأعمال الخير..

وعند اندلاع الحرب العالمية الأولى امتلأت شوارع المدن التركية بالمهاجرين التتار الذين عرفوا باسم المهاجرين الروس.

وعند قيام الحرب العالمية الأولى كان في صفوف جيوش القيصر نيقولا الثاني مليون ونصف المليون من الجنود المسلمين الذين أجبروا على قتال الالمان والأتراك في حرب هدفها إزالة تركيا مركز الخلافة من الوجود والاستيلاء على اسطمبول (القسطنطينية) وتحويلها مرة أخرى الى عاصمة للمسيحية الارثوذكسية وإعادة الصليب الى كنيسة أياصوفيا التي حولها محمد الفاتح سنة ٨٥٧ هـ (١٤٥٣ م) الى مسجد عندما فتح القسطنطينية..

والغريب حقاً انه رغم الاضطهاد القيصري ورغم انهم يحاربون دولة الخلافة إلا أن هؤلاء المسلمين حاربوا دون اظهار أي عصيان في صفوف قوات القيصر على الأقل حتى عام ١٣٣٥ هـ (١٩١٦ م)...

وفي ٢٥ يونيه ١٣٣٥ هـ (١٩١٦ م) فرضت القوات الروسية على جميع المسلمين من سن (١٩ الى ٤٣) من القازاخ والأوزبك واليغور والتتار والتركمان القيام بأعمال السخرة في مؤخرة الجيوش الروسية. مما أدى الى ثورة المسلمين في آسيا الوسطى.. وفي سبتمبر ١٣٣٥ هـ (١٩١٦ م) قررت الحكومة القيصرية التصدي لهذه الثورة بأشد أنواع البطش والتنكيل.. ورغم كل أساليب البطش البربرية التي اتبعت إلا أن توالي الأحداث جعل هذه الثورة تستمر فعلا حتى قيام ثورة الباسمشتيه. وفي مارس ١٣٣٦ هـ (١٩١٧ م) قام الدوما (البرلمان) الرابع بالثورة ضد استبداد القيصر وتكونت الحكومة المؤقتة برئاسة الأمير ليفوف وكرينسكي ونادت بقيام روسيا الليبرالية الديمقراطية.. ومع هذا

فقد أعلنت هذه الحكومة موقفها المعارض لاعطاء أي نوع من الاستقلال لمسلمي الاتحاد السوفيتي كما انهم استمروا في الحرب العالمية ضد تركيا ووافقوا على المقررات السرية التي عقدها القيصر نيقولا مع فرنسا وبريطانيا لاقتسام العالم الاسلامي وابتلاع معظم الأراضي التركية بما فيها اسطمبول (القسطنطينية). أي أنها كانت على نفس خط الدول الاستعمارية الغربية.

ولكن ثورة اكتوبر ١٣٣٦ هـ (١٩١٧ م) قلبت الموازين.. وعندما اتجه الحلفاء وخاصة بريطانيا لنجدة حليفتها حكومة روسيا (البيضاء) سارع لينين الى فضح الاتفاقيات السرية التي عقدتها بريطانيا مع فرنسا وروسيا لاقتسام أراضي المسلمين..

بيان لينين الأول الى المسلمين

وأصدر لينين أول بيان له الى مسلمي روسيا والشرق بعد شهر من استيلائه على السلطة في ٢٢ نوفمبر سنة ١٣٣٦ هـ (١٩١٧ م). وحاول فيه أن يتقرب الى المسلمين ويصور لهم أن ثورته البلشفية ليست الا في صالحهم. وانه يقف معهم ضد الاستعمار الغربي. ويعترف بحريتهم واستقلالهم بل ويدافع عن اسلامهم وقرآنهم.. يقول لينين: «يا مسلمي روسيا.. يا مسلمي الشرق أيها الرفاق.. ايها الأخوة:

«ان احداثا عظيمة تحدث الآن في روسيا. ان العهد الدموي (الحرب العالمية الأولية) الذي بدأ بسبب أطماع الاستعماريين والامبرياليين في ارضكم قد قارب النهاية.. وتحت ضربات الثورة الروسية فان النظام الاستعبادي الاستبدادي يتقوض بناؤه الآن. وان حكم الطغاة والمستبدين ومصاصي دماء الشعوب يقترب من أيامه الأخيرة الآن. وان عالما جديداً يولد الآن. عالم العمال والأحرار وعلى رأس ثورة الفلاحين والعمال يقوم مجلس الشعب الممثل بالقوميسار الروسي..

«ان عهد الرأسماليين والامبرياليين يتداعى وان الأرض تميد من تحت ارجلهم وتشتعل الثورة من تحت اقدامهم..

«وفي خضم هذه الأحداث العظام نلتفت اليكم يا مسلمي روسيا والشرق الذين استرقكم الاستعمار واستلب أموالكم وأراضيكم.

«يا مسلمي روسيا، يا تتار الفولجا والقرم يا ايها القرغيز وسكان سيبيريا والتركستان يا سكان القوقاس الأبطال وقبائل الشاشان وسكان الجبال الأشداء.. انتم يا من هدمت مساجدكم وحطمت معابدكم.. ومزق القياصرة الطغاة قرآنكم وحاربوا دينكم.. وابادوا ثقافتكم وعاداتكم ولغاتكم..

«ثوروا من أجل دينكم وقرآنكم وحريتكم في العبادة.. اننا هنا نعلن احترامنا لدينكم ومساجدكم وان عاداتكم وتقاليدكم حزة لا يمكن المساس بها.. ابنوا حياتكم الحرة الكريمة المستقلة دون أي معوقات.. ولكم كل الحق في ذلك.. واعلموا ان جميع حقوقكم الدينية والمدنية مصونة بقوة الثورة.. ورجالها والعمال والفلاحين والجنود وممثليهم.. لهذا نطلب منكم تأييد الثورة ومساندتها لأنها تقوم من أجلكم ومن أجل حريتكم الدينية والمدنية.

«يا مسلمي الشرق.. يا مسلمي ايران وتركيا وبلاد العرب والهند.. انتم يا من تاجر مصاصو الدماء الاوربيون المستعمرون بحياتكم واوطانكم وحرياتكم لعدة قرون من الزمان.. انتم يا من يتآمر عليكم هؤلاء اللصوص الذين يتقاسمون أرضكم ويشعلون نار الحرب لتكونوا اتونها ثم يستلبون بعد ذلك أرضكم وثرواتكم.

«أما نحن فنعلن بأعلى صوتنا أن الاتفاقيات السرية التي ابرمت بين روسيا القيصرية وبين فرنسا وبريطانيا الاستعماريتين والتي بموجبها اقتسموا اراضيكم ايها المسلمون، واستلبوا ثرواتكم ونهبوا

خيراتكم، نعلن انها باطلة.. ونعلن ان خطط القيصر المخلوع وحكومة كرينسكي التي أزاحها الشعب للاستيلاء على القسطنطينية (عاصمة الخلافة الاسلامية) باطلة ولاغية.

«ان حكومة جمهورية روسيا الثورية ومجلس الشعب الأعلى فيها يعلنون انهم ضد احتلال أراضي الغير بالقوة.. ونعلن ان القسطنطينية ينبغي أن تبقى بيد المسلمين..

كما نعلن ان الاتفاقية السرية بين بريطانيا وروسيا القيصرية لاقتسام ايران بينهما لاغية وباطلة.. ونعلن اننا سنسحب قواتنا من ايران بمجرد انتهاء العمليات العسكرية.. ونضمن استقلال ايران الكامل. واننا نعلن ايضا اننا ضد تقسيم تركيا واقتطاع أرمينية منها وأن هذه الاتفاقيات السرية باطلة ولاغية.

«ليس من روسيا ايها المسلمون - سيأتي استعبادكم بل من الدول الأوروبية الاستعمارية..من هؤلاء اللصوص مصاصي الدماء الذين استعمروا أرضكم واستلبوا ثرواتكم وزجوا بأبنائكم في أتون حرب لا يأتيكم منها إلا الدمار وفي مقابل ذلك كله يقتسمون ما بقي من أرضكم وثرواتكم وكأنكم وبلادكم غنائم الحرب المنتظرة.

«ثوروا ضد هؤلاء الطغاة الكفرة الذين سرقوا ثروات بلادكم واستعبدوا أوطانكم.. نعم ثوروا الآن في هذا الوقت الذي تشتعل فيه الثورة وينهدم فيه بنيان الطغيان والاستبداد ويتقوض فيه نظام الاستعمار..

«ثوروا فان أي شرارة الآن ستكون حريقا يلتهم بنيان الطغيان والاستبداد والاستعمار. ان الهنود المسلمين الذين ذاقوا الذل والاستعباد لقرون طويلة يثورون الآن ضد بريطانيا العظمى. ويرفضون أن يبقوا حول اعناقهم الأغلال التي غلتهم بها بريطانيا لعدة قرون من الزمان.

«اليوم لا يمكن السكوت على هذا الظلم وعلى هذا الاستعباد.. انه وقت الثورة ضد المستعمرين الانجليز الغاصبين لأوطانكم المحاربين لدينكم المستبيحين لمقدساتكم الناهبين لثرواتكم..

«الآن يا أيها الرفاق والأخوة هو الوقت المناسب للثورة ولصنع مستقبلكم الحر الباسم بأيديكم.

«تقدموا ايها المسلمون لتحرير أوطانكم وارفعوا اعلام ثورتكم فان اعلامنا وبنودنا قد رفعت من أجل حرية المستعبدين والمظلومين.

«يا مسلمي روسيا ويا مسلمي الشرق هلموا الينا.. الى طريق الحرية والعدالة لنبني هذا العالم من جديد على أسس الحق والخير والعدل.

التوقيع
جوزيف ستالين
فلادمير لينين

من كتاب:

The Soviet Union and the Muslim World.

خداع لينين للمسلمين

وقام لينين بتسليم مصحف عثمان رضي الله عنه الذي كان في حوزة دولة القياصرة الى ممثلي المسلمين في مؤتمر بتروجراد.. كما قام بتسليم عدد كبير من الوثائق التاريخية والآثار الاسلامية الهامة التي كان قد استولى عليها القياصرة.. وأعادها الى مسلمي القرم والقوقاس والتركستان.. وأعاد مسجد كارافان ساريا في اورنبرغ وبرج سومبكي في قازان الى المسلمين بعد أن كان القياصرة قد صادروهما في السابق..

قام لينين بهذه الخطوات حتى يوهم المسلمين انه في صفهم ومعهم وليؤكد لهم أن ثورة اكتوبر ١٣٣٦ هـ (١٩١٧ م) ليست على غرار ثورة مارس التي سبقتها والتي اهتمت بتكوين دولة روسية ليبرالية مع احتفاظها بجميع اراضي المسلمين دون اعطائهم سوى الفتات من حقوقهم..

ولقد وصلت دعاية لينين بين المسلمين الى درجة الزعم بأن النظام السوفيتي البلشفي انما يقوم على مبادىء القرآن والشريعة الاسلامية!!

ومن الواضح الجلي عند الدراسة المتأنية لبيانات لينين وستالين الى المسلمين أن ثورة اكتوبر البلشفية كانت ترى انها لكي تنجح لا بد أن تستغل المسلمين وتجعلهم في صفها حتى تنتصر على قوات كولشاك ودينكين واركينجل الذين كانوا يقودون قوات روسيا البيضاء يساندهم في ذلك بقوة قوات انجلترا والحلفاء.. كما ان اثارة القلاقل لبريطانيا في الهند وايران والعراق وتركيا أمر له أهمية بالغة بالنسبة لأمن الثورة في مراحلها الأولى..

ولقد بلغت الدعاية البلشفية مبلغاً كبيراً من النجاح بين المسلمين حتى اعتقد كثير من المسلمين بأن ثورة اكتوبر هي منحة من السماء لانقاذ المسلمين من الاستعمار الأوربي وخاصة الاستعمار الانجليزي.

لقد بلغ من ذكاء لينين ومكره وخداعه أن تحدث في مؤتمر العمال والجنود للبلاد الروسية المنعقد من ٣ - ١٦ يونيه سنة (١٩١٧م) ١٣٣٦هـ (أي قبيل ثورة اكتوبر) قائلا: «اذا كان للثورة الديمقراطية في روسيا أن تبقى ديمقراطية بالفعل وليس بالكلام فقط فان عليها ان تتحرك بالثورة الى الأمام لا الى الاتفاق مع الرأسماليين على السلام بدون احتلال أو غرامات على الشعوب المهضومة بل الى أن نعلن بكل صراحة أن احتلال أي أرض ليس الا اجراء بربريا واجراميا وبهذا نحمي آلاف الملايين من الشعوب المنكوبة من نير الدول الامبريالية. واننا نرفض تقسيم القوقاس وايران بين الدول الكبرى».

وهكذا كان لينين يبدو حتى قبيل ثورة اكتوبر كمناد باستقلال الشعوب الواقعة تحت الاستعمار سواء كان ذلك استعماراً انجليزيا أم فرنسيا أم روسيا..

واعتقد المسلمون في روسيا ان لينين واقف معهم من أجل استقلالهم الكامل داخل الأراضي الروسية ذاتها تماماً كما يقف من أجل استقلال جميع الأقطار الاسلامية من ربقة الاستعمار الأوروبي.

واستمر لينين يصدر البيان تلو البيان الى المسلمين في روسيا والعالم لكي يساندوا ثورته ويقوموا في وجه اعدائه وخاصة بريطانيا التي كانت تحتل اجزاء واسعة من العالم الاسلامي.. وكانت باحتلالها ايران ومساندتها للأمير كولشاك ودينكين واركينجيل الذين كانوا يشعلون الحرب داخل روسيا ضد لينين تقف من لينين وثورته موقف العداء الكامل.

ومن آخر هذه البيانات التي وجهها لينين الى المسلمين بيانه الصادر عام ١٣٣٨ هـ (١٩١٩ م) الذي جاء فيه:[١] «يا مسلمي العالم الذاهبين ضحايا الاستعمار استيقظوا استيقظوا!! ان روسيا قد أقلعت عن سياسة الحكومة القيصرية. تلك السياسة الضارة الخبيثة التي كانت تتمشى عليها حكومتنا السابقة.. ان روسيا اليوم تمد يدها اليكم لتعينكم وتنصركم على تحطيم أغلال الاستعباد والاستبداد البريطاني!

ان روسيا تطلق لكم الحرية الدينية وتعترف بحدود بلادكم المعروفة ولن توافق على اعطاء رقعة من البلاد التركية الى الأرمن.. وتبقى مضايق البوسفور والدردنيل في ايديكم.. وتظل القسطنطينية (اسطمبول) عاصمة العالم الاسلامي.. ويمنح المسلمون في روسيا الاستقلال التام!!.

ان ما نطلبه منكم لقاء هذا هو قيامكم لمقاتلة المستعمرين الغاشمين الذين دأبهم ومبتغاهم استنزاف بلادكم واستلاب ثرواتكم واستعباد اوطانكم».

بل لقد استمر لينين في دعايته الكاذبة المتملقة للمسلمين حتى بعد ان ظهرت حقائق سياسته وبدأ يحتل كثيراً من المناطق الاسلامية.. وقام الكومنترن بتوجيه الدعوة الى المسلمين في كافة مناطقهم ليحضروا مؤتمر باكو الذي قرر انعقاده في ١ سبتمبر سنة ١٣٣٩ هـ (١٩٢٠ م) والذي تولى رئاسته اليهودي زينوفيف (أحد أقطاب الشيوعية اليهود والذي تولى رئاسة مجلس السوفيت الأعلى فيما بعد). وقد جاء في الدعوة التي وجهت في اغسطس سنة ١٣٣٩ هـ (١٩٢٠ م) لحضور هذا المؤتمر..

«أيها العمال والفلاحون في ايران. ان رجال الحكومة القاجارية (وهي الأسرة الحاكمة التي سبقت مجيء الضابط رضا بهلوي) في طهران

---

(١) «حاضر العالم الاسلامي» للأمير شكيب أرسلان.

ما برحوا جميعا يستلبون اموالكم واراضيكم طيلة قرون عديدة.. وان الأراضي التي هي ملككم بحق صريح على مقتضى الشريعة الاسلامية قد امتلكها لصوص حكومة طهران.. وها هم يبيعون البلاد لبريطانيا بمبلغ بخس ومقداره مليوني جنيه فقط لكي يقوم البريطانيون بامتصاص دمائكم واهدار كرامتكم ومحاربة دينكم..

«أيها الفلاحون في العراق.. قد أعلنت بريطانيا ان بلادكم مستقلة ولكن هناك ثمانين الف جندي بريطاني يحتلون بلادكم وينهبون ثرواتكم ويلوثون شرفكم ويهتكون حرمات نسائكم ويمسون كرامة دينكم!!

«أيها الفلاحون في الأناضول: ان الحكومات البريطانية والفرنسية والايطالية قد احتلت القسطنطينية وجعلوها تحت افواه المدافع. وطفقوا يمتهنون كرامة السلطان ويعاملونه معاملة الأسير الرقيق وفرضوا عليه ان يسلمهم مالية البلاد لينزفوا ثرواتكم ويمتصوا دماءكم.. وها هم قد استولوا على مناجم هرقلية واحتلوا موانئكم وهم الآن يسوقون الجيوش لاجتياحكم..

«أيها الفلاحون في سوريا وبلاد العرب ان بريطانيا وفرنسا وعدتاكم بالاستقلال التام ولكن ها هي جيوشها تحتل بلادكم وتدنس أرضكم وتهزأ بعقيدتكم ودينكم.. ويسنون لكم الأنظمة والقوانين التي تتعارض مع شريعتكم!!»

وينتهي البيان بدعوتهم الى الحضور الى باكو قائلا: «استخفوا بمصاعب السفر وجوبوا القيافي والقفار حتى تصلوا الى هذا المكان المقدس!! الذي فيه تستطيعون العمل في سبيل احياء ماضيكم المجيد واقامة شرائع دينكم القويم.. أقدموا علينا لنعمل في سبيل نجاتكم وخلاصكم من رق العبودية ان كنتم تريدون حياة الحرية والعدل والمساواة[1]»

---

(١) مجلة الازفستيا الصادرة ٣٥ يوليو ٩٢٠ م كماينقلها عنها كتاب «الاتحاد السوفيتي والعالم الاسلامي».

المسلمون يصدقون وعود لينين

وصدق المسلمون وعود لينين لهم بالحرية الدينية وبالاستقلال التام وناصروا ثورته وقامت الثورة في كل المناطق الاسلامية فأعلن القوقاز ثورتهم بقيادة الإمام الداغستاني نجم الدين غوتسو الذي عرف عند الروس باسم نجم الدين غوتسنسكي وذلك في نهاية ١٣٣٦ هـ (١٩١٧ م) وكان هذا الإمام ايضا من شيوخ الطريقة النقشبندية التي اخرجت مئات الألوف بل ملايين المجاهدين وعلى رأسهم الإمام الشيخ محمد شامل وشيخه الإمام القاضي ملا محمد المشهور بالغازي محمد الكمراوي والأمير المجاهد حمزة الخنزاجي الذين قادوا ثورة القوقاس من سنة ١٢٤٦ هـ (١٨٣٠ م) الى سنة ١٢٧٦ هـ (١٨٥٩ م) وهي التي أخرجت أيضاً الإمام خليفة محمد علي الذي قام بثورته ضد القياصرة سنة ١٣١٦ هـ (١٨٩٨ م) في فرغانة (الواقعة على نهر سيحون) (سرداريا) في المنطقة الواقعة اليوم في جمهورية اوزبكستان السوفيتية). كما كانت هذه الطريقة هي التي أخرجت الشيخ منصور أشرمة قائد أول ثورة ضد الغزو الروسي وذلك سنة ١٧٨٥ وقد أسره الروس سنة ١٧٩١ بعد معارك طاحنة وتوفي في سجنه في حصن شلوسلبيرج.

وقد سبقت ثورة الإمام خليفة محمد علي ستة عشر ثورة في التركستان وذلك منذ عام ١٣٠٥ هـ (١٨٨٥ م) كان دعاتها وقادتها من مشايخ الطرق الصوفية وخاصة الطريقة النقشبندية.

واستمرت ثورة الامام نجم الدين غوتسو وأعلن القوقاز استقلاله في مايو سنة ١٣٣٧ هـ (١٩١٨ م) وتبعته جورجيا بعد بضعة أسابيع.

لينين يقوم بحرب ابادة للمسلمين بعد انتصاره على قوات روسيا البيضاء بمساعدة المسلمين

وبما ان لينين كان لا يزال مشغولا بتوطيد أركان مملكته الحمراء..

فإنه لم يستطـع آنذاك ارسال جحافل جيوشه ولكنه استطاع ارسال مجموعة من الارهابيين الروس الذين أثاروا مخاوف المستعمرين الروس الذين استوطنوا القوقاس منذ القرن التاسع عشر وخاصة في باكو كما انهم اتفقوا مع الحزب الشيوعي المحلي فأقاموا مذبحة مارس سنة ١٣٣٧ هـ (١٩١٨ م) التي راح ضحيتها في باكو فقط ١٨,٠٠٠ مسلم..[١]

وقد تمكن المجاهدون بالتعاون مع قوات نوري باشا ناظر الحربية السابق في تركيا أن يخمدوا هذه المجزرة الشيوعية ويعلنوا قيام جمهورية أذربيجان التي اعترف بها الحلفاء كما اعترف بها لينين نفسه ريثما يتمكن من الغدر بها، وفعلا في ٢٧ ابريل سنة ١٣٣٩ هـ (١٩٢٠ م) هجم عليها بجحافله الحمراء بعد أن وطد اركان مملكته الحمراء في روسيا..

ومنذ سنة ١٣٢٠ هـ (١٩٣٩ م) الى سنة ١٣٩٩ هـ (١٩٧٩ م) قام شعب القوقاس المسلم المجاهد باثنين وخمسين ثورة أخمدت بكل قسوة وهمجية[٢] ووجدت الموافقة الضمنية السرية من الدول الغربية التي لم تتحدث قط عن أي ثورة اسلامية بل دائما تتجاهلها وتسدل عليها حجب التعتيم بينما لا تكف أجهزة الإعلام الغربية عن الحديث عن انتهاك حقوق الانسان في الاتحاد السوفيتي اذا منع يهودي من السفر الى اسرائيل أو امريكا.. وتقيم الدنيا وتقعدها من أجل ان تسافر ابنة ساخاروف لتلحق بزوجها.

ولم تقتصر هذه الثورات على أهل القوقاس الجبليين الاشداء بل امتدت لتشمل تتار القرم وتتار الفولجا وسكان بشكيريا وجبال الاورال وعلى امتداد رقعة التركستان التي تزيد عن أربعة مليون كيلو متر مربع.. والتي قامت فيها مئات الثورات منذ بداية الغزو الروسي القيصري الى الاحتلال الشيوعي البلشفي.. ومن أشهر هذه الثورات ثورة الباسماش التي امتدت من سنة ١٣٣٧ الى سنة ١٣٤٧ هـ

(١) و(٢) مجلة الشئون السوفيتية. عدد ٤/١٩٦٠م وعدد ٢٧ و ٢٨ سنة ١٩٧٠م.

(١٩١٨ - ١٩٢٨ م) والتي شملت آسيا الوسطى بأكملها.. والتي استطاعت جحافل لينين (بالتعاون مع المستوطنين الروس الذين زرعتهم دولة القياصرة البيض في وسط التركستان) أن تقضي عليها بكل وحشية وهمجية..

وقامت بعدها قوات لينين بالانتقام من الأهالي فقامت بقتل وسحل مئات الآلاف واشترك في هذه المذابح الجماعية المستوطنون الروس كما فعلوا من قبل مع القياصرة عدة مرات ومنها مذبحة عام ١٣٣٥ هـ (١٩١٦ م) (أي قبيل ثورة ١٩١٧ م) ونتيجة حملات الابادة الجماعية فر ملايين من أهل التركستان الى المناطق المجاورة في أفغانستان وإيران والصين ومناطق شرق آسيا ووصل كثير منهم الى تركيا ومجموعات أخرى توطنت الحجاز في مكة والمدينة وجدة.

وقد بدأ لينين حملته على المناطق الاسلامية في ابريل ١٣٣٧ هـ (١٩١٨ م) بعد أن استتب له الحكم في روسيا القيصرية.. وبدأ بمنطقة الاورال التي كانت قد أعلنت استقلالها مع بداية الثورة ثم توغلت قواته في شمال القوقاز.. وخانية خوقند (فرغانة) وتم له اخضاع هذه المناطق قبل نهاية ١٣٣٧ هـ (١٩١٨ م) وفي عام ١٣٣٨ هـ (١٩١٩ م) قضى لينين على جمهورية الاشي وفي ابريل ١٣٣٩ هـ (١٩٢٠ م) استولى على أذربيجان.. وفي نفس العام توجهت قواته الى القرم حيث واجهت قواته مقاومة شديدة استمرت عامين فعمدت القوات الروسية الى حصار أهل القرم حصارا تاما ومنعت الاغذية عنهم حتى أن الرفيق كالينين الذي كان مسئولا عن القرم ذكر في تقريره الذي نشرته أزفستيا في عددها الصادر ١٥ تموز سنة (١٣٤١ هـ) (١٩٢٢ م) أن عدد الذين أصابتهم المجاعة في يناير (١٣٤١ هـ) (١٩٢٢ م) كان ٣٠٢,٠٠٠ شخصا، مات منهم بسبب المجاعة ١٤,٤١٣ وفي مارس أصابت المجاعة ٣٧٩,٠٠٠ مات منهم ١٩٩٠٢ وفي ابريل بلغ عدد الذين عضتهم أنياب المجاعة

٣٧٧,٠٠٠ مات منهم ١٢,٧٥٤.. وجملة من أصابتهم المجاعة الشديدة خلال أشهر الحصار الستة بلغ أكثر من مليون تتاري قرمي مسلم أما الذين لقوا حتفهم نتيجة تلك المجاعة فقد كانوا أكثر من مئة ألف..

وهكـذا ترى - عزيزي القـارىء - أن الفـترة الـتي يعتـبرهـا المؤرخون ذهبية بالنسبة للمسلمين في الاتحاد السوفيتي وهي من سنة ١٣٢٣هـ (١٩٠٥م) الى سنة ١٣٤٧هـ (١٩٢٨م).. قد رأت من الأهوال ما لا يخطر ببال انسان..

أما الفترة التي تلت ذلك فهي فترة المواجهة الحاسمة لإبادة الاسلام والمسلمين والتي امتدت من سنة ١٣٤٧هـ (١٩٢٨م) الى ١٣٦٤هـ (١٩٤٥م)..

وفي هذه الفترة واجه المسلمون حربا صليبية شيوعية حاقدة لم يجد التاريخ لها نظيرا حتى في أشد فترات قتامته ايام جنكيز خان وهولاكو..

ففي القرم مثلا واجه السكان التتار المسلمون حرب ابادة واذابة منذ دخول القوات البلشفية بقيادة كالينين سنة ١٣٤١هـ (١٩٢٢م).. وانخفض عدد السكان من خمسة ملايين تتاري قرمي مسلم الى أقل من مليون في عام ١٣٥٩هـ (١٩٤٠م) ثم قام ستالين عام ١٣٦٤هـ (١٩٤٥م) بقتل وطرد جميع من بقي من سكان القرم المسلمين..

ولأول مرة في التاريخ يباد شعب بأكمله ويطرد كليا من وطنه حتى أنه لا يوجد في القرم تتاري مسلم واحد..

ورغم أن مجلس السوفيت الاعلى برأ التتار القرميين من تهمة التعاون مع النازي (التي ألصقها بهم ستالين) في القرار الصادر ١٣٨٧هـ (١٩٦٧/٩/٥م) الا أن التتار القرميين لا يزالون يمنعون من العودة الى وطنهم الى هذه اللحظة. وقامت السلطات البلشفية منذ دخولها القرم

بتحطيم المساجد وتحويلها الى اصطبلات وصالات ونـواد ومتاحف وقد تم تهديم وتحويل ١٥٥٨ مسجدا في الفترة الواقعة بين عام ١٣٤١ هـ (١٩٢٢ م) وعام ١٣٦٤ هـ (١٩٤٥ م) الى نـواد ومتاجف وصالات للسينما.

أما التركستان بشقيها الشرقي الواقع تحت سيطرة الصين والغربي الواقع تحت سيطرة روسيا فقد شهدت مذابح مروعة من عام ١٣٤١ هـ (١٩٢٢ م) الى عام ١٣٧٣ هـ (١٩٥٣ م) وسنذكر نبذا وافية عن المجاعات المروعة التي حلت بالتركستان نتيجة الغزو الروسي البلشفي ومنها المجاعة التي استمرت من عام ١٣٥١ هـ (١٩٣٢ م) الى عام ١٣٥٣ هـ (١٩٣٤ م) والتي مات فيها أكثر من ثلاثة ملايين تركستاني مسلم حتى أكلت الميتة بل أكل الناس جثث أقاربهم وأطفالهم (عند حديثنا عن التركستان). كما سنذكر كيف هدمت وأغلقت السلطات الشيوعية الروسية ٦٦٨٢ مسجدا و٧٠٥٢ مدرسة اسلامية عامرة كانت في التركستان.. وشيئا يسيرا من المذابح التي وجهت بصورة خاصة الى علماء المسلمين.. كما حدثت مجاعة مروعة سببها البلاشفة الروس في قازاقستان وقيرغيزيا مات فيها مليون من المسلمين القازاق (الكازاخ) والقرغيز وذلك سنة ١٣٤٠ هـ (١٩٢١ م) - ١٣٤١ هـ (١٩٢٢ م) وفي عام ١٣٤٥ هـ (١٩٢٦ م) مات ايضا مليون آخر من القازاق والقرغيز.

وقد شهدت قازاقستان آخر ثورة عارمة سنة ١٣٩٨ هـ (١٩٧٨ م) فواجهتها السلطات بالفرقة واحد وعشرين حيث قمعتها بقسوة بالغة ليست غريبة على الروس الذين وصفهم لنا ابن فضلان وابن بطوطة وابن رستة والمسعودي منذ ألف عام بأنها أمة همجية طبعها التوحش وأقذر الأمم قاطبة وشيمتهم الغدر.. وشهدت الفترة التي تلت الحرب العالمية الى يومنا هذا سياسة جديدة ليست أقل هجوما على الاسلام ولكنها أكثر ذكاء من حرب الإبادة تلك التي واجهها المسلمون في الفترات

السابقة وتتمثل هذه السياسة في نشر الكولخوزات والكوميونات ونشر الايدولوجية الالحادية وتجذير الثقافة الشيوعية وتحطيم نظام الأسرة القوي المتماسك لدى المسلمين واطالة اوقات عمل المرأة بين الرفاق.. وبطبيعة الحال منع الدراسة الدينية وتدريس اللغة العربية منعا باتا ومنع الكتابة بالحرف العربي وقد حول الحرف اولا الى اللاتيني ثم حول بعد ذلك الى الحرف الروسي وعند دخول الروس البلاشفة الى المناطق الاسلامية كانت هناك ست لغات تكتب جميعا بالحرف العربي وتدخلها كثير من الكلمات العربية كما كان هناك ما يقرب من أربعين لهجة ليست لها كتابة فعمد الروس للتفريق بين المسلمين الى ايجاد كتابة لجميع هذه اللهجات وجعل كل أهل لهجة يدرسون لهجتهم الخاصة ويكتبونها بالحرف الروسي كما أن عليهم تعلم اللغة الروسية كلغة أم ثانية..

وأوجد الروس النعرة القومية بين مسلمي روسيا مع أن الفكر الشيوعي يصطدم اساسا مع القوميات.. ولكن السياسة الاستعمارية الروسية انتهجت نفس خط السياسات الاستعمارية الغربية التي فتتت جسد الأمة الاسلامية بعشرات بل بمئات النعرات القومية والشنشنات الوطنية ولهذا قسم الروس المناطق الاسلامية الى ست جمهوريات اتحادية سوفيتية والى ثمان جمهوريات ذات استقلال ذاتي.. وجميعها محكومة بالمستعمر الروسي المتمثل في سكرتير الحزب الشيوعي في كل منطقة من هذه المناطق..

وقد أسلفنا القول ان اسم جمهورية ليس الا مجرد اسم والواقع المر أنها مستعمرات روسية يدير شئونها موظفون من موسكو.. ورغم وجود أحزاب شيوعية في جميع هذه المناطق وجميعها تتبع الحزب الشيوعي الروسي الا أن الروس بعد عدة تجارب سابقة لا يثقون حتى في

الشيوعيين المحليين وقد قاموا مرارا باعدام من يتولى منصب رئاسة الجمهورية وأعضاء وزارته بأكملهم ومن ذلك اعدامهم لرئيس جمهورية القرم ولي ابراهيم وجميع وزرائه سنة ١٣٤٧ هـ (١٩٢٨ م) ورئيس الجمهورية محمد قوباي مع جميع وزرائه ١٣٤٩ هـ (١٩٣٠ م) وفي عام ١٣٥٦ هـ (١٩٣٧ م) تكررت نفس القصة مع رئيس الجمهورية الياس طرخان وجميع اعضاء وزارته..

ولهذا فإن سياسة روسيا تعتمد على ان يكون السكرتير الأول والثاني في كل جمهورية من هذه الجمهوريات الاسلامية هو روسي وليس محليا مهما تظاهر بالشيوعية.

هذه الجمهوريات الاتحادية الست هي: أذربيجان في القوقاس وخمس جمهوريات في التركستان هي: أوزبكستان وقازاقستان وقرغيزيا وتركمنستان وطادجكستان..

أما الجمهوريات التابعة لموسكو مباشرة فهي تتاريا وبشكيريا والجوفاش وماري وموردوف وأدمورت (وجميعها تقع في وسط روسيا على امتداد نهري الفولجا والأورال) وسيبيريا ومنغوليا. ثم جمهورية القرم في شبه جزيرة القرم التي الغيت وأصبحت تابعة لاوكرانيا.. وجمهوريات القوقاس الصغيرة مثل الداغستان والشاشان وأوستينا الشمالية وقابرديار - بلكارديا وجميعها تتبع موسكو مباشرة كما أن هناك جمهوريات صغيرة تتبع أذربيجان وجورجيا.

جدول (١٠): الوحدات ذات قوميات اسلامية في الاتحاد السوفيتي

نقلا عن كتاب (المسلمون في المعسكر الشيوعي) الذي أصدرته رابطة العالم الاسلامي

تأليف الدكتور/ علي منتصر الكتاني

نوع الوحدة	الوحدة الادارية	عاصمتها	مساحتها بالكيلو متر مربع	عدد السكان ١٩٧١	تاريخ غزوها	تاريخ تأسيسها
ج ف	كزاخستان	آلما آتا	٢,٧٥٠,٠٠٠	١٣,٠٧٠,٠٠٠	١٨٦٦	١٩٣٦
ج ف	أوزبكستان	طاشقند	٤٥٠,٠٠٠	١٢,٣٠٠,٠٠٠	١٨٧٣	١٩٢٤
ج ف	أذربيجان	باكو	٨٧,٠٠٠	٥,٢١٩,٠٠٠	١٩٢٠	١٩٣٦
ج ذ	بشكيريا	اوفا	١٤٣,٦٠٠	٣,٨٣٨,٠٠٠	١٥٥٧	١٩١٩
ج ذ	تتاريا	قازان	٦٨,٠٠٠	٣,١٦٥,٠٠٠	١٥٥٢	١٩٢٠
ج ف	كرغيزيا	فرونزي	١٩٨,٠٠٠	٣,٠٠٠,٠٠٠	١٨٨٦	١٩٣٦
ج ف	تاجكستان	دوشمية (دوشامبي)	١٤٣,٠٠٠	٣,٠٠٠,٠٠٠	١٨٧٣	١٩٢٩
ج ف	تركمنستان	آشخباد (عشق آباد)	٤٨٧,٧٩٠	٢,٢٢٣,٠٠٠	١٨٧٣	١٩٢٥
ج ذ	الداغستان	محج قلعة	٥٠,٣٠٠	١,٤٥٧,٠٠٠	١٧٢٣	١٩٢١
ج ذ	أودمورتيا	ايجفسك	٤٢,١٠٠	١,٤٢٢,٠٠٠	١٥٦٠	١٩٣٤
ج ذ	تشوفاشيا	شبوقساري	١٨,٣٠٠	١,٢٣٧,٠٠٠	١٥٥٢	١٩٢٥
ج ذ	تشيشين انكوش	غروزني	١٩,٣٠٠	١,٠٨٤,٠٠٠	١٨٥٠	١٩٥٧
ج ذ	ماري	يوشكار - أولاف	٢٣,٨٠٠	٦٨٧,٠٠٠	١٥٥٢	١٩٣٦

ج ذ	القابرد-بلبكار	نلتشيك	١٢,٥٠٠	٦٠٠,٠٠٠	١٥٥٧	١٩٣٦
ج ذ	الاوسيت الشماليون	أردجونيكيدزي	٨,٠٠٠	٥٦٠,٠٠٠	١٧٨٤	١٩٣٦
ج ذ	ابخازيا	سخومي	٨,٦٠٠	٤٨٩,٠٠٠	١٨١٠	١٩٣٠
م ذ	اديغيا	ميقوب	٧,٦٠٠	٣٨٩,٠٠٠	١٨٧٨	١٩٢٢
م ذ	قرتشاي شركس	شركسك	١٤,١٠٠	٣٤٧,٠٠٠	١٨٧٨	١٩٥٧
ج ذ	اجاريا	باتومي	٣,٠٠٠	٣١٦,٠٠٠	١٨٧٨	١٩٢١
م ذ	الاوسيت الجنوبيون	تسخينوالى	٣,٩٠٠	١٠٠,٠٠٠	١٨٧٨	١٩٢٢
-	المجموع	-	٤,٥٣٨,٨٩٠	٥٤,٥٠٣,٠٠٠	-	-

ج ف: جمهورية فيدرالية (إتحادية).
ج ذ: جمهورية ذاتية.
م ذ: مقاطعة ذاتية.

ملحوظة: تختلف المصادر في ذكر عدد مسلمي الاتحاد السوفيتي حيث نرى المصادر الغربية تميل الى التقليل من عددهم فمثلا نرى إيفار سبكتور في كتابه «الاتحاد السوفيتي والعالم الاسلامي» يذكر ان عدد المسلمين عند قيام ثورة اكتوبر ١٩١٧م كان ٢٥ مليوناً، نرى شكيب أرسلان في حاضر العالم الاسلامي يذكر انهم ٣٥ مليونا.. وبينما يذكر بنجيسن ولومرسيبه في كتابها «المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي» أن عدد المسلمين في الاتحاد السوفيتي عام ١٩٧٩م كان ٤٣ مليونا فقط، نجد الدكتور علي منتصر الكتاني يذكر أنهم ٥٤,٥٠٠,٠٠٠ مليونا عام ١٩٧١م. والواقع من الصعوبة الجزم بتعداد المسلمين في الاتحاد السوفيتي لأن جميع الاحصائيات المتتابعة منذ عام ١٩٢٦م حتى عام ١٩٧٩م لا تذكر الانتماء الديني لمواطني الاتحاد السوفيتي.

الفصل الثاني

المسلمون في جمهورية روسيا الاشتراكية الفيدرالية السوفيتية

التقسيم الإداري للمسلمين في الاتحاد السوفيتي

لقد قام الروس البلاشفة بوضع تقسيم اداري للمسلمين في الاتحاد السوفيتي مبني على سياسة ذكية لتفريق المسلمين وتوزيعهم على قوميات مختلفة بحيث يمكن تفتيتهم الى وحدات مختلفة الاحجام وذات نعرات قومية ولغات مختلفة بل وثقافات متباينة ويكون الاتصال فيما بينهم معدوماً أو شبه معدوم بينما هم جميعاً محكومون بواسطة مندوبين من حكومة موسكو اما مباشرة أو بواسطة السكرتير الأول أو السكرتير الثاني للحزب الشيوعي في تلك المنطقة الذي دائماً ما يكون روسياً.

لقد قُسّم الاتحاد السوفيتي الى ١٦ جمهورية اشتراكية اتحادية (فيدرالية) سوفيتية ومجموعة كبيرة من الجمهوريات الاشتراكية المحكومة ذاتياً.. والى مقاطعات لها شبه حكم ذاتي..

وهناك ست جمهوريات اشتراكية اتحادية (فيدرالية) سوفيتية اسلامية (بمعنى أن أغلب سكانها من المسلمين) وهي: اذربيجان، قازاقستان (كازاخستان)، أوزبكستان، طادجكستان، تركمنستان وقرغيزيا، وتشكل الجمهوريات الخمس الاخيرة ما يعرف باسم تركستان الغربية وهناك ايضاً ثمان جمهوريات اشتراكية غير فيدرالية (اسلامية) وهي:

تتاريا، وبشكيريا، وداغستان، والشاشان (تششينن)، اينغوشيا، كاربادير، بلكاريا، وناختيشفان، وأدجاريا، وكاراكلبستان ويضاف اليها ابخازيا واوستينا الشمالية. كما أن هناك مقاطعات محكومة ذاتياً هي اديجيا وكاراتشاي وكاراباخ وجركيسيا وناغارنو.. وتوجد مجموعات كبيرة نسبياً من المسلمين ليس لهم وحدات ادارية خاصة بهم مثل المجموعات الموجودة في سيبيريا ومنغوليا والقرم (سابقاً) ويبلغ عدد

المسلمين في جمهورية روسيا الاتحادية السوفيتية ١٤,٨ مليون بينما يبلغ عددهم مليون في اوكرانيا وربع مليون في (مولدافيا).

وسنتحدث عن الجمهوريات الاتحادية الاسلامية الست بالتفصيل في فصول قادمة.. وستكون اذربيجان داخلة في الفصول التي تتحدث عن القوقاس.. أما جمهوريات التركستان الخمس فستشكل معظم فصول كتابنا هذا.

أما في هذا الفصل فسنركز الحديث عن المناطق الاسلامية التابعة لجمهورية روسيا ذاتها. كما سنتحدث عن جمهورية القرم التي الغيث بعد الحرب العالمية الثانية واصبحت تابعة لجمهورية أوكرانيا السوفيتية وسنتحدث عن مسلمي سيبيريا ومنغوليا السوفيتية.

جمهورية روسيا الاتحادية السوفيتية:

تعتبر جمهورية روسيا أكبر الجمهوريات الاتحادية السوفيتية قاطبة اذ أن مساحتها تبلغ ثلاثة ارباع الاتحاد السوفيتي بأكمله ذلك لأنها تضم في جنباتها المساحات الشاسعة في سيبيريا.. كما أن سكانها يشكلون الثقل الرئيسي لسكان الاتحاد السوفيتي اذ يبلغ تعدادهم حسب احصاء عام ١٣٩٩ هـ (١٩٧٩ م) مائة وخمسة وثلاثون مليوناً.. وهي مقسمة الى اثنتي عشر جمهورية كما ان بها عدداً آخر من المقاطعات من أهمها مقاطعة سيبيريا التي تبلغ مساحتها ١٢ مليون كم مربع أي أكثر من نصف مساحة الاتحاد السوفيتي بأكمله.. والتي أصبحت ذات أهمية بالغة بعد اكتشاف ثروات الغاز الطبيعي الهائلة في باطنها..

تمتد روسيا بهذا التصنيف عبر قارة آسيا وأوروبا.. فأما روسيا الاسيوية فتشكل أساساً من سيبيريا وأما روسيا الأوروبية فتشكل الثقل الحقيقي لأمة الروس الصقالبة..

أما العاصمة موسكو فلا تشكل فقط موطن القياصرة البيض سابقاً

والقياصرة الحمر حالياً بل انها تشكل أيضاً قلب الدولة الروسية التي عرفت في التاريخ باسم الدولة المسكوبية حيث ابتدأت كإمارة صغيرة خاضعة لسلطان قازان منذ أن دخل فلادمير في الارثوذكسية المسيحية في نهاية القرن العاشر الميلادي ٣٧٨ هـ (٩٨٨ م) والتي أخذت شكلها الاستعماري لأول مرة في عهد إيفان الرهيب في القرن السادس عشر الميلادي عندما استولى على قازان سنة ٩٦٠ هـ (١٥٥٢ م) ثم على استراخان (الحاج طرخان) سنة ٩٦٥ هـ (١٥٥٧ م). ومنذ ذلك العهد أخذ شأن موسكو يتعاظم شيئاً فشيئاً حتى اصبح الكرملين يتحكم في كثير من مصاير الشعوب المسلمة وغير المسلمة.

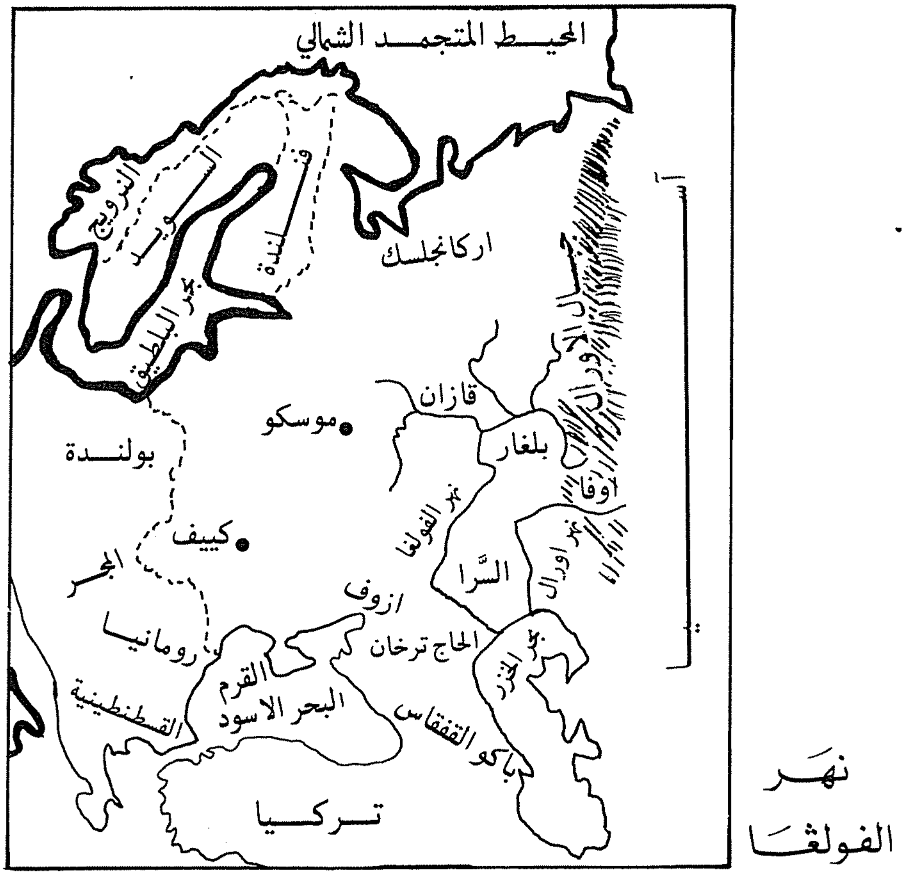

التتار المسلمون في روسيا

المسلمون في حوض نهر الفولجا (نهر اتل)

يعتبر نهر الفولجا أطول أنهار أوروبا حيث يبلغ طوله ٣٥٠٠ كم يليه نهر الدانوب.. ويشكل نهر الفولجا لذلك أهم أنهار روسيا كما أن سهوب الفولجا تجعل من حوض هذا النهر أراضي خصبة اشتهرت بثرواتها الزراعية.. ويقع مصب هذا النهر في شمال بحر قزوين حيث تقع على هذا المصب مدينة الحاج طرخان (استراخان) التي وصفها لنا ابن بطوطة في رحلته التاريخية التي بدأها سنة ٧١٥ هـ (١٣١٤ م) والتي كانت منذ نشأتها مدينة اسلامية ويمتد هذا النهر بروافده المختلفة ليشكل قلب روسيا.. وتقع عليه مدن قازان وجوركي بل وموسكو ذاتها.. كما تقع على أحد روافده وهو نهر كاما مدينة أوفا عاصمة جمهورية بشكيريا.

دخول الاسلام:

لقد دخل الاسلام على امتداد نهر الفولجا بواسطة التجار المسلمين واساتذتهم مشايخ الطرق الصوفية منذ القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) ويعرف هذا الطريق التجاري بطريق الفراء لأن التجار المسلمين كانوا يجلبون الفراء من شمال بلاد بلغار الفولجا ويبيعونه بعد ذلك في مختلف مناطق آسيا حتى الصين.. كما كانوا يقومون بتجارة الحرير الممتدة من الصين شرقاً وحتى البحر الاسود غرباً..

ويقول مؤلفا كتاب (المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي) «فمنذ القرن (الثالث الهجري) التاسع الميلادي اصطحب التجار والسفراء

المسلمون معهم دين النبي الكريم الى مملكة البلغار القائمة على المجرى المتوسط لنهر الفولجا حيث مناطق التتار حالياً.. ومع انتهاء القرن العاشر الميلادي كانت هذه المنطقة قد أصبحت في معظمها وقفاً على الاسلام الذي انطلق في القرنين التاليين ليعبر جبال الاورال ويمتد في بلاد البشكير.. وبفضل التجار المسلمين عرباً كانوا أم فرساً أم اتراكاً من آسيا الوسطى تسرب الاسلام أيضاً الى بلاد الكازاخ (كازاخستان) شمال نهر سردريا».

وفد بلاد بلغار الفولجا الى الخلافة العباسية

ويشرح لنا ابن فضلان في رسالته التاريخية مجيء وفد من بلاد بلغار الفولجا الى الخليفة العباسي المقتدر حيث شرحوا له اسلامهم وحاجتهم الى علماء ومرشدين كما شرحوا له حاجتهم الى مهندسين وخبراء عسكريين ليبنوا لهم الاستحكامات العسكرية حيث أنهم محاطون بأمة همجية شديدة البأس والعدوان هي أمة الروس.. وأمر الخليفة العباسي المقتدر بتشكيل وفد كبير برئاسة ابن فضلان وعضوية سوسن الروس مولى نذير الحرمي وتكين التركي و بارس الصقلبي، ورسول الصقالبة المسلم كما ضم هذا الوفد مجموعة من الفقهاء والصيادلة والاطباء والمستشارين العسكريين.

رحلة ابن فضلان الى الفولجا على رأس وفد الخلافة العباسية:

وتحرك هذا الوفد من مدينة بغداد في ١١صفر ٣٠٩ هـ (٢١يونيه ٩٢١ م) متجهاً الى ملك البلغار المسلم ألمش بن يلطوار.. واستمرت هذه الرحلة احدى عشر شهراً حتى وصلوا الى مدينة البلغار الواقعة على نهر الفولجا وعاصمة مملكة ألمش بن يلطوار المسلم حيث وصل هذا الوفد اليها في ١٢ محرم ٣١٠ هـ (١١مايو ٩٢٢ م).

وترك لنا ابن فضلان وصفاً مفصلاً لرحلته الشاقة المثيرة.. وما يهمنا

منها ها هنا هو كيف أن نهر الفولجا كان في بداية القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) نهراً اسلامياً..

ظهور المغول:

وفي القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) وبالذات سنة ٦١٨ هـ (١٢٢٠ م) اجتاح المغول مملكة خوازم الاسلامية وسقطت على أثرها الممالك الاسلامية واحدة أثر الاخرى حتى سقطت بغداد على يد هولاكو وبتعاون تام مع بابا روما. وبدا عندئذ أن الاسلام يوشك أن يقع فريسة لحركة كماشة قوية مندفعة من الشرق تمثلها قوة جنكيز خان وهولاكو ومن الغرب تمثلها قوة الدول النصرانية مجتمعة تحت راية البابا في حرب صليبية حاقدة.

ولكن لم تمضِ سنوات قلائل حتى انتهى التحالف الصليبي المغولي المدمر للعالم الاسلامي وتحول المغول انفسهم من أشد أعداء الاسلام الى أمة من أعظم حماته والمدافعين عنه..

دخول المغول في الاسلام:

وكانت بداية هذا التحول عندما تولى بركة خان ابن جوجي ابن جنكيز خان الحكم لقبيلته المعروفة بالقبيلة الذهبية وذلك سنة ٦٥٤ هـ (١٢٥٦ م) وكان بركة خان قد دخل في الاسلام منذ طفولته حيث عهد والده (حاكم مناطق التركستان جوجي ابن جنكيز خان) بتربيته الى أحد مشايخ خوقند فقرأ القرآن وهو صغير ونشأ منذ طفولته على تعاليم الإسلام.

واستمر حكم بركة خان الذي كان بركة على الاسلام قولاً وفعلاً منذ سنة ٦٥٤ الى ٦٦٥ هـ (١٢٥٦ - ١٢٦٧ م).. وتحول في اثنائها معظم افراد القبيلة الذهبية الى الاسلام..

وكان سلطان هذه القبيلة المغولية يمتد من التركستان حتى روسيا

وسيبيريا وحكموا موسكو ذاتها.. ولم يكن أمير موسكو ينصّب الا بعد موافقتهم.. وأقاموا مدينة قازان الشهيرة في شمال نهر الفولجا والتي أصبحت بعد ذلك عاصمتهم.. كما اشتهرت من مدنهم مدينة السرا التي كانت العاصمة لفترة طويلة ومدينة البلغار ومدينة الحاج طرخان والتي حرفها الروس والغربيون الى استراخان فأصبحت لا تعرف الا بذاك.

واختلط هؤلاء المغول الذين عرفوا بأسم التتار ببلغار الفولجا المسلمين اختلاطاً شديداً وأصبح سكان هذه المناطق يعرفون جميعاً بأسم التتار.

وكان من هذه الاسرة السلطان محمد أوزبك خان الذي آل اليه أمرها سنة ٧١٣ هـ (١٣١٢ م) والذي كان يحكم نهر الفولجا بأكمله وشبه جزيرة القرم وسهوب كازاخستان ويمتد سلطانه حتى خوارزم حيث يبدأ حكم قريبه السلطان علاء الدين طرمشيرين حفيد جغتاي ابن جنكيز خان..

ابن بطوطة يصف دولة الاسلام على ضفاف نهر الفولجا (نهر اتل)

وقد ترك لنا الرحالة الاسلامي المشهور ابن بطوطة وصفاً وافياً لمملكة السلطان محمد اوزبك خان كما وصف لنا مدينة السرا والبلغار واستراخان والكفا ووصف شبه جزيرة القريم ومدنها.. وترك لنا أيضاً وصفاً عن بلاد الظلمة الواقعة شمال مدينة البلغار.. كما قام هذا الرحالة بوصف مملكة السلطان علاء الدين طرمشيرين والتي كانت تضم ما يعرف اليوم بالتركستان الشرقية والتركستان الغربية.. ويصف لنا ابن بطوطة مدينة السرا الواقعة على نهر الفولجا بقوله:

«ومدينة السرا من أحسن المدن متناهية في الكبر في بسيط من الارض تغص بأهلها كثرة حسنة الاسواق متسعة الشوارع. وركبنا يوماً مع بعض كبرائها وغرضنا التطواف عليها ومعرفة مقدارها، وكان منزلنا

في طرف منها فركبنا منه غدوة فما وصلنا لآخرها الا بعد الزوال فصلينا الظهر وأكلنا طعاماً فما وصلنا المنزل إلا عند المغرب ومشينا يوماً في عرضها ذاهبين وراجعين في نصف يوم، وذلك في عمارة متصلة الدور لا خراب فيها ولا بساتين وفيها ثلاثة عشر مسجداً لإقامة الجمعة احدها للشافعية وأما المساجد سوى ذلك فكثير جداً..

الإمام العالم الصوفي نعمان الدين الخوارزمي مثال لمعاملة العلماء ورثة الأنبياء لملوك الدنيا

«وقاضي هذه الحضرة (الحاضرة او العاصمة) بدر الدين الأعرج من خيار القضاة وبها من مدرسي الشافعية الفقيه الإمام الفاضل صدر الدين سليمان اللذكي (من الداغستان).. وبها من المالكية شمس الدين المصري.. وبها زاوية الصالح الحاج نظام الدين أضافنا بها وأكرمنا.. وبها زاوية الفقيه الإمام العالم نعمان الدين الخوارزمي، رأيته بها، وهو من فضلاء المشايخ حسن الأخلاق كريم النفس، شديد التواضع، شديد السطوة على أهل الدنيا، يأتي اليه السلطان محمد أوزبك زائرا في كل جمعة فلا يستقبله ولا يقوم اليه. ويقعد السلطان بين يديه ويكلمه ألطف كلام ويتواضع له والشيخ بضد ذلك. وفعله مع الفقراء والمساكين والواردين خلاف فعله مع السلطان (الذي هو أحد السلاطين السبعة في الدنيا كما وصفه من قبل ابن بطوطة نفسه). فانه يتواضع لهم ويكلمهم بألطف كلام ويكرمهم وأكرمني جزاه الله خيراً وبعث الي بغلام تركي وشاهدت له بركة».

نعم هكذا كان أصحاب الزوايا من مشايخ الصوفية علماء فقهاء زهاد لا يلتفتون للسلاطين بل السلاطين يجثون على ابوابهم ويسمعون تقريعهم وتأنيبهم بكل أدب وخضوع..

وسنرى في موضع آخر موقف هؤلاء العلماء الأتقياء من الصوفية مع

السلطان العظيم المقدار السلطان طرمشيرين حفيد جنكيزخان وهو يتواضع ويسمع تقريع الامام حسام الدين الياغي.

فللّه در أولئك العلماء الأفذاذ الزهاد من الصوفية.. ولله در أولئك السلاطين احفاد جنكيزخان.. والسلطانان العظيمان علاء الدين طرمشيرين سلطان ما وراء النهر (جميع التركستان الحالية).. ومحمد اوزبك خان سلطان البلغار والكفا واستراخان (أي نهر الفولجا الذي كان يعرف بنهر اتل) وسلطان شبه جزيرة القريم وبلاد الكازاخ حيث يمتد سلطانه الى خوارزم ذاتها - كانا متواضعين للعلماء محبين لهم مستمعين الى توجيهاتهم بل ومتحملين تقريعهم وتوبيخهم.. وقد زاد السلطان طرمشيرين على السلطان اوزبك بزهده واستقامته الشديدة وعدله وسيرته في المسلمين بسيرة ابن الخطاب وعمر بن عبد العزيز.

الانقسام وظهور الدويلات (الخانيات)

ونتيجة للخلافات انقسمت أملاك القبيلة الذهبية في مجرى نهر الفولجا وما حولها الى عدة دويلات عرفت باسم الخانيات وذلك منذ سنة ٨٤٢ هـ (١٤٣٨ م) حيث كانت تلك بداية النهاية: وهذه الخانيات هي:

(١) **استراخان أو الحاج طرخان:** التي تولى أمرها كوجوس سنة ٨٤٢ هـ (١٤٣٨ م) وبقيت في سلالته وخلفائه حتى عام ٩٦٥ هـ (١٥٥٧ م) عندما احتلها ايفان الرهيب.

(٢) **خانية قازان:** صارت قازان خانية سنة ٨٤٢ هـ (١٤٣٨ م) وحكمها ألغ محمد الذي قتل سنة ٨٥٠ هـ (١٤٤٦ م) ثم تولى بعده ابناؤه وأحفاده حكم قازان الى ان استولى عليها ايفان الرهيب سنة ٩٦٠ هـ (١٥٥٢ م).

(٣) **خانية القريم (القرم):** انتقل حاجي كراي ابن أخ ألغ محمد المتقدم ذكره من قازان الى القريم حيث أسس خانية القريم وصار هو أول خان لها واستمرت سلالته في حكمها حتى عام ١١٩٧ هـ (١٧٨٣ م). عندما استولت الامبراطورة كاترين عليها.

(٤) **خانية قاسموف التترية الصغيرة:** لقد حكم أمراء من فرع ألغ محمد مؤسس خانية قازان وأفراد من أحفاد حاجي كراي خانية قاسموف من ٨٥٦ هـ (١٤٥٢ م) الى سنة ١٠٩٢ هـ (١٦٨١ م) عندما استولى عليها الروس..

(٥) **الشيبانيون:** وهناك فرع من القبيلة الذهبية يعرفون بالشيبانيين نسبة الى شيبان أصغر أحفاد جوجي ابن جنكيزخان.. وقد أسس هؤلاء الشيبانيون مملكة عظيمة في بخارى وامتد سلطانها لتشمل معظم بلاد ما وراء النهر.. وقد عاشوا جنوب شرق جبال الاورال ثم توجهوا الى سهل القبجاق واحتلوا المنطقة المعروفة الآن باسم اوزبكستان وانتزعوها من سلالة تيمورلنك.. وأسسوا دولتهم القوية التي جعلوا عاصمتها بخارى.

وسيأتي ذكر هؤلاء الشيبانيين عند حديثنا عن تاريخ التركستان. وانما ذكرناهم هنا لنوضح امتداد حكم التتار وخاصة الأسرة الذهبية فيما يعرف اليوم بالاتحاد السوفيتي اذ كانت جميع المناطق المعروفة في الاتحاد السوفيتي خاضعة لهم بما في ذلك امارة موسكو ثم دب فيهم داء الأمم من قبلهم، الترف والخلاف فانتابهم الضعف بينما كانت امارة موسكو تبزغ وتقوى حتى بلغت بداية قوتها وجبروتها في عهد ايفان الرهيب مؤسس دولة القياصرة من أسرة رومانوف..

سياسة ايفان الرهيب تجاه المسلمين الإبادة أو الهجرة أو التنصير

وكانت سياسة ايفان الرهيب الذي احتل قازان واستراخان فيما بين عامي ٩٦٠ هـ (١٥٥٢ م) ٩٦٥ هـ (١٥٥٧ م) جعل نهر الفولجا لأول مرة خاضعا للدولة المسكوبية.. وفي سنة ٩٨٨ هـ (١٥٨٠ م) اجتازت القوات الروسية جبال الاورال وهدموا ثالث دولة تتارية وهي خانية سيبيريا.

ولقد استولى الروس على جميع الأراضي الخصبة المنتشرة على طول نهر الفولجا وروافده ونهر الاورال وروافده وكما يقول كتاب (المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي) «لقد طرد المسلمون من المدن المهمة وشيدت قلاع في النقاط الاستراتيجية التي يقطنها الروس.. وهكذا راحت الشعوب الاسلامية الاصلية لتلك المناطق تتحول الى أقلية ريفية محضة يؤطرها المستعمرون الروس».

ولقد دمجت الامارات المسلمة بالمملكة المسكوبية وعومل الشعب كرعايا من الدرجة الثانية ولم تكن للمسلمين الحقوق التي للمسيحيين وكانت سياسة ايفان والقياصرة من بعده تتلخص فيما يلي:

بالنسبة للأشراف المسلمين الخيار بين:

(١) قبول مبدأ التعيين مع الارتداد الى المسيحية.
(٢) الخراب الاقتصادي.
(٣) التصفية الجسدية لمن يبدي أقل مقاومة للسلطة الروسية.

كما عومل الدين الاسلامي بكل قسوة وهدمت الجوامع وطرد رجال الملا (علماء الدين) من المدن وصودرت الاوقاف وصار الاسلام مهددا بأن يتحول الى دين فلاحين.

«اما بالنسبة للجماهير المسلمة فقد أخضعت للصهر الديني فمنذ

عام ٩٦٣ هـ (١٥٥٥ م) اعتمدت سياسة رده بالقوة.. وكان المرتدون (ستاروكرياشين) يتمتعون بوضع شرعي تجاه القانون مماثل لوضع رعايا القيصر الآخرين لكن من دون أن يتروسوا. والغيت الكتابة بالحرف العربي وحولت الى الحرف الروسي».

وهكذا كانت سياسة ايفان وخلفائه من بعده تجاه الاسلام والمسلمين وخاصة تتار الفولجا الذين عوملوا بقسوة بالغة وقتل كل من أبدى أدنى مقاومة لحركة التنصير بالقوة.. كما أن سياسة ايفان وخلفائه من بعده اعتمدت على خطف اولاد المسلمين من آبائهم وتربيتهم في مدارس تبشيرية حتى ينشأوا على النصرانية الارثوذكسية..

ورغم أن اكثر من مائة الف تتاري تحولوا بهذه الطريقة الى النصرانية في عهد ايفان (وعرفوا باسم ستاروكرياشين) ثم تم بنفس هذه الطريقة الهمجية تحويل اكثر من ثلاثمائة الف تتاري في عهد خلفائه في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر (وعرف هؤلاء باسم نوفوكرياشين أي المتنصرين الجدد) برغم ذلك كله إلا ان هؤلاء التتار استطاعوا في الغالب المحافظة على اسلامهم في السر عبر أربعة قرون من الارهاب الديني المعهود من أمة همجية شديدة الحقد على الاسلام والمسلمين هي أمة الروس التي وصفها لنا المؤرخون المسلمون منذ القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) عندما رآهم ابن فضلان في اثناء رحلته، ثم بعد ذلك وصفهم ابن بطوطة وابن رسته والمسعودي. ولم يستطع تتار الفولجا الذين فرض عليهم التنصير بالقوة اعلان اسلامهم الا عام ١٣٢٣ هـ (١٩٠٥ م) عندما منح البرلمان الروسي (الدوما) الحرية الدينية لجميع رعايا القيصر. ولقد استمرت سياسة ايفان الرهيب تجاه المسلمين في عهد خلفائه ومنهم بطرس الملقب بالعظيم والامبراطورة حنة التي كانت شديدة الإحن والحقد ضد المسلمين وتمثل سياسة ايفان بحذافيرها

(١١٥١ - ١١٦٩ هـ) (١٧٣٨ - ١٧٥٥ م).

الامبراطورة حنة تقتفي اثر ايفان الرهيب في سياسته ضد المسلمين

واذا كان ايفان قد فرض التنصير بالقوة في قازان وما حولها وأغلق المساجد والمدارس الاسلامية وصادر الأوقاف فان حنة (١١٥١ - ١١٦٩ هـ) (١٧٣٨ - ١٧٥٥ م) قامت بالدور نفسه في المجرى الأوسط لنهر الفولجا حيث صادرت الأوقاف وأقفلت جميع المساجد هناك.. وفي عهدها اعفي التتار المرتدون عن الاسلام الى النصرانية من الضرائب ومن الخدمة العسكرية وعوملوا معاملة حسنة حتى يغروا بقية المسلمين أن يحذوا حذوهم.. وفي ذات الوقت ازداد الضغط على المسلمين واثقلوا بالضرائب الفادحة وأجبروا على أخس الوظائف ومنعوا من ممارسة شعائر دينهم وأقفلت جميع مدارسهم ومساجدهم وصودرت جميع الأوقاف الدينية.. واختطف منهم ابناؤهم الصغار بالقوة وأدخلوا المدارس التبشيرية حتى ينشأوا على النصرانية الارثوذكسية وامتدت هذه المدارس من قازان الى استراخان أما المسلم الذي كان يدعو للاسلام حتى بين اخوته المسلمين فقد كان يحكم عليه بالاعدام (انظر كتاب المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي).

ونتيجة لهذه الاضطهادات المستمرة التي عاناها المسلمون تجذر مفهوم الدين لدى هؤلاء التتار وأصبح الاسلام مرادفا للقومية. واصبح الدفاع عن الدين هو الدفاع عن هوية الأمة.

عهد كاترين المتسامح

وفي عهد كاترين استولى الروس على مناطق اسلامية في القوقاس كما استولوا على القرم.. ومع ذلك فيعتبر عهد كاترين العهد الذهبي بالنسبة للمسلمين في تاريخ الامبراطورية الروسية على الرغم مما لاقوه في عهدها

وخاصة في القرم من أهوال.. إلا أن عهدها بالنسبة لمن سبقوها ولمن جاؤوا بعدها كان عهدا مشرقا.. ففي عهدها منع التنصير بالقوة وسمح للمسلمين في جميع مناطقهم بفتح المساجد والمدارس.. ومنع الاجراء الرهيب الذي كان سياسة متبعة من قبل ومن بعد وهو اختطاف الاطفال المسلمين ووضعهم في مدارس كنسية وفصلهم عن أهاليهم بالقوة وتنشئتهم على الارثوذكسية وسمح للمسلمين بتعليم أطفالهم في مدارسهم الخاصة..

وفي عهدها انتشر التتار الذين كانوا قد طردوا من ديارهم وعملوا كتجار وسطاء بين منتجات موسكو وبين سكان آسيا الوسطى ونجحوا في هذه المهمة.. وكانوا بذلك عونا للرأسمالية الروسية التي بدأت تظهر. ولكن التاجر التتري كان يحمل معه اسلامه اينما حل ويفتح المساجد ويدعو للإسلام بكل لباقة وذكاء.. وشهد عهدها تحول كثير من القبائل التي كانت وثنية أو نصرانية سطحية الى الاسلام كما شهد ايضا عودة التتار الذين أجبروا على التنصر في عهد ايفان وخلفائه الى الاسلام. ورغم أن عهدها يتميز بتسامح ديني الا أن أخصب أراضي المسلمين صودرت في عهدها لصالح النبلاء الروس كما أن اموال الاوقاف وأراضيه كثيرا ما كان يعتدى عليها.. وقد شهدت شبه جزيرة القرم الكثير من هذه الاعتداءات. ومع هذا فإن عهد كاترين الثانية هو أفضل العهود التي مرت بالمسلمين في روسيا القيصرية والبلشفية... ما عدا الفترة التي ظهر فيها الدوما (البرلمان الروسي) الى الوجود لأول مرة وذلك سنة ١٣٢٣ هـ (١٩٠٥ م).. والذي سمح بالحريات الدينية لجميع رعايا القيصر.. ومن ضمنهم المسلمين كما أعطي الرعايا بما فيهم المسلمين حق تأسيس الجمعيات الدينية والسياسية وان كان هذا البند الأخير قد ألغي فعلا عندما تكونت الجمعيات السياسية الإسلامية بعد عام واحد من صدور القرار.. ولم يسمح لهذه الاحزاب بالعمل الا

بضعة أشهر فقط.. وذلك بناء على توصيات وزير الداخلية الذي أرسل تقريراً في أوائل عام ١٣٢٤ هـ (١٩٠٦ م) يحذر فيه مجلس الوزراء من مغبة اعطاء الحريات السياسية للمسلمين.. وبالفعل تم الغاء هذه الجمعيات والأحزاب السياسية كما تم القاء القبض على مؤسسيها وزعمائها...

ظهور الحركة الاسلامية القومية (التتارية) لقد ارتبط مفهوم القومية لدى مسلمي الاتحاد السوفيتي منذ وقت مبكر بالإسلام.. وأصبح الحفاظ على الإسلام هو الحفاظ على هوية الأمة وذاتيتها وذلك على نقيض ما نراه لدى المسلمين في الاقطار الاخرى التي خضعت للتأثير الغربي ففي تركيا والبلاد العربية وأندونيسيا وايران كانت الحركات القومية بعيدة عن الاسلام في ايدلوجياتها متصادمة معه في أكثر الأوقات.. وان كانت تتظاهر به احيانا كتراث من أجل عدم اثارة غضب الجماهير المسلمة.

أما في الاتحاد السوفيتي فمنذ هجوم ايفان الرهيب على مناطق المسلمين واتخاذه سياسة البطش بالمسلمين ومحاولة تنصيرهم بالقوة.. فإن المحافظة على الاسلام كان معناها المحافظة على هوية الأمة التتارية. وكما يقول مؤلفا كتاب المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي «أثناء الاضطهادات التي عاناها المسلمون في القرن الثامن عشر ولا سيما قبائل التتار على نهر الفولجا امتزج لدى هؤلاء التتار مفهوم الدين (الاسلام) بمفهوم القومية (الملة). فمن الآن وصاعدا سيصبح الدفاع عن الدين في نظرهم محافظا لهوية الأمة».

وبما ان تتار الفولجا على وجه الخصوص واجهوا سياسة تنصير قوية لم يواجهها المسلمون في المناطق الاخرى من الامبراطورية القيصرية الروسية. فإن احساس هؤلاء التتار بالخطر الماحق ضد دينهم جعلهم

أول من ربط هويتهم القومية ربطا تاما بالإسلام.. ولذا عندما ظهرت حركة القومية الاسلامية في الامبراطورية الروسية في القرن التاسع عشر الميلادي كان زعماؤها ومؤسسوها من تتار الفولجا.. ثم انتشرت بعد ذلك بسرعة الى الأقاليم الاسلامية الأخرى بتأثير تجار التتار الذين كانوا يمثلون الشتات التتاري بعد طردهم من وطنهم على نهر الفولجا..

ويصف بنجيسن ولومرسيبه هذه الحركة بقولهما: «لقد كانت حركة مستقلة أصيلة ولدت عفويا من الأوضاع الخاصة التي مر بها الاسلام الروسي».

«وكان لهذه الحركة طابعها الخاص المتميز عن الحركات القومية التي ظهرت في البلاد العربية والاسلامية الأخرى حيث كانت حركة تتار الفولجا قومية اسلامية منذ اللحظة الاولى بينما كانت تلك الحركات القومية ذات مفاهيم غربية ليبرالية واشتراكية بل ومتصادمة مع الاسلام في كثير من الأحيان».

«ولقد كانت أهداف هذه الحركة في الامبراطورية الروسية هي المساواة في الحقوق مع الروس، الحرية الدينية، الاستقلال الثقافي، الحكم الذاتي السياسي، وفي بعض الحالات النادرة الاستقلال الكامل»...

ولقد مرت هذه الحركة القومية بمفهومها الاسلامي عند تتار الفولجا بثلاث مراحل وهي: **الاصلاح الديني، الاصلاح الثقافي، والاصلاح السياسي.**

الاصلاح الديني:

وكان **الاصلاح الديني** معتمدا على فتح باب الاجتهاد لحل المشكلات العصرية والعودة مباشرة الى القرآن الكريم والسنة المطهرة لإيجاد الحلول للمشاكل العصرية.. وكان من رواد هذه الحركة شهاب

الدين مردجاني ١٢٣٤ - ١٣١٧ هـ (١٨١٨ - ١٨٩٩ م) وعبد القيوم ناصري ١٢٤١ - ١٣٢٠ هـ (١٨٢٥ - ١٩٠٢ م) وموسى جار الله بيجي ١٢٩٢ - ١٣٦٩ هـ (١٨٧٥ - ١٩٤٩ م) وجميعهم من التتار.. وقد سيطر هؤلاء المجددون على الساحة في مجرى نهر الفولجا أي في تتاريا وبشكيريا ولكنهم لم يستطيعوا أن ينفذوا الى آسيا الوسطى (تركستان) ولا الى القوقاس حيث كان تأثير علماء الدين المحافظين مع الحركات الصوفية التي لا تقبل أي تفاهم مع الكافر والرافضين لتقليد نمط الحياة لدى الروس الكفار أعداء الإسلام وأهله.

أمّا ما يسمى بالاصلاح الثقافي فقد كان للمستشرقين الروس دور فيه حيث حاولوا منذ البداية الغاء الكتابة بالحرف العربي وابدالها بالحرف اللاتيني ثم بالحرف الروسي (الكريلي).. ولقد فشلت هذه المحاولات القسرية مثلما فشلت محاولات التنصير الاجبارية رغم دخول مئات الآلاف في النصرانية الا أن هؤلاء جميعا (تقريبا) جافظوا على اسلامهم في السر واستطاعوا أن يحتفظوا به لمدة أربعة قرون.. ولم يستطيعوا اظهار اسلامهم الا عندما أعطيت الحريات الدينية عام ١٣٢٣ هـ (١٩٠٥ م) وكما يقول بنجينسن ولومرسييه. «فحتى منتصف القرن التاسع عشر كان المسلمون الروس يستخدمون اللغة العربية واللغة الفارسية ولغة علمية مركبة هي مزيج من التشاغاتاي ولغة تتار قازان وكانت جميع هذه اللغات تكتب بالحرف العربي»..

الاصلاح الثقافي:

وكان من أهداف ما يسمى بالحركة الثقافية تعميم اللغات العامية والمحلية وجعلها لغات كتابية وأثيرت ضجة يبدو أنها مفتعلة لتمجيد الاعمال الادبية التتارية والازرية والكازاخية منذ عام ١٢٩٢ هـ (١٨٧٥ م) وقد انتبه هؤلاء الادباء الجدد أنفسهم الى خطورة ظهور

اللغات الاقليمية الجديدة لأنها تشكل عامل هدم للوحدة اللغوية القديمة وبالتالي للثقافة الاسلامية الروسية.. ولذا فقد بذلت جهود طيبة لمحاولة التقريب بين هذه اللغات.. وفي عام ١٢٩٨ هـ (١٨٨٠ م) قام المفكر والسياسي التتاري القرمي اسماعيل غسبرالي (غسبرينسكي) باطلاق شعار (كونوا متحدين بلغتكم وأفكاركم وأعمالكم) وحاول ايجاد لغة تركية مبسطة جامعة تفهمها كل الشعوب التركية في روسيا والعالم.. وكتب بها جريدته اليومية (الترجمان) التي ظل ينشرها في بغتشيساري من سنة ١٣٠١ هـ (١٨٨٣ م) حتى عام ١٣٣٣ هـ (١٩١٤ م)؛ والتي اعتبرت من أعظم الدوريات الاسلامية في ذلك الوقت.

ونتيجة لتلك النهضة الثقافية انتشرت المدارس والمساجد في المناطق التتارية ففي مدينة اوفا عاصمة بشكيريا كان بها ١٥٥٥ مسجداً و ٦٢٢٠ مدرسة عام ١٣١٥ هـ (١٨٩٧ م) ومع بداية القرن العشرين كان في قازان جامعة اسلامية تضم سبعة الآف طالب.. ومطبعة اسلامية طبعت ٢٥٠ كتابا في عام ١٣٢٠ هـ (١٩٠٢ م) كما كان بها مكتبة يرتادها عشرون الف قارىء في العام.

وكما يقول بنجيسن ولومرسييه «وهكذا فما أن أقبل عام ١٣٢٣ هـ (١٩٠٥ م) حتى بلغ المستوى الثقافي لمسلمي روسيا درجة عالية بشكل ملفت للنظر، وذلك بفضل الجهود الجبارة التي بذلها المصلحون وأصبحت مدن قازان واوفا وارنبورغ وترويتسك وبغتشيساري وباكو مراكز ثقافية وفكرية جديرة بأن تكون ندا لدمشق وبيروت والقاهرة واسطمبول».

ومن الملاحظ أن المناطق التي شهدت صحوة اسلامية وثقافية في الامبراطورية الروسية كان مركزها مناطق التتار فيما يعرف الآن بتتاريا وبشكيريا وما حولها وتتار القرم (كريميا).. ولقد ولدت القومية

الاسلامية في الامبراطورية القيصرية من الرغبة في استرجاع الماضي المشرق والحصول على المساواة مع الاوروبيين الروس.. «وكان للملة الاسلامية (والجدير بالملاحظة أن لفظ الملة لدى الاتراك والفرس والأفغان يعني القومية) في روسيا أساس مزدوج: ديني وعرقي (اثني ـ Ethnic) أو بمعنـــــــــــى آخر اسلامي وتركي» كما يقول بنجيس ولومر سييه..

«ولم يكن يوجد في روسيا صراع بين الروح الدينية والروح الاثنية (أي القومية العرقية) على عكس ما ظهر في تركيا والبلاد العربية، بل كانت القومية العرقية تتحد وتجد ذاتها في الدين الاسلامي الذي أصبح هو الممثل للقومية العرقية في الامبراطورية الروسية».

الاصلاح السياسي:

كان التتار يعرفون ان الاسلام لم يكن قد بلغ من القوة ما يؤهله لفتح صراع مكشوف ضد الامبراطورية القيصرية. ولذا تميز قادة الحركة حتى عام ١٣٢٣ هـ (١٩٠٥ م) بالاعتدال ومن أشهر هؤلاء الزعماء اسماعيل غسبرالي من القرم وصدري مقصودي ويوسف اتشور أوغلو وعبد الرشيد ابراهيم من تتاريا ومروان توبتسيياش من أذربيجان. وكانت كل طلباتهم تتركز في المساواة في الحقوق الشخصية مع الروس.. بيد أن هزيمة روسيا سنة ١٣٢٣ هـ (١٩٠٥ م) في حربها ضد اليابان شجع هؤلاء الزعماء في المطالبة بحقوق سياسية أكبر. ففي شهر أغسطس (آب) سنة ١٣٢٣ هـ (١٩٠٥ م) عقد في نييجني نوفجورد أول مؤتمر سري للمسلمين اشترك فيه قرابة مائة مندوب تتاري وصدرت توصيات بالمطالبة بالحقوق المدنية الشخصية وبالمساواة في المواطنية مع الروس.. وأرفق ذلك بعرض للتعاون مع الاحزاب الليبرالية الروسية..

وفي ١٣ يناير (كانون الثاني) ١٣٢٤ هـ (١٩٠٦ م) عقد مؤتمر سري

ثان في مدينة سان بيترسبورغ حضره مئة مندوب تتاري وقرمي وقفقاسي وكازاخي وتركستاني..

وفي أغسطس (آب) من العام نفسه عقد في مدينة نييجني نوفجورد مؤتمر ثالث حضره مئتا مندوب عن مختلف المناطق الاسلامية في الامبراطورية الروسية وكان هذا المؤتمر علنيا على خلاف سابقيه السريين.. وأعلنت مقرراته المطالبة بالحرية الدينية وحرية التعليم وتقرر لأول مرة ظهور حزب سياسي اسلامي لكافة مسلمي الامبراطورية القيصرية..

ورغم أن هذا الحزب ظل متواضعا في طلباته التي قصرها على حرية التدين وحرية التعليم ورغم انه عرض تعاونه مع الليبراليين الروس الذين توقع منهم الموافقة على هذه الطلبات المتواضعة الا ان الليبراليين الروس خيبوا آمال المؤتمرين برفضهم التعاون مما يدل على تجذر الحقد الصليبي ضد المسلمين حتى ولو لم يكونوا ملتزمين بالمسيحية. وحتى لو كانوا ممن ينادون بالحرية ويرفعون شعار العدالة والمساواة.. إذ المقصود بهذه الشعارات ان تكون وقفاً عليهم وحكراً لهم ولا ينبغي أن يتمتع بها معهم المسلمون.

وبعد سنتين من تكوين هذا (الاتفاق الاسلامي) أي في عام ١٣٢٦ هـ (١٩٠٨ م) فقد قادته كل أمل في الليبرالية الروسية وهاجر كثير منهم الى تركيا ومنها الى مناطق العالم الاسلامي.. وعندئذ أخذ كثير من شباب المسلمين بشعارات الاشتراكية والماركسية المنادية باسقاط القيصرية والبورجوازية الروسية التي أذاقت المسلمين الويلات.. وكان الماركسيون في دعوتهم للمسلمين حذرين من توضيح حقيقة اتجاهاتهم نحو الاسلام فكانوا يتحدثون لشباب المسلمين عن الاسلام التقدمي والاسلام الاشتراكي، والاسلام التحرري مما تكرر في نداءات لينين وخطاباته

وخطابات الزعماء الشيوعيين الآخرين منذ وقت مبكر سبق قيام ثورة اكتوبر سنة ١٣٣٦ هـ (١٩١٧ م) واستمر فيما بعد الى عام ١٣٤١ هـ (١٩٢٢ م). وللأسف لا نزال نسمع هذه النغمة في البلاد العربية والاسلامية بعد مرور أكثر من ستين عاما على استهلاك هذه الاسطوانة الممجوجة في روسيا ذاتها!... وحتى من قبل سقوط حزب (اتفاق المسلمين) نتيجة تعنت الليبراليين الروس تكونت في بلاد التتار ثلاثة أحزاب راديكالية ثورية هي:

(١) **حزب (برك) أو الوحدة** الذي أسس في قازان سنة ١٣٢٤ هـ (١٩٠٦ م) وكان يقوده علماء الدين المعروفون باسم الملا كما اشترك معهم كثير من رجال الفكر.. وكان هذا الحزب يدعو الى قيام دولة اسلامية مستقلة مع برنامج ديمقراطي اشتراكي في المجال الزراعي والعمالي. واندس في هذا الحزب كثير من التتار الماركسيين مثل حسين يامشيف وغفور كولا حميد نوف وعبد الله أباني.

وقد قامت السلطات القيصرية البوليسية بتصفية هذا الحزب بعد عدة أشهر من تكوينه وزج بالقائمين به في السجون.

(٢) **حزب تانغ تشيلار (محاربو نجمة الصباح)** تأسس هذا الحزب في ربيع سنة ١٣٢٤ هـ (١٩٠٦ م) في قازان وتولى قيادته شباب مثقفون تتار منهم: أيازاسخافي وفؤاد توكتار وعبد الله دفلتشين.. وتأثرت ايدولوجية هذا الحزب بأفكار الاشتراكيين الثوريين الروس مع تركيز اهتمامهم على مشاكل الفلاحين المسحوقين.

وقد قام البوليس القيصري بتصفية هذا الحزب ورجاله عام ١٣٢٥ هـ (١٩٠٧ م).

(٣) حزب أورال تشيلار (محاربو الاورال): تأسس هذا الحزب في يناير ١٣٢٥ هـ (١٩٠٧ م) في مدينة اورنبرغ.. وتبنى هذا الحزب الايديولوجية الماركسية مع تمجيده للدين الاسلامي.. وهو نوع من الوهم اختلط في أذهان بعض مؤسسيه الشباب ونوع من التكتيك في اذهان الماركسيين الروس الذين تعاونوا معهم.. فكان في قيادته حسين ياماشيف وعمر تبريغولوف..

وقد قضى عليه البوليس في أبريل ١٣٢٥ هـ (١٩٠٧ م) (أي بعد أربعة أشهر فقط من تكوينة). وهكذا واجهت الحركات السياسية الاصلاحية التي تزعمها تتار الفولجا في روسيا القيصرية مصيرها البائس مع العناصر الليبرالية الروسية.

وأخذت هذه الحركة الاصلاحية السياسية تفقد بريقها منذ سنة ١٣٢٦ هـ (١٩٠٨ م) ولكن ثورة ٨ فبراير ١٣٣٦ هـ (١٩١٧ م) التي أطاحت بالقيصر نيقولا الثاني بعثت الأمل الى كافة المسلمين في روسيا.. وأدت الى قيام حركة ثورية اسلامية راديكالية وكما يقول بنجسين ولومرسييه «ظلت متعلقة بالإسلام الأكثر استقامة في الرأي، ومع ذلك فبرنامجها الاجتماعي كان تقريباً اشتراكياً وقياداتها خططت جدياً لامكان التعاون مع البولشفيك» وسبب هذا الانعطاف الجديد نحو اليسار كما يقول المؤلفان الآنفا الذكر كان نتيجة اطروحات لينين التي وضعها في ابريل سنة ١٣٣٦ هـ (١٩١٧ م) والمنادية بالحرية الدينية التامة للمسلمين واستقلالهم الثقافي والتعليمي والسياسي.. ونتيجة الموقف المعاكس الذي وقفه الليبراليون الروس من الاسلام وهو موقف يتمثل في عدم اعطاء المسلمين أي استقلالية ثقافية ودينية يمكن أن تؤدي الى نوع من الاستقلال السياسي.

ولذا فقد قوبل سقوط الملكية بحماس بالغ لدى أغلبية مسلمي

الامبراطورية الروسية.. واعتبر بداية عهد جديد تستعيد فيه الأمة الاسلامية في روسيا وحدتها ومقوماتها - وعقد في أول مايو (١٣٣٦هـ) (١٩١٧ م) مؤتمر اسلامي كبير في موسكو حضره تسعمائة مندوب من كل الاقاليم الاسلامية في الامبراطورية القيصرية السابقة والتي ستعرف فيما بعد باسم الاتحاد السوفيتي.. وكان من نتائج هذا المؤتمر محاولة التوفيق بين الاسلام والاشتراكية والتشديد بقوة على الملة الاسلامية (أي القومية الاسلامية) في روسيا.. ورغم الخلاف الذي حدث بين المؤتمرين الذين انقسموا الى فريقين أحدهما ينادي بالاستقلال التام للامة الاسلامية في روسيا وإيجاد دولة مستقلة ذات سيادة كاملة وكان هذا الفريق يناصره التركستانيون والاذربيجانيون (الاذريون) بينما كان الفريق الآخر الذي يناصره التتار ينادي بتكوين اتحاد فيدرالي للمناطق الاسلامية مع روسيا. ومع هذا فقد اتفق الجميع على إنشاء ادارة مركزية انيطت بها مهمة تنسيق شئون الملة الاسلامية في روسيا بالإضافة الى مجلس شوري مركزي (ملي شوري) ولجنة تنفيذية اسلامية وفي يوليه (١٣٣٦ هـ) (١٩١٧ م) عقد في قازان المؤتمر الثقافي لمسلمي روسيا وفي هذه المرة لم يستطع الحضور سوى ممثلي تتار الفولجا والبشكير والقرم.. وأما ممثلو التركستان والقوقاس وأذربيجان فلم يستطيعوا الحضور نتيجة الحرب الأهلية الطاحنة والفوضى العارمة التي كانت تجتاح أنقاض الامبراطورية القيصرية مع استمرار روسيا في الحرب العالمية الأولى.

وفي مؤتمر قازان ظهر الاتجاه الى قيام دولة اسلامية فيدرالية قوياً بصورة أقوى من مؤتمر موسكو وشدد المؤتمرون على وحدة مسلمي روسيا الثقافية والسياسية وعززت الادارة الاسلامية المركزية بإنشاء مجلس حربي (حربي شوري) مركزه قازان. ومنذ يوليه ١٣٣٦ هـ (١٩١٧ م) بدأ هذا المجلس بتجنيد المسلمين تحت قيادة ضباط تتار وبشكير.. كما أنشأ المؤتمرون أيضاً ادارة ملية مركزها مدينة اوفا في بشكيريا وكلفوها

الاعداد لعقد مجلس ملي في اوفا في ٢٠ نوفمبر ١٣٣٦ هـ (١٩١٧ م) الذي سيناط به تقرير مستقبل الامة الاسلامية في روسيا..

تكتيك لينين تجاه الدعوة الى قيام دولة إسلامية في روسيا:

ورغم هذه القرارات الاسلامية المتشددة الا أن لينين والبولشفيك عامة أظهروا تأييدهم لها ووقوفهم معها وهو تكتيك رهيب اتسم بالغدر والخسة وجعل معظم العناصر الاسلامية تقف في صف لينين عندما قام بالاستيلاء على نتاج ثورة فبراير ١٣٣٦ هـ (١٩١٧ م) التي قادها الليبراليون الروس ضد القيصر نيقولا واستطاع لينين بمساعدة البحرية الروسية وبمساعدة الاقليات (وأكبر هذه الاقليات هم مسلمو روسيا) أن يستولي على روسيا في ثورته التي قادها في ١٧ اكتوبر ١٣٣٦ هـ (١٩١٧ م) وانضم أكثر المسلمين بما فيهم العلماء الى صفوف لينين بعد أن صدقوا وعوده لهم بالاستقلال نتيجة لهول ما عانوه من القياصرة ولذا كان موقفهم ضد قوات الامير كولشاك الذي كان يحارب من أجل اعادة روسيا البيضاء.. ولهذا لم تعش جمهورية ترانس بولاق في تتاريا الا اسبوعاً واحداً ١٣٣٧ هـ (٢١ - ٢٨ فبراير ١٩١٨ م) لأنها لم تجد تأييداً من التتار المسلمين الذين ضاقوا بالقياصرة الروس وجربوا التعاون مع الليبراليين فوجدوهم شديدي العداء للمسلمين. وكان الأمل الأخير لهم هو وعود لينين الخلابة ولذا وقفوا معه ضد قوات روسيا البيضاء..

وصدق شباب تتار الفولجا امكانية التوافق بين البلشفية والاسلام وكما يقول مؤلفا كتاب (المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي) «تعتبر الشيوعية الوطنية الاسلامية في الاتحاد السوفيتي حدثاً فريداً في التاريخ. فقد دامت حوالي عشر سنوات من ١٩١٨ حتى ١٩٢٨، بل أكثر في بعض المناطق.. وقد كانت نتاجاً ايدلوجيا وعلمياً لفريق من

الشباب الوطني المثقف عماده تتار الفولجا».

«وحاول الشيوعيون الوطنيون المسلمون ان يكيفوا الماركسية اللينينية الروسية مع الاوضاع التاريخية والاجتماعية والثقافية للاسلام ففشلوا.. وصفي معظمهم تصفية جسدية بأمر من ستالين بين سنتي ١٣٤٧ هـ (١٩٢٨ م) و١٣٥٧ هـ (١٩٣٨ م).

وهكذا استخدمت الشيوعية الروسية هؤلاء الشباب المتحمسين لتوطد أركانها في وطنهم ثم قامت بعد ذلك بقتلهم وسحلهم. ويقول كاتبا (المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي) «أن كل الذين انخرطوا في صفوف الحزب الشيوعي لم يكونوا عن الماركسية سوى مفاهيم غائمة فالعقيدة الماركسية في وجهها الاجتماعي والاقتصادي والعقائدي لم تكن تثير اهتمامهم.. وإنما كان اندفاعهم نحو البولشفيك لأسباب عملية محضة وهي:

١ - عدم الأهلية السياسية لرؤساء الجيوش الروسية البيضاء وعدم تفهمهم لقضايا مسلمي الامبراطورية الروسية بل وموقفهم العدائي حتى من الذين ناصروهم من البشكير والكازاخ في حزب الاش اوردا مما أدى بهؤلاء الى الارتماء في أحضان البولشفيك رغم قناعاتهم الاساسية بخطر البولشفيك..

٢ - العمل الشخصي الذي قام به ستالين (أيام لينين) فقد نجح في أن يجذب اليه أهم قادة الجناح الايسر في الحركات الوطنية الاسلامية.

٣ - الوعود التي اطلقها لينين بمنح المسلمين المساواة التامة مع الروس والحرية الدينية بل وحق الاستقلال الكامل.

٤ - الأمل بأن ثورة اكتوبر لم تكن سوى خطوة أولى نحو تحرير العالم الاسلامي بأكمله من نير الاستعمار الأوروبي حسب ما أوحت لهم

بيانات لينين ومؤتمر باكو المنعقد في ١٣٣٩ هـ (١٩٢٠ م).

٥ - الاعتقاد الساذج بأن ثورة اكتوبر ستكون في الاقاليم الاسلامية امتداداً لحركة الاصلاح التجديدية ورغم أن أغلبية هؤلاء الذين انخرطوا في صفوف البولشفيك عرفوا الحقيقة المرة وثاروا ضد البولشفيك بثوراتهم المعروفة المشهورة الا أن قلة استمرت في التعاون والاخلاص للحزب الشيوعي الروسي.. ومع هذا لم يشفع لهم اخلاصهم هذا فبمجرد ان تم للروس البلاشفة (المستعمرين الجدد) القضاء على المقاومات الشعبية قاموا بالتصفية الجسدية لرفاق الامس الذين وطدوا لهم اركان حكمهم الاستعماري في المناطق الاسلامية (حالما شعروا انهم لم يعودوا في حاجة الى هذا التعاون المرحلي).. ومن هؤلاء الشيوعيين المسلمين الذين لقوا جزاءهم على يد أسيادهم الروس:

مير سعيد غالياف احد تتار الفولجا والذي أصبح مساعداً لستالين في مفوضية الشعب للقوميات وعضوا في المفوضية المركزية الاسلامية، ورئيساً للمدرسة الحربية الاسلامية وعضوا في اللجنة المركزية لجمهورية تتارستان الاشتراكية السوفيتية.. وناشرا لجريدة (جزن ناتسيونال نوستي) ومع هذا فقد أوقف في مايو ١٣٤٢ هـ (١٩٢٣ م) وطرد من الحزب الشيوعي باعتباره منشقاً قومياً وسجن حتى عام ١٣٤٣ هـ (١٩٢٤ م) ثم سجن مرة أخرى مع الاشغال الشاقة لمدة عشر سنوات.. واختفى أثره سنة ١٣٥٨ هـ (١٩٣٩ م) أي بعد خروجه من السجن... وهي طريقة معروفة لدى الشيوعيين في تصفية خصومهم حيث يبعثونهم الى العالم الآخر ويعلنون اختفاءهم. وأصبح اسمه في الاتحاد السوفيتي مرادفاً لخائن وقومي برجوازي.

ومنهم **طرار ريسكوف** وهو قازاخي راديكالي انتسب الى الحزب

الشيوعي في سبتمبر ١٣٣٦ هـ (١٩١٧ م) وأصبح مفوض تركستان للصحة وعضوا في القيادة الجماعية لمفوضية الشعب للقوميات عام ١٣٤٠ هـ (١٩٢١ م) وعضو مكتب آسيا الوسطى في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الروسي ورئيساً للجنة الشعبية السوفيتية لجمهورية تركستان ١٣٤١ - ١٣٤٣ هـ (١٩٢٢ - ١٩٢٤ م) اقيل عام ١٣٤٤ هـ (١٩٢٥ م) ونفذ فيه حكم الاعدام سنة ١٣٥٧ هـ (١٩٣٨ م) بصفته منحرفاً ينادي بالوحدة التركية.

ومنهم **أحمد بيطرسون** القازاخي وأحد مؤسسي حزب (الاش اوردا) ويعتبر من أهم الشخصيات الثقافية في قازاقستان.. صفي جسدياً سنة ١٣٥٦ هـ (١٩٣٧ م).

ومنهم **علي خان بوكيخانوف** زميل أحمد بيطرسون مؤرخ وعالم الانثروبولجي انضم الى الحزب الشيوعي سنة ١٣٣٩ هـ (١٩٢٠ م) وتولى مناصب قيادية وصفي جسدياً سنة ١٣٥٢ هـ (١٩٣٣ م).

ومنهم **غاليموجان ابراهيموف** من تتار الفولجا الذي عينه ستالين سنة ١٣٣٧ هـ (١٩١٨ م) رئيساً للمفوضية المركزية للشئون الاسلامية.. وتولى مراكز هامة للشيوعيين ثم سجن عام ١٣٥٦ هـ (١٩٣٧ م) لأنه قاوم تحويل الكتابة التترية من الحرف العربي الى الحرف اللاتيني واعدم في السجن سنة ١٣٥٧ هـ (١٩٣٨ م). ومنذ سنة ١٣٣٨ هـ (١٩١٩ م) بدأ النزاع بين الشيوعيين المسلمين وبين أسيادهم الشيوعيين الروس فقد كان الشيوعيون المسلمون يصرون على وجهة نظرهم القائلة بأن الثورة الشيوعية في الشرق (الاسلامي) يجب أن تظهر بمظهر التحرر الوطني من الاستعمار وأن الثورة الوطنية في الشرق يجب أن تتم دون تدخل الروس فيها.. أما نظرتهم الى الاسلام فهي نظرة احترام لأنه يمثل تراثاً ثقافياً هائلا تجب المحافظة عليه وتنميته كما تجب مقاومة تأثير

المدنية الأوروبية بما فيها الروسية على مسلمي الاتحاد السوفيتي وينبغي حماية لغتهم وآدابهم الخاصة كما ينبغي حماية اراضيهم من المستوطنين الروس بل ويجب طرد جميع المستوطنين الروس الذين احتلوا الاراضي الاسلامية في الاتحاد السوفيتي. ولهذا فقد قامت السلطات الروسية بمداراة هؤلاء الشيوعيين المسلمين عندما كانت في حاجة اليهم من سنة ١٣٣٧ هـ (١٩١٨ م) الى سنة ١٣٤٧ هـ (١٩٢٨ م) فلما ثبت لها الامر واستقر بها المقام قامت بتصفيتهم جسديا واحداً اثر الآخر.. ولم يأت عام ١٣٥٧ هـ (١٩٣٨ م) حتى كان معظم الشيوعيين المسلمين الذين ساهموا في تثبيت دعائم الحكم البلشفي قد صفوا جسدياً.. ولاقوا جزاءهم على يد رفاق الامس وخسروا بذلك دنياهم وأخراهم.. وذلك هو الخسران المبين..

وتلخيصا لما سبق فاننا نرى أن تتار الفولجا كانوا هم عماد حركة القومية الاسلامية في روسيا منذ بداية هذا القرن وعلى اكتافهم قامت تلك النهضة القوية التي شهدها مسلمو قازان والتي امتدت الى عاصمة البشكير اوفا ثم الى اورنبرغ في الاورال ومنها الى كافة المناطق الاسلامية..

وللأسف وقع المسلمون في روسيا في شباك لينين وستالين ورفاقهما الذين اعلنوا مراراً وتكراراً عن تأييدهم للمطالب الاسلامية ثم ما لبثوا أن غدروا بها بصورة قذرة بعد أن تمكنوا من تشديد قبضتهم على الامبراطورية الحمراء الجديدة..

والمنطقة الوحيدة التي تعاونت مع قواد روسيا البيضاء كانت في بشكيريا حيث أعلن البشكير في ديسمبر سنة ١٣٣٦ هـ (١٩١٧ م) استقلالهم الذاتي وشكلوا حكومة في اورنبرغ ووقفوا على الحياد في الصراع بين البولشفيك واعدائهم.. لكن البولشفيك سيطروا في فبراير

١٣٣٧ هـ (١٩١٨ م) على مدينة اورنبرغ واعتقلوا قادة البشكير ومنهم زكي والدي طوقان..

وبعد شهرين فقط أي في ابريل سنة ١٣٣٧ هـ(١٩١٨ م)عاد البيض فاستولوا على اورنبرغ والتحق البشكير بالقوات البيضاء فورا وكونوا ثاني حكومة قومية بشكيرية في يونيه سنة ١٣٣٧ هـ (١٩١٨ م) وبقيادة زكي والدي طوقان أعلن البشكير في سبتمبر من نفس العام ١٣٣٧ هـ (١٩١٨ م) بالتعاون مع البيض قيام حكومة روسيا المؤقتة ومركزها مدينة اوفا.. وفي تلك الأثناء كانت الوحدات البشكيرية تحارب في خندق واحد مع الجيوش البيضاء.. غير ان هذا التحالف لم يدم طويلا فقد قام الأمير كولشاك قائد القوات الروسية البيضاء بحل حكومة اوفا المؤقتة وتصفية الفرق البشكيرية التي كانت تحارب الى صفه خوفا من قيام دولة بشكيرية اسلامية مستقلة.. وذلك لأن الروس البيض كانوا يرون في قيام دولة اسلامية حتى ولو كانت حليفة لهم خطرا يماثل خطر الشيوعيين بل أشد..

وكما يقول مؤلفا كتاب (المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي) «وكان لقصر النظر السياسي الذي يتميز به القادة البيض نتائجه الفورية والمأسوية».. فما أن تأكد زكي والدي طوقان ورفاقه من استحالة التعاون مع كولشاك حتى انتقلوا الى حرب العصابات ضده وفي ١٩ فبراير ١٣٣٨ هـ (١٩١٩ م) التقى زكي طوقان سرا برسل لينين ووقع معهم معاهدة تمهيدية أنشئت بموجبها الحكومة المؤقتة لبشكيريا السوفيتية.. وفي ٢٢ فبراير كانت الوحدات البشكيرية تخترق الجبهة وتلتحق بالجيش الأحمر بكامل عدتها.

وعُين زكي طوقان رئيساً للجنة البشكير الثورية التي كانت تقوم مقام الحكومة البشكيرية وكما كان التعاون بين البشكير وقادة روسيا

البيضاء قصير الأمد كذلك كان التعاون بين البشكير وقوات روسيا الحمراء ايضاً قصير الأمد.. لأن كلا المعسكرين الأبيض والأحمر لا يريد قيام دولة اسلامية مستقلة. وسرعان ما ظهرت نواياهم الخبيثة تجاه المسلمين.

ولذا كانت سياسة البشكير في هذه الحرب بعد أن كانوا أول من أدرك خطورة كلا المعسكرين الرأسمالي والشيوعي على المسلمين والاسلام، كانت سياستهم تنحصر في أن ينتزعوا من البولشفيك أكبر قدر ممكن من الحريات السياسية والثقافية والدينية.. أما البولشفيك فكانوا يعتبرون التحالف (المضاد للطبيعة) مع المسلمين البشكير يمثل مرحلة عابرة فقط هدفها بلشفة البشكير والاستيلاء على أرضهم..

وما أن تمكن لينين من توطيد دعائم دولته الحمراء المخضبة بالدماء حتى بدت نواياه الخبيثة تجاه المسلمين تظهر على حقيقتها رغم ما كان يدبّجه من مقالات وخطب رنانة لخطب ود المسلمين وفي تلك الفترة بدأت تتضح أكاذيب لينين لقادة المسلمين في مختلف مناطقهم ومن هؤلاء الذين عرفوا حقيقة لينين البشعة زكي طوقان ورفاقه في لجنة البشكير الثورية.. وعندئذ فرَّ زكي طوقان ورفاقه الى التركستان حيث كانت ثورة الباسماش على أشدها ضد البلاشفة والتحقوا بها وذلك في يونيه ١٣٣٩ هـ (١٩٢٠ م).

وعندما استتب الأمر للينين قام بتقسيم تتار الفولجا الى عدة مقاطعات وجمهوريات اسمية تابعة مباشرة لموسكو..

وفي الشمال والشمال الشرقي من المجرى الأوسط لنهر الفولجا أقام لينين عام ١٣٣٩ هـ (١٩٢٠ م) جمهورية تتاريا وجمهورية بشكيريا.. أما بقية مجرى الفولجا الأوسط والأسفل بالقرب من استراخان فجعله داخلاً في جمهورية روسيا الاشتراكية الفيدرالية السوفيتية، دون أن تكون له

أي صفة ادارية مستقلة أو شبه مستقلة.

جمهورية تتاريا[1]: هي إحدى الجمهوريات الستة عشر التابعة لجمهورية روسيا الاتحادية الاشتراكية.. والمفروض انها تتمتع باستقلال ذاتي في الأمور الداخلية.. وان كانت في الواقع مثل بقية الجمهوريات في الاتحاد السوفيتي ليست الا مستعمرة روسية يحكمها المندوب السامي الروسي بصفته سكرتيرا اولا أو ثانيا للحزب الشيوعي المحلي التابع للحزب الشيوعي الروسي..

تقع تتاريا غرب جمهورية بشكيريا في شمال المجرى الأوسط لنهر الفولجا حيث تلتقي روافد هذا النهر.. وأهم هذه الروافد نهر كاما الذي يأتي من الشرق حيث يلتقي بنهر الفولجا الآتي من الغرب.. ولذا كانت منطقة تتاريا منطقة زراعية خصبة.. ولا تشتهر تتاريا بثروتها الزراعية فحسب وانما حباها الله أيضاً ثروة بترولية هائلة تنافس باكو الشهيرة مما جعلهم يطلقون عليها اسم باكو الجديدة.

تبلغ مساحة تتاريا ٦٨,٠٠٠ كم مربعاً وسكانها ثلاثة ملايين ونصف أقل من نصفهم من التتار المسلمين (٤٧,٦ بالمئة حسب إحصاء ١٣٩٩ هـ ١٩٧٩ م) بينما يشكل المستعمرون الروس ٥١ بالمئة وبينما يذكر كتاب «المسلمون في العالم» للدكتور عادل طه أن المسلمين يشكلون ٦٥ بالمئة من سكان تتاريا).

وهم من أفراد القبيلة الذهبية من نسل جوجي ابن جنكيزخان الذين دخلوا في الاسلام في القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) باسلام بركة خان ابن جوجي الذي تولى أمر هذه القبيلة سنة ٦٥٤ هـ (١٢٥٦ م) والذين حكموا روسيا واستوطنوا مجرى نهر الفولجا وأقاموا فيه المدن العظيمة مثل قازان والسرا والحاج طرخان (استراخان) وغيرها..

---

(١) انظر الخريطة بين الصفحتين ١١٤ - ١١٥.

وقد مر معنا ذكر تاريخهم وكيف استولى ايفان على عاصمتهم قازان سنة ٩٦٠ هـ (١٥٥٢ م) ثم كيف سقطت استراخان سنة ٩٦٥ هـ (١٥٥٧ م) وما مر بهم من أهوال وحرب إبادة ومحاولات التنصير بالقوة والشتات التتري (الدياسبورا) ثم كيف استطاعوا أن يصمدوا رغم هذه الأهوال ويربطوا هويتهم القومية بالاسلام.. بحيث اصبح الاسلام يمثل لديهم مفهوم الأمة. وقد ذكرنا ذلك كله في الصفحات الماضية الى بداية عهد ثورة ١٣٣٦ هـ (١٩١٧ م) وموقفهم من لينين ورفيقه ستالين. وقد وضع ستار حديدي حول وضع تتاريا بعد أن احكم البلاشفة قبضتهم عليها.. وليس لدينا سوى اخبار اعدام الرفاق الشيوعيين من تتاريا والذين تعاونوا مع لينين ثم مع ستالين من بعده وذلك لأنهم كانوا أحيانا يتجرأون ويطالبون ببعض الحقوق لمواطنيهم.. ومثال ذلك مير سعيد غالياف (من تتار الفولجا) الذي كان مساعدا لستالين في مفوضية الشعب للقوميات وعضوا في المفوضية المركزية الاسلامية وعضوا في اللجنة المركزية لجمهورية تتاريا الاشتراكية.. ولقد أوقف مير سعيد لأول مرة من جميع مسئولياته في مايو سنة ١٣٤٢ هـ (١٩٢٣ م) وطرد من الحزب سنة ١٣٤٣ هـ (١٩٢٤ م) ثم اعتقل وحكم عليه بالسجن مع الأشغال الشاقة لمدة عشر سنوات وذلك سنة ١٣٤٧ هـ (١٩٢٨ م) وبعد خروجه من السجن سنة ١٣٥٧ هـ (١٩٣٨ م) اختفى من الوجود سنة ١٣٥٨ هـ (١٩٣٩ م) بالطريقة الشيوعية المعهودة.. وأصبح اسمه مرادفاً لاسم خائن وبورجوازي قومي.

وكذلك كان مصير غاليموجان ابراهيموف أحد كبار كتاب تتار الفولجا الذي عينه ستالين عام ١٣٣٧ هـ (١٩١٨ م) رئيسا للمفوضية المركزية للشئون الاسلامية.. ولأنه قاوم (ترويس) الثقافة التتارية سجن عام ١٣٥٦ هـ (١٩٣٧ م) بتهمة القومية والدعوة للوحدة التركية وأعدم في السجن عام ١٣٥٧ هـ (١٩٣٨ م).. ومن هؤلاء مجموعة من

الكازاخيين والاوزبك وتتار القرم الذين تعاونوا مع البولشفيك فكان مصيرهم السجن والاعدام ومنهم أحمد بيطرسون الكاتب والمؤرخ الكازاخي الذي أعدم سنة ١٣٥٦ هـ (١٩٣٧ م) وعلي خان بوكي خانوف الكازاخي عالم الانتروبوليجيا الوصفية والمؤرخ الذي ينتسب الى جنكيزخان ورفيق أحمد بيطرسون وأحد الأعضاء البارزين في الحزب الشيوعي.. ومع هذا فقد تم اعدامه سنة ١٣٥٢ هـ (١٩٣٣ م) بتهمة الميول القومية.. ومن هؤلاء سلطان علي أوغلي المعروف باسم سلطان غلييف الذي طرد من الحزب الشيوعي سنة ١٣٤٢ هـ (١٩٢٣ م) لانحرافه القومي وسجن في نفس العام وأعدم سنة ١٣٥٦ هـ (١٩٣٧ م).

وفي خلال عامين فقط هما عام ١٣٤٧ هـ (١٩٢٨ م) وعام ١٣٤٨ هـ (١٩٢٩ م) صفي جسديا جميع رؤساء لجان نهر الأوب التتارية والبشكيرية في الحزب الشيوعي التتاري وكذلك كل قادة اتحاد الكتاب ومصلحة المنشورات في قازان واوفا..

وواجه تتار القرم الذين انضووا تحت راية الحزب الشيوعي نفس المصير الأسود مثل ولي ابراهيم الذي تولى منصب رئيس جمهورية القرم بعد بالاكون المجري وقام لينين باعدامه واعدام جميع وزرائه سنة ١٣٤٧ هـ (١٩٢٨ م) وفي عام ١٣٤٩ هـ (١٩٣٠ م) قتلوا رئيس الجمهورية محمد قوباي مع جميع وزرائه وتكررت نفس القصة عام ١٣٥٦ هـ (١٩٣٧ م) مع رئيس الجمهورية الياس طرخان مع جميع اعضاء حكومته. فاذا كان هذا هو مصير كل من تعاون من المسلمين مع البولشفيك فكيف يا ترى كان مصير المسلمين الذين قاوموا الطغيان الشيوعي؟!

لقد هدم الشيوعيون الروس عند دخولهم قازان سبعمائة مسجد من مساجدها الشهيرة كما حطموا وحولوا آلاف المدارس الاسلامية في قازان

الى مدارس لتعليم الشيوعية.. كما حطموا المطبعة الاسلامية التي كانت تطبع القرآن الكريم ومئات الكتب الاسلامية وكذلك استولوا على جامعتها الاسلامية التي كان يدرس فيها سبعة آلاف طالب وحولوها الى جامعة شيوعية.

أما مدينة الحاج طرخان (استراخان) فقد فصلت عن تتاريا وأصبحت تابعة مباشرة لروسيا. وحقيقة اسمها أن أحد الحجاج الأتراك الصالحين نزل بموضعها وحرر له سلطان تتار الفولجا رقعة ليسكن فيها بدون مكوس أو ضرائب وهذا معنى لفظ طرخان فكثر فيها نزول الحجاج من تلك المناطق وأصبحت مدينة كبيرة يقيم فيها سلاطين التتار في الشتاء لأنها تقع على بحر قزوين على مصب نهر الفولجا.. وتعتبر دافئة نسبيا..

وتأسست بها خانية تتارية مستقلة سنة ٨٤٢ هـ (١٤٣٨ م) عندما انفصل كوجوس عن أقاربه الذين كونوا خانية قازان وخانية القريم.. واستولى عليها ايفان سنة ٩٦٥ هـ (١٥٥٧ م) وواجهت نفس حرب الابادة التي واجهتها قازان والسرا ومدينة البلغار وكافة المدن الاسلامية التي وقعت في قبضة ايفان وخلفائه كما واجهت نفس الحرب الشرسة ضد الاسلام منذ أن استولى عليها البولشفيك سنة ١٣٣٧ هـ (١٩١٨ م).

ورغم وجود المستعمرين الروس بها الا أن أغلبية السكان هي من التتار المسلمين وتصل إليها أنابيب النفط من باكو عاصمة اذربيجان وذلك لتوزيعه على مناطق مجرى نهر الفولجا ونهر الأورال.. وبلغ مجموع التتار في الاتحاد السوفيتي ٦,٣١٧,٤٠٠ عام ١٣٩٩ هـ (١٩٧٩ م) ربعهم فقط في تتاريا (١,٦٤١,٦٠٠) وأكثر من مليون تتاري في الحوض المتوسط والادنى لنهر الفولجا وقرابة المليون في بشكيريا، ومليون في الاورال وسيبيريا الغربية.

جمهورية بشكيريا[1]:

هي احدى الجمهوريات الستة عشر ذات الاستقلال الذاتي اسميا والتابعة لجمهورية روسيا الاشتراكية الفيدرالية (الاتحادية) السوفيتية.. والتي تأسست عام ١٣٣٨هـ (١٩١٩م) وتقع هذه الجمهورية شرق جمهورية تتاريا ويشكل نهر كاما وهو أهم روافد نهر الفولجا أهم أنهارها.. وتقع مدينة اوفا الشهيرة على ملتقى انهر اوفا وبيلافا وكاما.

ولقد دخل البشكير في الإسلام منذ وقت مبكر بعد أن دخل الاسلام الى نهر الفولجا في القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) وفي القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) الى بشكيريا ولم يأت القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) الا وقد كان البشكير جميعا قد دخلوا في الاسلام وذلك على يد الدعاة الى الله من الصوفية وعلى يد مريديهم وأتباعهم من التجار المسلمين.

وعندما ظهرت القبيلة الذهبية واستولت على جميع اراضي الفولجا والبشكير في القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) كانت هذه القبيلة أيضا قد دخلت في الاسلام.. واختلط هؤلاء التتار من القبيلة الذهبية (أحفاد جنكيز خان) بالسكان البشكير ايما اختلاط كما اختلطوا ايضا ببلغار الفولجا حتى أصبحوا أمة واحدة يجمعها الاسلام والمصاهرة واللغة المشتركة.

وقد احتل ايفان الرهيب منطقتهم بعد أن احتل قازان عاصمة التتار الاولى وفي نفس العام الذي احتل فيه استراخان عاصمة التتار الثانية أي في عام ٩٦٥هـ (١٥٥٧م).

وواجه البشكير نفس حرب الابادة التي واجهها تتار الفولجا وفرض عليهم التنصير أو القتل او التشريد. وشكلوا مع تتار الفولجا الشتات التتري المعروف باسم الدياسبورا والذي امتد على طول الأراضي التي

---

(١) انظر الخريطة بين الصفحتين ١١٤ - ١١٥.

احتلتها روسيا القيصرية.. وقد استطاعت الكنيسة الارثوذكسية أن تفرض التنصير على ١٥ ألفاً من الناغايبك احدى قبائل البشكير. وذلك في القرن الثامن عشر الميلادي.

وقد قام البشكير بعدة ثورات ضد حكم القياصرة أشهرها ثورة ١١٨٧ هـ (١٧٧٣ م).. وقد أخمدت جميع هذه الثورات بقسوة بالغة..

وفي عهد كاترين الثانية التي أعطت المسلمين شيئا من الحرية الدينية نشط البشكير نشاطاً عظيماً في بناء المساجد والمدارس الاسلامية.. ورغم أن عهد التسامح الديني لم يدم بعد وفاة كاترين لأن خلفاءها عادوا الى سياسة الكبت والضغط على المسلمين ورغم أنه لم يسمح ببناء مساجد جديدة في عهودهم الا أن ما بقي من المساجد التي شيدت بكثرة في عهد كاترين بلغ عام ١٣١٥ هـ (١٨٩٧ م) ١٥٥٥ مسجداً كما كان يوجد في هذا الوقت ايضا ٦٢٢٠ مدرسة اسلامية..

ولقد شارك البشكير مشاركة فعالة في النهضة العلمية والثقافية التي شهدها تتار الفولجا في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي وأوائل العشرين وظهر منهم كثير من الكتاب والادباء كما ظهر منهم كثير من الزعماء الذين كانوا ينادون أولا بالمساواة في الحقوق مع الروس واعطاء الحريات الدينية والثقافية الكاملة وحق انشاء المدارس الخاصة بهم ووضع مناهجها الاسلامية كما كانوا يطالبون بمحاكمهم الشرعية..

ولقد تطورت هذه الدعوة بعد عام ١٣٢٣ هـ (١٩٠٥ م) الى ايجاد دولة اسلامية لجميع مسلمي الامبراطورية الروسية تكون لها ارتباطات بدولة روسيا..

وفي ثورة ١٣٣٦ هـ (١٩١٧ م) وقف البشكير أولا مع قوات روسيا البيضاء وأقاموا دولتهم بزعامة زكي والدي طوقان وحاربوا القوات البلشفية.. ولكن سرعان ما تبين لهم أن الأمير كولشاك يرفض ان

حوض الفولغا

موسكو
ماري
ادمورت
نهر الفولغا
جوفاش
قازان
نهر كاما
تتاريه
موردوف
أوفا
بشكيريه
أورنبورغ
نهر الفولغا
نهر أورال
كازكستان
استراخان
بحر الخزر
٣٠٠ ٢٠٠ ١٠٠ ٠ كم

يعطي المسلمين أي نوع من الحريات الدينية والسياسية. بينما كان لينين ينادي بالحريات الكاملة للمسلمين وبحقهم في انشاء دولة مستقلة اسلامية..

ولذا تحول زكي طوقان الى صفوف البولشفيك ووقع معاهدة مع لينين يتعهد فيها لينين بتأييد الدولة الاسلامية.. ولكن سرعان ما غدر لينين بالمسلمين. واستطاع زكي والدي طوقان مع أعضاء حكومته أن يفر الى مناطق الثورة ضد لينين في التركستان وأن ينضم الى ثورة الباسماش الشهيرة عام ١٣٣٩ هـ (١٩٢٠ م)..

ولقد شهدت مدينة اوفا عاصمة بشكيريا الشهيرة العديد من المؤتمرات الاسلامية منذ عام ١٣٢٣ هـ (١٩٠٥ م) وكانت أحد المراكز الهامة للثورة الاسلامية في روسيا في القرن العشرين وهي المركز الديني لروسيا - الاوروبية وسيبيريا.

ومنذ عام ١٣٣٨ هـ (١٩١٩ م) تحولت بشكيريا الى جمهورية سوفيتية.. ومنذ ذلك الحين واجهت بشكيريا حربا سافرة ضد الاسلام مثلما واجهته بقية المناطق التي وقعت في براثن الدب الروسي الأحمر.

ورغم ذلك فقد كان ستالين وخلفاؤه يتظاهرون أحيانا باعطاء بعض الحريات الدينية المحدودة وخاصة عند مجيء رؤساء الدول العربية والاسلامية الى روسيا.. وقد جعلت أوفا مركزا لمفتي روسيا منذ سنة ١٣٦١ هـ (١٩٤٢ م).

تبلغ مساحة بشكيريا ١٤٣,٦٠٠ كم مربع ويبلغ سكانها قرابة أربع ملايين لا يبلغ المسلمون منهم سوى ٥٥٪ وذلك نتيجة لحركة الاستيطان والاستعمار الروسي التي اتبعها ايفان من قبل ولينين وخلفاؤه من بعد. بلغ عدد السكان في تعداد ١٣٩٩ هـ (١٩٧٩ م) ٣,٨٤٩,٠٠٠ منهم ٢٤,٣ بالمئة بشكير و٢٤,٤ بالمئة تتار و٤٠ بالمئة روس و٢٪

أوكرانيون.. ويقطن الروس في المـــدن أساساً.. وبيـــدهم الادارات الحكومية والحزبية والصناعات. أما البشكير فأغلبهم مزارعون.

وبشكـيريا غنيـة بمواردهـا الزراعيـة لخصوبـة تربتهـا وكـثرة الميـاه المتدفقة من الجبال مشكلة انهاراً كثيرة يلتقي منها عند مدينة اوفا نهر بيلافا وكاما وأوفا..

وفي جنوب بشكيريا تنبجس ينابيع كثيرة تشكل انهارا ترفد نهر الأورال وأهمها النهر الذي يلتقي بنهر الأورال عند مدينة اورنبرغ.

كما أن بشكيريا غنية بثروتها المعدنية ففي جبال الأورال توجد معادن الذهب والفضة والحديد والنحاس والتنجستين كما يوجد في بشكيريا ايضا حقول للنفط هامة...

جمهورية الجوفاش: تبلغ مساحتها ١٨,٣٠٠ كم مربعاً تقع غرب جمهورية تتاريا بين نهر الفولجا الذي يجري على حدودها الشمالية وبين أحد روافده الذي يجري من الجنوب الى الشمال قريبا من حدودها الغربية وهي تتبع جمهورية روسيا ويسكنها مليون ونصف من الجوفاش المسلمين الذين يتكلمون لغة خاصة بهم. وهي منطقة سهول تتخللها بعض التلال.. وقد احتلها الروس عام ٩٦٠ هـ (١٥٥٢ م) في عهد ايفان الرابع المسمي ايفان الرهيب..

وقد ضغط عليهم القياصرة ليتحولوا الى المسيحية فتحولوا ظاهريا إليها كما فعل بعض مسلمي اسبانيا الذين لم يستطيعوا الهجرة منها.

وفي عهد كاترين أعطي المسلمون شيئا من الحرية الدينية فأظهر هؤلاء الجوفاش اسلامهم فاشتد عليهم الضغط عندئذ.. ولكنهم صمدوا وبقوا على اسلامهم رغم التنكيل.. وعندما أعلنت الحرية الدينية عام ١٣٢٣ هـ - (١٩٠٥ م) اظهروا اسلامهم في صورة جماعية اذهلت المراقبين وفاقت كل تصور اذ تحول أكثر من مليون شخص في وقت

واحد الى الإسلام..

وأنشئت جمهوريتهم عام ١٣٤٤ هـ (١٩٢٥ م) وأصبحت عاصمتهم شبوقساري التي تقع في شمال البلاد قريبا من نهر الفولجا.

جمهورية موردوف: وهي جمهورية صغيرة تتبع جمهورية روسيا ويسكنها مليون وربع من المسلمين وهي أكثر الجمهوريات الاسلامية امتدادا نحو الغرب في الأرض الروسية.. وتشكل السفوح الشمالية لتلال بينزا. وتبلغ مساحتها ٢٥,٠٠٠ كم مربعاً وتقع جنوب غرب جمهورية الجوفاش.

جمهورية أدمورت: وتقع شمال تتاريا.. وتشمل هضاب الاورال الغربية وتنبع منها بعض الانهار التي ترفد نهر الفولجا.. حيث تنحدر مباشرة نحو نهر كاما الرافد الرئيسي لنهر الفولجا ومن الشمال حيث تشكل قوسا ثم تؤوب الى الفولجا.. ويمر نهر كاما ذاته في جنوبها الشرقي. وتبلغ مساحتها ٤٢,١٠٠ كم مربعاً ويقيم على أرضها مليون وهم من القبائل الوثنية اصلا مثل قبيلة الفن وقبيلة الفويتاك وقبيلة الشيريمسي فلما احتكت هذه القبائل بالتتار والبشكير الذين اضطروا للهجرة والتجوال في أراضي الامبراطورية الروسية بعد ان احتل ايفان أرضهم وشردهم وأجبرهم على التنصر وترك الاسلام فاضطروا للهجرة.. وكان من نتائج هذه الهجرة الإحتكاك بكثير من القبائل الوثنية وبعض القبائل البدوية النصرانية فتحول هؤلاء بفعل الإحتكاك الى الاسلام.. وجن جنون القياصرة لاسلام الادمورت ورفضوا ان يعترفوا لهم بذلك حتى في عهد كاترين التي اشتهرت بتسامحها الديني.. ولم يسمح لهم باقامة المساجد فكانوا يصلون في بيوتهم..

ولما كانوا يختتنون كعادة المسلمين في كل الاصقاع فإن الروس اطلقوا عليهم اسم **(الكلاب المختونين)**.

وقد احتل ايفان الرهيب أرضهم سنة ٩٦٨ هـ (١٥٦٠ م) وحاول فصلهم عن جيرانهم من التتار والبشكير حتى لا يتأثروا بهم.. فلما أعطيت الحرية الدينية عام ١٣٢٣ هـ (١٩٠٥ م) أظهر سكان ادمورت اسلامهم وبنوا مساجدهم ولكن سرعان ما جن جنون الروس لذلك فحاولوا تقليص هذه الحريات الى أقصى ما يمكن..

ولما قامت الثورة البلشفية سنة ١٣٣٦ هـ (١٩١٧ م).. سمح بالحرية الدينية لفترة مؤقتة ثم عاد الضغط من جديد.

وفي عام ١٣٥٣ هـ (١٩٣٤ م) أقيمت لهم جمهورية خاصة.. وعاصمتها ايجنسك تقع في القسم الجنوبي وتمر بها جملة من الخطوط الحديدية التي تربطها بمختلف المناطق المحيطة بها..

الجمهوريات والاقاليم الواقعة في حوض نهر الفولجا

(من كتاب المسلمون في العالم للدكتور عادل طه)

الجمهورية أو الاقليم	عدد السكان	عدد المسلمين	النسبة المئوية
جمهورية بشكيريا	٤ مليون	٢,٥ مليون	٦٠ بالمئة
جمهورية تتاريا	٣,٥ مليون	٢,٣ مليون	٦٥٪
جمهورية جوفاش	١,٥ مليون	٨٧٠ ألف	٥٨٪
جمهورية الموردوف	١,٢ مليون	٦٧٠ ألف	٥٥٪
جمهورية الادمورت	١,٦ مليون	٧٥٠ ألف	٥٢٪
جمهورية ماري	٧٥٠ ألف	٤٠٠ ألف	٥٢٪
اقليم اورنبرغ	٢ مليون	١ مليون	٥٠٪

ويشكل المسلمون في هذه المناطق نسبة ٥٩ بالمئة وعددهم نحو ٨,٦ مليون.

جمهورية ماري: وتقع شمال جمهوريتي تتاريا والجوفاش.. وهي منطقة سهلية يمر نهر الفولجا من جنوبها وترفده فيها بعض الانهار وهي تشغل الجزء الجنوبي من منطقة كيروف.

تبلغ مساحة هذه الجمهورية ٢٢,٨٠٠ كم مربعاً (أي أكثر من ضعف مساحة لبنان) ويسكنها ثلاثة أرباع المليون.. وشعب الماري يتكلم لغة خاصة به لا تمت الى اللغة التركية بصلة وعاصمتهم (يوشكار أولا) وقد احتل إيفان الرهيب ارضهم سنة ٩٦٠ هـ (١٥٥٢ م) وواجهوا الاضطهاد الديني.. وأظهروا اسلامهم عندما اعلنت الحريات الدينية ١٣٢٣ هـ (١٩٠٥ م).. ثم بدأت الضغط عليهم بعد ان استتب الامر للينين.. وقد أقامت لهم السلطات الروسية جمهورية خاصة بهم وذلك سنة ١٣٥٥ هـ (١٩٣٦ م) والجدير بالذكر أن هذه الجمهوريات ليس لها من سلطات الجمهورية الا الاسم واما الواقع فهي بلديات ومحافظات لتنظيم الشئون الداخلية والبلديات وحتى هذه تخضع خضوعاً تاماً لأوامر الحزب الشيوعي..

القرم: تقع شبه جزيرة القرم شمال البحر الاسود بين أزوف والبحر الاسود.. وتقترب من الجهة الشرقية من البر مكونة شبه جزيرة كرش التي تكون باقترابها من البر مضيق كرش الذي يصل بحر أزوف بالبحر الاسود.

وتشكل الجبال القسم الجنوبي من شبه جزيرة القرم بينما تقوم السهول الواسعة المنبسطة في الشمال.. والتي تضيق في نهاية الشمال بحيث لا تتصل بالبر الأوروبي الا ببرزخ ضيق. تبلغ مساحة القرم ٢٦,١٥٠ كم مربعاً وعاصمتها القديمة المدينة الجميلة باغجة يسرى أما العاصمة الحالية فهي اكمتشك ومن مدنها الشهيرة يالطا التي عقد فيها مؤتمر يالطا في نهاية الحرب العالمية الثانية بين الرئيس الامريكي روزفلت ورجل روسيا

القوي الطاغية ستالين، حيث اقتسم العملاقان مناطق النفوذ في العالم وأهمها البلاد الاسلامية. ومن مدنها الهامة سيباستبول.

وصل الإسلام الى جزيرة القرم بعد أن دخل اولاد جنكيزخان وأحفاده في الاسلام وذلك في أواخر العهد العباسي. وقد أسس أباتو بن جوجي بن جنكيزخان القبيلة الذهبية التي كانت تحكم وسط آسيا وروسيا.. واعتنق بركة خان الاسلام منذ صغره وحفظ القرآن الكريم على يد أحد علماء مدينة خوقند.. ولما تولى أمر هذه القبيلة سنة ٦٥٤ هـ (١٢٥٦ م) جعل كل جنوده من المسلمين واجتهد في نشر الاسلام في افراد قبيلته..

وكان التنافس شديداً بين النصارى والمسلمين لاكتساب المغول، القوة العالمية الجديدة الى صفهم وفي أول الامر بدا أن بابا روما سيكسب الجولة اذ تزوج هولاكو من نصرانية بل أن جنكيز خان نفسه تزوج نصرانية.. وكذلك فعل اوجتاي بن جنكير خان ثم ابنه كيوك ابن اوجتاي والذي تولى أمر المغول وهو الذي حرض هولاكو على غزو بغداد.. وكذلك فعل ابن هولاكو اباقا الذي دخل النصرانية.. أما تكودار ابن هولاكو الثاني فقد تحول من النصرانية الى الاسلام ولذا قتله ابن اخيه أرغون ابن اباقا الذي كان شديد العداء للاسلام.

وفي عهد بركة خان ٦٥٤ - ٦٦٥ هـ (١٢٥٦ - ١٢٦٧ م) انتشر الاسلام انتشاراً واسعاً في القبيلة الذهبية.. وتعاون هذا السلطان المغولي المسلم ضد ابن عمه هولاكو ووقف مع الظاهر بيبرس في حربه مع طاغية المغول هولاكو. وكانت حاضرة الاسرة الذهبية مدينة السرا على ضفاف نهر الفولجا.. وكان من هذه الاسرة السلطان اوزبك الذي آل اليه امرها عام ٧١٣ - ٧٤١ هـ (١٣١٣- ١٣٤٠ م) وفي عهده كانت كثير من مناطق روسيا قد تحولت الى الاسلام ومنها حوض نهر الفولجا

وشبه جزيرة القرم.

وقد زار الرحالة الاسلامي المشهور ابن بطوطة السلطان محمد أوزبك وقال عنه: «وهذا السلطان عظيم المملكة شديد القوة كبير الشأن رفيع المكانة قاهر لاعداء الله اهل قسطنطينية العظمى مجتهد في جهادهم.. وبلاده متسعة ومدنه عظيمة منها الكفا والقرم والماجر وأزاق وسرادق وخوارزم وحاضرته السرا.

«وهو أحد الملوك السبعة الذين هم كبراء الدنيا وعظماؤها وهم: مولانا أمير المؤمنين ظل الله في أرضه امام الطائفة المنصورة الذين لا يزالون ظاهرين على الحق الى قيام الساعة أيد الله أمره وأعز نصره وسلطان مصر والشام وسلطان العراق والسلطان أوزبك هذا وسلطان بلاد تركستان وما وراء النهر وسلطان الهند وسلطان الصين..»

ووصف ابن بطوطة المدن الكبيرة التي في حوزة هذا السلطان ومنها مدن شبه جزيرة القرم وهي كفا والقرم وسرادق التي سننقل ما قاله عنها وسنترك المناطق الاخرى التي ذكرها الى محله.

قال يصف مدينة الكفا التي تقع في أضيق نقطة بين البحر الاسود وبحر أزوف: «وهي عظيمة مستطيلة على ضفة البحر يسكنها النصارى واكثرهم الجنويون ولهم امير يعرف بالدمدير ونزلنا منها بمسجد المسلمين وطفنا المدينة ورأيناها حسنة».

ويصف مدينة القرم التي تقع غرب مدينة كفا «وهي مدينة كبيرة حسنة من بلاد السلطان المعظم محمد أوزبك خان وعليها أمير من قبله اسمه تلكتمور».

ووصف مدينة سرادق التي تقع جنوب مدينة القرم.. كما وصف المدن الواقعة على بحر أزوف وهي مدينة أزوف.. ووصف مدينة الماجر التي تقع على نهر الدون على البحر الاسود شرق أزوف كما وصف

مدينة السرا على نهر الفولجا.. واستراخـان ومـدينـة البلغـار.. وذكر مساجـدهـا وسعتهـا ومدارسها.. **ووصف الروس بقوله: نصارى شقر الشعور زرق العيون قباح الصور أهل غدر.**

وتوالى استقرار التتار المسلمين في شبه جزيرة القرم منذ ذلك الوقت المبكر الذي زارها فيه ابن بطوطة (أوائل القرن الثامن الهجري حيث ابتدأ ابن بطوطة رحلته عام ٧١٥ هـ) في عهد السلطان محمد أوزبك ٧١٣ هـ الى ٧٤١ هـ أي (١٣١٣ م الى ١٣٤٠ م)..

ولم يكتمل القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) الا وكانت جزيرة القرم اسلامية خالصة واصبح للقرم سلطان خاص بها من التتار...

وعندما ضعف أمر التتار في روسيا وحوض نهر الفولجا واستولى إيفان الرهيب على عاصمتهم قازان القريبة من موسكو عام ٩٦٠ هـ (١٥٥٢ م) وفي نفس العام استولى إيفان على أرض الشوفاش وبلاد ماري وموردوف.. واستولى على مدينة اوفا عاصمة بلاد البشكير سنة ٩٦٣ هـ (١٥٥٥ م)، واستراخـان (الحـاج طرخـان) ٩٦٥ هـ (١٥٥٧ م). وبـلاد الادمورت عام ٩٦٨ هـ (١٥٦٠ م) وعندما ضعف أمر المسلمين في روسيا ذاتها قام سلطان القرم الذي كان قوي الشوكة بالنسبة لبقية سلاطين التتار (الذين مزقتهم الخلافات وجعلتهم لقمة سائغة لايفان الرهيب بحيث استطاع أن يحتل ٤٤٥,٠٠٠ كم مربعاً من أراضيهم في غضون عشر سنوات) قام سلطان القرم هذا بالهجوم على روسيا ذاتها كرد فعل على اعمال إيفان الرهيب الذي أباد المسلمين في المناطق الشاسعة التي كانوا يحتلونها حول نهر الفولجا والذي شرد الملايين منهم.. واستطاع تتار القرم عام ٩٧٩ هـ (١٥٧١ م) ان يحتلوا منطقة الدونتز.. وان تصل جيوشهم الى موسكو ذاتها.. ولكن الخلافات مزقت سلاطين التتار فعاد

الروس من جديد وانتزعوا الاراضي التي حررها تتار القرم من روسيا وذلك عام ١٠٩١ هـ (١٦٨٠ م) ليس ذلك فحسب بل اقترب الروس من القرم ذاتها عندما احتلوا منطقة آزوف عام ١١٠٧ هـ (١٦٩٥ م). وعندئذ استنجد تتار القرم بالسلطان العثماني فنزلت القوات العثمانية لحماية القرم ذاتها واستلموا مضيق كرش الهام من تتار القرم للدفاع عنه.. وقامت القوات العثمانية باسترداد آزوف سنة ١١٢٣ هـ (١٧١١ م) وبنوا مدينة باغجة سراي الجميلة ذات المساجد العظيمة وجعلوها عاصمة القرم. الا أن الروس عادوا الى جزيرة القرم مرة أخرى بجحافل قوية سنة ١١٩٨ هـ (١٧٨٣ م) واحتلوا آزوف بل واحتلوا القرم ذاتها وأقام الروس مذبحة لتتار القرم وشردوا في ذلك العام نصف مليون تتاري قرمي. وذلك بعد محاولة فاشلة لاحتلالها عام ١١٩٤ هـ (١٧٧٨ م) عندما صدتهم القوات العثمانية.

وظل التتار خاضعين للحكم القيصري الذي كان يشتد في التعصب ضدهم حيناً ويرخي قبضته حيناً آخر.. ولكن الجهود المبذولة لتنصير التتار لم تتوقف قط طوال تلك العهود.. وكانت الحرب الدينية بين روسيا ممثلة الارثوذكسية بعد سقوط القسطنطينية بأيدي العثمانيين المسلمين مستمرة بين روسيا والمسلمين ولذا كان الاضطهاد بل والقتل والتشريد والتنصير بالقوة هو السمة المميزة للعهود القيصرية ما عدا فترات قليلة كان يسمح فيها بشيء يسير من الحرية الدينية كما حدث في عهد الامبراطورة كاترين.. الا أنه حتى في تلك الفترات كان ينظر لتتار القرم على انهم خونة مستعدون للتعاون مع ألدّ أعداء روسيا وهي الخلافة العثمانية..

ولذا عندما نشطت الحركة الاصلاحية في روسيا والمطالبة بالحريات الدينية والحريات المدنية وتكون الدوما (البرلمان الروسي سنة ١٣٢٣ هـ

(١٩٠٥ م) نشط المسلمون نشاطاً قوياً في كل مناطق روسيا وعلى الاخص في القرم مما جعل الحكام الروس يتخوفون من هذه الحرية ويصدرون أوامرهم الى وزير الداخلية بالحد من نشاط المسلمين وتكميم أفواههم.. ومنع فتح مساجد جديدة وتشديد الرقابة على زعمائهم..

ولهذا عندما قامت الثورة البلشفية بقيادة لينين في اكتوبر عام ١٣٣٦ هـ (١٩١٧ م) وجدت مساندة من جميع مسلمي روسيا وذلك لأن لينين كرر وعوده في خطبه ومنشوراته بأن المسلمين سيحظون بالحرية الدينية الكاملة بل وبالاستقلال الذاتي في شئون دولتهم.. بل وأيد لينين عندئذ قيام دولة مستقلة للمسلمين فأيد عندئذ قيام دولة القرم الاسلامية التي أعلنت عام ١٣٣٦ هـ (١٩١٧ م) والتي أجريت فيها أنتخابات عامة لأول مرة لاختيار حكومة وطنية وكانت تلك الثورة بقيادة الزعيم التتاري القرمي شلبي وسيطرة حزب (ملي فرقة).. وفي يناير ١٣٣٧ هـ (١٩١٨ م) احتلت البحرية السوفيتية مدينة سمفروبول القرمية بعد هجوم مفاجيء ولكن الالمان طردوهم منها ثم جاءت قوات دينكين الذي قاومه بشدة أهل القرم.. ولم يحاول لينين في ذلك الوقت اخضاعها مباشرة.. وإنما ابتدأ بمحاربة قوات روسيا البيضاء وطلب مساعدة المسلمين وخاصة مسلمي القوقاز فلما تم له القضاء على قوات دينكين وكولشاك الذي كانت تسانده قوات الحلفاء اصدر لينين في أبريل (نيسان) سنة ١٣٣٧ هـ (١٩١٨ م) امراً بالزحف على البلاد الاسلامية التي كانت واقعة تحت سيطرة القياصرة من قبل. فبدأ بشمال القوقاز وجمهورية أوديل اورال وخانية خوقند.. وتم اخضاع هذه المناطق قبل انتهاء عام ١٣٣٧ هـ (١٩١٨ م) وفي عام ١٣٣٨ هـ (١٩١٩ م) استولى لينين على جمهورية الاشي.. وفي أبريل سنة ١٣٣٩ هـ (١٩٢٠ م) استولى على اذربيجان وفي نفس العام توجهت جحافل قواته الى القرم فواجه مقاومة شديدة واعتصم اهلها بالجبال وبدأت حرب

عصابات مروعة. وعندئذ فرضت القوات البلشفية الروسية الحصار الشديد على أهل القرم حتى انتشرت المجاعة. وقد نشرت جريدة ازفستيا في عددها الصادر ١٥ تموز سنة (١٣٤١ هـ) (١٩٢٢ م) تقريراً للرفيق كالينين الذي تولى أمر القرم ما يلي: (بلغ عدد الذين أصابتهم المجاعة في يناير ١٣٤١ هـ (١٩٢٢ م) ٣٠٢,٠٠٠ مات منهم جوعاً ١٤,٤١٣ وفي مارس أصيب ٣٧٩,٠٠٠ بالمجاعة مات منهم بالمسغبة ١٩,٩٠٢ شخصاً وفي ابريل بلغ عدد الذين اصابتهم المجاعة ٣٧٧,٠٠٠ مات منهم ١٢,٧٥٤ وفي يونيه بلغ عدد الذين أصابتهم المجاعة ٣٩٢,٠٧٢. ومن هذا التقرير يتضح ان من أصيبوا بالمجاعة الشديدة اكثر من مليون تتاري قرمي في خلال الأشهر الستة الأولى من عام ١٣٤١ هـ (١٩٢٢ م) مات منهم بسبب الجوع اكثر من ستين ألفاً بينما يقول تقرير رفعه الفارون من الاتحاد السوفيتي الى عصبة الأمم أن الذين لقوا حتفهم في هذه المجاعة كانوا أكثر من مائة الف مسلم.

وجاء في تقرير الرفيق كالينين الذي نشرته أزفستيا في ١٥ تموز سنة(١٣٤١هـ)(١٩٢٢ م) «أن أكل لحوم الأطفال بل والموتى لم يكن من الحوادث المستغربة اثناء تلك المجاعة» وكان سكان القرم عندما دخلت القوات الروسية البلشفية خمسة ملايين نسمة من التتار المسلمين أبيد أكثرهم حتى لم يبق عام ١٣٥٩ هـ (١٩٤٠ م) الا نصف مليون فقط[1].. وكان المفروض ان يزدادوا خلال عشرين عاماً لا أن يقلوا ولكن نتيجة الحكم الارهابي الدموي الاحمر والبطش الشيوعي الذي هان بجانبه بطش القياصرة فإن سكان القريم كانوا يموتون جوعاً وقتلا وسحلا ويفر من يستطيع منهم الفرار حتى أصبح عددهم خلال عشرين عاماً من هذا

(١) كتاب الكيد الأحمر لعبد الرحمن حسن حنبكة الميداني وكتاب الاسلام في وجه الزحف الاحمر للشيخ حسن الغزالي.

الحكم الرهيب خمسمائة الف نسمة فقط.

وكان في القرم عند دخول قوات لينين ١٥٥٨ مسجداً حطمت جميعاً وحولت الى نـواد واصطبلات ومتاحف ما عدا بضعة مساجد ابقيت للعبرة.. حتى الجوامع الاثرية مثل جامع حان وجامع اصماقيو وجامع طوزيازار هدمت وحطمت أو حولت الى متاحف[١].

ورغم أن القرم بعد المجاعة اظهرت استسلامها للحكم البلشفي الرهيب وأظهرت الخضوع ووافق لينين على أن يجعل لها حكومة لها تصريف للشئون المحلية وجعل رئيس هذه الجمهورية الشيوعي الهنغاري (بالاكون) وعرفت هذه الجمهورية باسم جمهورية القرم (كريميا) الآسيوية الاشتراكية السوفيتية.

واستمـر بالاكون في سياسة تهجير أهل القرم من التتار واحلال روس وسلاف واوكرانيين وبلغار محلهم. ورغم انخراط بعض سكان اهل القرم في الحزب الشيوعي وتظاهرهم بالشيوعية حتى وصل بعضهم الى رئاسة جمهورية القرم بعد بالاكون مثل ولي ابراهيم إلا أن لينين قام بقتل رئيس الجمهورية هذا وجميع وزرائه عام ١٣٤٧ هـ (١٩٢٨ م) وفي عام ١٣٤٩ هـ (١٩٣٠ م) قتلوا رئيس الجمهورية محمد قوباي مع جميع وزرائه وفي عام ١٣٥٦ هـ (١٩٣٧ م) تكررت نفس القصة والمشهد الاليم حيث قام قياصرة روسيا البلاشفة بإعدام رئيس الجمهورية الياس طرخان مع جميع أعضاء حكومته.

ونتيجة لما قاساه تتار القرم من اهوال على يد البلاشفة الروس كان موقفهم في مقاومة الالمان ضعيفاً ولذا استسلم الفيلق القرمي البالغ عدده ثمانية عشر ألفاً للألمان بعد مقاومة بسيطة على أمل أن ذلك ربما جعل

---

(١) كتاب الكيد الأحمر لعبد الرحمن حسن حنكبة الميداني وكتاب الاسلام في وجه الزحف الأحمر. للشيخ حسن الغزالي.

الالمان يعطفون عليهم.. ويعاملونهم معاملة طيبة.. ولكن ما أن علم الالمان ان هذا الفيلق هو من المسلمين حتى منعوا عنهم الطعام وحبسوهم في زنزانات قذرة صغيرة وجعلوا في كل زنزانة مئات الاسرى دون طعام أو شراب فبدأوا يتساقطون واحداً اثر الاخر من المجاعة بعد ان كانوا يحاولون أكل الجدران الخالية وكشط ما بها من دهان بأسنانهم ولما لاحظ مسئولو هذه السجون ان عدد الموتى بدأ يقل بعد فترة بدلا من ان يزيد اكتشفوا ان هؤلاء الاسرى بدأوا يأكلون جثث رفاقهم.. عندئذ أمرت الضابطة الالمانية التي كانت مسئولة عنهم بمجازاتهم على أكل لحوم الموتى من اخوانهم ورفاقهم بقتلهم جميعاً بالرصاص[1].. وبذلك تم لالمانيا قتل ثمانية عشر الف تتاري قرمي. والغريب حقاً أن ستالين استشاط غضبه لاستسلام الفيلق التتاري القرمي ورغم استسلام مناطق كثيرة من روسيا للالمان إلا أنه بعد نهاية الحرب صب جام غضبه على تتار القرم المسلمين.. فأمر بقتل وطرد نصف مليون تتاري واخراجهم جميعاً من بلادهم وتهجيرهم الى سيبيريا.. وذلك سنة ١٣٦٤ هـ (١٩٤٥ م)[2]..

وفي هذه المحنة الأخيرة سقط مئات الالاف أثناء رحلة الموت والعذاب.. وبقي الباقون يتيهون في مجاهل سيبيريا..

والى هذه اللحظة فإن القوانين الروسية تمنع أي فرد من سكان تتار القرم بالعودة الى موطنه واذا اكتشفت مثل ذلك الشخص فإنه يعاقب بالسجن والضرب واعادة تهجيره...

ولأول مرة في التاريخ يهجر شعب بكامله من موطنه بحيث لا يبقى شخص واحد منه ليحل محله أمة مستعمرة قاسية وجبارة عاتية..

ورغم أن مجلس السوفييت الأعلى برأ التتار القرميين من تهمة التعاون مع النازي وذلك في القرار الصادر في الخامس من سبتمبر عام

---

(١) و(٢) المسلمون تحت السيطرة الشيوعية لمحمود شاكر.

١٣٨٧ هـ (١٩٦٧ م) إلا أن التتار القرميين لا يزالون يعانون من التشريد والاضطهاد. ولا يزالون يمنعون من العودة الى وطنهم.. واذا اكتشف ان شخصاً منهم قد عاد سراً فإنه يرحل على الفور الى مجاهل سيبيريا ويهدم منزله.. وهذه هي ممارسات اسرائيل في فلسطين، بل هي أشد اذ أن هناك أكثر من مليون فلسطيني داخل الأرض المحتلة بينما لم يبق قرمي (كريمي) واحد في بلاده الا اذا كان ذلك خافياً على السلطات هناك.. وتعاقب السلطات كل من يؤوي أو يؤجر أو يبيع مسكناً لأي تتاري قرمي بموجب القرار رقم ٧٠٠ الصادر في اغسطس عام (١٣٩٨ هـ) (١٩٧٨ م).. وحتى في منفاهم في سيبيريا فإن اللغة التترية القرمية قد حوربت ولا يدرس لأطفال هؤلاء القرميين الا باللغة الروسية أو اللغات الاخرى الموجودة في تلك المناطق وبالحرف الروسي.. ولقد اختفى ذكر التتار القرميين من الاحصائيات الرسمية الصادرة سنة ١٣٧٩ هـ، ١٣٩٠ هـ (١٩٥٩ م، ١٩٧٠ م) ١٣٩٩ هـ (١٩٧٩ م) اذ لا يعتبر لهم الان أي وجود رسمي..

سيبيريا: يطلق اليوم اسم سيبيريا على كل الاراضي التي تقع شمال تركستان والصين الى المحيط المتجمد الشمالي.. وشرق القارة الاوربية حتى سواحل المحيط الهادي في أقصى الشرق..

وهي بذلك تشبه قارة اذ تبلغ مساحتها ١٢ مليون كم^{2} تغطي الثلوج معظم أراضيها.

وهي مناطق سهلية في الغرب بينما تشكل المرتفعات معظم اجزائها في الشرق. وتسيل مياهها من الجنوب الى الشمال على شكل أنهار غزيرة تتجمد مياهها في الشتاء لشدة البرد الذي يسود هذه المنطقة..

وتشكل الصحاري الثلجية مساحة واسعة من سيبيريا بينما تغطي الغابات الصنوبرية مساحة محدودة..

وتنتقل في هذه الارجاء الواسعة قبائل تختلف وسائل حياتها بين منطقة وأخرى ولكنها ترجع جميعا الى الجنس المغولي.

لم يترك الدعاة المسلمون هذه القبائل منذ فترة مبكرة من التاريخ الاسلامي.. وكان الدعاة الى الله من الصوفية يخرجون اليهم من خوارزم وبخارى وطشقند ليدعوهم الى الله..

وقد انضوت سيبيريا تحت راية الحكم الاسلامي عندما استطاع كوتشم خان أحد أمراء القبيلة الذهبية التي اسسها باتو ابن جوجي ابن جنكيز خان والتي دخلت الاسلام في عهد بركه خان (٦٥٤ - ٦٦٥ هـ) (١٢٥٦ - ١٢٦٧ م)، أن يتولى أمرها.

وقد غزا كوتشم خان سيبيريا وتولى أمرها عام ٩٧٨ هـ (١٥٧٠ م) أي في الوقت الذي كان فيه ايفان الرهيب يدك عروش الخانات المسلمين من التتار في قازان واستراخان واوفا ويمد سلطانه فيه عبر نهر الفولجا ونهر الاورال ويشيد بذلك امبراطورية روسية ارثوذكسية ضخمة شديدة التعصب ضد المسلمين.. وقد استطاع كوتشم خان أن ينشر الاسلام في اصقاع سيبيريا وطلب الدعاة المسلمين من بخارى وسمرقند وخوارزم فجاؤوه يلبون داعي الحق وينشرون راية الاسلام..

وكانت مناطق سيبيريا قد دخلت في الاسلام من قبل وفود كوتشم خان اليها ومنها مدينة سيبير الواقعة على نهر أوبي.. وعرفت البلاد التي تقع شرقي جبال الاورال باسم سيبيريا على اسم مدينة سيبير..

وقد كانت اطماع القياصرة تتجه لتستولي على كل الاراضي الاسلامية القريبة منهم. وفي عام ٩٨٨ هـ (١٥٨٠ م) استطاعت القوات الروسية القيصرية الاستيلاء على سيبير.. وقد رفض السلطان كوتشم (كوجم) الاستسلام وقال قولته: «لا أقبل عيش الاسير ولا موت الذليل، ولست أحزن لفقد أملاكي وإنما حزني من أجل أولئك التعساء

الذين وقعوا تحت الاستعباد الروسي ثم قاتل حتى استشهد[1] ».

ونتيجة لبعد سيبيريا عن مركز الحكم الروسي ونتيجة لطرد سكان قازان واستراخان ونفيهم الى سيبيريا ومجاهلها فقد دخل سكان سيبيريا والقبائل التي تقطن فيما بين نهري اوبي واريتش - في الاسلام وذلك في عام ١١٥٨ هـ (١٧٤٥ م).. ولم يأت القرن الثالث عشر الهجري الا وكانت جميع هذه القبائل مسلمة..

وبما ان نكبات المسلمين قد توالت في روسيا والقريم وتركستان وغيرها من المناطق فان السلطات القيصرية ثم البلشفية كانت تقوم بنفي المسلمين الى مجاهل سيبيريا..

ورغم الظروف القاسية التي يعيش فيها المسلمون المنفيون من ديارهم الا أن كثيرا منهم قام بنشر الاسلام فيمن حوله من القبائل السيبيرية.

وهكذا انتشر الاسلام في سيبيريا انتشارا عظيما.. ومنذ أن احتل القياصرة سيبيريا الغربية سنة ٩٨٨ هـ (١٥٨٠ م) قام المسلمون بعدة ثورات أشهرها ثورة سنة ١١٨٦ هـ (١٧٧٣ م) التي اضطرت القياصرة لارسال جيوش ضخمة لاخضاعها..

ورغم ان سيبيريا لا تزال في اغلبها صحاري ثلجية، الا ان الثروات الهائلة من الغاز الطبيعي والبترول جلبت الى سيبيريا مشاريع ضخمة لاستخراج الغاز الطبيعي.. وقد عقدت روسيا اتفاقات ضخمة مع المانيا الغربية وفرنسا لامدادها بكميات هائلة من الغاز الطبيعي وقد ساهمت شركات المانية وفرنسية ويابانية في عملية استخراج الغاز الطبيعي ومد خطوط انابيب ضخمة تصل سيبيريا بغرب أوروبا..

ومن مدن سيبيريا الهامة مدينة سيبير الاسلامية ومدينة ابركوتسك التي تقع بالقرب من بحيرة بايكال والتي بها مراكز صناعية للآلات وصناعة الاحذية كما ان بها مناجم للفحم والملح ويبلغ عدد سكانها أكثر

(١) كتاب الاسلام في وجه الزحف الأحمر للشيخ محمد الغزالي.

من ربع مليون أكثرهم مسلمون..

ورغم مساحة سيبيريا الشاسعة (١٢ مليون كم مربع) الا ان عدد سكانها لا يزيدون عن عشرة ملايين منهم ٢,٥ مليون من المسلمين[١] (تختلف الاحصائيات اختلافا كبيراً بين مختلف المراجع).

وتعتبر سيبيريا رغم مساحتها الشاسعة مقاطعة من مقاطعات جمهورية روسيا الاشتراكية الفيدرالية السوفيتية.. ولا تتمتع بأي استقلال ذاتي لادارة شئونها الخاصة.. بل تتبع مباشرة الادارة المركزية في موسكو..

وقد زاد الاهتمام بسيبيريا بسبب اكتشافات البترول والغاز الطبيعي الضخمة في الآونة الاخيرة ولم تعد سيبيريا المنفى الذي تبعث اليه القيادة في الكرملين كل من يبدو منه أي مخالفة. وتنقسم سيبريا الى ثلاث مناطق:

١ - الجنوبية: وهي منطقة المراعي والغابات الصنوبرية.

٢ - المتوسطة: وهي منطقة قليلة المراعي.

٣ - الشمالية: وهي منطقة التاندورا وهي الصحراء الثلجية الكاملة.

وتبلغ درجة الحرارة خمسين تحت الصفر وهي فعلا كما وصفها كثير ممن نفوا اليها أو من العمال الذين يعملون بها (الجحيم البارد) أو الزمهرير.

ويستخرج حاليا من سيبيريا سنويا اكثر من ٣٠٠ مليون طن من البترول و١٥٠ مليار متر مكعب من الغاز و٤٥ مليون طن من الفحم الحجري وأكثر من مائة مليار كيلو واط من الطاقة الكهربائية.

ولا تعتبر سيبيريا حقل غاز أو بئر بترول فحسب بل انها ايضا

---

(١) من كتاب المسلمون في العالم تأليف الدكتور عادل طه نشر دار البحوث العلمية الكويت.

منجم ذهب كذلك وتحاول السلطات الروسية التكتم على هذه الثروة الذهبية الصفراء.

ويبدو ان روسيا قد اتجهت بكل قوتها للاستفادة التامة من هذه الثروات الهائلة التي لا يكاد يصدقها عقل.

واما **منغوليا** فيقع جزء منها في قبضة الاتحاد السوفيتي.. والجزء الآخر والأكبر يقع في قبضة الصين الشيوعية..

وما يقرب من نصف سكان منغوليا مسلمون.. ومن مدن منغوليا السوفيتية اولان باتور وأغلب سكانها مسلمون.

وقد ظهر من المغول عدد كبير من الاسر الحاكمة المسلمة.. وظهرت منهم في القرن الثالث عشر والرابع عشر الميلادي ايلخانية امتد سلطان دولتهم ليشمل جميع بلاد ما وراء النهر (أي نهر جيحون) الى المحيط الهندي ومن السند الى الفرات وآسيا الصغرى والقفقاس وازدهرت في ايامهم علوم الفلك والحساب والطب....

الفصل الثالث

سياسة الحكومة السّوفيتيّة ازاء الإسلام

لقد أسلفنا القول كيف قام لينين بخداع المسلمين والتظاهر بأن ثورته انما قامت لايقاف مظالم القيصرية الطاغية والدول الاستعمارية ضد الاسلام والمسلمين حتى وقر في نفوس كثير من المسلمين أن ثورة لينين هي منحة السماء للمسلمين في هذا القرن. بل وصلت دعاية لينين عند بدء الثورة البلشفية بأن ثورته قائمة على مبادىء القرآن وشريعة الاسلام[١].

وما أن استتب الأمر للينين بمساعدة المسلمين في كثير من مناطق الاتحاد السوفيتي واعداً اياهم بالحكم الاستقلالي والحرية الدينية الكاملة إلاّ وقلب للمسلمين ظهر المجن وابدى ما ابطن.. وبدأ الحزب الشيوعي ينفذ مخططات لينين في إبادة المسلمين ومحاربة الاسلام ومن ذلك مذبحة مارس ١٩١٨م التي راح ضحيتها في باكو (عاصمة اذربيجان السوفيتية) ثماني عشر الف مسلم..

وفي عام ١٩١٨ وبالذات في ٥ فبراير واجهت مدينة خوقند في التركستان حرب إبادة حيث قامت قوات لينين بدك المدينة الباسلة عن آخرها وقتل سكانها رجالا ونساء، شيوخا واطفالا الا من استطاع منهم الفرار بعد أن اغتصبوا الفتيات الضعيفات المسلمات، وتوالى سقوط المدن الاسلامية الثائرة في وجه لينين وعصابته فسقطت بخارى عام ١٩٢٢ وسقطت البشكير والاورال وقازاخستان في تلك الفترة.. وسقطت كذلك الداغستان بعد جهاد بطولي قاده العالم الرباني الصوفي نجم الدين غوتسو.. وواجهت القرم حرب إبادة وحصارا شاملا ادى الى المجاعة الرهيبة التي أصيب بها أكثر من مليون قرمي مسلم والذي توفي

---

(١) كتاب الاتحاد السوفيتي والعالم الاسلامي. The Soviet Union And Muslim World

فيها اكثر من مائة الف تتري قرمي مسلم حتى اضطر كثير من المسلمين لاكل الموتى وأكل الكلاب والقطط[1].

ورغم هذا فقد اعتبرت هذه الفترة الممتدة من قيام الثورة سنة ١٩١٧ الى عام ١٩٢٨ هي فترة هدوء نسبي بالنسبة للمسلمين.. بل اعتبرت الفترة التي شهدت أوج التسامح الديني من النظام الماركسي اللينيني الذي كان محتاجا لدعم المسلمين في مواجهة خصومه السياسيين والعسكريين الذين كانوا يقودون حركة روسيا البيضاء.

وفي عام ١٩٢٤ الغيت جميع المحاكم الشرعية الموجودة في جميع مناطق المسلمين كما قامت السلطات بمصادرة معظم اراضي الاوقاف الشاسعة..

وقبيل قيام الثورة أي في عام ١٩١٧ كان في الاتحاد السوفيتي ١٥,٠٠٠ مدرسة إسلامية (ابتدائية وثانوية) وفي عام ١٩٢٨ تم إغلاق جميع هذه المدارس[2].

وفي عام ١٩٣٠ صادر لينين ما تبقى من اراضي الاوقاف وجميع ممتلكاتها العقارية والمالية.

ويقول مؤلفا كتاب المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي:

«لقد ابتدأ الهجوم المباشر ضد الدين الاسلامي عام ١٩٢٨ وطال حتى اعلان الحرب العالمية الثانية وتميز باقفال معظم المساجد التي كان عددها يربو على ٢٦,٠٠٠ مسجد عام ١٩١٢ ويشرف عليها ويتولى الامامة والتدريس فيها اكثر من ٤٥,٠٠٠ رجل دين، لم يبق منها سوى الف مسجد عام ١٩٤١.

«ورافق هذا الهجوم دعاية ضخمة مناهضة للدين نظمها «اتحاد

(١) تقرير الرفيق كالينين كما نشرته ازفستيا في عددها الصادر ١٥ تموز سنة ١٩٢٢ م.

(٢) كتاب المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي تأليف بنجنيسن ولومرسييه.

المناضلين الملحدين » الذي تأسس سنة ١٩٢٥. وأخيرا بدأت في عام ١٩٣٢ الملاحقات ضد رجال الدين والمؤمنين المسلمين بتهمة الطفيلية وعرقلة مسير الثورة ثم اتهموا بالعمالة والتجسس لحساب اليابان والمانيا وانكلترا.

وفي عام ١٩٣٥ جاء في « الانسكلوبيديا الصغيرة السوفيتية تحت عنوان الاسلام ما يلخص موقف الحكومة السوفيتية من الاسلام:

« لقد كان الاسلام في روسيا القيصرية سنداً للحكومة، ساعدها في محاربة الحركة الثورية في الاقاليم المسلمة » جاعلا من نفسه أداة استغلال للجماهير الكادحة المسلمة من قبل رأسمالييها ومالكي اراضيها. وبعد ثورة اكتوبر اصبح الاسلام العلم الذي ترفعه العناصر المناهضة للثورة من الجمهوريات الشرقية من الاتحاد السوفيتي.

أما رجال الدين المسلمين فما انفكوا يكافحون سراً وجهراً ضد النظام السوفياتي وحاول بعضهم تزييف الحقائق بتصوير القرآن ككتاب إشتراكي ومحمد كمصلح اجتماعي ولقد استطاعت الثورة تحرير الجماهير الكادحة من نير الاسلام الذي دام قرونا طوالا والذي لا يزال يشكل ايديولوجية الكولاك واتباع الثورة المضادة ».

وعند قيام الحرب العالمية الثانية اضطر ستالين كما هو معروف الى مهادنة جميع العناصر الدينية بعد أن تهاوت جميع معاقله امام زحف هتلر واضطر الى الاستعانة برجال الدين المسيحي والاسلامي لايقاظ روح الفداء والقتال ضد العدو النازي...

وفي يوليو ١٩٤٢ قام ستالين بمقابلة مفتي روسيا الاوربية عبد الرحمن دولاييف ووعده بايقاف الدعاية الالحادية الموجهة ضد الدين الاسلامي في مقابل دعم المسلمين للمجهود الحربي السوفيتي واشتراكهم القوي في صفوف الجيش الستاليني.

ورغم ما يسمى بفترة التسامح الديني في الحرب العالمية الثانية الا أن ستالين قام في نهاية الحرب بجرائمه المشهورة حيث اباد وطرد عدة شعوب إسلامية من موطنها ونفاها الى سيبيريا حيث مات منهم الآلاف اثناء رحلة العذاب كما مات منهم عشرات الآلاف في ثلوج سيبيريا.

وهذه الشعوب التي عانت من جرائم ستالين الرهيبة هي:

١ - **شعب القرم** حيث قام ستالين بابادة وطرد جميع سكان القرم ورغم ان مجلس السوفيت الاعلى قد نفى عن تتار القرم تهمة الخيانة في القرار الصادر في ٥ سبتمبر ١٩٦٧ الا أن التتار القرميين لا يزالون يمنعون من العودة الى وطنهم الى هذه اللحظة (يوليو ١٩٨٢).

٢ - **الكاراتشاي**: وهي منطقة تقع في شمال القوقاس وقد قام ستالين عام ١٩٤٤ بنفي شعب الكاراتشاي الى سيبيريا.. وقام مجلس السوفيت الاعلى في عهد خروشوف بتبرئة الكاراتشاي من التهم التي الصقها بهم ستالين ورد اليهم اعتبارهم وسمح لهم بالعودة الى وطنهم.

٣ - **شعب البلكار**: وقد قام ستالين بنفي شعب البلكار كذلك في نهاية الحرب العالمية الثانية الى مجاهل سيبيريا وقد نفت الحكومة السوفيتية عنهم هذه التهمة في ٩ يناير ١٩٦٨ وسمح لهذا الشعب المسلم بالعودة الى وطنه.

٤ - **الشاشان**: ويعيش هؤلاء في شمال القوقاس.. وقد قام ستالين بنفي شعب الشاشان بأكمله بعد أن أباد عشرات الآلاف منهم الى سيبيريا بتهمة الخيانة وذلك في ٢٣ فبراير ١٩٤٤ والغى ستالين جمهوريتهم ووزع اراضيها على جمهورية جورجيا وقد قام مجلس السوفيت الاعلى بتبرئة شعب الشاشان والاينغوش من تهمة التعاون مع النازي وسمح لهم بالعودة الى وطنهم عام ١٩٥٧.

وهكذا تتضح بشاعة الحكم السوفيتي الشيوعي فيما يسمى فترة

التسامح الديني الثانية التي ميزت حكم ستالين!! وقد جاء في الانسكلوبيديا السوفيتية الكبيرة تحت مادة إسلام ما يلي:

«لعب الاسلام دائما مثل كل الديانات الأخرى دورا رجعيا كأداة للقمع الروحي للعمال بواسطة الطبقات الطفيلية المحلية وكوسيلة لاستغلال شعوب الشرق بواسطة المستعمرين الاجانب.

وبعد انتصار ثورة اكتوبر الكبرى في روسيا واثناء الحرب الأهلية والتدخل الاجنبي استخدم الاسلام من قبل الثورة المضادة والامبرياليين لمحاربة الدولة السوفيتية.

وخلال مرحلة بناء الاشتراكية، سعت الطبقات المستغلة (بكسر الغين) الى استخدام الاسلام لمحاربة الاشتراكية وقاد رجال الدين المسلمين العملاء الصراع ضد التشريع السوفيتي حول العائلة والزواج وقاوموا تحرير المرأة ودافعوا عن ارتداء الحجاب واستخدموا القرآن والشريعة الاسلامية لمقاومة الانظمة الاشتراكية السوفيتية.. والاسلام في الاتحاد السوفيتي هو من مخلفات ايدلوجيات المستغلين.. ويستخدم الامبرياليون الاسلام لمحاربة الحركات الثورية وحركات التحرر الوطني في البلدان الاسلامية».

ويقول بينجنسن ولومرسييه أن صعود خروتشوف الى سدة الحكم كان بداية لحملة جديدة عنيفة ضد الاسلام ودامت هذه الحملة من سنة ١٩٥٤ الى عام ١٩٦٤ واقفلت في هذه الفترة معظم ما بقي من المساجد المفتوحة فقد هبط عدد المساجد المفتوحة من ١٥٠٠ مسجد في عام ١٩٥٨ الى أقل من خمسمائة مسجد عام ١٩٦٥. وأعلنت حملة عنيفة ضد الدين الاسلامي وجند لخدمتها كل أجهزة الاعلام من صحافة وإذاعة وتلفزيون وسينما ومسرح وكتب ونشرات ومحاضرات. وطبع في تلك الفترة ١٢٩ كتابا مناهضا للاسلام وترجمت هذه الكتب الى جميع اللغات

واللهجات التي يتحدثها مسلمو الاتحاد السوفيتي مثل اللغة الاوزبكية والكازاخية والداغستانية والازرية والتركمانية والقرغيزية.. الخ.

وبعد سقوط خروتشوف اصبحت الحملة ضد الاسلام أقل غوغائية واكثر تنظيما.. على اعتبار ان هذه الحملات الهوجاء غير مجدية وعليه فقد نظمت هذه الحملات بصورة أكثر ذكاء وركزت على موضوع المرأة والختان والصيام وعقيدة اليوم الآخر والجنة والنار باعتبارها من الامور الغيبية التي تخدر بها الشعوب.

وتقع مهمة محاربة الدين الاسلامي في الاتحاد السوفيتي على عاتق جميع تنظيمات الحزب والدولة. ولهذا فإن دورات محاربة الدين ونشر الالحاد تنتشر ابتداء من المزرعة الجماعية مرورا بنقابات العمال وانتهاء بالجامعة.

وقد كلفت النقابات العمالية والمزارع الجماعية وفروع معهد «ماركس وانجلز ولينين» في جميع انحاء الاتحاد السوفيتي بتنظيم دورات لمحاربة الدين ونشر الالحاد ويخضع الاطفال منذ دخولهم روضة الاطفال في سن الثالثة الى آخر مراحلهم الدراسية الجامعية لحملات منظمة لزرع الالحاد ومحاربة التدين.. ولقد تمركزت الدعوة المناهضة للدين تحت إدارة «معهد ماركس وانجلز ولينين» و«جمعية نشر المعارف السياسية والعلمية» التي تضم فروعا في كل جمهورية ومنطقة ومقاطعة.. ويستخدم في هذه الدعاية عشرات الآلاف من الموظفين الحزبيين الذين يكلفون الدولة مئات الملايين كل عام.

ورغم كثافة هذه الدعاية المناهضة للاسلام وتنوعها الا ان المسئولين السوفيت يشكون من اللامبالاة واحيانا العداء الذي يظهره المسلمون ضد أي هجوم ضد الاسلام. ويذكر كتاب «المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي» أن استفتاء قد أجري عام ١٩٧٨ في جمهورية

الشاشان اينغوش ظهر فيه ان ٢٠ بالمئة فقط من السكان المسلمين يحبذون الالحاد بينما كان الثامنون بالمئة الباقون ضد الالحاد.

وتركز الحملات الشيوعية هجومها ضد الاسلام على اعتبار انه افيون الشعوب ويلهي الجماهير الكادحة عن الصراع الثوري بانتظار الجزاء في الآخرة والعيش في الجنة وأن الاسلام دين رجعي ضد كل تقدم ومعيق للانطلاق الاشتراكي الخ..

كما تركز هذه الحملات دعايتها ضد الاسلام الذي جاء به العرب الهمج اتباع محمد فغزوا المناطق الحضارية من التركستان والداغستان وفرضوا على هذه الشعوب الاسلام بحد السيف.

وكذلك تقوم الحملات ضد الاسلام الاجتماعي باعتباره الدين الاكثر رجعية ومحافظة في العالم والذي يحتقر المرأة.. وينشر الامراض بواسطة الختان وصوم رمضان..!!

أما الصلوات الخمس فهي أداة لاضاعة الانتاج.. واما أضاحي العيد فهي من أكبر الجرائم لانها تضيع الثروة الحيوانية للمجتمع السوفيتي !!.

وهكذا تستمر الحملات المنظمة المدروسة ضد الاسلام وقد أدت هذه الحملات المكثفة على مدى ستين عاما أو تزيد الى ايجاد أجيال من ذراري المسلمين ضائعة تائهة أو كافرة ملحدة وليس من المستغرب بعد هذه الاهوال التي لاقاها المسلمون في الاتحاد السوفيتي ان يصبح كثير من ابنائهم ملحدين أو شاكين أو ضائعين تائهين. بل الغريب حقا هو ان يوجد رغم تلك الظروف الحالكة الخانقة مجموعات من الشباب قوية الايمان راسخة العقيدة رغم كل تلك المطارق على الرؤوس والادمغة التي تدمغها بالالحاد مند سن الثالثة في الروضة الى سن الشباب في الجامعة بل الى الرجولة والكهولة في المصنع والمزرعة.

وقد نشرت الصحف مؤخراً خبراً مفاده ان ثلاثة من الجنود السوفييت من المناطق الاسلامية اكتشفتهم السلطات الروسية وهم يقرأون القرآن سراً في أفغانستان فنفذت فيهم حكم الاعدام.. وهي العقوبة المفروضة على كل من يقرأ القرآن من ذراري المسلمين في الاتحاد السوفيتي.

ولكن الله غالب على أمره «ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين».

الفصل الرابع

القوقاس (قفقاسيا)

تعد جبال القوقاس الحد الفاصل بين آسيا وأوربا ولهذا تقسم بلاد القوقاس الى جزئين رئيسيين:

١ - الجزء الشمالي يقع ضمن قارة أوربا.

٢ - القسم الجنوبي ويقع في أقصى الغرب من قارة آسيا.

ويحد القوقاس من الشرق بحر قزوين (بحر الخزر أو بحر الديلم أو بحر باكو أو بحر شروان وهي أسماء مختلفة لبحر قزوين).. أما من الغرب فيحد القوقاس البحر الاسود.. ويحدها شمالا جبال القوقاس العالية الذرى وسفوحها الشمالية ويجري في المنطقة الشمالية نهر أتراك وكوبان اما في المنطقة الجنوبية فيجري فيها نهرا كورا وريفون مع روافدهما الكثيرة..

وجبال القوقاس شاهقة الارتفاع صعبة الاجتياز قليلة الممرات تمتد على طول ١٢٠٠ كم لتصل ما بين البحرين الاسود في الغرب والخزر (قزوين) في الشرق.. ويصل ارتفاعها في منطقة البروز الى ٥٦٣٠ م.. وقممها دائمة الثلوج مثل قمة ماروخ..

وأما ممراتها فهي قليلة وأهمها ممر دريال الذي يجري فيه أحد روافد نهر أتراك.. وتبلغ مساحة القوقاس ٣١٤,٤٠٠ كم مربع اما عدد سكانها فلا يزيدون عن ١٥ مليون..

وتضم القوقاس شعوبا مختلفة متباينة وانضمت اليهم على مر العصور عناصر عرقية مختلفة مثل التتار والعرب والأتراك. وقد خضعت معظم مناطق القوقاس لسيطرة الدولة البيزنطية ما عدا بعض المناطق الجنوبية الشرقية فخضعت للدولة الساسانية الفارسية.. ومن قبل قامت فيها دولة ميديا في القرن السابع قبل الميلاد ثم استولى عليها الاسكندر المقدوني ثم

ظهرت الدولة البيزنطية واستولت على آغلب مناطقها بينما استولت الدولة الساسانية الفارسية على المناطق الجنوبية الشرقية.. وعندما ظهر الاسلام وانتصر المسلمون في معركة القادسية ونهاوند على الدولة الساسانية وفي معارك الشام واليرموك على الدولة البيزنطية وذلك في عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب انداحت الجيوش الاسلامية لتغزو القوقاس الشرقي الجنوبي..

فتح القوقاس:

وقد أرسل الخليفة الراشد عمر بن الخطاب قائده عياض بن غنم سنة ١٩ هـ (٦٣٩ م) لفتح مناطق أرمينية وبلاد الكرج (جورجيا). وأرسل عياض بن غنم أربع فرق لفتح هذه المناطق.. واشتهر حبيب بن مسلمة بفتوحاته الباهرة وبانتصاراته الرائعة على الروم..

أما اقليم أذربيجان الواقع في شمال ايران حاليا فقد فتحه الصحابي الجليل حذيفة بن اليمان صاحب سر رسول الله ﷺ سنة ١٨ هـ (٦٣٨ م) ثم ولى عمر بن الخطاب أمر أذربيجان الى عتبة بن فرقد السلمي فواصل فتوحاته فيها حتى وصل الى اقليم أران المعروف حاليا باسم جمهورية أذربيجان السوفيتية والواقع في جنوب شرق القوقاس..

وشارك سليمان بن ربيعة أيضاً في فتح مناطق من أذربيجان السوفيتية..

ولم يأت عام ٢٤ هـ (٦٤٤ م) الا وقد خضعت مناطق واسعة من القوقاس للحكم الاسلامي ورضيت بدفع الجزية وتلك المناطق هي أران المعروفة اليوم باسم جمهورية أذربيجان السوفيتية وكرجستان (أي جمهورية جورجيا السوفيتية) وجمهورية أرمينيا السوفيتية.. أي ان الإسلام قد وصل الى الحدود الشمالية للقوقاس.. ووقف عند جبال القوقاس العالية الذرى في فترة وجيزة من الزمن حيث أن تلك الفتوح

بدأت عام ١٨ هـ (٦٣٨ م) ووصل المسلمون الى شمال القوقاس خلال ست سنوات فقط أي عام ٢٤ هـ (٦٤٤ م).

ورغم أن هذه المناطق قد شهدت انتفاضات ضد الحكم الاسلامي في فترات متقطعة الا أنها منذ عهد معاوية ابن أبي سفيان وبقيادة حبيب بن مسلمة ثم بعد ذلك بقيادة الأمير الأموي الشجاع محمد بن مروان ثم ابن اخيه مسلمة بن عبد الملك بن مروان كانت مناطق اسلامية.. وقد كانت سياسة المسلمين المتسامحة المتساهلة مع السكان النصارى هي الباعث لوقوف الاسر النصرانية الارمينية والكرجية مثل الاسرة البكراطية في صف المسلمين ضد الامبراطورية البيزنطية المسيحية الارثوذكسية..

وذلك لأن نصارى بيزنطة كانوا يسيمون أخوانهم في العقيدة من الأرمن الخسف والهوان ويصادرون كنائسهم وأوقافها لأنها كانت في خلاف شديد معهم حول طبيعة المسيح عليه السلام.. فقد كانت بيزنطة تتزعم القائلين بالطبيعة الواحدة للمسيح بينما كان الكاثوليك من الأرمن يقولون بالطبيعتين للسيد المسيح أي الطبيعة الإلهية والطبيعة البشرية..

وعلى أي حال فقد رضي هؤلاء السكان بالحكم الاسلامي ووقفوا في كثير من الأحيان في صفه ضد الامبراطورية البيزنطية الظالمة الغاشمة...

وكانت هناك عدة دويلات نصرانية تدفع الجزية للخلافة الاموية ثم العباسية.. وأشهرها حكومة الاسرة البكراطية الكرجية (من جمهورية جورجيا الحالية) والتي حكمت معظم مناطق أرمينية وكرجستان (جورجيا) كما كانت هناك حكومة اللان التي كانت تحكم قبائل القوشحة (القوصحة) في المنطقة المعروفة حاليا باسم أوستين الجنوبية والشمالية

وهي منطقة تقع في وسط القوقاس، في حدوده الشمالية.. وتتبع أوستين الجنوبية حاليا جمهورية جورجيا وأغلب سكانها لا يزالون على نصرانيتهم أما أوستين الشمالية فتتبع موسكو مباشرة لأن سكانها قد تحولوا جميعا الى الاسلام...

أما الداغستان التي تقع شمال أذربيجان على طول الساحل الغربي لبحر الخزر فقد كانت فيه دولة نصرانية تعرف بدولة (السرير).

وتقع الداغستان في الشمال الشرقي للقوقاس وقد تحول الداغستان جميعا الى الإسلام واختلطوا بالقبائل العربية اختلاطا شديدا.. وعاصمتهم (باب الابواب) أو مدينة (دربند) مدفون فيها كثير من الصحابة حيث فتحت في اواخر عهد عمر رضي الله عنه[1] ثم في عهد عثمان رضي الله عنه ثم واصل مسلمة بن عبد الملك بن مروان فتوحاته فيها سنة ١٠٥ هـ (٧٢٣ م) وفي الداغستان (الطاغستان) كثير من القبائل العربية بل وفيهم مجموعة كبيرة من السادة الذين ينتسبون الى سبطي رسول الله ﷺ الحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة..

(١) جاء في كتاب الفتوحات الاسلامية لعلامة مكة السيد أحمد زيني دحلان عن فتح مدينة الباب (وتسمى أيضاً باب الابواب كما تدعى دربند) ففي هذه السنة أعني سنة ٢٢ هـ أمر عمر رضي الله عنه سراقة بن عمرو وكان يدعى ذا النور بالمسير الى الباب فجعل على مقدمته عبد الرحمن بن ربيعة الباهلي وكان له صحبة وكان أيضاً يدعى ذا النور. وجعل على أحد مجنبتيه حذيفة بن سعيد الغفاري وعلى الأخرى بكير بن عبد الله الليثي. وكان بكير سبقه الى الباب وجعل على القاسم سليمان بن ربيعة الباهلي فسار سراقة فلما خرج من أذربيجان قدم بكير الى الباب.. ثم يعرض المؤلف كيف أن ملك الباب شهريار صالح المسلمين وقال لهم أنا منكم ويدي مع ايديكم والنصر لكم فلا تسوموننا الجزية فقبل منه سراقة ومنع الحزية عمّن يحارب العدو وأخذ الجزية ممن لا يحارب وكتب سراقة بذلك الى عمر رضي الله عنه فوافقه على ذلك.

ولما فرغ سراقة من الباب (دربند) أرسل بكير بن عبد الله وحبيب بن مسلمة وحذيفة بن أسيد وسلمان بن ربيعة الى أهل تلك الجبال المحيطة بأرمينية فوجه بكيراً الى موقان وحبيباً الى تفليس (وهي عاصمة كرجستان أو ما يسمى اليوم بجمهورية جورجيا السوفيتية الاشتراكية) وحذيفة الى جبال اللان (في اوستيينا الجنوبية وهي في شمال القوقاس) وسلمان الى الوجه الاخر. وفتح بكير موقان وصالحه أهلها على الجزية ومات سراقة واستخلف عبد الرحمن بن ربيعة فلما بلغ عمر رضي الله عنه ذلك أقر عبد الرحمن على الباب وأمره بغزو الترك في بلنجر في أقصى ولاية الباب فغزاهم في زمن عمر وهربوا منه وتحصنوا ورجع عبد الرحمن بالغنيمة ثم غزاهم بعد ذلك في أيام عثمان رضي الله عنه.

ويتكلم الداغستان اللغة العربية بطلاقة.. وخاصة منهم القبائل اللزكية التي تعتبر اللغة العربية لغتها وليس لهم كتابة بغيرها...

ولقد واجه المسلمون في القوقاس حروبا شرسة منذ أن دخلتها قوات القياصرة واستعصت مناطق كثيرة على القياصرة وخاصة منطقة الداغستان التي اشتهرت بمقاومتها البطولية الفذة للقوات الروسية.. والتي أخرجت لنا القاضي محمد الكمراوي المشهور باسم الغازي محمد وتلميذه الامير حمزة الخنزاجي ثم الامام المشهور محمد شامل.. وجميعهم من شيوخ الطريقة النقشبندية ومريديها والتي كان لها أكبر الاثر في اذكاء روح المقاومة لدى أهل القوقاس..

والتقسيم الحالي للقوقاس غريب وشاذ ولكنه تقسيم اعتمده الروس البلاشفة لتفتيت المسلمين هناك وحتى يضمنوا عدم تكرار الثورات الهائلة والعظيمة التي قام بها أهل القوقاس ضد روسيا القيصرية وروسيا البلشفية... وهي مقسمة الى أربعة عشر قسما منها:

ثلاث جمهوريات اتحادية سوفيتية هي:

١ - أذربيجان: وتتبعها جمهوريتان صغيرتان ذاتا حكم ذاتي هما ناختيشفيان وقرة باخ.

٢ - جورجيا: وتتبعها جمهورية اوستينا الجنوبية وأبخازيا وآجاريا..

٣ - أرمينيا:

وهناك ست مناطق تتبع روسيا مباشرة هي:

(١) داغستان
(٢) شاشان
(٣) قابرديا - بلكاريا

(٤) اوستينا الشمالية
(٥) الاديغة (الاديجة)
(٦) قارتشاي الشركسية

وسنتحدث عن هذه الجمهوريات الثلاث بالتفصيل بعد أن نتحدث عن المناطق الست الأخرى التي تتبع روسيا مباشرة..

وقد دخل المسلمون كما أوضحنا بلاد القوقاس الجنوبية في عهد عمر بن الخطاب وتوالت الفتوحات في عهد عثمان ثم في عهد معاوية وعبد الملك بن مروان.. وكانت معظم المناطق القوقازية مناطق خاضعة للنفوذ الاسلامي منذ القرن الهجري الأول أي السابع الميلادي وقد أطلق المسلمون اسم (القفجاق) و(القبق) و(القبحق) على جبال القوقاس..

وقد ألمحنا الى موقف نصارى أرمينية وكرجستان من الحرب الدائرة بين الخلافة الاسلامية في عهد الأمويين ثم العباسيين وبين الامبراطورية البيزنطية وكيف اشتركوا في القتال في عدة مواقع مع المسلمين ضد اخوانهم في العقيدة نصارى بيزنطة..

ولذا أعفيت هذه المناطق التي اشتركت في قتال بيزنطة من الجزية وأعطي لهم الحكم الذاتي كما سنورده مفصلا عند حديثنا عن أرمينية وكانت قبائل القوموق من أوائل القبائل التي دانت بالإسلام وكانت القوقاس بأكملها خاضعة للخلافة الاموية ثم الخلافة العباسية حتّى عام ٢٧٧ هـ (٨٩٠ م) حيث حكم بنو الساج قسمها الشرقي الى عام ٣٢٩ هـ (٩٤٠ م). وتقدم البيزنطيون واحتل نصارى كرجستان بالتعاون مع البيزنطيين مدينة تفليس عام ٤١٧ هـ (١٠٢٦ م)..

ولكن القائد السلجوقي الب أرسلان استطاع ان يعيد كرجستان الى السيطرة الاسلامية وذلك سنة ٤٦٥ هـ (١٠٧٤ م).. ووصل المغول المسلمون الى قفقاسيا وقامت لهم خانيات وكانوا يعرفون باسم الايلخان.

ثم استولى تيمورلنك على تلك المناطق وتعاون معه التركمان ثم قامت الدولة التركمانية بقيادة أوزون حسن وكانت قفقاسيا والاناضول الشرقي جزءا من ممتلكاتهم..

وبدأت روسيا القيصرية تتوسع منذ عهد ايفان الرهيب وتقضي على الخانيات التترية الاسلامية الموجودة في قازان واستراخان وامتد نفوذ الامبراطورية الروسية في عهد بطرس الملقب بالعظيم وفي عهد كاترين حتى وصلوا الى القرم والى القوقاس..

وقد أعلنت روسيا نفسها حامية لنصارى كرجستان عام ١١٩٨ هـ (١٧٨٣ م) ثم ضمتها اليها نهائيا بعد حروب ضارية قادتها ضد العثمانيين والدولة الصفوية الشيعية والامراء المحليين وسيطرت روسيا على كرجستان والداغستان والشاشان عام ١٢١٥ هـ (١٨٠٠ م)..

وقامت ثورة الشيخ شامل المشهورة في الداغستان والتي استمرت اكثر من ٣٥ عاما وبعد معارك ضارية أسر هذا الشيخ المجاهد الجليل سنة ١٢٧٦ هـ (١٨٥١ م) ونفي الى تركيا ومنها ذهب الى المدينة المنورة ليدفن في بقيعها بعد أن قضى ما بقي من عمره متعبدا في روضتها الشريفة.

ولقد ذكر الامير شكيب أرسلان ان سكان الداغستان يتراوح ما بين سبعة ملايين الى ثمانية ملايين وذلك عند بداية الثورة البلشفية حسب ما ذكره في كتابه حاضر العالم الاسلامي..

أما الآن وبعد مرور أكثر من ستين عاما على احتلال الشيوعيين للداغستان فان سكانها قد تناقصوا الى مليون ونصف المليون فقط بدلا من أن يزيدوا وذلك نتيجة لحرب الابادة التي شنها الشيوعيون على الداغستان مما اضطر الملايين منهم الى الهجرة الى تركيا ومنها الى مختلف الاراضي الاسلامية.

لقد قام الشيوعيون الروس بقتل جماعات كاملة من المسلمين كما

شردوا أمما أخرى ولا يزال مسلمو القوقاس يعانون من الاضطهاد الديني الذي لم تعرف له البشرية نظيرا..

سكان قفقاسية (القوقاس)

يبلغ تعداد سكان القوقاس حاليا ١٥ مليون شخص.. وهم مقسمون الى طوائف رئيسية وهم كالاتي:

١ - **كرج** وهم سكان كرجستان أو جورجيا.
٢ - **أرمن** وهم سكان أرمينية.
٣ - **أتراك** أذربيجانيون (أو أذريون) وهم سكان أذربيجان.
٤ - **الشراكسة** أو الجراكسة واسمهم القومي الاديغة ومعنى كلمة جركس الجندي البارع وقد أطلق التتار عليهم هذا الاسم وهم مجموعة من القبائل وهم:

أ - **الاباظة**: وهم يعيشون في شمال غرب القوقاس على سواحل البحر الاسود وقد أسلم أكثرهم وهم في المناطق الشمالية وبقي بعضهم على النصرانية وخاصة أولئك الذين عاشوا في أبخازيا.. وقد فر كثير من هؤلاء الاباظة من الاضطهاد الشيوعي الى تركيا ومنها الى مصر وغيرها من الاقطار الاسلامية. وقد ظهر من أسرة اباظة عدد من النابغين في هذا العصر منهم الصحفي المشهور فكري اباظة والشاعر عزيز أباظة ومنهم ممثلون ومخرجون ناجحون في فنون السينما، وقد بلغ عدد الاباظة في منطقة الكاراتشاي الجركسي ذات الحكم الذاتي ٢٤,٠٠٠ في احصاء ١٩٧٩م وفرض عليهم كتابة لغتهم بالحرف اللاتيني ثم الروسي بدلا من الحرف العربي.

ب - **القوشحة**: وهم نصارى ويسكنون اوستينا الجنوبية أما سكان أوستينا الشمالية فقد دخلوا في الاسلام..

ج - **الابزاخ**: ويقطنون السفوح الشمالية لجبال القوقاس وهم مسلمون.

د - **القبرطاي:** ويقيمون شمال القوشحة وهم من المسلمين.

ويبلغ عدد الجراكسة قرابة مليونين ونصف المليون...

٥ - **الداغستان:** تعني كلمة الداغستان باللغة التركية بلاد الجبال وحقا هي كذلك.. وتقع شمال أذربيجان السوفيتية على الشواطىء الغربية الشمالية من بحر قزوين.. وتفصل بين بحر قزوين وجبال القوقاس وتشكل الجبال ثلاثة ارباع أراضيها وتنحدر الانهار من الجبال نحو البحر والمسافة بين الجبال الشاهقة والبحر قريبة ولذا فان جبالها ووديانها شديدة الانحدار وأطول الانهار فيها هو نهر ترك الذي ترفده أنهار كثيرة ويمر في (غروزني) مركز بلاد الشاشان ثم نهر صولاق الذي يصب شمال مدينة (محج قلعة) العاصمة الحديثة.. وتبلغ مساحتها ٥٠,٣٠٠ كم مربعاً.

ونتيجة لقرب المناطق الجبلية من البحر فان أوديتها شديدة الانحدار وسهلها ضيق في الجنوب ويتسع شمالا بالقرب من مصب نهر ترك..

وتزرع الداغستان القمح والذرة والخضروات وبها ثروة حيوانية من الاغنام.. ويشكل النفط والغاز الطبيعي أهم ثرواتها ويستخرج النفط من شواطئها على بحر الخزر (قزوين) على بعد ١٠ كم من الشاطىء.

وتصنع الداغستان الزجاج والسجاد وخاصة في مدينة دربند المعروفة في التاريخ الاسلامي باسم باب الابواب كما توجد بها أحواض لاصلاح السفن ومعامل لتعبئة السمك..

وتعتبر مدينة دربند أو باب الابواب الممر الرئيسي الشرقي الى قفقاسيا (القوقاس).. وقبائل الداغستان كثيرة وهم:

١ - سكان الجبال أو الداغستان.

٢ - القوموق: وهم أول من اعتنق الاسلام في هذه المناطق ويعيشون

شمال الداغستان وتأسست في بلادهم أمارة طارقي وعاصمتها مدينة طارقي وقد غير الروس اسمها الى بتروفسك.. ويلقب ملك القوموق بالشامكال.

٣ - الآندي: وهم مجموعة من القبائل يعرفون باللزكي.. ولغة هذه المجموعة هي اللغة العربية خطابة وكتابة.. ويزعمون ان اصولهم عربية.. ولا شك أنهم اختلطوا بالقبائل العربية منذ أن دخلها هشام بن عبد الملك سنة ١٠٥ هـ (٧٢٣ م) ووطد أحد كبار قواد أخيه مسلمة بن عبدالملك اركان الحكم الاسلامي فيها وأسكن كثيرا من القبائل العربية في الداغستان وجعل دربند (باب الابواب) أحد ثغور الاسلام الهامة التي انتشر منها الى كافة المناطق في القوقاس الشمالي..

وكان اهالي الداغستان عند دخول الاسلام اليها وثنيين ويهوداً ونصارى.. اما اليهود فقد كانوا هم حكام بحر الخزر واليهم يعود سكان أوربا الشرقية وروسيا من اليهود وبالتالي معظم يهود اسرائيل وزعمائهم من أمثال بن جوريون وجولدا مائير ومناحم بيجن وهؤلاء جميعا من سكان الخزر الذين اعتنقوا الديانة اليهودية في عهد مبكر... ولم يكونوا أبدا من نسل داوود واسرائيل عليهما السلام...

وانتشر الاسلام على ايدي قبائل الداغستان نفسها وأشهرها القايتاق والقومق الذين كانوا أسرع الناس استجابة لدعوة الاسلام في تلك المناطق..

ويلقب ملك القوموق بالشامكال..

وعندما غزاهم تيمورلنك عام ٧٩٨ هـ (١٣٩٥ م) كان اكثر سكانها مسلمين...

وفي سنة ٩٨٦ هـ (١٥٧٨ م) استولى عليها الاتراك العثمانيون ولكن لم تطل بها مدتهم..

وقد اشتهر من ملوك القايتاق السلطان احمد خان الذي بنى مدينة «المجالس» التي سميت بهذا الاسم لكثرة مجالس العلم بها وقد توفي هذا السلطان سنة ٩٩٦ هـ (١٥٨٧ م)..

وفي سنة ١٠٥٠ هـ (١٦٤٠ م) تكونت امارة مستقلة جنوب الداغستان تولى أمرها الامير حسين خان..

وكانت الدولة العثمانية والدولة الصفوية تتنافسان النفوذ على مناطق القوقاس بينما خضعت أذربيجان للدولة الصفوية نرى المناطق الواقعة على البحر الاسود تخضع للدولة العثمانية بحكم قربها منها أما المناطق الاخرى فكانت تارة تخضع للدولة الصفوية الايرانية وتارة تخضع للدولة العثمانية..

وخضع أمراء الداغستان (الشامكال وأمير تابازاران) للخلافة العثمانية فترة ثم انحازوا الى سلطان الدولة الصفوية في أيام الشاه عباس الذي وسع رقعة دولته الصفوية بحيث شملت ايران وخراسان وافغانستان وأذربيجان (الايرانية والسوفيتية) كما شمل نفوذه كرجستان وداغستان..

وعندما مات الشاه عباس وضعف أمر الدولة الصفوية بعث امراء الداغستان الى الخليفة العثماني يعلمونه انهم من رعاياه وكانت الخلافة العثمانية مشغولة بحروبها الكثيرة في وسط اوربا. عندئذ اهتبل بطرس (الملقب بالعظيم وقيصر روسيا) الفرصة وهجم على الداغستان وسائر سواحل الخزر الغربية وذلك في عام ١١٣٥ هـ (١٧٢٢ م)..

وفي عام ١١٤٨ هـ (١٧٣٥ م) زحف نادر شاه من فارس

وخلص جميع هذه المناطق من الحكم الروسي..

وضعف أمر الدولة الصفوية بعد وفاة نادر شاه الذي اشتهر بالحكمة والشجاعة فاهتبل الروس الفرصة مرة أخرى وهجموا بجحافل قوية على الداغستان عام ١١٩١ هـ (١٧٧٥ م) واستمرت الحروب الى عام ١١٩٩ هـ (١٧٨٤ م) عندما خضع لهم أمير القومق (الشامكال).. وتوسع الروس في احتلال القوقاس.

ومرة أخرى قامت الدولة الصفوية الايرانية لمحاربة قوات القياصرة يساندها في ذلك الامراء المحليون واستمرت الحرب حتى عام ١٢٢١ هـ (١٨٠٦ م) عندما انهزمت القوات الايرانية الصفوية...

وفي عام ١٢٢٨ هـ (١٨١٣ م) تنازلت الدولة الصفوية عن الداغستان للامبراطورية الروسية...

وقاوم الامراء المحليون قدر طاقتهم وفي عام ١٢٢٥ هـ (١٨٠٩ م) استسلم امير القاتياق وبعد حرب طويلة أخرى استسلم أمير تبازاران وذلك عام ١٢٤٤ هـ (١٨٢٨ م). واستسلم بعدهم بقية الامراء..

ولما رأى القاضي الملا محمد تقاعس الامراء واستسلامهم أثار الحمية في نفوس مواطنيه لمقاومة الروس الذين أذاقوا المسلمين أشد الويلات واصدر كتابا سماه (اقامة البرهان على ارتداد عرفاء طاغستان) لأنهم رضوا بحكم الكافر الروسي.. وفعلا قام هذا الشيخ قاضي القضاة بمحاربة الروس وتسمى باسم الغازي محمد واستشهد الغازي محمد في ميدان القتال في قرية جمر سنة ١٢٤٨ هـ (١٨٣٢ م) فخلفه مكانه تلميذه الامير حمزة الخنزاجي الذي واصل القتال لمدة عامين حتى رزقه الله الشهادة.. ثم تولى

القيادة بعدهم الامام الشيخ محمد شامل وجاهد الروس جهاد الابطال ودوخهم لمدة ٣٥ سنة.. وفي عام ١٢٥٩ هـ (١٨٤٣ م). وعام ١٢٦٠ هـ (١٨٤٤ م) افتتح من الروس جميع الحصون المنيعة وغنم منهم ٣٥ مدفعا واعتدة حربية ومؤنا وافرة.. فجن جنون الاباطرة الروس وزحفوا عليه بجحافل جيوشهم الجرارة.. ولم يكن للشيخ من سلاح الا ما يغنمه من اعداء الله.. فصمد لهم لمدة عشر سنوات اخرى.. ثم اسر الشيخ المجاهد سنة ١٢٧٩ هـ (١٨٥٩ م) ونفي الى تركيا ومنها ذهب الى المدينة المنورة حيث مات بها سنة ١٢٨٩ هـ (١٨٧١ م) ودفن في بقيعها رحمه الله رحمة الابرار..

والجدير بالذكر ان قاضي القضاة الملا محمد الكمراوي وتلميذه الامير حمزة الخنزاجي والشيخ محمد شامل هم جميعا من أصحاب الطريقة النقشبندية التي كان لها دور عظيم في مقاومة الغزو الروسي منذ دخوله الى يومنا هذا.

ولم تنته مقاومة الداغستان لروسيا بانتهاء ثورة الشيخ شامل الجهادية.. وانما قامت الثورات تلو الثورات ضد المستعمر الروسي الغاشم..

وفي عام ١٣٠٥ هـ (١٨٨٧ م) استطاعت قوات القياصرة اخضاع ثورة المريدين من الطريقة النقشبندية..

وعندما قامت الثورة البلشفية بقيادة لينين في اكتوبر ١٣٣٦ هـ (١٩١٧ م) ساندها المسلمون في جميع بقاع روسيا القيصرية لانهم صدقوا وعود لينين لهم بالاستقلال وبالحرية الدينية..

وتألفت في القوقاس أربع جمهوريات اتحادية هي الداغستان وأذربيجان وكرجستان (جورجيا) واريفان (عاصمة ارمينيا) في اواخر ايام الحرب العالمية الثانية.. واعترفت الاستانة بهذه الجمهوريات ولكن حليف تركيا وهم الالمان لم يعترفوا الا بجمهورية اريفان الارمنية النصرانية..

وعندما احتل الانجليز القوقاس في نهاية هذه الحرب وعدوا أهل القوقاس المسلمين بالاستقلال ولكنهم كعادتهم أخلفوا وعودهم وسلموا القوقاس بأكمله لقوات الامير كولشاك وقائده دينكين الذين كانوا يقودون حربا شرسة ضد لينين..

وفي صيف ١٣٣٦ هـ (١٩١٧ م) بايع أهل الداغستان الامام الرباني الصوفي نجم الدين غوتسو الذي لقبه الروس غوتسنسكي وهو من شيوخ الطريقة النقشبندية ايضا وكون حكومة اسلامية (ثيوقراطية كما يسميها الكتاب الغربيون)

وكان يحارب الروس الحمر بكل شراسة لانهم جميعا كفار محاربون للمسلمين وانتشرت بطولات نجم الدين غوتسو ورفيقه الشيخ الصوفي اوزون حجي وحارب اهل القوقاس جميعا قوات روسيا البيضاء بقيادة دينكين ليحصلوا على استقلال بلادهم بتحريض لينين فلما تم لهم ذلك غدر بهم لينين واستولى على بلادهم واحدة اثر الاخرى من عام ١٣٣٧ هـ (١٩١٨ م) الى عام ١٣٤١ هـ (١٩٢٢ م) حتى وطد حكمه فيها.. ثم اقام المذابح الجماعية للمسلمين بما لم يشهده تاريخ الاسلام حتى في اشدها ظلمة وقتامة ايام جنكيز خان وهولاكو، ولكنه واجه مقاومة شرسة في الداغستان استمرت سنة ونيف بعد أن احتل الجيش الاحمر الداغستان في ربيع ١٣٣٩ هـ (١٩٢٠ م). ولكن الثورة استمرت بقيادة شيوخ الطريقة النقشبندية وعلى رأسهم الامام نجم الدين غوتسو واوزون

حجي ومحمد البلوكاني وسيد أمين ودرويش محمد الآندي. ولم يقض عليها نهائيا الا في خريف ١٣٤٤ هـ (١٩٢٥ م) عندما أسر نجم الدين غوتسو وسيد أمين وأعدما كما استشهد العديد من مشايخ الطريقة في ميدان القتال.

وقد كان عدد سكان الداغستان عند قيام الثورة الشيوعية يتراوح بين سبعة وثمانية ملايين كما يقول الامير شكيب أرسلان في كتابه (حاضر العالم الاسلامي) فأصبحوا بعد مرور اكثر من ستين عاما مليونين ونصف[١] وذلك نتيجة حرب الابادة التي شنتها روسيا السوفيتية والتي فاقت في ذلك روسيا القيصرية الصليبية...

وقد استمرت الثورات في الداغستان حتى بعد عام ١٣٤١ هـ (١٩٢٢)م) عندما اعلنت روسيا أنها جعلت الداغستان جمهورية تتبع موسكو مباشرة..

واستطاعت موسكو أن تخضع هؤلاء المقاتلين الاشداء بعد أن قتلت مئات الالوف وشردت الملايين منهم.. ورغم أن المسلمين وخاصة هؤلاء الجبليين مشهورون بكثرة تناسلهم الا اننا نجد ظاهرة انخفاض السكان من سبعة ملايين الى مليونين ونصف خلال ستين عاما من الحكم الشيوعي البوليسي الارهابي.. وفي احصاء عام ١٣٩٩ هـ (١٩٧٩ م) انخفض عدد سكان الداغستان الى ١,٦٢٧,٠٠٠[٢].

والغريب حقا أن الامير شكيب ارسلان قد ذكر ان مسلمي روسيا عند قيام الثورة البلشفية قدروا بعدد يتراوح بين خمسة وثلاثين وأربعين مليونا.. ورغم مضي أكثر من ستين عاما على هذا التقدير فان احصائيات عام ١٣٩٩ هـ (١٩٧٩ م) تجعل عدد المسلمين ٤٣ مليونا فقط

---

(١) الجغرافية الاقليمية للعالم الاسلامي

(٢) كتاب المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي تأليف بنجنسن ولومرسييه.

وبينما كان عدد سكان الاتحاد السوفيتي عند قيام الثورة حوالي ١٧٠ مليون فان عدد السكان الآن يزيد عن ٢٧٠ مليون...

ومعنى ذلك أن هناك زيادة في السكان تقدر بمائة مليون والمسلمون هم الوحيدون الذين لا يزيدون في الاتحاد السوفيتي رغم أن نسبة المواليد لديهم تبلغ ضعف نسبة المواليد لدى الروس...

والمعنى الوحيد لهذا هو أن المسلمين كانوا يواجهون حرب ابادة شاملة اذ أن المفروض أن يكون عدد المسلمين اليوم يتراوح بين سبعين وثمانين مليونا.. ولكن نتيجة حرب الابادة التي شنها الشيوعيون الروس فان عدد المسلمين اليوم يبلغ هذه النسبة المنخفضة..

ومع هذا فالروس منزعجون أشد الانزعاج لانخفاض المواليد بينهم وزيادتهم بين المسلمين ويعملون منذ الآن لايجاد وسائل جديدة لايقاف زيادة عدد المسلمين لانهم اذا استمروا على هذه النسبة في المواليد فان عددهم سيصبح عام ٢٠٠٠ سبعين مليونا على أقل التقديرات وثمانين مليونا على اكثرها.

وهي نسبة مزعجة للروس أشد الازعاج ويخططون لمنعها منذ هذه اللحظة.

المعطيات اللغوية في الداغستان:

لقد كانت اللغة العربية هي اللغة الأولى في الداغستان الى ما قبل الغزو البلشفي الروسي لها. وتعتبر قبائل اللزكي أن لغتهم الاساسية هي اللغة العربية كتابة وخطابة ويزعمون أن أصولهم عربية..

وبما أن اللغة العربية هي لغة الاسلام فقد كان أكثر أهل الداغستان يعرفونها حتى تلك القبائل التي كانت تتحدث باللغات التركية أو اللغات المحلية فإنها كانت تحرص على تعليم أطفالها القرآن الكريم واللغة العربية

منذ الطفولة الباكرة..

ولكن ما أن دخل البلاشفة داغستان حتى قاموا سنة ١٣٤٢ هـ (١٩٢٣ م) (أي بعد عام واحد من ضمها الى روسيا) بحظر استعمال اللغة العربية كتابة وحديثاً لأنها لغة رجال الدين!!

ويقول كتاب المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي ما يلي:

(أثناء الحكم السوفيتي، حوالي عام ١٣٤٢ هـ (١٩٢٣ م) حظرت اللغة العربية كلغة أدبية لكونها لغة (رجال الدين) وطبقت سياسة تتريك لغوية حتى عام ١٣٥٢ هـ (١٩٣٣ م). فاستخدمت التركية الازرية في البداية وحتى عام ١٣٤٧ هـ (١٩٢٨ م) ثم استخدمت لغة الكوميك.. ولم يكن بين الجرائد اليومية الاثني عشر التي كانت تصدر في الداغستان أي جريدة عربية وكلها كانت بلغات تركية مثل الكوميك والازرية والنوغاي..

«وعندما اتمت روسيا عملية اقصاء اللغة العربية قامت أيضاً بمحاربة اللغة التركية وقامت موسكو بحملة تصفية للمنادين بالوحدة التركية وكتبت اللهجات الداغستانية بالحروف اللاتينية أولا ثم بالحروف الروسية الكيريلية وذلك منذ عام ١٣٥٧ هـ (١٩٣٨ م) وقد قامت الحكومة الروسية بتحويل اللهجات الداغستانية العديدة الى لغات كتابة بالحرف اللاتيني ثم بالحرف الروسي وفي عام ١٣٥٥ هـ (١٩٣٦ م) كان للداغستان اثني عشر لغة رسمية كلها تكتب بالحرف اللاتيني أو الروسي»..وذلك من أجل تمزيق الداغستان التي واجهتهم بحرب شرسة لا تزال ذكراها عالقة بالأذهان.

المعطيات الدينية

باستثناء عدد قليل من اليهود الذين يطلق عليهم (داغ تشوفوت)

أي يهود الجبل فإن أهالي الداغستان جميعاً من المسلمين السنة الاحناف..

وللطرق الصوفية وخاصة الطريقة النقشبندية ثم القادرية نشاط قوي وبارز ولهم تاريخ مجيد في نشر الإسلام ثم في الذب عنه وفي محاربة الغزو الروسي القيصري ثم البلسقي الشيوعي ولا يزال تأثير الطرق الصوفية يعمل بعمق في الجماهير رغم محاربة السلطات الروسية لهم بضراوة تفوق كل وصف.

وفي استفتاء اجري في عام ١٩٧٤ (ذكره كتاب المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي) أجاب ٦٨ بالمئة بأنهم مؤمنون بالله ورسوله ومتمسكون بالاسلام وأجاب ٦بـ المئة بأنهم مترددون حائرون.. وقال ٢٦ بـالمئة انهم غير مؤمنين. وذلك بعد أكثر من خمسين عاماً من التربية الشيوعية القسرية التي فرضها الروس فرضاً على سكان الداغستان.

وحتى نكمل حديثنا عن القوقاس فإننا سنتحدث عن بقية المناطق التي تتبع روسيا مباشرة بعد أن تحدثنا عن الداغستان بشيء من الاسهاب لأهميتها التاريخية والجغرافية.. وهذه المناطق هي: -

(١) شاشان - الانغوش.

(٢) قابرديان - بلكاريا.

(٣) الاديغة.

(٤) أوستينا الشمالية.

(٥) قارتشاي الشركسية.

---

١) انظر كتاب المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي

٢) الجغرافية الاقليمية للعالم الاسلامي - مقرر الثانوية العامة (السعودية).

الشاشان (التشتشينو - اينغوش)

تقع الشاشان (تشين) في السفوح الشمالية لجبال القوقاز فتتدفق اليها المياه من الجبال وتشكل أنهاراً كثيرة ترفد نهر ترك الذي يعد أهم أنهار القوقاس.. ولذا فإن هذه المنطقة تشتهر بخصوبتها كما أنها أيضاً تشتهر بثرواتها البترولية الموجودة بالقرب من العاصمة غروزني -

تبلغ مساحة هذه الجمهورية الذاتية ١٩,٠٠٠ كم٢ ويبلغ عدد سكانها ١,٥٥٥,٠٠٠ نسمة ويشكل المسلمون ٦٦,٥ بالمئة من السكان ورغم ذلك فإن العاصمة غروزني أصبحت نتيجة للهجرة الروسية مدينة روسية حتى في سكانها.. وأصبح المسلمون فيها أقلية نتيجة للاستعمار الروسي الاستيطاني الذي يشبه الى حد كبير الاستيطان الاسرائيلي.. ويبلغ عدد سكان غروزني العاصمة ٣٧٥,٠٠٠ حسب احصاء عام ١٩٧٩[١].

المعطيات الادارية والتاريخية.

لقد دخل الاسلام الى منطقة الشاشان - اينغوش في القرن الثامن عشر الميلادي (الثاني عشر الهجري) على يد الدعاة الى الله من الصوفية في تركيا وفي الداغستان وأذربيجان على يد رجال الطريقة النقشبندية بصفة خاصة.

وقد سقطت هذه المنطقة بيد القياصرة في القرن التاسع عشر الميلادي (١٨٥٠ م) (أي الثالث عشر الهجري وبالذات في عام ١٢٦٧ هـ).

وقد حاولت روسيا القيصرية تنصير السكان المسلمين ولكن سياستها التنصيرية فشلت فشلاً ذريعاً رغم الاضطهاد الشديد في هذا السبيل..

وعندما استولت القوات البلشفية على القوقاس بما فيه الشاشان قام لينين في نوفمبر ١٣٤١ هـ (١٩٢٢ م) بجعلها مقاطعة ذات حكم ذاتي كما

(١) المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي للمؤلفين بنجينس ولومرسييه.

جعل الاينغوش أيضاً مقاطعة ذات حكم ذاتي في يوليه ١٣٤٣ هـ (١٩٢٤ م). وفي يناير (١٣٥٣ هـ) (١٩٣٤ م) تم دمج هاتين المقاطعتين وفي ديسمبر (١٣٥٥ هـ) (١٩٣٦ م) أعطيت اسم جمهورية ذات حكم ذاتي.

وعندما غضب ستالين على سكان هذه المناطق كما غضب على سكان القرم وقابردديار أصدر أمره في ٢٣ فبراير ١٩٤٤ بسبي جميع السكان ونفيهم الى سيبيريا[١].. والغى جمهورياتهم ووزع أراضيها على جمهورية جورجيا وهكذا تتضح بشاعة الحكم البلشفي الشيوعي الكالح الرهيب حيث قام ستالين بنفي عدة شعوب اسلامية بكاملها من مواطنها وهي شعوب القرم وشعوب الشاشان والاينغوش وشعوب القابردديار والبلكار[٢].

وقد مات عشرات الالاف اثناء رحلة الموت هذه كما مات عشرات الالاف ايضاً في ثلوج سيبيريا الشمالية.

ورغم أن مجلس السوفيت الاعلى قد أدان حكم ستالين الإستبدادي الرهيب ووصفه بأنه ابشع ما شهدته البشرية حتى أنهم نبشوا قبره وأحرقوا جثته لتنتهي اسطورة ستالين الذي الهوه وعبدوه، ورغم هذا كله الا أن شعب القرم لا يزال يجوب فيافي سيبيريا ويمنع من العودة الى وطنه.

وقد قام مجلس السوفيت الأعلى بالغاء قرار ستالين الذي اتهم فيه هذه الشعوب الاسلامية بالتعاون مع النازي وبرأ هذه الشعوب من هذه التهمة.. وسمح لشعب الشاشان والاينغوش بالعودة الى وطنهم وذلك في عام ١٣٧٧ هـ (١٩٥٧ م) «وعند عودتهم الى وطنهم وجدوا جميع مساجدهم وجوامعهم مهدمة وظلت جمهورية الشاشان اينغوش حتى عام ١٣٩٨ هـ (١٩٧٨ م) الاقليم المسلم الوحيد في الاتحاد السوفيتي الذي اجريت فيه التجربة الجذرية القاضية بمحق الدين الاسلامي من خـــلال

---

(١) المصدر السابق

(٢) قام اليهودي ميخائيل سوسلوف والذي أصبح المنظر العقائدي للاتحاد السوفيتي بتنفيذ حملة النفي ضد السكان المسلمين من مناطقهم في القوقاس. وبلغ عدد المنفيين ١,٦٠٠,٠٠٠ شخص أجبروا على ترك ديارهم وأوطانهم في حالة بائسه.

هـدم وحـل جميـع مؤسسات وامكنـة العبادة[١].

السكان: يذكر احصاء عام ١٩٧٩ أن سكان الشاشان - الاينغوش يبلغون ١,١٥٥,٠٠٠ ويشكل المسلمون ٦٦,٥ بالمئة موزعين كالتالي:

تشاشان: ٦١١,٠٠٠، اينغوش ١٣٥,٠٠٠، داغستان: ٢٢,٠٠٠. أما الروس فقد أخذ عددهم يتناقص ففي حين كانوا يشكلون ٤٩ بالمئة من مجموع السكان عام ١٩٥٩ الا أنهم أصبحوا يشكلون ٢٠٪ فقط من السكان عام ١٩٧٩. وذلك (بسبب عداء السكان الاصليين المسلمين للعنصر الروسي) كما يقول المؤلفان الفرنسيان بنجيسن ولومرسييه في كتابها المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي.

وهذا يعني أن الروس لا يزدادون بينما يزداد السكان المسلمين وذلـك أيضاً بسبب التنـاسل المرتفـع لـدى المسلمين والمنخفـض لـدى الروس.. ومرة تلو المرة نرى أن أزدياد النسل في جميع مناطق الاتحاد السوفيتي هو العامل الاساسي في الحفاظ على الهوية الاسلامية والعرقية لهذه الشعوب التي واجهت حرب ابادة كاملة من المستعمر الروسي.

ورغم بقاء الشاشان والاينغوش في المنفى السيبيري المتجمد لأكثر من ١٥ عاماً الا أنهم استطاعوا ان يحتفظوا ببنيتهم الثقافية وهويتهم الاسلامية فلما عادوا الى موطنهم اظهروا لغتهم التي تعود الى اللغات الايـبروقوقـاسيـة كما أظهروا تمسكهم بـالتقـاليـد الاسلاميـة ونظـامهم العشائري. ويقول كتـــاب المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيـــتي: (وبـالرغم من سنوات السبي والعيش في المنفــى حـافـظ التشيشون والاينغوش على البنية التقليدية لمجتمعهم المقسم الى عشائر التي لا تزال قائمة الى يومنا هذا وتشكل حالياً الاساس للتنظيمات الصوفية) التي تبث روح المقاومة ضد المستعمر الروسي، وقد نشرت مجلة (أرابيا) ديسمبر

(١) كتاب المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي

١٩٨٢م قصة المجاهد التشيشني الذي فر الى الغابات وقتل أربعين من أعضاء الحزب الشيوعي قبل أن يستشهد.. ولما قتل وجدوا مصحفا صغيرا معلقاً على صدره.

ويقول المصدر السابق في فقرة أخرى. (لقد ترك عمل الطرق الصوفية وشماً عميقاً في طابع الاسلام عند الشاشان والاينغوش - بحيث يتميز بصرامته وتصلبه وكرهه للروس الأجانب.. ويقر كل المراقبين السوفيت أن جمهورية الشاشان اينغوش هي الحصن الأكثر صلابة للاسلام التقليدي وإن سكانها هم الأكثر تديناً بين مسلمي الاتحاد السوفيتي. ومع ذلك فقد اختارت السلطات السوفيتية هذه الجمهورية بالذات ليجروا فيها الاختبار الجذري الهادف الى تدمير الدين بقفل كل المساجد ولم يبق في جميع أرجاء هذه الجمهورية مسجد واحد..

وقد قوبلت هذه التدابير الاستبدادية القسرية بتغلغل الصوفية تغلغلا شبه كامل.. وقد قدر في عام ١٩٧٨ عدد مريدي الطرق الصوفية بأنهم نصف المؤمنين أو نصف السكان المسلمين ونتيجة لخوف السلطات من هذا النفوذ الصوفي المعادي للروس بشدة فقد سمحت بفتح مسجدين في قرية قرب العاصمة غروزني. وفي عام ١٩٨٠ فتحت خمسة مساجد أخرى في القرى المنتشرة.

يقول المصدر السابق إن النفي الى مجاهل سيبيريا لهذه الشعوب أعطى نتيجة لم تكن في الحسبان حيث أدى ذلك الى وثبة جديدة للحركات الصوفية. ذلك لأن الطرق الصوفية كانت الرمز الوحيد للأمة في معسكرات سيبيريا ومنفى السهوب الكازاخية.. وكانت دافعاً اساسيا لحب البقاء عند جميع المنفيين. ويعترف بهذه الحقيقة كل الاختصاصيين الروس..

لقد بذلت الاخويات الصوفية ولا سيما تلك المنبثقة من طريق كونتا

(حجي) القادرية نشاطا مكثفا خلال سنوات المنفى. ورأت النور أخوية صوفية جديدة في كازاخستان حوالي عام ١٩٥٥م وهي طريقة عويسي حجي زاغييف وقد عرفت في الادب الروسي باسم «أخوية القلنسوات البيض» لانهم يلبسون قبعات الفراء الابيض عند الذكر. والأكثر من ذلك ان هؤلاء الجبليين العنيدين أضبحوا قدوة لشعوب كازاخستان وقيرغيزيا الشمالية فاقبلت هذه الشعوب المسلمة على الانخراط في صفوف الطرق الصوفية..

ويقول المصدر السابق ان الاخويات الصوفية ليست الا تنظيمات جماهيرية بالرغم من طابعها نصف السري ومثالا على ذلك فقد كان ٥٠,٩ بالمئة من المسلمين المؤمنين في جمهورية الشاشان انيغوش، من اتباع احدى الطرق الصوفية في عام ١٩٧٨م وعام ١٩٧٩م. ويقدر عدد المنتسبين الى هذه الطرق في الشاشان انيغوش بعدد يتراوح بين ١٥٠,٠٠٠ و١٨٠,٠٠٠ وهو رقم مدهش حقاً لا سيما اذا عرفنا ان هذه المنطقة لم يكن فيها قبل ثورة اكتوبر ١٩١٧م سوى ٦٠,٠٠٠ مريد و٣٨ شيخا.

إن الشعور القومي مرتبط هناك بالشعور الديني أما مفهوم القومية العلمانية فليس له أي وجود.

أوستينا الشمالية: يعتبر الاوستين من العناصر الشركسية ويقطنون مرتفعات جبال القوقاس.. وقد دخل سكان القسم الشمالي من الاوستين في الاسلام بواسطة الدعاة الى الله من الصوفية وخاصة من أصحاب الطريقة النقشبندية التي لها أعظم الأثر على سكان القوقاس بينما ظل كثير من سكان أوستينا الجنوبية على نصرانيتهم.. فقامت روسيا البلشفية بضم اوستينا الجنوبية الى جمهورية جورجيا أما اوستينا الشمالية فجعلتها تتبعها مباشرة.. وأهل الاوستين الشمالية بالذات جنود مقاتلون أشداء ولذا حرصت روسيا على ادخالهم الجيش السوفيتي. وقد تشكلت

أوستينا الشمالية في يوليه ١٩٢٤ كمنطقة ذات حكم ذاتي ثم أصبحت جمهورية ذاتية في ديسمبر ١٩٢٦.

ومن أوستينا الشمالية تنبع أكثر روافد نهر (ترك) ويبلغ عدد سكان الاوستين الشمالية والجنوبية ٥٤٠,٠٠٠ نسمة منهم ١٥٠,٠٠٠ مسلم وهم سنة أحناف وللطرق الصوفية تأثير قوي عليهم ومساحتها ٨٠٠٠ كم مربعاً. أما العاصمة فهي (أردجو نيكيرزي).. (تختلف المراجع في عدد المسلمين اختلافا كبيرا فكتاب (المسلمون في العالم) يحدد عدد المسلمين الاوستين بـ ٣٣٠ ألفاً) وكانت بداية الاحتلال الروسي لأوستينا الشمالية سنة ١١٩٩ هـ (١٧٨٤ م).

قابرديار بلكارديا: تبلغ مساحتها ١٢,٥٠٠ كم مربعاً وعاصمتها مدينة (نلتشيك) أما سكانها فلا يزيدون عن سبعمائة ألف نسمة. كلهم تقريبا من المسلمين الذين يعرفون باسم قبرطاي وهم قبيلتين القابرد والبلكار ولكل منهم لغة خاصة به.. وهم جميعا من الشراكسة. ويشتهر القبرطاي بتربية الخيل ولهم عادات وتقاليد يحافظون عليها.

وقد اتهم ستالين البلكار بالتعاون مع الألمان في الحرب العالمية الثانية وقام بقتل الالاف منهم ثم نفى شعب البلكار بأكمله الى سيبيريا كما فعل بشعب القرم.. وقد نفت الحكومة السوفيتية عنهم هذه التهمة في ٩ يناير ١٣٨٨ هـ (١٩٦٨ م) وسمح لهذا الشعب بالعودة الى وطنه من منفاه في سيبيريا.

وقد أقيمت جمهوريتهم التابعة مباشرة لموسكو سنة ١٣٤٠ هـ (١٩٢١ م) كمنطقة كاباردية ذات حكم ذاتي ثم تحولت عام ١٣٥٥ هـ (١٩٣٦ م) الى جمهورية الكابارد والبلكار ذات الحكم الذاتي.

الاديجة (الاديغة): مقاطعة تتبع اقليم كراسنودار وتشرف على البحر الاسود من الناحية الغربية وتجري فيها مياه نهر كوبان وروافده..

وتبلغ مساحتها ٧,٦٠٠ كم مربعاً ويسكنها نصف مليون تقريبا (٤٠٤,٠٠٠ نسمة في احصاء ١٩٧٩ م) ٢١,٤٪ فقط من المسلمين[١] وهم من قبائل الابزاخ والبزادوغ والشابيغ والحاتوقواي.. وعاصمتهم مدينة مايكوب المشهورة بالثروات والصناعة النفطية.. وأهم مرافئها مدينة سوفي ومدينة أنابا. وقد سيطر عليها الروس عام ١٢٩٥ هـ (١٨٧٨ م).. وتأسست مقاطعتهم سنة ١٣٤١ هـ (١٩٢٢ م) تحت اسم منطقة الاديغة - الجركس - وأصبحت تعرف باسم منطقة الاديغة ذات الحكم الذاتي ابتداء من عام ١٣٥٥ هـ (١٩٣٦ م).

ينتمي الاديغة الاصليون الى الأمة الجركسية التي تضم الجركس والكابارد والاباظة.. وكانت بالأمس كما يقول كتاب المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي تضم مليوني نسمة هاجر معظمهم الى الدولة العثمانية فرارا من الاضطهاد الديني الروسي.

والاديغة مثل بقية سكان القوقاس الشمالي مسلمون سنيون أحناف وقد دخلوا في الاسلام على يد الدعاة الى الله من الطريقة الصوفية القادمة من الدولة العثمانية في القرن السابع عشر الميلادي وقد استعمرها الروس منذ نهاية القرن التاسع عشر الميلادي. وتميز الاستعمار الروسي بأنه استيطاني مثل الاستعمار الاسرائيلي.. وقد قام الروس بطرد الاديغة من موطنهم الاصلي وفرّ الكثير منهم الى تركيا حتى أصبح الاديغة أقلية في وطنهم وحسب احصاء ١٩٧٩ الرسمي فإن الاديغة يشكلون فقط ٢١,٤ بالمئة بينما يشكل الروس والاوكرانيون والروس البيض والأرمن ٧٨,٦ بالمئة من السكان.

---

(١) من كتاب المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي بينما تذكر المصادر مثل كتاب المسلمون في العالم انهم يشكلون ٧٠ بالمئة من السكان.

وقد كانت لغة الاديغة تكتب بالحرف العربي ولكن السلطات البلشفية قامت بابداله الى الحرف اللاتيني أولا ثم الى الحرف الروسي الكيريلي وذلك في عام ١٣٥٥ هـ (١٩٣٦ م).

منطقة كاراتشاي - الجركس ذات الحكم الذاتي:

أنشئت هذه المنطقة في ١٢ يناير ١٩٢٢ وفي عام ١٩٢٦ قسمت الى منطقتين هي منطقة الكاراتشاي ذات الحكم الذاتي ومحافظة الجركس.. وفي ٣٠ ابريل ١٩٢٨م أعيد تجميعها تحت اسم منطقة كاراتشاي - الجركس ذات الحكم الذاتي.

وعندما غضب ستالين على كثير من الشعوب الاسلامية مثل القرم والكابارد والشاشان أمر بنفي هذه الشعوب جميعا الى مجاهل سيبيريا مما أدى الى وفاة مئات الآلاف منهم.

وقد قام ستالين في عام ١٩٤٤ بنفي شعب الكاراتشاي الى مجاهل سيبيريا كما فعل بالقرم والكابارد والشاشان.. وأعيد تسمية منطقتهم الى اسم منطقة الجركس ذات الحكم الذاتي.

وعندما قام مجلس السوفيت الاعلى بتبرئة هذه الشعوب من تهمة التعاون مع النازي التي الصقها بهم ستالين الذي وصفوه بأنه من أكثر طغاة الأرض دموية وجبروتا وتأليها لنفسه أعيد اعتبار الكاراتشاي في عام ١٩٥٧ وسمح لهم بالعودة الى وطنهم وتأسست منطقة كاراتشاي - الجركس ذات الحكم الذاتي.

ونتيجة للاستعمار الاستيطاني الروسي فقد كان السكان الأصليون يشكلون أقلية في وطنهم ففي احصاء ١٩٥٩م كانوا يشكلون ٤٣٪ فقط من السكان ازدادوا بسبب كثرة التناسل المشهورة بين المسلمين الى

٤٩,٢٪ في احصاء عام ١٩٧٩[١] ويشكل الروس والاوكرانيون النسبة الباقية..

وقد دخل الاسلام الى هذه البلاد بواسطة الطرق الصوفية والدعاة الى الله من الأتراك العثمانيين والتتار في القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين وتبلغ مساحة هذه المنطقة ١٤,١٠٠ كم مربعاً وعدد سكانها أقل من نصف مليون (٣٦٩,٠٠٠ نسمة حسب احصاء ١٩٧٩ م).

وقد خضعت هذه المنطقة لحكم روسيا القيصرية اثر مؤتمر برلين المنعقد عام ١٢٩٥ هـ (١٨٧٨ م) وقد تميز الاستعمار الروسي بأنه استعمار استيطاني ولا يزال الروس والاوكرانيون يشكلون نصف السكان (٥١٪) رغم الزيادة الكبيرة في التناسل بين المسلمين.

ويتألف السكان المسلمون من ثلاث قوميات متميزة هي:

(١) الكاراتشاي: وهم منحدرون من الكيبتشاك ولغتهم تركية تشبه لغة البلكار بلغ عددهم في احصاء ١٩٧٩م ١٣١٠٧٤ نسمة.. وقد اتهمهم ستالين عام ١٩٤٣ بالتعاون مع النازي وقام بسبيهم ونفيهم الى سيبيريا.. ولم يعودوا الى وطنهم الا بعد ان ألغى مجلس السوفيت الاعلى هذا القرار سنة ١٩٥٧.. وكما يقول كتاب المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي (وبالرغم من سبي دام ١٥ عاما في ظروف رهيبة ومن حرمانهم من مدارسهم وصحافتهم الا أنهم قاوموا ببسالة محاولة الابادة الجماعية هذه) ويقول المرجع المذكور في فقرة أخرى (لقد كان الاسلام وحده هو الذي ثبّت المنفيين في محنتهم الرهيبة).

---

(١) من كتاب المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي.. وتقول المصادر الأخرى مثل كتاب المسلمون في العالم أن المسلمين يشكلون ٧٠٪ من سكان الكاراتشاي - الجركسي.

ولهذا نجد الكاراتشاي يتمسكون بدينهم الاسلامي بصورة ملفتة للنظر كما أننا نجد الطرق الصوفية قد تغلغلت في صفوفهم وعمقت من ايمانهم.

(٢) **الجركس**: وهم من الايبرو قوقاس وينتمون الى قبيلة البسلتة القريبة من الكابارد والاديجة (الاديغة) ولغتهم قريبة جدا من لغة الكابارد.. ويستخدمون اللغة الكاباردية كلغة كتابة..

وعدد الجركس في الاتحاد السوفيتي ٤٦٥٠٠ وذلك في احصاء ١٩٧٩ م.. وقد هاجر عدد كبير منهم الى تركيا بعد الاحتلال الروسي البلشفي لأراضيهم.

(٣) **الاباظة**: ويبلغ عددهم في الاتحاد السوفيتي ٣٠,٠٠٠ حسب احصاء ١٩٧٩ منهم ٢٤,٠٠٠ في منطقة الكاراتشاي - الجركس.. ولغتهم تكتب بالحرف الروسي حاليا بعد أن منعت الكتابة بالحرف العربي.

ولا يوجد في منطقة الكاراتشاي - الجركس بأكملها سوى أربعة مساجد مفتوحة للعبادة حاليا ولكن الاسلام الموازي كما يقول كتاب «المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي» «يتجذر بقوة نتيجة نشاط الطرق الصوفية».

وهناك مجموعات اسلامية وخاصة في منطقة القوقاس ليست لها صفة ادارية ولا موطن محدد وهؤلاء هم:

(١) الاكراد

(٢) النور

ويعتبر الأكراد امتدادا لأكراد العراق وايران وتركيا. ويبلغ عددهم في الاتحاد السوفيتي ١١٥,٨٥٨ يتوزعون على الاقاليم التالية:

(١) جورجيا ٢٦٦٨٨ شخصاً
(٢) أرمينية ٥٠٨٢٢
(٣) أذربيجان ١٠,٠٠٠
(٤) آسيا الوسطى ٢٥,٠٠٠

وأغلب هؤلاء الأكراد سنة أحناف وفيهم عدد قليل جدا من اليزيديين عبدة الشيطان.

ويملك الاكراد في أرمينية جريدة يومية تصدر في اريغان. وقد فرض على الاكراد كتابة لغتهم بالحرف الروسي الكريلي بدلا من الحرف العربي.

ومن المعلوم أن الأمة الكردية هي التي أخرجت صلاح الدين الايوبي والعديد من الابطال مثل نور الدين زنكي..

وها هم الان يتعرضون في الاتحاد السوفيتي لمحاولة مسح دينهم ونعتهم وارتباطهم باللغة العربية.

ومنذ ان دخل العرب الى تلك الاصقاع تصاهروا مع الأكراد حتى كانت كثير من القبائل العربية تعتبر كردية لشدة التصاقها بالأكراد. واتخذ الاكراد اللغة العربية بدلا عن لغتهم..

ولا يزال الاكراد يتمسكون بالدين الاسلامي وباللغة العربية حتى في الاتحاد السوفيتي ويدرسون القرآن الكريم سرا ويعلمونه لابنائهم.

النور المسلمون:

وهم المعروفون باسم الغجر وينتشرون في الاتحاد السوفيتي ودول اوربا الشرقية. ويبلغ عددهم في الاتحاد السوفيتي ٢٠٩,١٥٩ نسمة منهم ١٢٠,٠٠٠ في جمهورية روسيا الاشتراكية الفيدرالية السوفيتية والبقية يتنقلون بين آسيا الوسطى وكازاخستان والقوقاس.

ويدين هؤلاء الغجر (النور) بالدين الاسلامي وهم سنة أحناف. ولكن كثيرا منهم قد بعدوا عن التربية الاسلامية وضاعوا في الشتات (دياسبورا) الذي لا يزالون يعانون منه حيث يشكلون أمة مهاجرة لا موطن ثابت لها.

الجمهوريات الذاتية والأقاليم الواقعة في شمال وشرق القوقاز
(من كتاب المسلمون في العالم)

الجمهورية الذاتية أو الأقاليم	عدد السكان	عددالمسلمين	النسبة
جمهورية الداغستان	١,٧ مليون	١,٣	٧٥٪
جمهورية الشاشان (شيشينو – انجوشيا)	١,٢ مليون	٩٠٠ ألف	٧٤٪
جمهورية قابرديار – بلكاريا	٦٦٠ ألف	٥٠٠ ألف	٧٢٪
جمهورية اوستينا الشمالية	٦٢٠ ألف	٣٣٠ ألف	٥٣٪
اقليم كراتشاي – شركس	٥٠٠ ألف	٣٥٠ ألف	٧٠٪
اقليم اديغة (اديجيا)	٥٠٠ ألف	٣٥٠ ألف	٧٠٪

وبذلك يبلغ مجموع المسلمين في شمال وشرق القوقاس نحو ٣,٧ مليون مشكلين نسبة ٧٢ بالمئة من مجموع السكان.

ويبلغ عدد المسلمين في جمهورية روسيا الاتحادية السوفيتية ١٤,٨ مليون من مجموع ١٣٥ مليون.

الفَصْلُ الخامِسُ

اذربيجان

تقسم أذربيجان حاليا الى قسمين: قسم في شمال ايران وعاصمته تبريز وقسم في الاتحاد السوفيتي ويعرف بجمهورية اذربيجان الاشتراكية السوفيتية وعاصمته باكو، ويفصل بينهما نهر الرس، فما كان شمال نهر الرس فهو أرّان (القديمة) التي احتلها الروس واصبحت تعرف باسم جمهورية أذربيجان الاشتراكية السوفيتية، وما كان جنوب النهر فهو اقليم اذربيجان التابع لجمهورية ايران الاسلامية..

فتح أذربيجان

في اثناء ولاية المغيرة بن شعبة على الكوفة في زمن عمر رضي الله عنه بعث المغيرة بن شعبة الصحابي الجليل حذيفة بن اليمان صاحب سر رسول الله الى أذربيجان.. فسار حذيفة دون أن يعترضه معترض حتى وصل اردبيل عاصمة اذربيجان عندئذ وعليها المرزبان (والمرزبان لفظ فارسي يعني الحاكم أو الوالي) فقاتله مرزبانها قتالا شديداً فلما رأى الهزيمة واقعة به لا محالة طلب الصلح فأعطاه اياه الصحابي الجليل حذيفة بن اليمان على أن يدفعوا للمسلمين ثمانمائة الف درهم وعلى أن لا يقتل المسلمون احدا من أهل أردبيل ولا يسببه سواء كان من المقاتلة أو غيرهم وعلى أن لا يهدم بيت نار وهي معابدهم.. ولا يعرض لاكراد البلاسجان وسبلان وساترودان. وتم ذلك سنة ١٨ هـ (٦٣٩ م.)

ثم ولى عمر بن الخطاب أمر أذربيجان عتبة بن فرقد السلمي فدخل فرقد أردبيل العاصمة ووجدهم على العهد ولكنه وجد أطراف اذربيجان قد انتقضت وغدرت فغزاها وأخضعها وقد حدثت عند تولي عتبة أمر أذربيجان حادثة تزيدنا دلالة على زهد عمر رضي الله عنه وعدله فقد أرسل له عتبة سفطين من خبيص وهو طعام لذيذ من طعام

أهل أذربيجان فلما ذاق منه عمر قال:

إن هذا لطيب: هل كُلُّ المسلمين أكلَ منه شبعة فقال رسول عتبة بن فرقد: لا يأ أمير المؤمنين انما هو شيء خصك به فكتب اليه عمر يقول:

من عبدالله عمر أمير المؤمنين الى عتبة بن فرقد. أما بعد فانه ليس من كدك ولا كد أمك ولا كد أبيك. لا نأكل الا ما يشبع منه المسلمون في رحالهم..

فوعى عتبة بن فرقد وجميع ولاة عمر رضي الله عنه هذا الدرس البليغ.. فلم يكن أحد منهم يستطيع أن يأكل الا مما يأكل منه المسلمون يشبعون.. ولم يكن والٍ يستطيع ان يدخر لنفسه شيئا.. وأكثرهم من أجله الصحابة يخشون الله ويرقبونه ثم بعد ذلك رقابة عمر الشديده التي تقاسمهم مالهم الخاص.

واليك نص العهد الذي أعطاه عتبة بن فرقد السلمي لأهل اذربيجان:

(هذا ما أعطى عتبة بن فرقد عامل عمر بن الخطاب أمير المؤمنين أهل اذربيجان سهلها وجبلها وحواشيها وشفارها وأهل مللها كلهم، الامان على أنفسهم واموالهم ومللهم وشرائعهم على أن يؤدوا الجزية على قدر طاقتهم (ويا له من عدل عظيم) ليس على صبي ولا امرأة ولا زمن (شيخ طاعن أو مريض بمرض مزمن) ليس في يديه من الدنيا (وهو اعفاء لغير القادرين على دفع الجزية) لهم ذلك ولمن سكن منهم. وعليهم قرى (اي ضيافة) ومن حسر منهم في سنة وضع عنه جزاء تلك السنة (اي لم يستطع دفع الجزية فترفع عنه الجزية في ذلك العام). ومن أقام فله مثل ما لمن أقام من ذلك. ومن خرج فله الامان حتى يلجأ الى حرزه. وكتب جندب وشهد بكير بن عبدالله الليثي وسماك بن خرشة الانصاري وكتب في ثماني عشرة (أي سنة ١٨ هـ) (٦٣٨ م).

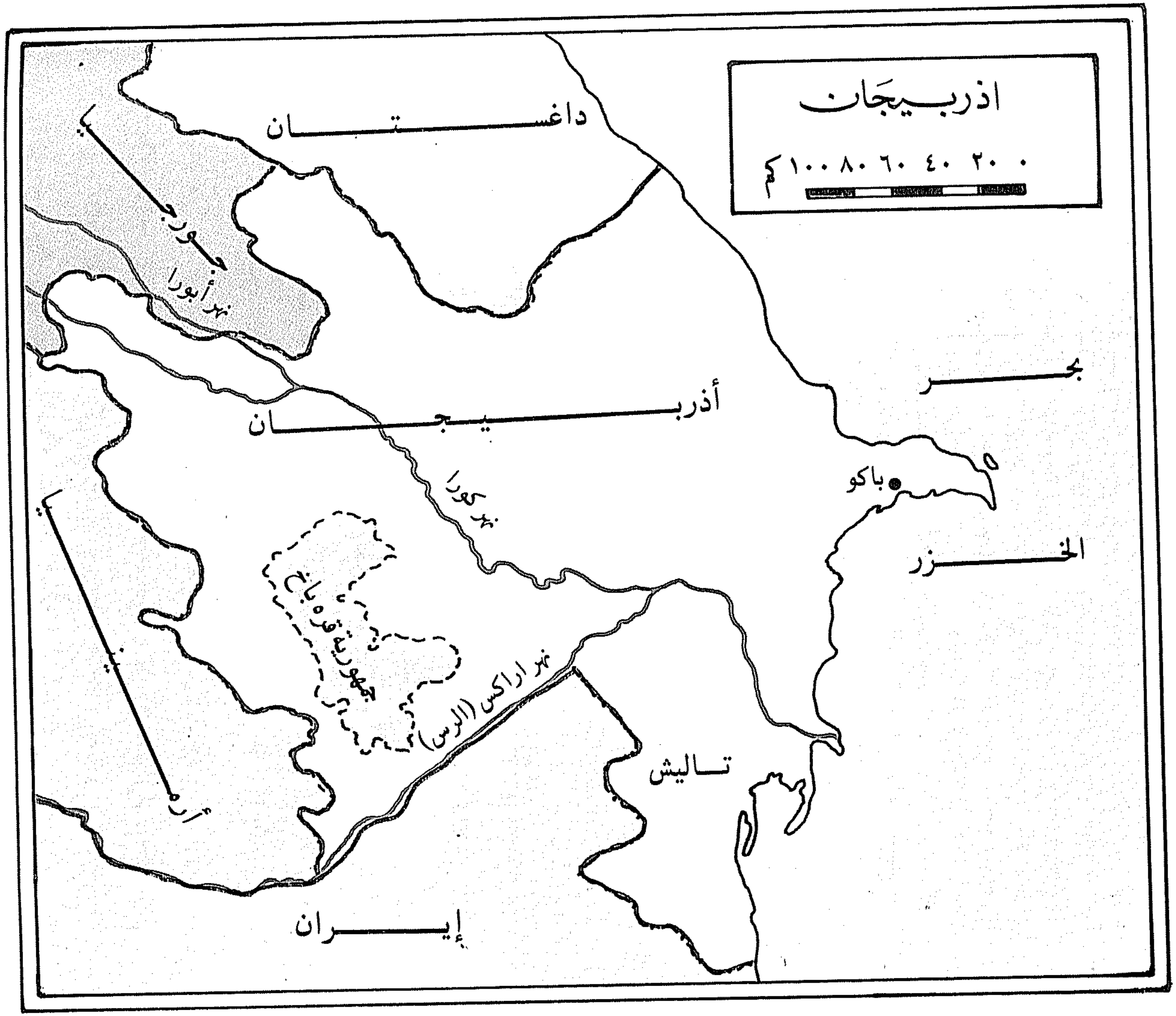

أذربيجان
٠ ٢٠ ٤٠ ٦٠ ٨٠ ١٠٠ كم
داغستان
جورجيا
نهر أبورا
أذربيجان
نهر كورا
بحر الخزر
باكو
أرمينيا
جمهورية قره باغ
نهر اراكس (الرس)
تاليش
إيران

عدل الاسلام أهم أسباب انتشاره بين الأمم المغلوبة

وهكذا وجدت الامم المغلوبة عدل الاسلام فدخلت في دين الله افواجا، فلما تولى عثمان رضي الله عنه وكان شيخا كبيرا تملص الولاة من رقابة عمر وشدته فاكتنزوا الاموال لانفسهم ومنهم الوليد بن عقبة بن ابي معيط الذي سماه الله فاسقا بقوله تعالى: ﴿ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين﴾.

وكان عثمان رضي الله عنه قد ولى الوليد هذا أمر الكوفة واليه يعود أمر أذربيجان وقزوين والديلم فانتقضت جميعها فبعث اليهم الوليد أحد رجال الوغى وهو الأشعث بن قيس الكندي فأخضعهم وصالحهم على مثل صلح حذيفة بن اليمان وعتبة بن فرقد السلمي[(١)].

ثم تولى أمر أذربيجان سعيد بن العاص الاموي فانتقضت عليه مناطق من أذربيجان فوجه اليها جرير بن عبد الله البجلي فأخضعها..

---

(١) جاء في كتاب الفتوحات الاسلامية للسيد أحمد زيني دحلان أن أهل أذربيجان نقضوا العهد سنة ٢٥ هـ في أول عهد عثمان رضي الله عنه فأمر عثمان الوليد بن عقبة بن ابي معيط وإليه على الكوفة بأن يسير إليها فسار الوليد وأغار على أهل موقان والبير والطيلسان ففتح وغنم وسبى، فطلب أهل كور أذربيجان الصلح فصالحهم على ثمانمائة ألف درهم وبعث سلمان بن ربيعة الباهلي الى أهل أرمينية في اثني عشر ألفاً لانهم نقضوا العهد أيضاً ففتح بلادهم ثم انصرف وقد ملأ يديه بالغنائم. وسار الوليد الى الحديثة فنزل بها فأتاه بها كتاب عثمان يأمره بنجدة معاوية ابن أبي سفيان الذي اجتمعت ضده حشود الروم فأرسل الوليد سلمان بن ربيعة الباهلي في ثمانية الآف لنجدة معاوية فحضرا مع جند الشام فشنوا الغارات على أرض الروم (في أرمينية) وكان على جند الشام حبيب بن مسلمة فاتح أرض أرمينية.. حتى أتو قالي قلا (قلقيليا أو أرضروم أو أرزن الروم وهي اليوم في شرق تركيا مما يحاذي أرمينية السوفيتية). فحاصرها حبيب بن مسلمة حتى طلب أهلها الصلح وطلب كثير من الروم الجلاء عنها فسمح لهم بمغادرتها ولحقوا ببلاد الروم.. ثم غزا حبيب ملاطية وسيواس واقسري وقونية لمواجهة حشود بطريق أرميناقس فهزمهم حبيب. وها هنا نذكر بطولة زوجة حبيب بن مسلمة اذ سمعته زوجة أم عبد الله بنت يزيد الكلبية وهو يقرر مهاجمة الروم ليلا فقالت له أين موعدك فقال لها سرادق الموريان وهو بطريق ارميناقس وقائد قواتهم، فدارت المعركة ووصل حبيب الى السرادق فوجد زوجته قد سبقته الى سرادق البطريق وقائد قوات الروم وبيدها سيفها.. يقطر من دم الاعداء.. وفتح حبيب بقية أراضي أرمينية الواسعة التي يقع جزء منها اليوم في شرق تركيا والجزء الاخر في جمهورية أرمينية السوفيتية.

فلما تولى الامام علي الخلافة بعث الأشعث بن قيس الكندي الى أذربيجان فلما قدمها وجد اكثر أهلها قد أسلموا وقرأوا القرآن فأنزل جماعة من العرب أردبيل عاصمة اذربيجان ومصّرها وبنى مسجدها...

وهكذا كانت عظمة هذا الدين لا تمضي سنوات قلائل حتى تصير البلاد المفتوحة بلادا اسلامية شديدة التمسك بأهداب هذا الدين وتعاليمه وآدابه.

اندماج العرب مع الاكراد

واندمج العرب في أهل هذه البلاد اندماجا تاما وأصهروا اليهم فما هي الا فترة وجيزة حتى عد بنو رواد من الازد كردا من الاكراد لشدة اختلاطهم بهم واصهارهم اليهم.

وتراخت قبضة الخلافة على أذربيجان بعد فتنة بابك الخرمي.. وكان آخر من وليها من الحكام ذوي الهمة العالية بنو الساج الذين انتهى حكمهم في فتنة بابك الخرمي المجوسي.. ثم ظهر بعد بابك ديسم الخارجي وهو أحد الخوارج المشهورين بشدة البأس والشجاعة وحكم أذربيجان فترة من الزمان..وهو عربي الأب كردي الأم.. ثم ظهرت الباطنية بظهور مرزبان بن محمد الديلمي...

ظهور الغز في أذربيجان.

وفي مستهل القرن الخامس الهجري احتل الغز وهم قوم من بدو الترك أذربيجان.. وذلك أيام الحكم السلجوقي التركي.. حتى أصبح أكثر سكان أذربيجان أتراكا.. واختلطت العناصر التركية بالعناصر الفارسية والعناصر العربية لتشكل وحدة لا تنفصم عراها لحمتها الاسلام وسداها الايمان تجمعها الاخوة في الله فترتفع فوق الاجناس والالوان والمشارب والاهواء والنزاعات القومية والشنشنات العصبية وتتمثل قول

رسول الله ﷺ (ليس منا من دعا الى عصبية).. (ودعوها فانها منتنه) أي الدعوة القومية العنصرية.

المغول:

وخضعت اذربيجان لحكم خوارزم شاه جلال الدين ثم جاء المغول في اعقابه بعد أن دمروا خوارزم واجتاح هولاكو اذربيجان في طريقه الى بغداد في الواقعة المشهورة.. وحكمها الاتراك السلاجقة لمدة قرنين من الزمان(الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين) في الوقت الذي احكموا فيه سيطرتهم على الخلافة العباسية..

ثم بدأت الامبراطورية البيزنطية تمد سلطانها فاحتلت مراغة في غرب اذربيجان ثم تبريز وهي عاصمة اذربيجان الايرانية اليوم...

الاتراك التركمان:

وأعاد الاتراك التركمان مراغة وتبريز الى حظيرة الحكم الاسلامي وطهروها من بقايا حكم الروم والمغول.. واستمر حكمهم من سنة ٧٨٠ هـ (١٣٧٨ م) الى سنة ٩٠٨ هـ (١٥٠٢ م) وكانت عاصمة ملكهم تبريز..

الدولة الصفوية وحروبها المدمرة مع الدولة العثمانية

ثم جاء بعدهم الصفويون الذين جعلوا أذربيجان من أهم معاقلهم والدولة الصفوية هي أكبر دولة شيعية قامت في التاريخ الاسلامي وامتد سلطانها حتى شمل افغانستان وايران الحالية واجزاء واسعة من بلاد ما وراء النهر وخراسان واذربيجان..

وكانت دولتهم تنافس الخلافة العثمانية وللأسف كانت الحروب المدمرة كثيرا ما تدور رحاها بين الفريقين فتارة يكون النصر للعثمانيين وتارة للصفويين.. وفي جميع الحالات كانت أمة الاسلام هي الخاسرة لأن

الروس كانوا يهتبلون الفرصة فيغيرون على مناطق واسعة من الأراضي الاسلامية الواقعة تحت سلطان الخلافة العثمانية أو تلك الواقعة تحت نفوذ الدولة الصفوية...

﴿ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم﴾ (سباب المؤمن فسوق وقتاله كفر).. ﴿انما المؤمنون اخوة فأصلحوا بين أخويكم﴾.

فلما اشتدت الفرقة والخصام والتنابذ والقتال بين المسلمين سلط الله عليهم اعداءهم فأهلكوهم واحتلوا أرضهم وجعلوهم أذلة..

وهذا هو واقع المسلمين الى يومنا هذا.. وها هي الحرب العراقية الايرانية تعيد نفس القصة المؤلمة المدمرة...

وكان الصفويون قد جعلوا أردبيل عاصمة لأذربيجان.. وكانت تبريز هي ميدان القتال بين العثمانيين والصفويين.. وقد دمرت تبريز مرارا في هذه الحروب الطويلة التي امتدت عدة قرون (احتل العثمانيون تبريز من سنة ٩٢٠ هـ (١٥١٤ م) الى سنة ١٠١٢ هـ (١٦٠٣ م) ثم احتلوها مرة أخرى سنة ١١٣٥ هـ (١٧٢٢ م) الى ١١٤٢ هـ (١٧٢٨ م).. وقد حاول الروس احتلال شماص في اذربيجان الشمالية عام ١١٣٦ هـ (١٧٢٣ م) ثم عام ١١٨٥ هـ (١٧٧١ م) ثم ١٢١١ هـ (١٧٩٦ م) وقد دافع عنها أهل البلاد وصدوهم بمساعدة قوات الدولة العثمانية.

الدولة القاجارية

وبعد انتهاء الدولة الصفوية وظهور الدولة القاجارية التي استمرت الى بداية القرن العشرين أصبحت أذربيجان مقرا لولي عهد شاه ايران.

احتلال الروس لاذربيجان

وفي عام ١٢١٦ هـ (١٨٠١ م) أخضعت روسيا القوقاز الجنوبية وجورجيا (بلاد الكرج) تحت حمايتها، وتحولت اذربيجان الشمالية (ارّان)

الى عدة خانيات وكانت خانية كنجة هي هدفهم الأول ودافع عنها ملكها جواد خان بشجاعة فائقة حتى استشهد واستشهد معه الفان من جنوده.. وعندما احتلها الروس غيروا اسمها الى اليزاوتيل (وهو اسم زوجة القيصر الكسندر الاول) وخضعت بقية الخانيات واحدة اثر الأخرى فسقطت باكو وكوبا عام ١٢٢١ هـ (١٨٠٦ م) وخانية شكي عام ١٢٣٠ هـ (١٨١٥ م) وشماص سنة ١٢٣٦ هـ (١٨٢٠ م) وقارابغ سنة ١٢٣٨ هـ (١٨٢٢ م)...

وأقام الروس فيها نظاماً أقطاعياً استعبادياً جائراً وتولى النبلاء الروس حكم هذه الاراضي الاسلامية التي اعتبروها غنيمة لهم...

بريطانيا تتفق مع روسيا:

وفي عام ١٣٢٦ هـ (١٩٠٨ م) قدم الروس الى تبريز بالاتفاق مع بريطانيا العظمى بحجة حماية الجاليات الاجنبية.. وهكذا كانت الدول الاستعمارية تتقاسم أرض المسلمين وتتفق على توزيع الغنائم والاسلاب حيناً وطوراً تختلف.. فلما أطال الروس مكثهم في تبريز اختلفوا مع بريطانيا.. وعند قيام الثورة البلشفية سنة ١٣٣٦ هـ (١٩١٧ م) اضطرت روسيا الى الانسحاب بقواتها لانشغالها بالثورة داخلياً.. ودخل الاتراك العثمانيون اليها في اواخر عهدهم وقبل نهاية الخلافة على يد أتاتورك..

وساعد الانجليز ضابطاً ايرانياً يدعى رضا بهلوي فاستولى على أذربيجان وعينوه فيما بعد شاهاً لايران.. ولما جاءت الحرب العالمية الثانية ضاق رضا شاه بسيطرة الانجليز عليه فتعاون مع الالمان فلما انتهت الحرب خلعه الانجليز ووضعوا مكانه ابنه محمد رضا شاه وهو شاه ايران الذي أطاحت به الثورة الاسلامية بقيادة آية الله الخميني..

روسيا تحتل اذربيجان الايرانية باتفاق مع الحلفاء.

وقد احتلت روسيا بإيعاز من الحلفاء بريطانيا وفرنسا وامريكا اذربيجان سنة ١٣٦٠ هـ (١٩٤١ م) لأنهم كانوا يخشون من تعاون رضا شاه مع دول المحور في الحرب العالمية الثانية..

وقد حاول ستالين أن يطيل مكثه في اذربيجان الجنوبية بعد أن ابتلع اذربيجان الشمالية الواقعة الى اليوم في الاتحاد السوفيتي ولكن دول الحلفاء اضطروه في النهاية الى الانسحاب وذلك في مايو سنة ١٣٦٥ هـ (١٩٤٦ م). وأعلن الاستقلال الذاتي لاذربيجان ولكن سرعان ما عادت الى إيران.

تقسيم اذربيجان في العهود الاسلامية الأولى.

قسمت اذربيجان بعد الفتح الاسلامي الى كور (أقاليم أو مقاطعات) متعددة هي:

(١)مراغه (٢)ميانج (٣)اردبيل (٤)سيسر (٥)برزه (٦)تبريز (٧)سابر خاست (٨)مرند (٩)خوى (١٠)كولسره (١١)موقان (١٢)برزند (١٣)جنزة (١٤)باجروان (١٥)نريز (١٦)أرميه (١٧)سلماس (١٨)سندبايا (١٩) البذ (٢٠)أرم (٢١)سراه (٢٢)بلوان كرج (٢٣)دسكياور (٢٤) ماي بهرج.

وكانت اذربيجان وآران (الاذربيجان السوفيتية) وأرمينية تخضع لعامل واحد ومن أخص خصائص اذربيجان سلسلة الجبال الشاهقة التي ترتفع في أنحاء مختلفة من الاقاليم وهي جبال سبلان غربي اردبيل وجبال سهند جنوبي تبريز وجبل ارارات الاصغر مكونة الحد بين تركيا والعراق.

وتقع على شواطىء قزوين الغربية الجنوبية.. وفيها بحيرة أرمية ونهر دجلة. والانهر التي تمر في اذربيجان هي:

(١) روافد نهر سفيدرود.

(٢) روافد نهر الرس (نهر اردبيل).

(٣) نهر دجلة ونهر الزاب الاصغر.

(٤) أنهار أرمية

أما أهم مدن اذربيجان فهي تبريز واردبيل وأرمية وخوى، والسكان أتراك اختلطوا بالعناصر الفارسية والعربية ولغتهم تركية اذربيجانية..

جمهورية أذربيجان الاشتراكية السوفيتية (أران).

جغرافيتها تمتد حدود جمهورية أذربيجان من جهة الشمال بامتداد سلسلة جبال القوقاز الكبرى الى جبال القوقاز الصغرى حتى جبال طاليش.. ومن جهة الشرق يحدها بحر قزوين (بحر الخزر أو بحر الديلم أو بحر جرجان).. وتجاورها من الشمال جمهورية داغستان ومن الشمال الغربي جمهوريتا أرمينية وجورجيا السوفيتيتان. أما من الجنوب فيفصلها عن اذربيجان الواقعة في ايران نهر الرس ويعتبر هذا النهر الحد الفاصل بين اقليم اذربيجان في إيران وجمهورية اذربيجان السوفيتية.. كما يحدها من الجنوب الغربي الجمهورية التركية.

كانت مساحة أراضي اذربيجان السوفيتية عام ١٣٣٨ هـ (١٩١٩ م) وهي الفترة التي أعلن فيها قيام جمهورية مستقلة تبلغ ٩٤,١٣٧ كم٢ ولكن مساحتها تضاءلت بعد ذلك بعد أن اقتطعت منها أراضي قاريازي وبورجالي وأعطيت الى جمهورية جورجيا واقاليم القازان وزنكيزور التي أعطيت لجمهورية ارمينية.. وتبلغ مساحتها الحالية بعد

اقتطاع هذه الأجزاء منها ٨٧,٠٠٠ كم[٢] وتتميز أراضي اذربيجان بتنوع الطبيعة فيها تنوعاً كبيراً ففي المناطق الشرقية والوسطى توجد سهول فسيحة.. وفي المنطقة الجنوبية توجد جبال شاهقة تغطيها الثلوج معظم السنة.

ويشق اذربيجان نهران هما نهر الرس (أراس) ونهر كورا.. ومعظم المدن تقوم على ضفاف نهر كورا أما نهر الرس فيشكل الحدود بين أقليم اذربيجان في إيران وجمهورية اذربيجان في الاتحاد السوفيتي..

وتقع باكو العاصمة على بحر قزوين الذي يعتبر روح الاقتصاد الاذربيجاني لارتباطه ببترول باكو ولغناه بالاسماك..

ومن مدنها كنجة (التي أسموها اليزاوبتول على أسم زوجة امبراطور روسيا) وشماخي وقوبة وساليان ونوخي..

ياقوت يصف أذربيجان:

والنسبة اليها أذري أو أذربي.. ومعنى أذر بالفارسية النار والمعنى بيت النار أو خازن النار.. **وحد اذربيجان الايرانية** من برذعة شرقاً الى ارزنجان غرباً وتتصل شمالاً ببلاد الديلم والجبل والطرم ومن مدنها تبريز وهي قصبتها. ومن مدنها المراغة وخوى وسلماس وأرمية واردبيل ومرند.. **وصفها ياقوت بقوله:** (وهو صقع جليل ومملكة عظيمة الغالب عليها الجبال وفيه قلاع كثيرة وخيرات واسعة وفواكه جمة ما رأيت ناحية اكثر بساتينا منها ولا أغزر مياهاً وعيوناً.. لا يحتاج السائر فيها الى حمل اناء للماء لأن المياه جارية تحت اقدامه اين توجه وهو ماء بارد عذب صحيح. وأهلها صباح الوجوه حمرها رقاق البشرة ولهم لغة يقال لها الاذرية لا يفهمها غيرهم.. وفي أهلها لين وحسن معاملة الا أن البخل يغلب على طباعهم.. وهي بلاد فتنة وحروب ما خلت منها قط فلذلك أكثر مدنها خراب وقراها يباب).

ووصف **أرّان**.بالفتح وتشديد الراء فقال: «ولاية واسعة وبلاد كثيرة منها جنزة المشهورة باسم كنجة وبرذعة وبيلقان وبين أذربيجان وأران نهر يقال له الرس. كل ما جاوره من ناحية المغرب والشمال فهو من أران وما كان جهة المشرق (والجنوب) فهو من اذربيجان.. وأران أيضاً قلعة من قلاع قزوين مشهورة.» قال نصر: «أران من اصقاع أرمينية يذكر مع سيجان وهو أيضاً أسم لحران يعمل بها الخز قديماً. وممن ينسب الى أران **عبد الخالق بن أبي المعلي الاراني الشافعي**.. قدم الموصل وتفقه على **ابي حامد بن يونس** . .واشتهر بالفقه الشافعي».

السكان: ذكر في تعداد سنة ١٣٩٠ هـ (١٩٧٠م) أن سكان أذربيجان السوفيتية قد بلغوا ٥,١١١,٠٠٠ وفي احصاء ٧٩ م بلغوا ٦,٢٨٠,٠٠٠ جلهم من الاتراك الاذربيجانيون (الاذريون) والاكراد الذين يقيمون في سفوح جبال أذربيجان ثم التتار الذين يسكنون عند مصب نهر كورا وفي مدينة باكو. وهناك مستعمرون روس أيضاً.

والنسبة الى أذربيجان أذري ويبلغ هؤلاء الآذريون خارج أذربيجان في مختلف مناطق الاتحاد السوفيتي قرابة ثلاثة ملايين حسب احصاء سنة ١٣٨٩ هـ (١٩٥٩م) ولعلهم الآن قد وصلوا الى خمسة ملايين. وبلغ عدد الأذربيجانيون (الأذريون) داخل اذربيجان السوفيتية حسب احصاء ١٣٩٩ هـ (١٩٧٩م) خمسة ملايين ونصف المليون وهم شيعة جعفرية وسنة.. وهنا يتضح كيف يوحد الاسلام بين صفوف ابنائه حيث يلتحم الشيعة بالسنة التحاماً في مواجهة الغزو الروسي العسكري والاستعماري والثقافي..

تاريخ أذربيجان السوفيتية: شملت دولة ميديا القديمة اجزاءاً واسعة من أذربيجان وذلك في القرن السابع قبل الميلاد وكانت عاصمة ميديا مدينة أكباطان وهي همذان اليوم.. وفي القرن الخامس قبل

الميلاد حل الفرس محل دولة ميديا ثم جاء الاسكندر المقدوني في القرن الرابع قبل الميلاد ثم دولة ميديا أتروبتان بعد وفاة الاسكندر.. وبقيت الى القرن الثالث بعد الميلاد حينما احتلها الساسانيون الفرس وظلت تحت حكمهم حتى بزغ نور الاسلام وفتحها المسلمون تحت قيادة حذيفة ابن اليمان صاحب سر رسول الله ﷺ وذلك في أيام الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه.. وكانت بداية تلك الفتوح سنة ١٨ هـ (٦٣٨ م).

وظلت أذربيجان تحت الحكم الاسلامي منذ ذلك العهد الى بداية القرن التاسع عشر الميلادي عندما بدأت روسيا تحتل أجزاء من القوقاس ومن اذربيجان. وقد خضعت اذربيجان لحكم روسيا القيصرية منذ بداية القرن التاسع عشر الميلادي ذلك عندما تحولت اذربيجان الى مجموعة من الخانيات الصغيرة المتنافسة فسهل عندئذ ابتلاعها رغم مقاومة الاهالي بل وحكامها المحليين مقاومة باسلة ففي عام ١٢١٦ هـ (١٨٠١ م) فرضت روسيا القيصرية حمايتها على القوقاز الجنوبية وجورجيا (بلاد الكرج أو الشراكسة) وهاجمت خانية كنجة في اذربيجان ورغم دفاع ملكها جواد خان دفاعاً بطولياً واستشهاده في المعركة مع الفين من جنوده البواسل إلا أن نتيجة المعركة كانت لصالح القوات الامبراطورية الروسية الضخمة.. وقد غيروا اسم كنجة الى (اليزاوتيل) على اسم زوجة القيصر الكسندر الأول..

وتوالى سقوط خانيات أذربيجان واحدة اثر الأخرى فسقطت خانيتي باكو وكوبا سنة ١٢٢١ هـ (١٨٠٦ م) وخانية شكي سنة ١٢٣٠ هـ (١٨١٥ م) وخانية شماص سنة ١٢٣٦ هـ (١٨٢٠ م) وخانية قارابغ سنة ١٢٣٨ هـ (١٨٢٢ م) وقام الاهالي بمقاومات عدة واغتالوا القائد العام الروسي الجنرال سيسيانوف ولكن ذلك أدى الى مزيد من

البطش بهم.. ومصادرة املاكهم وأراضيهم حتى أن المؤرخ الروسي فاديف الاستاذ بمعهد التاريخ والفلسفة في اكاديمية العلوم السوفيتية اعترف بما فعله اجداده من جرائم فقال:

«من الجلي أن الذين حلوا في الحكم محل الخانات من قوادنا المركزيين المختارين من بين الضباط الروس والذين أخذوا يطبقون في أذربيجان، وغيرها من المناطق الاسلامية التي احتلوها في تلك الفترة السياسة القيصرية الرجعية الجائرة.. كانوا يعاملون الاهالي أسوأ معاملة فكان الموظفون من رجال حكومة القيصر يرسون في القوقاز الجنوبية قواعد نظم الاستعمار بتنفيذهم أساليب عسكرية اقطاعية. وأما الادعاء القائل بأن الثقافة الروسية قد أثرت على تطور الثقافة الآذرية منذ انضمام (احتلال) اذربيجان الى روسيا فهراء لا يمثل الحقيقة».

الثورات: قامت ثورات متعددة ضد الحكم القيصري الاستبدادي في جميع المناطق الاسلامية ومنها أذربيجان وعمت الثورة روسيا والمناطق المحتلة عام ١٣٢٣ هـ (١٩٠٥ م).

وفي تلك الفترة تكونت عدة تنظيمات اسلامية أهمها (جماعة المسلمين لعموم روسيا) التي ترأسها السياسي الاذري علي مروان طوبجي باشا وكان هدف هذه الجماعة ضمان الحقوق السياسية والوطنية والدينية لمسلمي روسيا.

وفي ٣ يونية ١٣٢٥ هـ (١٩٠٧ م) أصدر القيصر نيقولا الثاني قراراً بحل البرلمان الروسي وتعديل قوانين الانتخابات وكان نتيجة ذلك أن نقص عدد ممثلي المسلمين في روسيا (وهم يمثلون خمس السكان تقريباً) من عشرة اشخاص الى ستة اشخاص فقط..

وقد جاء في منشور رئيس الوزراء الروسي آنذاك ستوليبين ١٣٢٨ هـ (١٩١٠ م) توضيحاً لسياسة روسيا القيصرية ومن بعدها البلشفية بل

وجميع الدول المسيحية ازاء الاسلام والمسلمين، وجاء في هذا المنشور ما يلي: «أن الصراع القائم بين العالمين المسيحي والاسلامي لم ينشأ لسبب ديني فقط بل علينا أن ندرك أنه صراع له طبيعة سياسية وثقافية دولية، وهنا يكمن بالتأكيد السر في النجاح الذي احرزته الدعوة الاسلامية في الآونة الأخيرة. وأن لنجاح هذه الدعوة في وطننا روسيا لخطورة كبرى.. إذ أن مسلمي روسيا وإن كانوا ينقسمون فيما بينهم الى شعوب وقبائل مختلفة تتحدث بلهجات تختلف عن بعضها بعض الاختلاف الا أننا يجب الا ننسى اطلاقاً أنهم جميعاً من أصل تركي واحد يتحدث الجميع نفس لغته».

وفي عام ١٣٢٤ هـ (١٩٠٦ م) بعد ثورة عام ١٣٢٣ هـ (١٩٠٥ م) الاصلاحية التي منحت المناطق المحتلة في روسيا حق تأليف الجمعيات السياسية أرسل وزير الداخلية آنذاك يحذر من اعطاء هذه التراخيص للمناطق الاسلامية ويأمر بالقاء القبض على (دعاة هذه الحركات الاسلامية الخارجة على القانون) واعتبرهم جواسيس وعملاء لدولة أجنبية هي دولة الخلافة العثمانية.. وهي نفس النغمة التي تتكرر اليوم حتى في البلاد العربية نفسها.. وهو ما أدى ويؤدي، الى اليوم، الى الضغط بعنف على كل الحركات الاسلامية ودعاتها ليس في روسيا فحسب بل في دار الخلافة الاسلامية سابقا وفي شتى بلاد المسلمين وخاصة منها البلاد العربية التي تقوم هذه الايام بحرب ابادة لدعاة الحركة الاسلامية.

وانفجرت الثورة في روسيا في فبراير سنة ١٣٣٦ هـ (١٩١٧ م) وذلك قبل استيلاء البلاشفة عليها وتحويلها لصالحهم في أكتوبر من نفس العام.. وانعقد مؤتمر مسلمي روسيا من واحد الى أحدى عشر مايو وقدموا مشروع (الاستقلال الداخلي لمسلمي روسيا ضمن كيان روسيا

الفيدرالية) وقد قدم المشروع محمد رسول زاده ووافق عليه المؤتمرون بأغلبية ساحقة.

وسقطت ثورة فبراير ١٣٣٦ هـ (١٩١٧ م) واستولت عليها قوات لينين وتحولت الثورة الديمقراطية الى ثورة حمراء.. ووعد لينين المسلمين بحكومات مستقلة وبالحرية الدينية التامة ان هم ساعدوا ثورته وقاوموا قوات الامير دينكين.. وفعلا قام المسلمون بمحاربة قوات الحلفاء وقوات روسيا البيضاء واعلنوا استقلال بلادهم في القوقاز وفي بخاري وفي جورجيا (بلاد الكرج) وفي اذربيجان. واعلنت القوقاز استقلالها في مايو ١٣٣٧ هـ (١٩١٨ م) وتبعتها جورجيا في ٢٦ مايو سنة ١٣٣٧ هـ (١٩١٨ م) وحاول لينين أثارة الفتنة بالايعاز الى العناصر المتعاونة معه وبتدبير القوميسير الشيوعي ستيبان شادميان بمهمة عرقلة حركة الاستقلال واثارة الفتنة في باكو وما حولها حتى يتمكن لينين من اخضاع قوات روسيا البيضاء في أماكن اخرى.. وكانت مذبحة مارس سنة ١٩١٨ التي أستشهد فيها ١٨,٠٠٠ مسلم في باكو فقط ثم تم السيطرة على هذه الفتنة الشيوعية في ١٥ سبتمبر سنة ١٣٣٧ هـ (١٩١٨ م) بفضل معاونة القوات التركية (بقيادة نوري باشا) رغم أن تركيا كانت قد خسرت الحرب تقريباً. وتوجهت القوات البريطانية من إيران لمحاربة الاتراك وتم انسحاب القوات التركية في نوفمبر ١٣٣٧ هـ (١٩١٨ م) ثم أنسحب البريطانيون في أغسطس ١٣٣٨ هـ (١٩١٩ م) نتيجة المقاومة المستمرة وبقيت هذه الجمهورية مستقلة لمدة عامين عندما اجتاحتها قوات لينين في ٢٧ ابريل سنة ١٣٣٩ هـ (١٩٢٠ م) واعترف الحلفاء ومؤتمر فرساي اعترافاً واضحاً لا لبس فيه ولا غموض باستقلال أذربيجان واعترف بها لينين كذلك بل وطلب منها مساعدته في القضاء على قوات روسيا البيضاء.. فلما تم له التخلص من أعدائه قام بالهجوم عليها بجحافل قواته الحمراء واحتلها في أبريل سنة

١٣٣٩ هـ (١٩٢٠ م) تماماً كما فعلت روسيا اليوم عندما دخلت أفغانستان وجاءت بعميل لها هو بابراك كارمل واعلنته رئيساً للجمهورية وادعت أنه طلب عونها رغم أنه لم يكن في أفغانستان عند دخول القوات الروسية بل كان في روسيا. وتشكلت جمهورية اذربيجان الاشتراكية السوفيتية في ٢٨ أبريل ١٣٣٨ هـ (١٩٢٠ م) ثم ضمت مع جورجيا وأرمينيا في مارس ١٣٤٣ هـ (١٩٢٢ م) لتؤلف جمهورية القفقاس التي الغيت بعد ذلك وضمت مباشرة الى الاتحاد السوفيتي.

وكذلك فعل لينين منذ ستين عاماً.. دخل اذربيجان بجحافله واحتل القوقاس وقال أن لجنة الثورة هي التي طلبت معونته..

وازدادت حدة المقاومة الشعبية الاسلامية ضد هذا الغزو الروسي تماماً كما يفعل المجاهدون الافغان اليوم.. ولكن القوات الروسية ذات الاسلحة الفتاكة استطاعت ان تقضي على هذه المقاومة رغم قيام أكثر من ٥٢ ثورة قام بها الشعب الاذربيجاني المسلم وكانت الدول الغربية تتفرج وتفرك يديها وهي ترى الدب الروسي يبتلع الاراضي الاسلامية.. ويحتل عسكرياً دولا مستقلة معترف بها من الدول الغربية ذاتها بل ومن حكومة لينين نفسه. والشيء ذاته تفعله الدول الغربية اليوم مع فارق بسيط هي انها تقوم باحتجاجات لفظية هزيلة وتفشل حتى في منع فرق الرياضة من الاشتراك في مباريات موسكو..

ويا لها من مهزلة تتعاون فيها روسيا وأمريكا ودول الغرب على ابتلاع بلاد المسلمين واقتسام ثرواتها.. ونحن للأسف لا نقرأ التاريخ (كما كان يقول الأعور موسى ديان) واذا قرأناه لم نفقه واذا فقهناه لم نتعظ به.

وتتبع جمهورية أذربيجان السوفيتية جمهوريتان هما قره باخ وناختيشفيان وما أكثر أسماء الجمهوريات في الاتحاد السوفيتي وهي لا تزيد في الواقع عن مقاطعات ومستعمرات.

ثروات أذربيجان: أهم الثروات في أذربيجان هي البترول والغاز الطبيعي.. وقد ذكر المسعودي في مروج الذهب نفط باكو وأن الخليفة العباسي المعتمد قد أقطعه لسكان باكو وما حولها.. وقد زارها المسعودي عام ٣٠٣ هـ (٩١٥ م) وذكر أن نفط باكو يستخدم في الاستبصاح.. وقد ذكر القزويني في عجائب المخلوقات أن الخلافة العباسية قد خصصت وزيراً لشئون النفط وذلك منذ القرن الثالث الهجري..

وقد استخدم نفط باكو بصورة واسعة منذ القرن التاسع عشر وفي عام ١٢٩٠ هـ (١٨٧٢ م) كان انتاج باكو ٢٣,٠٠٠ طناً سنوياً ومع بداية القرن العشرين أي عام ١٣١٩ هـ (١٩٠١ م) بلغ انتاج نفط باكو ١٠,٧٧٠,٠٠٠ طناً سنوياً وكان ذلك الانتاج يعادل ٩٥٪ من جملة الانتاج العالمي. ثم جاءت الثورة البلشفية وتراجع انتاج النفط في باكو وما حولها لتحتل الولايات المتحدة الصدارة في الإنتاج.. ولكن ما لبث الأمر أن استتب للثورة البلشفية وبدأ انتاج باكو يزداد مرة أخرى وفي عام ١٣٥٩ هـ (١٩٤٠ م) بلغ انتاج اذربيجان من النفط ٢٢,٢٠٠,٠٠٠ طناً.. وبعد الحرب العالمية الثانية اكتشف البترول في حوض نهر كور الواقع في أذربيجان وازدادت كمية النفط المستخرجة من أذربيجان زيادة كبيرة كما اكتشف الغاز الطبيعي في مناطق متعددة من أذربيجان مثل قاراداغ وزيره مما جعل الاتحاد السوفيتي أكبر منتج للنفط وللغاز الطبيعي في العالم..

وينتج الاتحاد السوفيتي حالياً ١٢ مليون برميل من النفط الخام تليها المملكة العربية السعودية التي تنتج قرابة عشرة ملايين برميل تليها الولايات المتحدة [إحصائيات ١٣٩٩ هـ (١٩٧٩ م)].

واذا نظرنا لانتاج النفط عام ١٣٩٩ هـ (١٩٧٩ م) فإننا نجد أن الاتحاد السوفيتي كان يقوم بإنتاج ٢٢,٦٪ من جملة الانتاج العالمي

ومعظم هذا النفط السوفيتي من جمهورية اذربيجان من حقول باكو الشهيرة ومن جمهورية بشكيريا ومن التركستان.. وكلها مناطق اسلامية وقد كان انتاج الدول العربية يمثل ٣٥٪ من الانتاج العالمي.. واذا دققنا النظر في احصائيات البترول لهالنا أن نجد أن ٧٠٪ من انتاج النفط في العالم انما تم استخراجه من بلاد المسلمين (٢٢,٦٪ لصالح روسيا) والباقي لصالح الدول الغربية.

أما اذا نظرنا الى احصائيات النفط المؤكد وجودة عام ١٩٧٩ فإننا سنذهل أيضاً للحقائق التالية حيث نجد أن المملكة العربية السعودية هي أكبر مخزن لاحتياطي النفط في العالم تليها الكويت ويليه الاتحاد السوفيتي وهو النفط الموجود أساساً في أذربيجان وفي الجمهوريات الاسلامية التي يحتلها الاتحاد السوفيتي..

وتحتفظ المملكة بـ٢٦٪ من جملة المخزون العالمي للنفط كما تحتفظ البلاد العربية الأخرى بـ٢٦,٦٪ من جملة المخزون العالمي وتمثل المناطق الاسلامية التي تحتلها روسيا وأهمها أذربيجان ١٤٪ من جملة المخزون العالمي للنفط. أما الغاز فإن الاتحاد السوفيتي يأتي على رأس قائمة المنتجين كما أن أراضيه تحتفظ بأكبر مخزون عالمي للغاز.. وهنا نلاحظ أيضاً أن معظم مناطق الغاز الطبيعي هي مناطق اسلامية احتلتها روسيا منذ أيام القياصرة البيض ولا تزال توالي احتلالها تحت حكم القياصرة الحمر.. وينقل أكثر نفط باكو عبر الأنابيب الى باطوم على البحر الاسود..

وتنتج أذربيجان بالإضافة الى البترول والغاز الحديد ففي عام ١٣٨٥هـ (١٩٦٥م) انتجت أذربيجان ٨١١,٠٠٠ طن من الصلب ويبلغ انتاجها حاليا مليون طن.. كما أن بها مراكز لصناعة المحركات وصناعة الصابون وفيها مصادر وفيرة للكهرباء من النفط ومن مساقط

المياه. وتنتج أذربيجان أربعة مليون طن من الألمنيوم وكمية كبيرة من النحاس.

أما محصولاتها الزراعية فتتمثل في القطن والكروم والأرز والشاي.. وثروتها الحيوانية وخاصة من الابقار جيدة.. كما أنها تنتج الحرير الطبيعي من دودة القز وهي تنتج أكثر من ثلاثة الاف طن سنويا من أفخر أنواع الحرير الطبيعي.

ونلاحظ تشابه ثروات البلاد الاسلامية الواقعة تحت الاستعمار الروسي فمعظم أراضي التركستان المقسمة حاليا الى خمس جمهوريات تنتج النفط كما انها تنتج الحديد والكروم.

أما مزارعها فتكاد تكون مخصصة لزراعة القطن والفواكه وشجرة التوت لتربية دود القز.

المعطيات الدينية:

ومعظم هذه المناطق يسكنها العنصر التركي والاتراك أغلبهم مسلمون سُنه الا في أذربيجان حيث يشكل الشيعة ٧٠ الى ٧٥ بالمئة من مجموع سكان أذربيجان المسلمين.. ويعتبر سكان ناخيتشيفان التابعة لأذربيجان من الشيعة الجعفرية الامامية ولا يوجد بينهم غير نسبة ضئيلة من السنة.

ويختلط السنة بالشيعة اختلاطاً قويا ويتزاوجون معهم على غير ما يحدث في المناطق الاخرى من العالم الاسلامي.

ويشرف على مسلمي القفقاس ادارة رسمية روحية اسلامية مركزها باكو ويرأسها شيخ الاسلام (حجة الله باشازادة) وهو شيعي ويساعده اثنان احدهما شيعي والآخر سني.. وتشرف هذه الادارة على ١٦ مسجداً هي التي أبقاها الشيوعيون لجميع القفقاس (أذربيجان

وناخيتشيفان وقرة باخ وجورجيا وأرمينيا والداغستان والاوستين.. الخ) بينما كان في أذربيجان وحدها قبل الإحتلال الروسي أكثر من ألفي مسجد و٧٨٦ مدرسة اسلامية أما الآن فلا توجد في القوقاس بأكمله أي مدرسة اسلامية.. ويسمح لبضعة افراد في كل عام أن يذهبوا الى طشقند أو بخارى للدراسة الدينية حيث توجد هناك مدرستان لجميع مسلمي الاتحاد السوفيتي يسمح فيها بتعليم شيء من القرآن والفقه. ويقول كتاب المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي « في أذربيجان حوالي المليون من بيوت الصلاة السرية والثلاثمائة من المراكز السرية المقصودة بقوة والتي تتمتع بنفوذ خاص ».

« ويقوم بالدور الرئيسي في الدعوة الى الاسلام سرا بين الشيعة (السادة) الذين ينتسبون الى سبطي النبي ﷺ الحسن والحسين.. أما في المناطق السنية فإن مريدي الطريقة النقشبندية هم الذين يضطلعون بدور الدعوة السرية الى الإسلام ».

والسلطات الروسية قلقة من تزايد الاتجاهات الدينية لدى الشباب المسلم في جميع انحاء الاتحاد السوفيتي وخاصة في أذربيجان حيث تنتشر أماكن العبادة السرية ويجتمع الشباب للصلاة ولتعلم القرآن على يد الشيوخ..

ومما يزيد في قلق السلطات ان هناك عددا من الشباب المنخرط في الحزب الشيوعي اكتشف وهو يؤدي الصلاة ويتعلم القرآن..

وتقول المصادر الرسمية السوفيتية ان الشعور الديني أقوى في المدن لا سيما في باكو مما هو في الأرياف على عكس ما كان متوقعا حيث خضعت باكو لتأثيرات الحزب الشيوعي الاذربيجاني (همة) حتى من قبل قيام الثورة البلشفية.. وواجهت باكو حرب اذابة حقيقية لكل المعتقدات الدينية.. حتى كانت التقارير السابقة تدعي أنها قضت على

الاسلام في باكو قضاء مبرما.. وها هي اليوم تفاجأ بهذه النهضة الاسلامية التي جعلت باكو اكثر المناطق عودة الى الإسلام..

وتقول المصادر الرسمية السوفيتية كما يذكرها كتاب المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي: بقدر ما تظهر الادارة الروحية الرسمية للمسلمين السنة ولاءها الظاهر (غير الحقيقي) للسلطات السوفيتية بقدر ذلك تجابهها الطرق الصوفية من خلال موقف شديد المحافظة وغير مهادن في شعوره تجاه الغرباء الكفرة..

وتلاحظ هذه التقارير الرسمية التقارب بل التعاون الحقيقي بين المسلمين الشيعة والسنة وذلك لمواجهة الدعاية الشيوعية الالحادية التي تبثها السلطات في المدارس والمعاهد وكافة أجهزة الاعلام..

جمهورية ناخيتشيفان الاشتراكية السوفيتية ذات الحكم الذاتي: وتضم جمهورية أذربيجان جمهوريتين صغيرتين ذات حكم ذاتي هما ناخيتشيفان وقرة باخ وقد أنشئت جمهورية ناخيتشيفان في ٩ فبراير ١٩٢٥م على مساحة ٥٥٠٠ كم مربعاً، وعاصمتها ناخيتشيفان.. وعدد سكانها ٢٣٩,٠٠٠ نسمة (حسب إحصاء ١٩٧٩).. ورغم أن هذه الجمهورية تقع في وسط أراضي أرمينية الا أنها تابعة إداريا لاذربيجان السوفيتية. ويشكل المسلمون الاذربيجانيون أغلبية السكان المطلقة ٩٦,٢ بالمئة.. ولا يزيد عدد الأرمن حسب احصاء ١٩٧٩م عن ٣١٠٠ شخص فقط وكذلك الروس الذين بلغ عددهم ٣٨٠٠ شخص في احصاء ١٩٧٩م.

منطقة قرة باخ (كاراباخ): تقع هذه المنطقة في جبال الكارباخ وقد كان أغلب السكان ولا يزالون من الارمن.. وإن كان عدد الاذربيجانيون يزدادون باضطراد. وهي كالجزيرة المحاطة بالاذربيجانيين والاتراك المسلمين من كل جانب وبلغ عدد السكان ١٦١,٠٠٠ في احصاء ١٩٧٩ ويشكل الارمن ٧٦٪ من السكان بينما

يشكل الاذريون (الاذربيجانيون) ٢٣٪ من السكان.

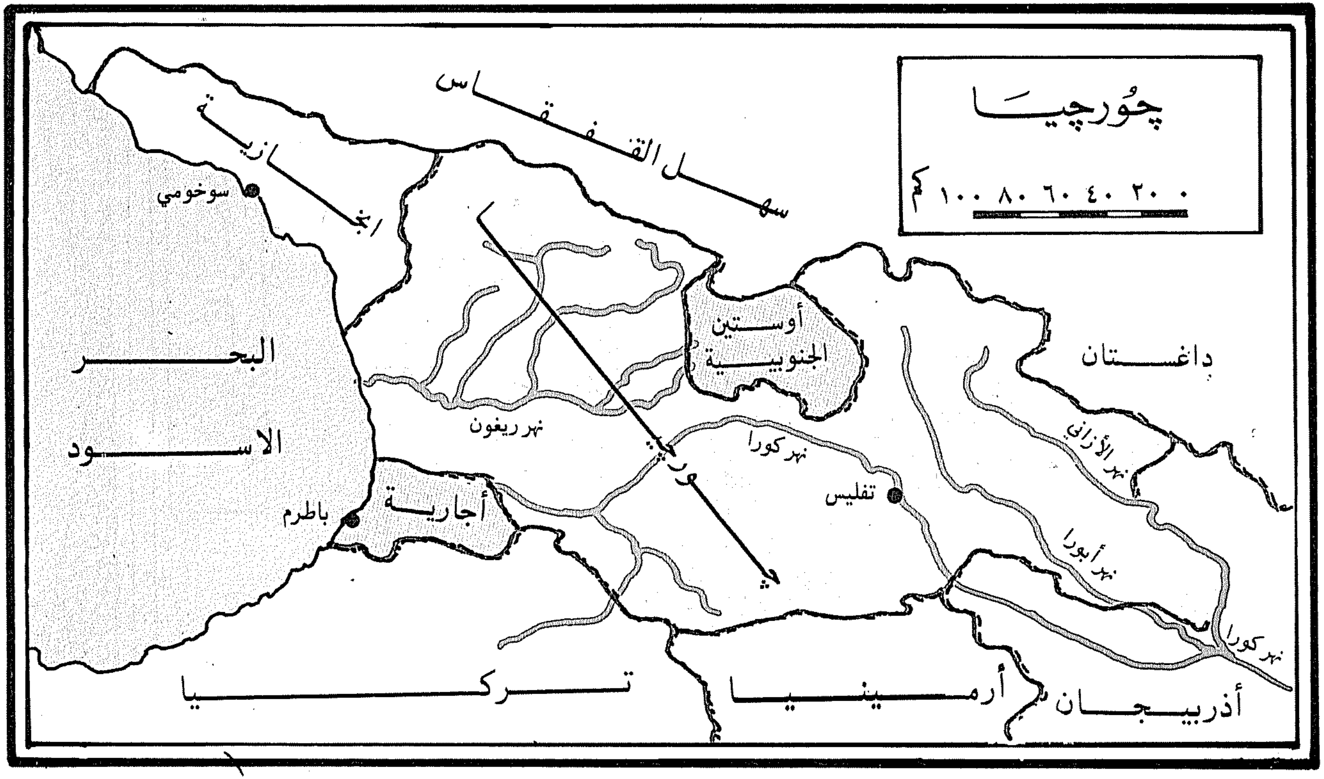
چورچيا
٠ ٢٠ ٤٠ ٦٠ ٨٠ ١٠٠ كم
سهل القفقاس
ابخازية
سوخومي
البحر
الاسود
باطرم
أجارية
نهر ريغون
أوستين
الجنوبية
نهر كورا
تفليس
داغستان
نهر الأزاني
نهر أبورا
نهر كورا
تركيا
أرمينيا
أذربيجان

الفصل السادس

جورجيا

(كرجستان أو بلاد الكرج)

جُغْـرَافيَّـتُهَا

تشغل جورجيا مساحة قدرها ٧٠,٠٠٠ كم مربعاً، وتشمل السفوح الجنوبية الغربية لجبال القوقاز.. ولذا فإن مناخها أكثر اعتدالا اذ أن الجبال العالية في الشمال تحول دون وصول الرياح الشمالية الشرقية الباردة إليها، كما أن ارتفاعها عن سطح البحر يجعلها مصيفا رائعا تكسو جباله ووديانه الخضرة الدائمة.. ولذا فإن أكثر دور النقاهة السوفيتية تقع في هذه المنطقة. وأمطارها غزيرة وأنهارها وفيرة وهي تنساب إما نحو الشرق صوب نهر كورا الذي يصب في بحر قزوين أو نحو الغرب لتصب في البحر الاسود وأطول هذه الانهار الغربية هو نهر ريفون..

وتكثر زراعة الحبوب وبخاصة الذرة والفواكه والبنجر (الشوندر السكري) وتنتج جورجيا ٩٧٪ من جملة انتاج الشاي في الاتحاد السوفيتي بأكمله وتنتج حاليا ما يقرب من مائة وستين الف طن سنويا من الشاي وتنتشر ايضا زراعة التبغ كما تنتشر أشجار التوت التي يربى عليها دود القز لإنتاج الحرير الطبيعي..

أما المعادن فوفيرة وتعتبر جورجيا في طليعة الدول المنتجة للمنغنيز.. كما أنها تنتج التنجستين والفحم والتوتياء وتكثر فيها مصانع الحديد والصلب وعربات السكك الحديدية والادوات الكهربائية وصناعة الاسلحة والاسمنت..

وتنتشر المراعي أيضاً في جورجيا.. وتعتبر جورجيا من أجمل المصايف في العالم وأكثرها جمالا وهدوءا..

يسكن جورجيا أكثر من خمسة ملايين شخص وعدد المسلمين فيهم قريب من المليون.. وأهم مدنها تفليس العاصمة التي تقع على نهر كورا وباطوم الواقعة على البحر الاسود وهي ميناؤها الاول. وقد وصف الأمير شكيب ارسلان أمة الكرج بقوله: وهي أمة لها لسان خاص ومنهم مسلمون ومنهم نصارى وعاصمة كرجستان تفليس ومن مدنها باطوم..

« ومن أشهر امراء الكرج المسلمين سنجاق بك زادة وابراهيم بك وحسين بك.. ومن مشاهير الرجال الذين خرجوا من الكرج المرحوم حسن فهمي باشا ناظر العدلية السابق في تركيا.. وكان من أعز اصدقائنا ».

فتح جورجيا: لقد تم فتح مدينة تفليس عاصمة جورجيا في عهد مبكر جدا وذلك في عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب سنة ١٩ هـ (٦٣٩ م) عندما أرسل عياض بن غنم لفتح أرمينية.. وأرسل عياض بن غنم فرقتين من جيشه لاخضاع أرمينية وبلاد الكرج وأرّان (أذربيجان السوفيتية).. واستطاع حبيب بن مسلمة وسليمان بن ربيعة اخضاع هذه المناطق التي كانت تابعة للامبراطورية البيزنطية. وبرز حبيب بن مسلمة كأحد أمهر قواد المسلمين في محاربة الروم حيث انتصر عليهم في قاليقلا (وهي أرضروم أو أرزن الروم الواقعة اليوم في شرق الجمهورية التركية) وبعد أن تم له فتح خلاط وأرجيش في أرمينية توجه حبيب بن مسلمة الى تفليس فدانت له وأقرت بالجزية ولما انتقضت هذه المناطق أعاد فتحها محمد بن مروان الأمير الأموي الشجاع ووطد دعائم الحكم الاسلامي هناك.

وفي نفس الوقت كانت جيوش سليمان بن ربيعة تفتح اقليم أرّان الذي يعرف اليوم باسم جمهورية أذربيجان الاشتراكية السوفيتية.

وكانت بلاد الكرج أو جورجيا هذه تتبع حكام أرمينية من الأسرة البكراطية الذين اظهروا الولاء للخلافة الأموية ثم العباسية وكانوا

يدفعون الجزية بانتظام.. بل كانوا في كثير من الاحيان يقاتلون في صف المسلمين ضد اخوانهم في الدين جنود الامبراطورية البيزنطية المعروفة باسم امبراطورية الرومان الشرقية. وذلك لأن معظم نصارى الأرمن كانوا من الكاثوليك بينما كان نصارى بيزنطة من الارثوذكس وكانت الحرب شديدة وعنيفة بين هاتين الطائفتين.. ولذا كانوا يرحبون بالمسلمين لما رأوه من سماحتهم وعدلهم.

واختلط العرب والاتراك بهؤلاء النصارى ودخل الاسلام الى قلوبهم شيئا فشيئا.. وكانت اسرة بني ساج من آل شيبان من الأسر المرموقة في هذه المناطق والتي تولت الامرة لعدة قرون من الزمان.. ثم تلاهم السلاجقة ثم ظهر المغول المسلمون وجاء بعدهم تيمورلنك وظهر التركمان بقيادة اوزون حسن وكانوا ينافسون الخلافة العثمانية.. ولكن ما لبث العثمانيون أن فرضوا سيطرتهم على الجميع.

احتلال روسيا لجورجيا:

وقامت روسيا القيصرية بالهجوم على جورجيا واحتلالها عام ١٢١٦ هـ (١٨٠١ م) ثم ضمت بعد ذلك امارة الابخاز والاباظة عام ١٢٢٥ هـ (١٨١٠ م) وامارة غورية في منطقة باطوم سنة ١٢٩٥ هـ (١٨٧٨ م) وذلك بعد أن ضعف شأن الخلافة العثمانية نتيجة الحروب المدمرة التي قامت بينها وبين الدولة الصفوية الشيعية التي قامت في ايران والتي امتدت عدة قرون والتي كان من نتائجها الوخيمة إضعاف كلا الدولتين المسلمتين مما أدى الى أن تقتطع روسيا القيصرية التي كانت قوتها تتعاظم يوما بعد يوم، أجزاء كبيرة من أراضيها..

وبقيت مدينة باطوم التي كانت فيها حكومة محلية غورية تتبع الخلافة العثمانية حتى معاهدة سان استيفانو التي عقدت عام ١٢٩٥ هـ (١٨٧٨ م) ومعاهدة برلين التي عقدت في نفس العام.

وفي هــذا المؤتمر اقتسم الاوربيون منــاطــق النفوذ في البــلاد الاسلامية وأعطيت روسيا منطقة باطوم المعروفة باسم أجاريا..

تقسيم جورجيا إداريا:

وتضم جورجيا ثلاث جمهوريات صغيرة (وما أكثر اسم الجمهوريات في الاتحاد السوفيتي وليس لها في الواقع الا الاسم فقط وانما هي مقاطعات ومستعمرات).. وهذه الجمهوريات الثلاث هي:

١ - أبخازيا: وتقع في الشمال الغربي على ساحل البحر الاسود ومساحتها ٨٦٠٠ كم مربعاً.. وسكانها من الشراكسة وأغلبهم مسلمون وعدد سكانها حسب احصاء ١٩٧٩م ٤٨٦,٩٠٠ نسمـة. وقد تحولت كتابة الابخاز من الحرف العربي الى الحرف اللاتيني سنة ١٩٣٨ ثم الى الحرف الروسي الكريلي منذ عام ١٩٥٦.

وقد فتح ابخازيا الأمير الأموي الشجاع محمد بن مروان الذي فتح كثيراً من أراضي ارمينية وجورجيا.. وكان الابخاز وهم قبيلة تسكن في الشمال الغربي من بلاد الكرج (جورجيا) على البحر الاسود قد أبدوا خضوعهم للخلافة الاموية.. وكانوا يدفعون الجزية ويؤدونها الى عامل تفليس.. ولذا كانت الخلافة الاسلامية تسمح لهم بتصريف شئونهم بواسطة امرائهم المحليين الذين كان يختارهم الاهالي أنفسهم.. وكانت الاسرة البكراطية من أشهر من حكم ارمينيا وجورجيا بما فيها ابخازيا تحت رعاية الخلافة الاموية أولا ثم الخلافة العباسية ثانيا..

ونتيجة الاختلاط بالمسلمين وروح التسامح الديني عند المسلمين الذي لم يكن له نظير في تلك العهود تحول السكان ببطء الى الاسلام وظهر هذا التحول بصورة خاصة أيام الخلافة العثمانية عندما تحولت الاسرة الحاكمة في أبخازيا الى الاسلام في القرن الثامن عشر الميلادي وهي الاسرة المعروفة باسم شروا شدرة..

وبدأ الأحتلال الروسي القيصري على بلاد الكرج سنة ١٢١٦ هـ (١٨٠١ م) وأقام الابخاز علاقات مع روسيا القيصرية تشبه تلك العلاقات التي كانت تقيمها الدول الاستعمارية الكبرى مثل بريطانيا وفرنسا مع الدول الصغيرة والضعيفة.. واستغل القياصرة هذه العلاقة واشعلوا نار الفتنة بين الاخوين المتنافسين على الحكم صفر بك وأرسلان بك.. واستخدموا السياسة الاستعمارية التي استخدمها الانجليز بمهارة وهي سياسة فرق تسد ففرقوا بين الاخوين.. واشعلوا بينهما نار الحرب بل اغروا الأمير صفر بك على الارتداد عن الاسلام حتى يساندوه ضد أخيه ارسلان بك فوقع صفر بك في الشرك وأعلن ارتداده عن دين الاسلام واتباعه النحلة الاثوذكسية النصرانية.. وعندئذ ساندته القوات القيصرية وجعلته اميراً لابخازيا.. إلا ان اخاه الأمير اسكندر استطاع ان يحتفظ بأجزاء منها..

وعندما استتب الامر لروسيا في أبخازيا وجميع بلاد الكرج بل والقوقاس ذاتها قامت روسيا بطرد الأمير ميخائيل ابن الأمير المرتد صفر بك وأمرته بمغادرة البلاد سنة ١٢٨١ هـ (١٨٦٤ م) عندما تخيل أنه حاكم إبخازيا الفعلي.. وهكذا كان عاقبة كفرهم وارتدادهم عن دين الإسلام خسارة الدين والدنيا معاً..

وأقامت روسيا حرباً صليبية ضد الاسلام والمسلمين.. وعمدت الى كل وسيلة لتنصير المسلمين أما الذين يرفضون التنصير فإنهم كانوا يلاقون الطرد من البلاد ولذا كثر الفارون من الابخاز والشراكسة والاباظة والداغستان الى تركيا ومنها الى كافة الاراضي الاسلامية.. وقد اشتهر الكثير من أسرة الأباظة في مصر في القرن العشرين كما عرف كثير من الداغستانيين في الحجاز..

ولما سمح بالحريات الدينية لفترة محدودة وذلك عام ١٣٢٣ هـ (١٩٠٥ م)

أظهر كثير من سكان ابخازيا اسلامهم الذي كانوا قد أخفوه من قبل تماماً مثلما فعل تتار الفولجا والبشكير وسكان أدمورت والجوفاش وماري وموردوف..

وتقول دائرة المعارف الاسلامية التي تصدرها مجموعة من المستشرقين وفيهم كثير من غلاة المتعصبين ضد الاسلام ان عدد المسلمين في ابخازيا انخفض خلال أقل من عشرين عاماً من الحكم الروسي القيصري من ١٢٨١ هـ الى ١٢٩٩ هـ (من ١٨٦٤ الى ١٨٨١ م) من ربع مليون شخص الى أقل من عشرين الفاً.. وذلك نتيجة الاضطهاد الديني وقتل المسلمين وتشريدهم من ديارهم وفرار الكثيرين منهم الى أراضي الخلافة العثمانية المجاورة..

وعند قيام الثورة البلشفية انضم كثير من مسلمي (الاتحاد السوفيتي) بما فيهم سكان جورجيا وأبخازيا الى الثورة ضد القياصرة وصدقوا وعود لينين لهم بالحرية الدينية.. ولكن سرعان ما اتضحت الحقائق لسكان القوقاس المسلمين فتحولوا من مناصرين للثورة الى اعداء ألداء لها...

وفي عام ١٣٣٧ هـ (١٩١٨ م) أي بعد قيام الثورة بعام واحد انضمت ابخازيا الى جمهورية القوقاس المستقلة.. وفي عام ١٣٤٠ هـ (١٩٢١ م) استطاعت القوات البلشفية اخضاعها.. ومع هذا استمرت القلاقل والثورات مثل بقية المناطق التي خضعت للحكم البلشفي الشيوعي الذي اثبت انه أشد وحشية من حكم القياصرة بل ومن حكم جنكيزخان وهولاكو. وفي ١٣٥٦ هـ (١٩٣٧ م) أصبحت أبخازيا جمهورية تابعة لجمهورية جورجيا السوفيتية...

وأقام الروس مئات المستوطنات مثلما تفعل اسرائيل في الأرض المحتلة واصبح السكان الأصليون أقلية في وطنهم حيث بلغ عدد الروس مئات الآلاف بينما لا يزيد عدد الابخاز المسلمين عن ستين الف شخص..

٢ - **أجارية**: تقع في الجنوب الغربي من جورجيا على البحر الاسود وعاصمتها مدينة باطوم الشهيرة والتي تعد المرفأ الأول في جورجيا وعن طريقها تتصل بالخارج.. وتصل الى باطوم أنابيب النفط من باكو في اذربيجان ومنها يصدر النفط..

وتبلغ مساحة أجاريا ٣٠٠٠ كم مربعاً ويسكنها نصف مليون شخص أكثرهم مسلمون.. وقد وصف أحوالهم **الأمير شكيب أرسلان** في كتابه (حاضر العالم الاسلامي) بقوله: «**وفي كرجستان (جورجيا) قوم يقال لهم (اجارة) مسلمون أصابهم ضرر كبير اثناء هذه الحرب (اي الحرب العالمية الأولى وأفنى الروس أكثرهم بحد السيف بحجة ميلهم الى الدولة العثمانية**»..

وقد كانت اجاريا تحكم بواسطة الامراء الغورية التابعين لسلطان الخلافة العثمانية حتى عام ١٢٩٥ هـ (١٨٧٨ م) عندما ضمتها روسيا بموجب معاهدة برلين.. وفي عام ١٣٤١ هـ (١٩٢٢ م) تأسست جمهورية أجاريا التابعة لجمهورية جورجيا.. وجميعهم خاضعون للقياصرة الحمر في الكرملين. وفي احصاء عام ١٩٧٩ بلغوا ٣٥٥,٠٠٠ نسمة منهم ١٥٠,٠٠٠ مسلم وجميعهم من السنة الاحناف.

٣ - **أوستين الجنوبية**: وتقع في وسط جورجيا من الجهة الشمالية.. في منطقة جبلية.. وأكثر سكانها من النصارى المعروفين باسم القوشحة أو القوصحة.. وتبلغ مساحتها ٣٩٠٠ كم مربعاً وسكانها أقل من ربع مليون وقد ضمت الى روسيا سنة ١٢٩٥ هـ (١٨٧٨ م) بعد مؤتمر برلين..

وبينما نرى سكان أوستين الشمالية مسلمين فإن سكان اوستين الجنوبية أغلبهم نصارى وقد عمدت روسيا البلشفية في تقسيماتها الغريبة

الى جعل أوستين الجنوبية تابعة لجمهورية جورجيا بينما جعلت أوستين الشمالية تابعة لموسكو مباشرة.. وذلك حتى لا يتصل الاوستين المسلمون بالاوستين النصارى ويؤثروا فيهم.

ولذا نرى القوقاس على صغر حجمها وعدم كثافة سكانها مقسمة الى أربعة عشر جمهورية صغيرة بعضها يتبع روسيا مباشرة وبعضها يتبع الجمهوريات الثلاث الرئيسية في القوقاس وهي أذربيجان وجورجيا وأرمينيا..

وجميعها يدور في فلك موسكو لا يستطيع لنفسه نفعاً ولا ضراً..

الفصل السّابع

أرمينية

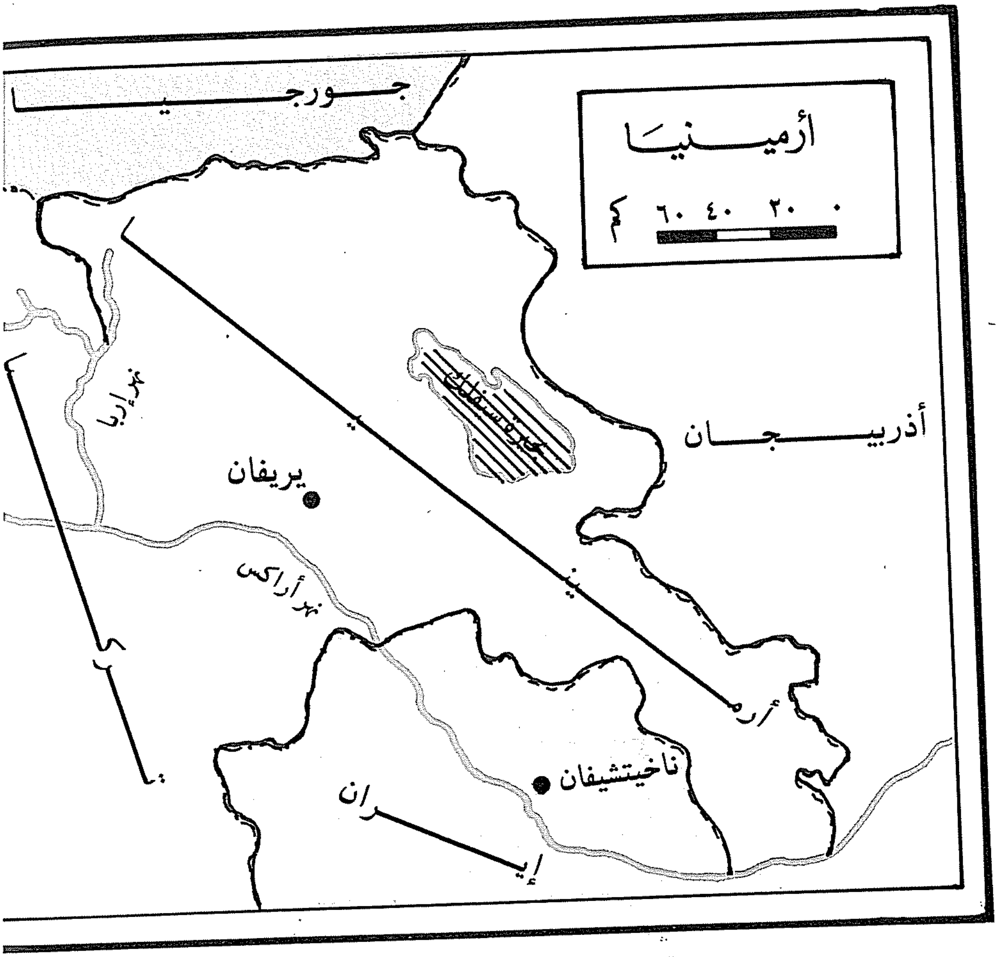

أرمينيا
٠ ٢٠ ٤٠ ٦٠ كم
جورجيا
أذربيجان
يريفان
نهر أراكس
ناخيتشيفان

جُغـرافيَّـتُهـا

أرمينيـة بـلاد جبليـة تحد غرباً بآسيـا الصغرى وشرقاً بهضبـة أذربيجان والشاطئ الجنوبي لبحر الخزر.. وتحدها من الشمال والشمال الغربي بلاد القوقاس التي يفصلها عن أرمينية نهرا الكرّوريونة وجنوبا السهل الشمالي من بلاد الجزيرة (وهي الجزيرة في حوض دجلة الأعلى والزاب الأعلى) وتنبع أنهار دجلة والفرات من أراضي أرمينية. ويتكون نهر الفرات من اتحاد نهرين صغيرين هما قرة صو الغربي ومراد صو الشرقي.. وكلاهما يبدأ من جبال أرضروم وبايزيد. أما نهر دجلة فينبع في الحدود الجنوبية لأرمينية في جبال طوروس.

وينبع نهر الرس من جبال بيك كول طاغي حتى يصل بحر الخزر (قزوين) ويفصل بين أذربيجان الايرانية وأذربيجان السوفيتية.

أما نهر الكر فيفصل القوقاز عن أرمينية.

وتوجد في هذه المنطقة الجبلية عدة بحيرات أهمها بحيرة وان المعروفة في التاريخ الاسلامي ببحيرة خلاط (أرجيش) وبحيرة سوان (كوك جاي دكز أي البحيرة الزرقاء).

ومناخ أرمينية قاري وشتاؤها طويل قارس وخاصة في الجبال التي تتوج قممها الثلوج في فصل الشتاء الذي يمتد ثمانية أشهر في السنة. أما قمم جبال بيك كوك طاغي فتغطيها الثلوج على مدار العام.

فتح أرمينية:

وقد فتح المسلمون أرمينية في عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب

وذلك عندما وجه عياض بن غنم سنة ١٩ هـ (٦٣٩ م) أولى الحملات لفتح أرمينية... وسار الجيش الإسلامي في أربع فرق يقود اثنتين منها حبيب بن مسلمة وسليمان بن ربيعة متجهين من أذربيجان.. واستمرت تلك الغزوات حتى عام ٢٤ هـ (٦٤٤ م) في عهد الخليفة الراشد عثمان بن عفان عندما تمّ إخضاع مناطق واسعة من أرمينية للحكم الإسلامي.

وكان قائد تلك المناطق وفارسها المغوار هو حبيب بن مسلمة الذي برز في حرب الروم وتوجه حبيب بن مسلمة الى قاليقلا (وهي اليوم أرضروم أو أرزن الروم وتقع في الجمهورية التركية) وكانت عاصمة أرمينية في عهد الروم واستولى عليها بعد أن ألحق بجحافل الروم الذين تعضدهم قبائل من خزر اللان - هزيمة فادحة..

ثم توجه حبيب الى بحيرة خلاط (أرجيش وتسمى الآن بحيرة وان) حيث خضع له أمير خلاط وأقر بالجزية. وكذلك فعل أمير مدينة أرجيش.. ثم سار مسلمة الى وبيل عاصمة أرمينية الفارسية فاستولى عليها بعد أيام قلائل... وكانت أرمينية خاضعة قبل الاسلام لحكم الامبراطورية البيزنطية ما عدا حدودها الشرقية التي كانت خاضعة لحكم الامبراطورية الفارسية الساسانية.

وتوجه حبيب بن مسلمة الى مدينة تفليس (عاصمة جورجيا أو بلاد الكرج في الاتحاد السوفيتي اليوم) فدانت له وأقرت بالجزية.

وفي نفس الوقت كانت جيوش سليمان بن ربيعة قد أخضعت اقليم أرّان وهي اليوم جمهورية أذربيجان السوفيتية واستولى على عاصمتها برذعة.

أهل أرمينية يرحبون بالحكم الاسلامي ويفضلونه على الحكم البيزنطي:

وسر أهل أرمينية وأرّان بالحكم الاسلامي الذي سمح لهم بممارسة

شعائرهم الدينية بكل سماحة وحرية بل انه سمح لهم بما يشبه الحكم الذاتي. ورضي منهم بما يدفعونه من جزية. وحاول امبراطور الدولة البيزنطية (قسطنطين) أن يستعيد أرمينية فهاجمها في عهد معاوية بجيش لجب يبلغ تعداده مائة ألف مقاتل وذلك بعد أن وقع معاهدة سلم في العام السابق.. فقام بنقض العهد فغدر بالمسلمين واستطاع أن يستولي على كثير من المناطق ولكن ما أن دخل الشتاء حتى لجأ قسطنطين الى دبيل فانقضت عليه جيوش المسلمين ومعهم الامراء المحليون من أهل أرمينية وعلى رأسهم تيودور فهزموا قسطنطين شر هزيمة وولى هاربا الى بلاده.

وهكذا كانت سماحة المسلمين وعدالتهم تجعل أهل البلاد التي يحتلونها يتشبثون بحكم الإسلام رغم اختلافهم في الدين. وهكذا قاتل أهل أرمينية النصارى في صف المسلمين الجيوش البيزنطية النصرانية.

ولما تم للمسلمين النصر قام معاوية بجعل تيودور أميراً على أرض أرمينية جزاءً له على قتاله مع المسلمين وحاول الروم استعادة أرمينية مرات عديدة ولكنهم فشلوا في ذلك ايما فشل الا في فترة محدودة عندما نشب القتال في صفين بين الخليفة الراشد علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وبين الفئة الباغية بقيادة معاوية بن أبي سفيان، حينئذ فقط استطاع الروم الاستيلاء عليها.. ولكن سرعان ما عادت جيوش المسلمين الى اعادتها لحوزة الخلافة، وذلك عندما استتب الأمر لمعاوية سنة ٤١ هـ (٦٦١ م). فقد قام معاوية بتذكير أهل أرمينية بعهودهم فقاموا مع المسلمين ليصدوا الروم ويطردوهم من أرض أرمينية. وفضل الأهالي النصارى حكم المسلمين على حكم الروم إخوانهم في الدين لما يلقونه لدى المسلمين من عدالة وسماحة. وكان خلفاء بني أمية منذ عهد معاوية الى عهد عبد الملك بن مروان يسندون شئون الحكم الداخلية الى أمراء من أرمينية من النصارى طالما أنهم يؤدون الجزية ويوفون

بعهودهم مع المسلمين. ويخضع هؤلاء الامراء المحليون للوالي المسلم الذي كان يبعثه الخليفة ليحكم أرمينية والكرج (جمهورية جورجيا السوفيتية) وأران (جمهورية أذربيجان السوفيتية) ويعترف حتى أشد المستشرقين عداء للإسلام ان القرن الأول من حكم العرب في أرمينية كان عصر نهضة قومية وأدبية لهذه البلاد.

واستمر الخلفاء في استخدام الامراء المحليين من أهل البلاد في إخضاع القلاقل التي كان الروم يدبرونها باستمرار.

وكان آخر هؤلاء الامراء أشوط البكراطي الذي نصبه الخليفة المتوكل العباسي أميراً على أرمينية سنة ٢٤٧ هـ - (٨٦١ م) وقد استطاع هذا الأمير أن يجتذب رعاياه والامراء المحليين حتى أن الخليفة المعتمد (العباسي) منحه لقب ملك وذلك سنة ٢٧٣ هـ - (٨٨٦ م) - بعد ان حكم أرمينية ٢٥ عاما ابدى فيها خضوعه التام للخلافة العباسية.

الخليفة العباسي يقف مع الأمير النصراني ضد الامير المسلم:

والغريب حقا ان نجد الخليفة العباسي المعتضد يقف الى جانب سمباط بن أشوط البكراطي المتقدم ذكره ضد الوالي يوسف بن أبي الساج الشيباني الذي اختلف مع سمباط فقتله وذلك سنة ٣٠٢ هـ (٩١٤ م) فقام المعتضد بإرسال جيوشه لإخضاع بني شيبان المسلمين.. واعادة الامرة لإبن سمباط وفاء بالعهد وقد وصف ابن حوقل هذه الحادثة في حينها بقوله: «طغيان وعصيان لله ورسوله» ذلك أن المؤمن لا يخفر عهد الذمي ما دام قد أدى الجزية. والذمي في ذمة الله ورسوله.. ورغم ما فعله الخليفة لإبن سمباط الا أن هذا الأمير البكراطي خان العهد وأغراه الامبراطور الروماني بذلك وأمده بالجيوش فحاول أن يعض اليد التي امتدت إليه بالإحسان.. فكان

بذلك سببا في نهاية حكم الاسرة البكراطية.

وانتهى حكم الروم على يد السلطان ألب أرسلان السلجوقي الذي هزم الامبراطور رومانوس سنة ٤٥٦ هـ (١٠٦٤ م).. وأصبحت آني مقراً لبني شداد وظلوا يحكمونها الى نهاية القرن الثاني عشر الميلادي وكان بها مسجدان عظيمان تداعى احدهما في القرن السادس عشر الميلادي وبقي الآخر حتى سنة ١٩٠٧ عندما حوله الاباطرة الروس الذين استولوا على آني الى متحف.

وعادت آني في القرن الثاني عشر الميلادي الى حكم النصارى الذين أذاقوا المسلمين الويلات وساموهم الخسف والذل بينما كان المسلمون يحسنون الى النصارى عندما كانوا هم الحكام..

وحاول جلال الدين خوارزمشاه سنة ٦٢٣ هـ (١٢٢٦ م) أن يطهرها من حكم النصارى فلم يفلح ثم جاء المغول المسلمون وطهروها من حكمهم وذلك سنة ٦٣٧ هـ (١٢٣٩ م) واحتلت روسيا آني سنة ١٢٩٥ هـ (١٨٧٨ م) ولكنها ردت الى تركيا بمقتضى معاهدة سنة ١٣٤٠ هـ (١٩٢١ م) وهي الآن من أعمال ولاية قارص في تركيا.

ثم تولى السلاجقة امر الخلافة العباسية وآل إليهم أمرها وامتد سلطان السلاجقة ليشمل معظم أراضي الخلافة العباسية وخاصة فارس وخراسان وبلاد ما وراء النهر وأذربيجان وأران والكرج وأرمينية.

وقد قام الافشين ثم أخوه يوسف من بعده بإزاحة البكارطة واستبدالهم باسرة أرزوني وهي (أسرة أرمينية تنافس البكارطة الحكم) عندما وجد البكارطة يتصلون بالامبراطورية البيزنطية ويخونون عهودهم ومواثيقهم.

وتمكن أشوط الثاني (البكراطي) بمساعدة الجيوش البيزنطية من توطيد سلطانة.. حتى استطاع أن يحكم الجزء الاكبر من أواسط أرمينية

مستقلا بذلك عن الخلافة العباسية.. وان كان قد وافق على الخضوع اسميا للخلافة العباسية.. ونتيجة لذلك أعطاه المقتدر العباسي لقب شاهنشاه سنة ٣١٠ هـ (٩٢٢ م) واستقل بعد ذلك خلفاء أشوط الثاني بالحكم بعد أن ضعف شأن الخلافة العباسية. ومع ذلك بقيت أجزاء واسعة من أرمينية وخاصة منها الاجزاء الجنوبية امارات اسلامية بعد أن اسلم كثير من أهلها وامرائها..

الأرمن يعـــانون من الارثوذكس ورجـــال الكنيسة الارثوذكسية:

وكانت تلك المناطق تعاني من الحروب الداخلية التي يشنها البكراطيون النصارى على الامارات الاخرى كما كانت تعاني من هجوم الدولة البيزنطية التي كانت تحاول استعادة سيطرتها على أرمينية منذ أن فقدتها في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وعانى أهل أرمينية من جشع البيزنطيين واستبدادهم واستيلائهم على كنائسهم واوقافها.. **حتى يقول أحد كبار المستشرقين المتعصبين ضد الاسلام (في دائرة المعارف الإسلامية).**

«ووضع رجال الدين البيزنطيون الجشعون يدهم على الاسقفيات والاديرة الارمينية الغنية باوقافها.. ولا حد للمضايقات التي حلت بالأرمن على أيدي الارثوذكس القائلين بالطبيعة الواحدة (للمسيح).. والحقد الذي فاضت به قلوب الأرمن من هذه المعاملة الشاذة مهد السبيل لنجاح غارة السلاجقة».

ورحب الارمن بعودة السلاجقة المسلمين وتعاونوا معهم على ازاحة نير الحكم البيزنطي الذي أثقل كاهل الأرمن..

ومرة بعد أخرى نجد الأرمن يفضلون حكم الاسلام على حكم اخوانهم نصارى بيزنطة.. ذلك لأنهم لم يجدوا في الاسلام الا كل سماحة

ويسر ولم يجدوا لدى بيزنطة الا كل اضطهاد وظلم.

دور السلاجقة في أرمينية:

واستطاع السلاجقة في عهد ألب أرسلان ان يعيدوا الى سلطتهم بلاد الكرج (جورجيا السوفيتية اليوم) وأران (أذربيجان السوفيتية) وأرمينية ثم احتلوا اجزاء واسعة من الامبراطورية البيزنطية ذاتها وتقدموا الى آني وهزموا الامبراطور رومانوس هزيمة نكراء سنة ٤٥٦ هـ (١٠٦٤ م) رغم جيشه اللجب الذي بلغ مائة ألف مقاتل.. وأسر الامبراطور نفسه بالقرب من ملازجرد[١].. وسقطت بذلك الاناضول الشرقية والغربية وكبادوكيا أي جميع البلاد التي كانت عماد قوة الامبراطورية البيزنطية.. وكان ذلك ايذانا بانتهاء الامبراطورية البيزنطية.. التي اجهز عليها فيما بعد الاتراك العثمانيون.. وقام محمد

---

(١) لقد جاء في كتاب الفتوحات الاسلامية للسيد أحمد زيني دحلان وصف تفصيلي لهذه المعركة وذكر أن السلطان ألب أرسلان بلغه خبر خروج امبراطور الروم أرمانوس في مائتي ألف فارس من الروم والفرنجة والروس والكرج وذلك سنة ٤٦٣ هـ حتى وصلوا ملازجرد (يكتبها ملاذكرد) من أعمال خلاط. وكان السلطان بمدينة خوي في أذربيجان وعساكره متفرقة في البلاد فسيّر الاثقال مع زوجته ونظام الملك الى همدان وسار هو في خمسة عشر ألف فارس لملاقاة الروم وقال لمن معه: إني أقاتل محتسبا صابراً فإن سلمت فنعمة من الله وإن كانت الشهادة فإن ابني ملكشاة.. ولما اقترب الجيشان ورأى أرسلان ألب ضخامة جيش الروم وقلة جيشه أرسل يطلب الهدنة من أرمانوس فرفض أرمانوس الهدنة فأغتم لذلك السلطان فقال له إمامه وفقيهه ابو نصر محمد بن عبد الملك البخاري الحنفي: إنك تقاتل عن دين الله. وقد وعد الله بنصره واظهاره على سائر الاديان. وأرجو ان يكون الله تعالى كتب بإسمك هذا الفتح فالقهم يوم الجمعة في الساعة التي تكون الخطباء على المنابر فإنهم يدعون للمجاهدين بالنصر، والدعاء مقرون بالإجابة. فلما كانت تلك الساعة صلى بهم وبكى السلطان متضرعا الى الله في النصر وقال لمن معه: من أراد الانصراف فلينصرف فما ها هنا سلطان يأمر وينهي وأخذ السيف ولبس البياض وتحنط وقال إن قتلت فهذا كفني وأكثر الدعاء والتضرع الى الله ثم حمل على الروم ومعه عساكره ولم يتخلف منهم رجل فأنزل الله نصره عليهم وقتل من الروم ما لا يحصى وأسر ملك الروم أرمانوس أسره أحد الغلمان... فلما عُرف قدّم الى سلطان فقرعه السلطان قائلا ألم أطلب منك الهدنة؟ فقال أرمانوس دع عنك التوبيخ وافعل ما تريد! فقال السلطان ما عزمت ان تفعل بي ان اسرتني قال: افعل القبيح فقال السلطان: ما تظن إني أفعل بك قال إما ان تقتلني وإما أن تشهرني في بلاد الاسلام والاخرى بعيدة وهي العفو وقبول الاموال واصطناعي نائبا عنك قال السلطان ما عزمت على غير هذا فكان أرمانوس من أنصار السلطان ألب أرسلان.

الفاتح العظيم باحتلال القسطنطينية ذاتها والتي عرفت فيما بعد باسم اسلامبول (اسطمبول) وبذلك انتهت الى الأبد قصة الامبراطورية الرومانية الشرقية التي كانت تعرف باسم الامبراطورية البيزنطية.

وقامت في أيام السلاجقة دولة أرمينية صغيرة بقيادة الامير (ريوبن) سنة ١٠٨٠م وعاشت ثلاثة قرون تناصب الامبراطورية البيزنطية العداء وتمتد بينها وبين الدولة السلجوقية أواصر الصداقة. واعترفوا بسلطان السلاجقة عليهم وأدوا الجزية... وكانوا يرون الخضوع للمسلمين أرأف بحالهم من الخضوع للنصارى البيزنطيين.

وتحول كثير من السكان الى الاسلام طواعية واختلطوا بالأتراك السلاجقة ثم بعد ذلك بالمغول الذين عرف امراؤهم بالايلخان والذين تحولوا من المجوسية الى الاسلام.

ووقعت بين المغول ودولة المماليك معارك طاحنة منذ أن أنزل الظاهر بيبرس والسلطان قطز بالمغول الهزيمة الفادحة في عين جالوت وبذلك أُوقف التيار المغولي المدمر الذي قاده جنكيز خان وهولاكو.. وتحول المغول تدريجيا الى الاسلام بعد هذه الهزيمة.. وصاروا جنداً له يرفعون رايته بعد أن كانوا طوفانا جارفا مدمرا اجتاح الدول الاسلامية من خوارزم الى بغداد..

المماليك في أرمينية:

واستولى المماليك على آخر ما بقي من حصون أرمينية وذلك في عهد السلطان الاشرف سنة ٧٧٧ هـ (١٣٧٥ م). واضطر آخر ملوك أرمينية ليون السادس الى الرحيل عنها الى باريس.

وتحولت أرمينية في عهد السلاجقة والمماليك الى مجموعة من الإمارات الصغيرة شبه المستقلة والتي يحكمها امراء من السلاجقة أو

المماليك وأقام السلطان الملك العادل (أخ صلاح الدين الايوبي) ابنه اميراً على خلاط.

وخلفه اخوه الامير الأشرف.. ووسع الأشرف سلطانه حتى شمل خلاط وبلاد ما بين النهرين (الفرات ودجلة) وشمال الشام بما فيها دمشق.

المغول المسلمون في أرمينية:

وكان المغول المسلمون احفاد هولاكو قد أقاموا دولا قوية في بلاد ما وراء النهر وايران ومناطق واسعة من روسيا اليوم وامتد سلطانهم الى بلاد الكرج (جورجيا) وأذربيجان وأران (أذربيجان السوفيتية) وأرمينية..

التركمان في أرمينية:

ثم ظهر بعدهم التركمان وعلى وجه الخصوص قبيلة القطيع الاسود قره قويونلي والقطيع الابيض آق قويونلي نسبة الى شارات اعلامها - وتوسع سلطان هاتين القبيلتين حتى شمل معظم بلاد ما وراء النهر وخراسان وأذربيجان وبلاد الكرج وأرمينية..

ثم جاء تيمورلنك وانضم إليه القطيع الابيض بينما انضم القطيع الاسود الى جانب العثمانيين والمماليك.. واستطاع تيمورلنك أن يؤسس امبراطورية ضخمة شملت معظم اجزاء العالم القديم المعروف آنذاك.. ودانت لتيمور ارمينية فيما دانت له من بلدان.

وبعد وفاة تيمورلنك عادت أرمينية لحكم القطيع الاسود وتشابك الفريقان من التركمان القطيع الاسود والابيض في معارك دامية شملت اراضي ارمينية ولم يستفد منها سوى اعداء الاسلام.. وتمكن القطيع الابيض من فرض سلطانه على أرمينية.

ثم ظهر اوزون حسن الذي امتد سلطانه ليشمل أرمينية. والكرج. وأذربيجان. والعراقين (عراق العرب وعراق العجم) وفارس وكرمان.. وكان اوزون حسن منافسا قويا ومزعجا لسلاطين آل عثمان..

ولكن بوفاة اوزون حسن انتهت دولته واقتسمت اراضيه الدوله الصفوية والدولة العثمانية.

الاحتلال الروسي

وظلت الحروب بين الدولة العثمانية والدولة الصفوية تحطم قوة المسلمين وتخضد شوكتهم حتى أدى ذلك الى أن تستولي روسيا القيصرية على كثير من المناطق الاسلامية ومن بينها أرمينية...

وخضعت أرمينية لروسيا عام ١٢١٧ هـ (١٨٠٢ م) لأول مرة واتصلت الحروب بين شاه ايران ضد روسيا من جهة... وبين الخلافة العثمانية وروسيا من جهة أخرى لمحاولة استنقاذ المناطق التي احتلتها روسيا.

وفي عام ١٢١٩ هـ (١٨٠٤ م) غزا الروس مدينة جنزة وأسموها (اليزاوتبول) على اسم امبراطورتهم.. وصدت اريوان (أريڤان) الحصار والغزو.. واستمرت الحرب بين الفرس والروس حتى عام ١٢٢٨ هـ (١٨١٣ م) عندما انتهت بصلح كلستان الذي تم بتدخل الانجليز وأهم ما في هذا الصلح هو تعيين الحدود الفاصلة بين القوقاز التي سيطر عليها الروس وبلاد فارس..

ورغم هذا الصلح الا أن المفاوضات الطويلة انتهت بحرب جديدة عام ١٢٤٢ هـ (١٨٢٦ م) واستطاع الشاه عباس ميرزا أن يستعيد معظم اراضي القوقاس ودخل تفليس منتصراً.. واستطاع الروس في العام التالي أي ١٢٤٣ هـ (١٨٢٧ م) أن يعيدوا القوقاس تحت سيطرتهم مرة أخرى.

واعتبر نهر الرس فاصلا بين روسيا وايران ولا يزال هذا النهر يفصل بين أذربيجان الايرانية وأذربيجان السوفيتية حتى يومنا هذا.

وأصبحت سلسلة جبال ارارات الكبرى هي الحدود الفاصلة بين الدول الثلاث وهي روسيا وفارس وتركيا..

واستولى الروس على قلعة اريوان المشرفة على الهضاب المرتفعة الواسعة الممتدة على الشاطىء الايسر لنهر الرس.. وفقدت اريوان اهميتها بعد احتلال الروس لها.

وما كاد الروس ينتهون من اقرار الحدود الجديدة بينهم وبين الفرس حتى اعلنوا الحرب على تركية. وحصلوا بمقتضى معاهدة أدرنة على أجزاء من أرمينية كانت تتبع الخلافة العثمانية.

واستفاد الروس من الحرب المستمرة بين الدولتين المسلمتين أيما استفادة واستطاعوا أن يحتلوا مزيدا من المناطق الإسلامية اثناء انشغال هاتين الدولتين بنزاعها المستمر الذي دام قرونا طوالا والذي أضعف شوكة الاسلام والمسلمين في تلك البقاع.

وتدخل الانجليز والروس لكسب مزيد من النفوذ ووقعت معاهدة ارضروم سنة ١٢٦٤ هـ (١٨٤٧ م) كلُّف بمقتضاها مندوبو روسيا وبريطانيا بوضع الحدود التركية والفارسية.. واتموا عملهم سنة ١٨٥٢.. وعندما رفض الاتراك هذه الحدود أجبروا على ذلك بالقوة واضطروا للموافقة في مؤتمر برلين سنة ١٢٩٥ هـ (١٨٧٨ م) على هذه الحدود الجديدة..

ومرة أخرى قامت حرب القريم سنة ١٢٧٠ هـ (١٨٥٣ م) - الى سنة ١٢٧٣ هـ (١٨٥٦ م) وذلك عندما قامت روسيا بتوسيع رقعتها واحتلال المزيد من أرض القريم الإسلامية.

وواصلت روسيا القيصرية اعتداءاتها البشعة وقامت بحرب جديدة

سنة ١٢٩٤ هـ (١٨٧٧ م) ضد تركيا وفي مؤتمر برلين المشار اليه والمنعقد سنة ١٢٩٥ هـ (١٨٧٨ م) تخلت تركيا عن اردهان وقارص وباطوم وكان مجموع الأراضي الاسلامية التي استولت عليها روسيا القيصرية بموجب هذا المؤتمر هو ٢٦٥٩٠ كم٢ وتنازل الروس للترك عن وادي الشكرك (طوبراق قلعة) وبايزيد اللتين كان الروس قد احتلوهما في صلح سان استيفانو.

وقد كان بأرمينية كما يقول ياقوت ١٨ ألف بلدة وأهمها دبيل التي كانت العاصمة طيلة ايام الخلافة العثمانية.. (وهي الآن قرية لا أهمية لها). ثم قاليقلا المعروفة اليوم بأرضروم (ارزن الروم) ثم أرزنجان وملازجرد وبدليس وأخلاط وأرجيش والنشوى..

وكان اقليم ارمينية متصلا باقليم الكرج (جورجيا) وأرّان (أذربيجان السوفيتية) وقد سكنتها القبائل العربية واختلطوا بالسكان اختلاطا كبيراً وتحول عدد كبير من السكان الى الاسلام وبقي بعضهم على مسيحيتهم.

أرمينية في العصر الحديث:

وأرمينية الآن موزعة كالآتي:

١ - أرمينية السوفيتية وهي تشكل جمهورية سوفيتية وتبلغ مساحتها ٣٩٦١٥.. وسكانها خليط من الارمن وغيرهم من الجنسيات الاخرى..

٢ - أرمينية التركية.. وسكانها جميعاً تقريباً من الاتراك وأهم مدنها سيواس وارضروم.

٣ - أرمينية الفارسية وهي تابعة لاذربيجان الايرانية.

وقد كانت الخلافة العثمانية تحسن معاملة الارمن الكاثوليك على

عكس ما كانت تفعل الامبراطورية البيزنطية الارثوذكسية ثم من بعدها الامبراطورية الروسية الارثوذكسية ايضاً..

وكان للأرمن نشاط واسع في الدولة العثمانية حتى لقبوا بلقب (ملت صادقة) اي الملة الصادقة الولاء وحتى قال عنهم المستشرق اوبيسني أن الأرمن من دون الأمم الخاضعة للباب العالي جميعاً هي الأمة التي لها من المصالح المشتركة مع الاتراك أكثر من غيرها، كما أن المحافظة عليهم يرتبط بمصلحتها ارتباطاً هو أوثق ما يكون (دائرة المعارف الاسلامية طبعة الشعب ج٣ مادة أرمينية). وفي أواخر القرن التاسع عشر استطاعت الدول الغربية أن تذكي نار العداوة والبغضاء وأن تؤجج القوميات المختلفة في دار الخلافة العثمانية حتى أنها استطاعت في بداية القرن العشرين أن توجد جمعيات تركيا الفتاة.. والجمعيات اليونانية والعربية والارمنية المنادية بقومياتها واستقلالها..

وهذا ما أدى الى النزاع المستمر بين الأرمن والاتراك. وذلك منذ اواخر القرن التاسع عشر الى الربع الأول من القرن العشرين..

وقد دخلت ارمينية تحت السيطرة العثمانية منذ عهد بايزيد الأول في القرن الرابع عشر عندما بدأ غزو غرب أرمينية ثم استطاع محمد الثاني وسليم الأول أن يحتلا المناطق الشرقية من ارمينية.. واصبحت ارمينية كلها تقريباً خاضعة للخلافة العثمانية ما عدا خانية اريفان وفي عام ١٢٤٤ هـ (١٨٢٨ م) استولت عليها روسيا بمقتضى معاهدة تركمان جاي..

وعندما قامت الثورة البلشفية قامت عدة جمهوريات في القوقاس ومن بينها جمهورية أريفان المستقلة ثم تحولت الى جمهورية ارمينية المستقلة في ٢٨ مايو سنة ١٣٣٧ هـ (١٩١٨ م) واعترف بها في معاهدة سيفر سنة ١٣٣٩ هـ (١٩٢٠ م) وتحولت الجمهورية الأرمينية الى جمهورية

ارمينية الاشتراكية السوفيتية بعد ان استتب الأمر للينين وذلك في اواخر عام ١٣٣٩ هـ (١٩٢٠ م).

واهم مدنها بعد أن اقتطعت أجزاء كبيرة منها هي أريفان وهي العاصمة ولينينكان (الكساندروبول سابقاً) وكيروفكان (اليزاوتبول قديماً).

وهكذا ضاعت احدى الاراضي التي فتحها المسلمون واستوطنوها منذ عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب منذ أربعة عشر قرناً من الزمان.. ولا يشكل المسلمون حالياً في أرمينيا سوى ١٢٪ من السكان وذلك بعد ان فر كثير من المسلمين كما أضطر آخرون في العهد القيصري الى الارتداد عن الإسلام للنصرانية...

الفصل الثامن

التركستان

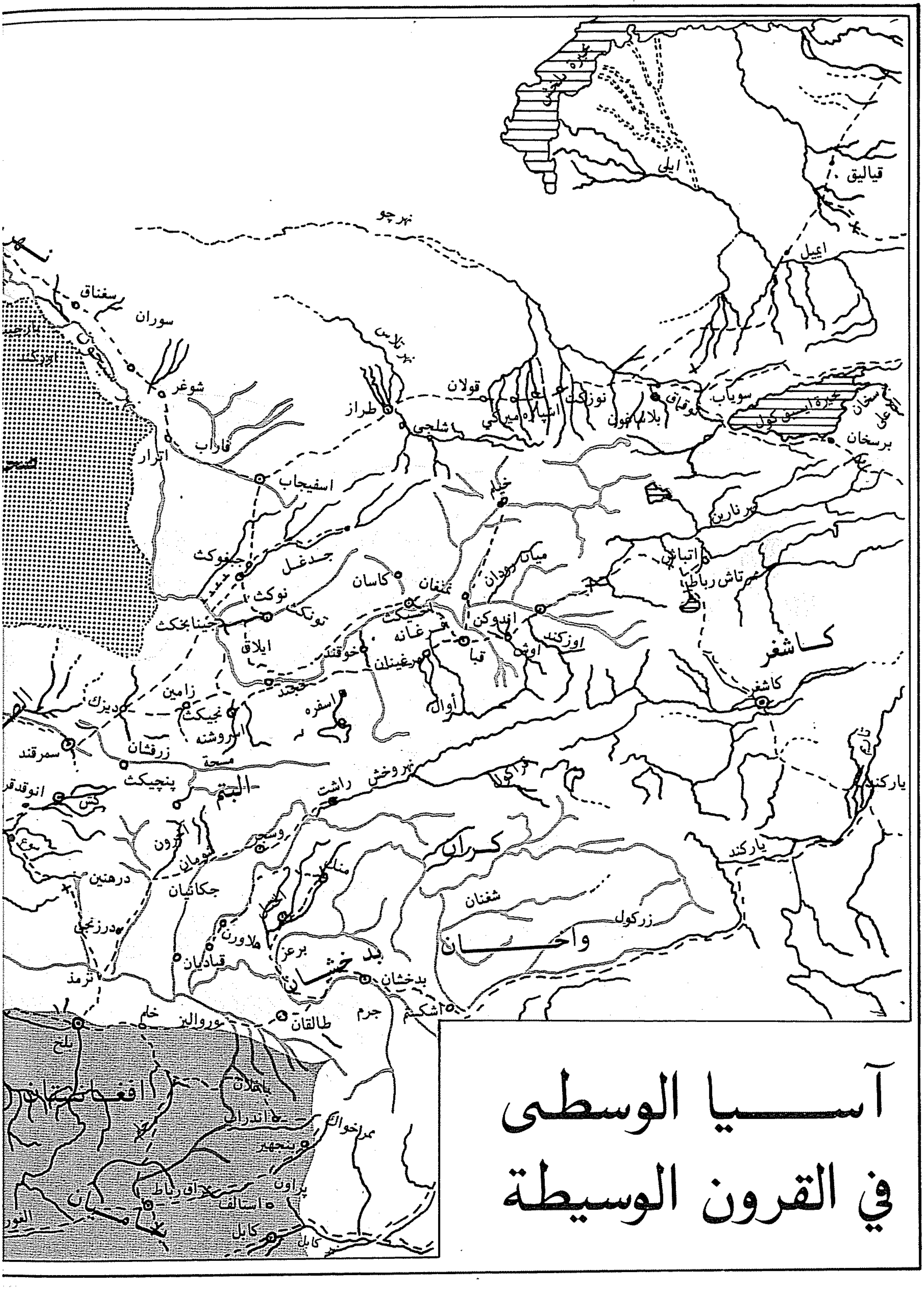

آسيا الوسطى في القرون الوسيطة

نهرا سيحون وجيحون وروافدهما

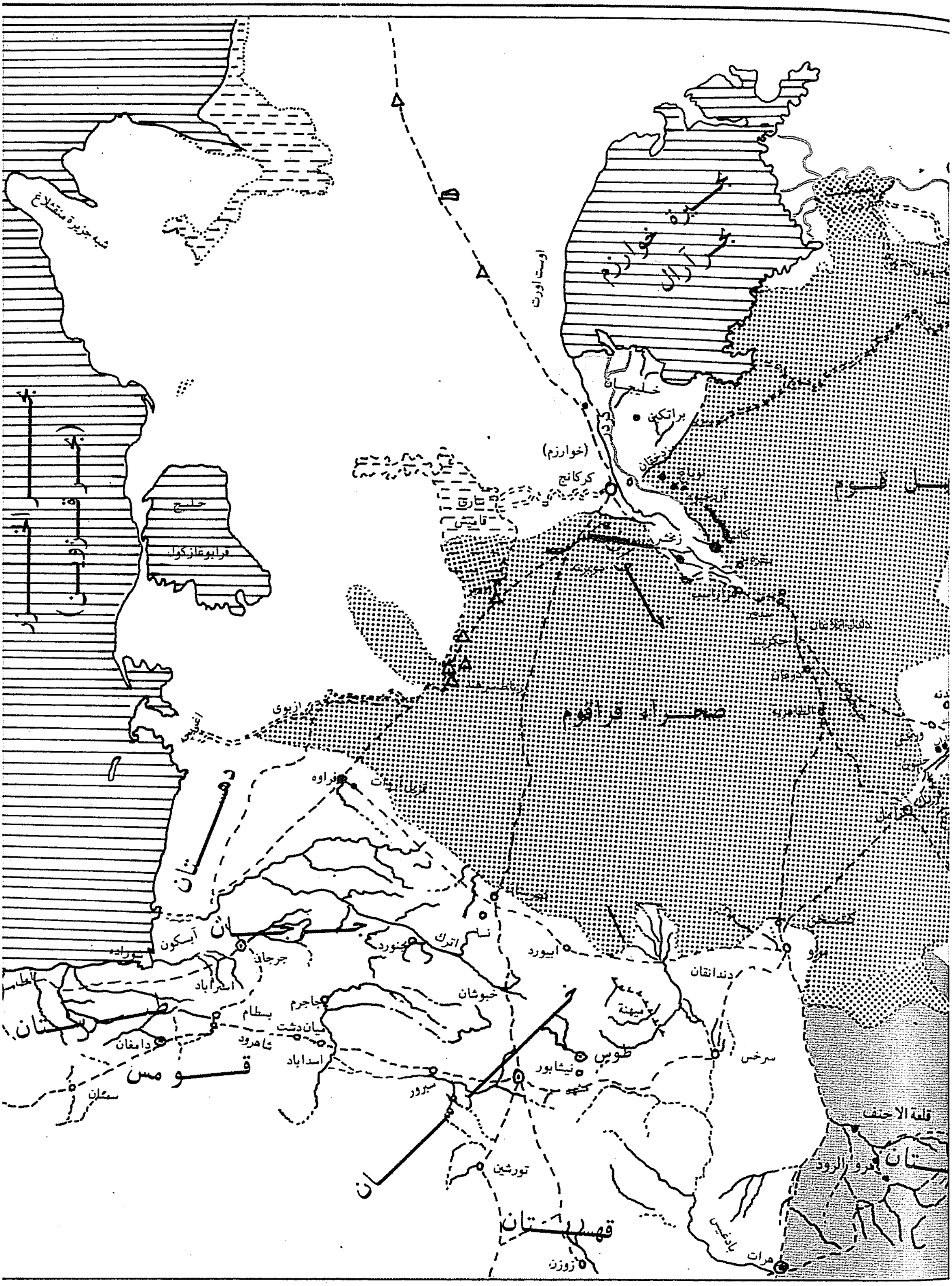

بر [illegible]

یارک [illegible]

تعْريفُ التركستَان

يعرف كتاب الجغرافيا الاقليمية للعالم الإسلامي التركستان بالتعريف التالي: «تركستان منطقة واسعة في وسط آسيا ويقصد بها بلاد الترك اذ كانت مجال انتقالهم وموطن قبائلهم، وهي منطقة سهلية في الغرب وهضبية في الشرق وبينهما منطقة جبلية عالية ضمن البلاد التركستانية تغذي كلا الطرفين بالمياه وتصل بينهما بممراتها الشهيرة. ومع ان الذرا الجبلية هي التي تفصل بين الشطرين إلا أن الجزء الغربي يشمل في شرقيه مرتفعات واسعة وهي تقع ضمن جمهوريات الاتحاد السوفيتي بينما القسم الشرقي منها يقع تحت سيطرة الصين».

وهذا التعريف يجعل أرض التركستان واسعة جداً إذ أنها تمتد من بحر الخزر (ويسمى أيضاً بحر قزوين وبحر جرجان وبحر الديلم وبحر جيلان وبحر شروان وبحر باكو على اسم المناطق التي يحاذيها) في الغرب الى جبال التاي في الشرق ومن خراسان وصحراء قرة قورم في الجنوب الغربي الى جبال الاورال وسيبيريا في الشمال والشمال الشرقي.. وتقع تركستان في وسط آسيا وتحدها شمالاً سيبيريا ومنغوليا وجنوباً افغانستان وكشمير والتبت.. وشرقاً الصين وغرباً إيران وبحر قزوين.

وبذلك تكون مساحة التركستان قرابة خمسة ملايين كيلومتراً مربعاً وهي تنقسم الى قسمين:

١ - **تركستان الشرقية**: وتخضع حالياً لحكم الصين الشيوعية وقد أسمتها سينكيانغ أي المستعمرة الجديدة.

٢ - **تركستان الغربية**: وتخضع لحكم روسيا وهي مقسمة لخمس

جمهوريات سوفيتية هي: جمهورية اوزبكستان وجمهورية طادجكستان، وجمهورية قازاقستان، وجمهورية تركمنستان وجمهورية قيرغيزيا.

وقد كان تعريف التركستان في التاريخ الإسلامي يقتصر على تركستان الشرقية أما تركستان الغربية فكانت تسمى بلاد ما وراء النهر والنهر المقصود هو نهر جيحون.. ولهذا كان مدلول بلاد ما وراء النهر في الغالب يتحدد في الأراضي الواقعة بين نهر سيحون (سرداريا) شرقاً ونهر جيحون (اموداريا) غرباً..

وبما أن خراسان كانت هي قاعدة انطلاق المسلمين من عاصمتها مرو لغزو بلاد ما وراء النهر فقد كانت أعمال بلاد ما وراء النهر تابعة لخراسان وكان حاكم خراسان أو عاملها الذي يعينه الخليفة هو المسئول عن بلاد ما وراء النهر..

ولهذا دخلت بلاد ما وراء النهر عند كثير من الجغرافيين المسلمين القدامى في تعريف خراسان.. وهو لا شك توسع في مفهوم خراسان..

ومع هذا فنحن نجد الى اليوم أن اقليم خراسان مقسم بين ثلاث جمهوريات هي: أفغانستان وإيران وجمهورية تركمنستان السوفيتية التي تدخل قطعاً في تعريف تركستان.. وسننقل هنا تعريف ياقوت الحموي لتركستان (بشيء من الاختصار) وفيه يتضح أن المقصود بتركستان هو تركستان الشرقية التي تقع شرق نهر سيحون (سرداريا) وليس المقصود بها كما نطلقه اليوم جميع الاراضي الواقعة شرق وغرب نهر جيحون والاراضي الواقعة شرق وغرب نهر سيحون (سرداريا) حتى حدود الصين والاراضي الواقعة شمال هذين النهرين لتشمل حوض نهر أورال ونهر أمبا في الشمال الغربي وحدود سيبيريا في الشمال والشمال الشرقي.. يقول ياقوت: (بشيء من الاختصار) (تركستان هو أسم جامع لجميع بلاد الترك.. واوسع بلاد الترك بلاد قبائل التغزغز وحدّهم الصين والتبت

وقبائل الخرلخ والكيماك والغز والجفر والبجناك والبذكش وخشقان وخرخيز (قرغيز)، وأول حدهم من جهة المسلمين فاراب.. قالوا ومدائنهم المشهورة ست عشرة مدينة والتغزغز في الترك كالبادية، أصحاب عمد يرحلون ويحلون. والبندكشية أهل بلاد وقرى).

وذكر ياقوت بعد ذلك قصة إرسال هشام بن عبد الملك رسولاً الى ملك هؤلاء البدو يدعوهم الى الإسلام فلما دخل على الملك وجده يعمل سرجاً بيده فعرض عليه الإسلام وشروطه ومنها أن لا يعيشوا على النهب والسلب فلما كان الغد استنفر رجاله فإذا هم مائة الف مقاتل وأراهم الرسول ثم قال له: ليس في هؤلاء خياط ولا أسكاف ولا حجام ولا فلاح فإذا اسلموا والتزموا شروط الإسلام فمن اين يأكلون؟

واشتهر هؤلاء الترك بشدة البأس وستأتي قصة اسلامهم وظهور دولة السلاجقة منهم الذين أصبحوا هم عمدة الخلافة العباسية وحكامها عندما نتحدث عن تركستان الشرقية.. كما سيأتي ذكر ظهور العثمانيين الذين يعتبرون من أهل تركستان الشرقية.

وإنما أوردنا هذا ها هنا لنوضح معنى الترك والتركستان في مفهوم الكتاب المسلمين السابقين اذ كانوا يجعلون ذلك محدوداً في القبائل التركية التي تعيش بالقرب من حدود الصين والمناطق الواقعة شرق نهر سيحون (سرداريا).. وهي المناطق المعروفة اليوم بتركستان الشرقية والتي تحكمها الصين وتستعمرها وتسميها سينكيانغ أي المستعمرة الجديدة..

ويعرف بارتولد التركستان في كتابه الموسوعي (تركستان من الفتح العربي الى الغزو المغولي) بأنها بلاد ما وراء النهر التي تشمل المنطقة الممتدة من حوض نهر أموداريا (جيحون) الى حوض نهر سرداريا (سيحون) ولهذا فقد قصر بارتولد كتابه على المناطق الواقعة في حوض

نهري جيحون (أموداريا) وسيحون (سرداريا).. ولم يتعرض للمناطق الواسعة الواقعة شرقي نهر سيحون (سرداريا) والتي تمتد حتى اطراف الصين والتي كان يسكنها الرعاة من بدو الاتراك والتي كان الجغرافيون المسلمون يطلقون عليها اسم التركستان.. والتي تعتبر اليوم تركستان الشرقية المسماة سينكيانغ أي المستعمرة الجديدة للصين الشيوعية..

وبما أن أرض الترك (توران أو تركستان) كانت في الاصل هي المناطق الواقعة شرق نهر سيخون (سرداريا) فإن بلاد ما وراء النهر أي المنطقة الواقعة بين نهري سيحون وجيحون كانت تتبع ادارياً وعسكرياً منطقة خراسان (الايرانية).

ويقول بارتولد: «ومعلوم ان الحدود السياسية بين إيران وتوران كانت عرضة لتغييرات عديدة على مر العصور التاريخية. ففي عهد الخافشين مثلا وفي عهد السيادة العربية كذلك، كانت جميع بلاد ما وراء النهر جزءاً لا يتجزأ من الشرق الادنى (المقصود هنا خراسان وإيران) ولكن ابتداء من القرن العاشر الميلادي وقعت المنطقة نهائياً تحت سيطرة شعوب آسيا الوسطى حتى أن معاهدات الصلح بين حكام إيران وتوران كانت تنص في معظم الاحوال على أن أموذاريا هو الحد الفاصل بين محيط نفوذ كلا الطرفين..»

«ومن وجهة النظر العرقية ايضاً فإن تلك البلاد التي كانت تقطنها في أول الامر شعوب آرية لم تلبث أن تسربت اليها اعداد غفيرة من العنصر التركي بصورة أصبح معها عدد المتكلمين باللهجات التركية من أهل البلاد في الآونة الحاضرة لا يقف عند حد الجماعات البدوية وحدها بل شمل كذلك الشطر الاكبر من سكان المدن.. وعلى وجه العموم فقد شغلت بلاد ما وراء النهر المكانة الأولى من بين الاقطار التي خضعت لسلطان الترك وذلك بسبب خصبها وكثافة سكانها زد على

هذا أنها المنطقة الوحيدة التي وصلتنا منها مادة تاريخية وتاريخية جغرافية مفصلة كل هذا يدفعنا الى أن نقصر هذا العرض الجغرافي على بلاد ما وراء النهر وحدها ».

ولهذا فإننا سنعتمد تعريف بلاد ما وراء النهر القديم لتعريف تركستان لأنه اقرب الى التعريف الحديث ونوسع مدلوله ليشمل تركستان الشرقية.

نهر جيحون: (اموداريا) واسمه القديم اكسوس وينبع هذا النهر من جبال بامير التي ترتفع منها جبال الهملايا وتتفرغ عنها جبال هندكوش في شمال أفغانستان.. وتسمى جبال بامير سقف العالم لأن فيها أكثر الجبال ارتفاعاً في العالم وهي تدخل في عدة دول منها جمهورية طادجكستان السوفيتية (الاسلامية) والتبت وكشمير.. وتتفرغ منها جبال هندكوش الواقعة في شمال أفغانستان.

ويتكون نهر جيحون من مجموعة من الانهار التي تصب من جبال بامير ورافده الاساسي كما يقول الاصطخري هو نهر جرياب (المعروف حالياً بأسم بنج ويعرف أيضاً بأسم وخاب) الذي يخرج من بلاد وخاب من حدود بذخشان (وبذخشان واقعة بين افغانستان وطادجكستان السوفيتية.. وهي أشهر أقاليم اللازورد والياقوت في العالم الاسلامي ويوجد بها أيضاً مناجم الذهب والفضة) وينضم اليه نهر أخش أو وخش ويدعى أيضاً شرخاب الذي يمر بمدينة هلبك عاصمة مقاطعة الختل (وتكتب أحياناً الخطل) ثم ينضم اليه مجموعة من الأنهار أكبرها نهر وخشاب.. ثم ترتفع اليه انهار البتم.. (البتم جبال واقعة جنوب اقليم الشاش في جمهورية اوزبكستان).

ويمر نهر جيحون من منبعه في المرتفعات الجبلية غرباً صوب أفغانستان فيشكل الحدود بين أفغانستان وطاذجكستان السوفيتية ثم

بين افغانستان واوزبكستان وعندئذ يتجه شمالاً ليشكل الحدود بين جمهورية اوزبكستان وجمهورية تركمنستان السوفيتيتين حتى ينتهي في مصبه الى بحيرة خوارزم (بحر الارال) بعد أن يقطع مسافة ٢٢٤٠ كيلو متراً، منها ستمائة وثلاثون كيلو متراً في أفغانستان والباقية في الجمهوريات التركستانية الاسلامية الواقعة تحت مخالب الدب الروسي.

وتقع على نهر جيحون الاعلى (أي بالقرب من منبعه) في افغانستان مجموعة من المدن مثل كاريان وبنجهير وفروان (وتكتب أحياناً بروان) التي ينحدر منها الطريق الى كابل كما يمر عليها الطريق الى باميان (وهي في جنوب افغانستان وقد كانت مقاطعة تضم كابل وغزنة).

وكان اسم طخارستان يطلق على الاراضي الواقعة على ضفتي نهر جيحون (اموداريا) في مجراه الاعلى في افغانستان.. ويحدد هذا الاقليم الواسع بالمنطقة الواقعة بين بلخ (في افغانستان) وبذخشان (بين افغانستان وطادجكستان) وكانت بلخ اعظم مدن ما وراء النهر وظلت لمدة قرون طويلة في العصور الإسلامية احدى قواعد الملك في خراسان كما يقول ابن خلكان ويعد هذه القواعد أربع وهن بلخ وهراة (في افغانستان) ونيسابور (في إيران) ومرو (في تركمنستان) ورغم أن بلخ كانت تبعد عن نهر جيحون باثني عشر فرسخاً (٣٦ ميلا) الا أن نهر جيحون في هذه المنطقة اشتهر باسم نهر بلخ..

وقد اندثرت بلخ وقامت بالقرب منها مدينة مزار شريف التي يزعم ان فيها قبر الامام علي وجثمانه (وهو زعم باطل).

وتقع مدينة ترمذ ذات التاريخ الباذخ وموطن الإمام الترمذي على نهر جيحون في جمهورية اوزبكستان بالقرب من حدودها مع أفغانستان.. ثم يمر هذا النهر على عدة مدن اندثرت ولم تعد معروفة الا للمختصين وتقع اطلالها في جمهورية تركمنستان السوفيتية.. وهذه المدن هي كالف

وزم وآمل ودرغان.

وتعتبر درغان اول حدود اقليم خوارزم الذي ينتهي اليه نهر جيحون ويصب في بحيرة خوارزم (بحر الارال).. وقبل مصبه تقوم مدينة كاث التي كانت عاصمة اقليم خوارزم في العهود القديمة ثم حلت محلها الجرجانية (أو كركانج) التي تقع على مصب النهر..

وعندما تحول مصب النهر في القرن السادس عشر الميلادي اندثرت كركانج (أو الجرجانية) وقامت حول المصب الجديد مدينة خيوة التي أصبحت عاصمة اقليم خوارزم وما حولها والتي عرفت باسم خانية خيوة.. وقد احتل القياصرة الروس خيوة عام ١٨٧٣ وبقيت خانية خيوة بدون خيوة حتى عام ١٩٢٤ عندما احتلتها قوات الجيش الأحمر وخضعت بذلك لحكم روسيا البلشفية.

وهكذا نرى ان نهر جيحون (أموداريا) يرسم الخريطة لبلاد ما وراء النهر ويحدد معالمها الجغرافية.. وعلى ضفافه قامت المدن والدول الكثيرة.. وقد أصبح هذا النهر اسلامياً منذ عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما أرسل الأحنف بن قيس لفتح بلخ وهراة.. وتوالت الفتوحات كما سيأتي ذكره في عهد عثمان رضي الله عنه ثم توقفت في أيام الفتنة الكبرى لتعاود مسيرها في أيام معاوية وتبلغ ذروتها في أيام عبد الملك بن مروان والوليد بن عبد الملك على يد قتيبة بن مسلم الباهلي. فتجعل نهر جيحون وجميع روافده نهراً اسلامياً خالصاً من منبعه الى مصبه.. كما تجعل ايضا نهر سيحون (سرداريا) من منبعه الى مصبه تقريبا نهرا اسلاميا خالصا..

وسننقل ها هنا وصف الاصطخري لنهر جيحون لأن ذلك يوضح مدى معرفة الجغرافيين المسلمين لهذا النهر معرفة واسعة في مرحلة مبكرة من تاريخهم.

يقول الاصطخري[1]: «فأما جيحون فأن عموده (أي رافده الاساسي) نهر يعرف بجرياب يخرج من بلاد وخاب من حدود بذخشان (وهي اقليم اللازود والذهب والياقوت والفضة يقع الان بين أفغانستان وطادجكستان السوفيتية) وينضم إليه انهار في حدود الختل ووخش فيصير من تلك الانهار هذا النهر العظيم وينضم إليه نهر يلي جرياب يسمى بأخش وهو نهر هلبك مدينة الختل (أي أن الرافد الثاني الهام هو نهر أخش الذي يمر بمدينة هلبك عاصمة اقليم الختل) ويليه نهر بربان والثالث نهر فارعي والرابع نهر انديخارع والخامس نهر وخشاب وهو أغزر هذه الانهار فتتجمع هذه الانهار قبل أن تجتمع مع وخشاب وقبل القواديان ثم ترتفع إليه بعد ذلك انهار البتم وغيره. ومنها أنهار الصغانيان وأنهار القواديان فتجتمع كلها وتقع الى جيحون بقرب القواديان وماء وخشاب يخرج من بلاد الترك حتى يظهر في أرض وخش ويسير في جبل هناك حتى يعبر قنطرة، ولا يعلم ماء في كثرته يضيق مثل ضيقه في هذا الموضع... وهذه القنطرة بين الختل وواشجرد ثم يجري هذا الوادي في حدود بلخ الى الترمذ ثم يمر على كالف ثم على زم ثم آمل ثم درغان وهي أول أرض خوارزم ولا ينتفع بهذا النهر من هذه البلاد الا خوارزم لانه يستقبل عنها. ثم ينحدر من خوارزم حتى ينصب في بحيرة تعرف ببحيرة خوارزم، وهي بحيرة بينها وبين خوارزم ستة أيام، وهو في موضع أعرض من دجلة، وقد شاهدته وركبت فيه ورأيته جامداً، وكيفية جموده انه اذا اشتد البرد وقوي كلَبه جمد اولا قطعا ثم تسري تلك القطع على وجه الماء فكلما ماست واحدة الأخرى التصقت بها ولا تزال تعظم حتى يعود جيحون كله قطعة واحدة، ولا يزال ذلك الجامد يثخن حتى يصير ثخنه نحو خمسة أشبار وباقي الماء تحته جار،

---

(١) كما ينقله ياقوت في معجم البلدان مجلد ٣ صفحة ١٩١.

فيحفر أهل خوارزم فيه ابارا بالمعاول حتى يخرقوه الى الماء الجاري ثم يستقوا منه الماء لشربهم ويحملوه في الجرار الى منازلهم فلا يصل الى المنزل الا وقد جمد نصفه في بواطن الجرة.. فاذا استحكم جمود هذا النهر عبرت عليه القوافل والعجل بالبقر، ولا يبقى بينه وبين الأرض فرق حتى رأيت الغبار يتطاير عليه كما يكون في البوادي فيبقى على ذلك نحو شهرين».

وهكذا نجد نهر جيحون يحدد المعالم الجغرافية لما يعرف اليوم بالتركستان وحتى المناطق التي يمر بها في شمال افغانستان فانها تعرف باسم التركستان الافغانية ذلك لأن سكانها هم من الاوزبك والتركمان والطاجيك أي نفس سكان التركستان ولم يفرق المؤرخون والجغرافيون المسلمون ابدا بين البلاد الواقعة على نهر جيحون في مجراه الاعلى قرب منبعه وبين تلك البلاد الواقعة في مجراه الاسفل قرب مصبه بل اعتبروها جميعا بلاد ما وراء النهر وكانت تشكل وحدة جغرافية وتاريخية طوال التاريخ الاسلامي بل وقبل هذا التاريخ.

وربما فسر لنا هذا احد أهم أسباب الغزو السوفيتي لأفغانستان اذ ان سكان شمال أفغانستان ينتمون الى نفس القبائل ويتحدثون نفس اللغة ويدينون بنفس الدين الذي يدين به سكان المناطق المحاذية والتي تحتلها روسيا والمعروفة باسم جمهورية أوزبكستان وجمهورية طادجكستان وجمهورية تركمنستان.. ولهذا بادر الاتحاد السوفيتي بغزو أفغانستان.. عندما امتد تيار الصحوة الاسلامية من شمال أفغانستان الى الجمهوريات السوفيتية المجاورة والتي ينتمي أهلها الى الإسلام ويتحدثون نفس اللغة التي يتحدث بها أهالي شمال أفغانستان.

بل ان شمال أفغانستان قد شاهدت منذ ستين عاما ابان سقوط خانية بخاري وخيوة هجرة أكثر من مليون تركستاني توطنوا في شمال

أفغانستان وانضموا الى المليونين من التركستانيين الذين يشكلون سكان شمال أفغانستان والان نرى الهجرة ممتدة جنوبا بعد الغزو السوفيتي لأفغانستان حيث تهاجر القبائل الافغانية من البشتو الى بيشاور في باكستان وحيث تتكرر نفس المأساة التي حدثت منذ أكثر من نصف قرن من الزمان في شمال أفغانستان اذ أن قبائل البشتو هي نفس قبائل الباتان الموجودة في شمال باكستان ويتحدثون بنفس اللغة وينتمون الى نفس الاصول العرقية ويدينون بنفس الدين.

وهكذا نرى نهر جيحون يشكل الطوبغرافية الجغرافية والتاريخية والسياسية لهذه المنطقة من العالم.

ويمر النهر في طريقه الطويل عبر مجموعة من المقاطعات والمدن الهامة سنوجزها فيما يلي:

(١) مقاطعة وخان: التي زارها ماركو بولو ووصف اهلها المسلمين كما وصف معادن الذهب والفضة.. وهي واقعة قرب منبع جيحون عند اتصاله بنهر جرياب المعروف حاليا باسم بنج.

(٢) مقاطعة بذخشان: الغنية بمراعيها الجيدة ووديانها الواسعة الخصبة ومعادن الياقوت واللازورد.. وطقسها الرائع.. وكانت عاصمة المقاطعة تقوم بالقرب من فيظا باد (فايز أباد) الحالية والتي تقع في شمال شرق أفغانستان بالقرب من حدودها مع طادجكستان السوفيتية.. ولهذا فإن هذه المقاطعة واقعة بين طادجكستان وأفغانستان.

(٣) مقاطعة طخارستان: التي تقع بين بلخ وبذخشان.. واسمها منسوب الى الطخاريين الذين قضوا على مملكة بكتريا اليونانية التي قامت في بلخ بعد غزو الاسكندر المقدوني لها. وكانت هذه المقاطعة تمتد في العصور الاسلامية من ضفاف اموداريا حتى ممرات هندكوش الجبلية.

ومن مدن هذه المقاطعة طالقان وهي غير طالقان الموجودة في شمال

ايران والمعروفة بطالقان قزوين تمييزا لها عن طالقان طخارستان التي تعرف أحياناً بطالقان الروذ.. ومن مدن هذا الاقليم أيضاً خلم (تاش قرغان الحالية) ورواليز واندراب التي تتصل بوادي نهر بنجشير (بنجهير سابقا) والمشهور بمعادن الفضة.

(٤) **الجوزجان**: وهي مقاطعة في شمال افغانستان وعاصمتها السابقة هي فارياب التي اندثرت اما عاصمتها الحالية فهي ميمنة.

(٥) **بلخ**: من أشهر مدن (خراسان) وتبعد عن جيحون باثني عشر فرسخا وقد كانت تسمى قبة الاسلام.. وقد اندثرت بلخ وقامت بالقرب منها مدينة مزار شريف بناء على زعم باطل ان فيها قبر الامام علي حيث زعموا انهم وجدوا جسده سليما في تلك المنطقة فبني المزار وقامت حوله المدينة المعروفة باسم مزار شريف..

ويعرف الجزء الشمالي من أفغانستان باسم التركستان الافغانية ويمتد من كوه بابا حتى نهر جيحون.. وعاصمة هذا الاقليم الواسع الذي يقوم حول مجرى نهر جيحون هي بلخ سابقا ومزار شريف حاليا..

(٦) **ترمذ**: وهي المدينة المشهورة التي تقع على نهر جيحون.. وهي واقعة اليوم في جنوب اوزبكستان بالقرب من حدودها مع أفغانستان وقد فتحها موسى بن عبد الله بن خازم سنة ٧٠ هـ.. وسنتحدث عن ترمذ بشيء من التفصيل في فصل خاص بها.

(٧) **الصغانيان**: تعرف المنطقة الواقعة حول ترمذ بالصغانيان وكان أول من غزاها الصحابي الحكم بن عمرو الغفاري سنة ٤٦ هـ.

وقد وصف ياقوت الصغانيان بأنها (ولاية عظيمة في بلاد ما وراء النهر متصلة الأعمال بترمذ) وقد وصف الاصطخري الصغانيان بقوله: «والصغانيان مدينة أكبر من ترمذ الا أن الترمذ أكثر اهلا ومالا. وللصغانيان قلعة» ويصفها المقدسي بقوله: «وأسواق القصبة (أي عاصمة

الصغانيان) مغطاة ظريفة، خبز رخيص ولحم كثير وماء غزير.. والجامع وسط السوق لطيف على سواري آجر بلا طيقان. في كل بيت ماء جار قد التفت بها الأشجار، وهي من معادن اجناس الطيور وموضع الصيد، طيبة في الشتاء كثيرة الامطار والثلوج، حشيشها اعجب يغيب فيه الدواب.. وهم أهل جماعة وسنة يحبون الغريب والصالحين.. الا أنها قليلة العلماء خالية من الفقهاء». وينسب إليها ابو بكر محمد بن اسحاق الصغاني احد الثقات في رواية الحديث المتوفي سنة ٢٧٠ هـ روى عنه الإمام مسلم والإمام الترمذي.

كما ينسب إليها أبو العباس الفضل بن العباس الصاغاني. وله تآليف في كل فن وقدم بغداد سنة ٤٢٠ هـ حاجا وسمع منه أبو بكر الخطيب.

وتقع مجموعة من المدن بين الصغانيان وترمز منها صرمنجان وهاشم جرو ودارزنجي...

(٨) **مدينة كالف**: تقع على بعد مرحلتين من ترمذ وهي المدينة الوحيدة على نهر جيحون والتي تمتد على ضفتي نهر جيحون.. وكان الشطر الرئيسي للمدينة يقوم على الضفة اليسرى (أي الغربية) بما في ذلك المسجد الجامع وبالقرب منه رباط ذي القرنين (كما يزعمون) وفي الضفة الشرقية من الجهة المقابلة يقوم رباط ذي الكفل (كما يزعمون).

(٩) **مدينة زم ومدينة أخسيسك**: وهما على بعد خمس مراحل من ترمذ.. وثلاثة من كالف.. وكانت مدينة زم تقوم على الضفة اليسرى (الغربية) بينما كانت مدينة أخسيسك تقوم على الضفة الشرقية.. وكان المسجد الجامع بزم وسط الاسواق وابتداء من زم كان الأهالي يستعملون مياه نهر جيحون في الري الصناعي.

(١٠) **آمل (جارجوي)**: وهي المدينة التالية التي تقع على جيحون.. وتقع على مسافة فرسخ من النهر على الضفة اليسرى (أي الغربية

منه).. بينما كانت تقوم على الضفة اليمنى (أي الشرقية وعلى بعد فرسخ من النهر مدينة فربر التي ينسب إليها الفربري راوية البخاري وأشهر تلاميذه وقد عرفت فربر أيضاً باسم (قرية علي) وأخذت (آمل) أهميتها من أنها تقع على الطريق الكبير الى خراسان.. وفي هذه المنطقة أي بالقرب من آمل وفربر يقترب نهر جيحون من نهر الصغد المعروف بنهر زرفشان.. ولكن هذين النهرين لا يلتقيان بل يصب زرفشان في الرمال ويضيع قبل ان يبلغ مجرى جيحون. وتقع أطلال مدينة آمل القديمة على بعد ميلين فقط شرق مدينة جارجوي التي قامت بعدها على أربعة جداول من جيحون وهذا هو معنى جارجوي.. وهي واقعة في جمهورية تركمنستان.

(١١) **الصغد**: بالضم ثم السكون ويقال بالسين بدل الصاد: وهي المنطقة الواقعة شرق جيحون موازية لآمل وفربر..

ونهر الصغد هو نهر زرفشان الذي تغيض مياهه في الرمال قبل ان يلتقي بجيحون..

وفي هذه المنطقة وما جاورها اهم مدن ما وراء النهر، بخارى وسمرقند.. وهذه المنطقة تقع حاليا في جمهورية اوزبكستان السوفيتية.. وبعضهم يدخل بخاري في الصغد وبعضهم لا يدخلها فيه. يقول ياقوت (وقيل هما صغدان صغد سمرقند وصغد بخارى.. وهي قرى متصلة خلال الاشجار والبساتين من سمرقند الى قريب من بخارى لا تبين القرية حتى تأتيها لالتحاف الاشجار بها، وهي من أطيب أرض الله كثيرة الاشجار غزيرة الانهار متجاوبة الاطيار...

«قال الجيهاني: **منبرها الأجل سمرقند** ثم كش ثم نسف ثم كشانيه.. وقال غيره قصبة الصغد اشتيجن وفضلها على سمرقند (وهو قول مردود لأن سمرقند قد فاقت جميع مدن الصغد بل فاقت كما يؤكد المؤرخون

والجغرافيون المسلمون جميع مدن ما وراء النهر).

«وهذا الوادي مبدؤه من جبال البتم يمتد على ظهر الصغانيان وله مجمع ماء مثل البحيرة يقال له وي. وحواليها قرى وتعرف الناحية ببرغر فينصب منها حتى يتصل بأرض بنجيكث ثم ينتهي الى بورغسر ومنه تتشعب انهار سمرقند.. وصغد سمرقند انزه البلدان وهي من حد بخارى على وادي الصغد يمينا وشمالا الى جبال البتم تشتبك الخضرة والبساتين فيها مسافة ثمانية أيام بالراحلة» وكانت تخرج من نهر زرفشان قنوات لتسقي سمرقند وفي منطقة ورغس (رباط خوجة الحالية) كان يقوم سد لحفظ المياه.. وكان الأهالي يعفون من الخراج مقابل قيامه بأمر هذا السد وكانت تخرج ثلاث قنوات لتسقي المنطقة الشمالية من الصغد (شمال سمرقند) وكانت هذه القنوات صالحة للملاحة المحدودة.

ويقول بارتولد: (ولقد ظلت سمرقند من حيث الرقعة وعدد السكان أولى مدن ما وراء النهر قاطبة) وسنتحدث عن سمرقند ومن ظهر بها من العلماء في فصل خاص بها ان شاء الله.

وقد اعتبرت **بخارى** من الصغد عن بعض الجغرافيين المسلمين وكانت الطريق بين سمرقند وبخارى تعرف بالطريق الملكي وكانت على الدوام ذات أهمية كبرى كما يقول بارتولد.. وتبلغ مسافة هذا الطريق ٣٩ فرسخا (١١٧ ميلا) وعلى طول هذا الطريق كانت تقع مجموعة من القرى المتصلة بالمزارع والمراعي ومن هذه القرى المهمة زرمان (في موضع جمباي الحالية) ودبوسية وكرمينية وطواويس وتعتبر طواويس من قرى بخارى وقد أطلق عليها المسلمون اسم طواويس لكثرة الطواويس بها عندما قدموا إليها فاتحين.

وسنرجىء الحديث عن بخارى الى الفصل الذي عقدناه عنها. وعلى بعد خمسة فراسخ من بخارى تقع **بيكند** التي اشتهرت حتى من قبل

الاسلام بكونها مركزاً تجارياً هاماً. وكانت أول مدينة يفتحها عبيد الله بن زياد سنة ٥٤ هـ، ثم فتح بعدها بخارى صلحاً مع الخاتون ملكة بخارى والتي كانت تحكم نيابة عن ابنها القاصر طغشادة.. وكانت بيكند تدعى مدينة التجار وهي أقدم من بخارى ذاتها..

واشتهر مسجد بيكند بمحرابه الجميل المرصع بالاحجار الكريمة ففاق في زينته ونقوشه جميع محاريب مساجد ما وراء النهر..

وتقع الى الغرب من بيكند مفازة ولهذا لم تكن بعدها قرى في الناحية الغربية..

أما مياه بيكند فتجتمع في بحيرة تعرف باسم قراكول أي البحيرة السوداء لكثرة مياهها وتكثر حولها أنواع الطيور وبها ثروة سمكية جيدة.

ويذكر بارتولد نقلا عن ياقوت والسمعاني أسماء القرى والمدن الواقعة في حوض زرفشان أي منطقة الصغد فيذكر ما يقرب من ٢٥٠ قرية ومدينة ويذكر موقعها ومختلف اسمائها.

وتأتي بعد بخارى اذا اتجهنا شمالاً مع نهر اموداريا (جيحون) **مدينة كش وهي شهرسبز (اي المدينة الخضراء)** الحالية التي كانت مدينة عظيمة قبل العهد الساماني وذلك قبل أن تبرز بخارى وسمرقند وتبلغا شأوا بعيداً فاق جميع ما عداها من مدن ما وراء النهر وتقع كش بالقرب من مدينة نسف (نخشب).

ويقول اليعقوبي: (ان كش هي أعظم مدن الصغد قبل العهد الساماني) وهي مدينة تقوم على نفس طراز المدن القديمة أي من قلعة (قهندز) ومدينة (شهرستان) وضاحية (ربض) ويحيط بها سور له أربعة أبواب.. وكانت دار الامارة خارج القلعة بل خارج المدينة والضاحية في موضع مصلى العيد. ويذكر ابن حوقل ستة عشر رستاقاً ويضم كل

رستاق مجموعة من القرى والمزارع حولها، تابعة لولاية كش واذا اتجهنا شمالاً بعد كش نجد مدينة **نسف** التي اخرجت لنا الامام النسفي المفسر المشهور.. واسم **نسف التركي هو نخشب** وقد حرفه العرب الى نسف.. وقد خربت نسف على يد جنكيز خان في زحفه الرهيب ضد العالم الاسلامي ثم أعيد بناؤها عندما أقام أحد أحفاد جنكيزخان الذين دخلوا في الإسلام قصراً بالقرب منها.. ويسمى القصر بلغة المغول قرش.. ولهذا اطلق على نسف الجديدة اسم قرش. والطريق من بخارى الى نسف حوالي تسعين ميلا (أي ثلاثين فرسخاً). كما أن الرحلة من نسف الى كش تبلغ ثلاث مراحل.. وسنتحدث عن نسف ومن ظهر بها من العلماء في فصل خاص باذن الله فنرجىء الحديث عنها الى حينه...

واذا اتجهنا شمالا مع جيحون ووصلنا الى قريب من مضبه فإننا ندخل منطقة خوارزم التي تعتبر **درغان** أول مدنها.. وقد كانت **درغان** في القرن العاشر الميلادي اكبر مدن الضفة اليسرى (الغربية) بعد كركانج (الجرجانية) وكان بها جامع جميل مزين بالحجارة الكريمة ومنقوش بالذهب.. واشتهرت مزارع درغان وكرومها وزبيبها وعلى مرحلة شمال درغان تقع مدينة سدور التي كان بها مسجد جامع وهي الان اطلال سدفر. وعلى مرحلة ابعد من ذلك كانت تقوم مدينة **هزارسب** المشهورة والتي ظلت محتفظة باسمها الى أيامنا هذه (حسب قول بارتولد).. وعلى بعد ثلاثة فراسخ شمال هزراسب كانت تقع مدينة **كردران خاس** وعلى خمسة فراسخ منها تقوم مدينة **خيوه** عاصمة المنطقة حالياً. وكانت خيوه على طرف الصحراء وبها مسجد جامع.

وجميع هذه المدن التي ذكرناها تشرب من جيحون بواسطة قنوات وكان أكبرها قناة **خيوة** التي كانت تجري فيها السفن الى خيوه.. وكانت قصبة خوارزم في الماضي مدينة **كاث** التي تقع على الضفة اليمنى

(الشرقية) للفرع الرئيسي لنهر جيحون وعلى بعد مرحلة من خيوه.. ولفظ كاث يعني (الحائط في الصحراء من غير أن يحيط به شيء) كما يقول ياقوت. وهي مقسمة كبقية المدن القديمة الى قلعة ومدينة وربض. وسنذكرها بشيء من التفصيل مع ذكرنا لمدينة الجرجانية (كركانج) عندما نتحدث عن خوارزم ومن ظهر بها من العلماء في فصل مستقل ان شاء الله.

وفي الجرجانية (كركانج) يقترب نهر جيحون من مصبه الأخير في بحيرة خوارزم.. وقد غير النهر مجراه في القرن السادس عشر الميلادي مبتعداً عن كركانج ليصب في بحيرة خوارزم (بحر الارال) بعيداً عن كركانج.

ورغم جريان جيحون في أرض خوارزم الا أن القفار والسهوب تحيط بهذا الاقليم الاخضر في الوقت الحاضر بينما ذكر الاصطخري وجود حزام زراعي متصل العمران يبدأ عند آمل ويربط خوارزم بخراسان وبلاد ما وراء النهر.. وما عدا ذلك فهي قفار ليس فيها رباط ولا نافخ نار كما يقول المقدسي.

وبهذا نكون قد تحدثنا عن نهر جيحون (أموداريا) من منبعه في مرتفعات بامير الى مصبه في بحيرة خوارزم. وسيكون حديثنا بعد هذا عن نهر سيحون (سرداريا).

نهر سيحون (سرداريا) وينبع هذا النهر من مرتفعات بامير الشمالية.. وعموده الاساسي هو نهر قرداريا ثم يتصل به نهر رافد أكبر من قرداريا هو نهر خيلام (ويسمى حالياً نارين). وكان القسم الواقع بين هذين النهرين يسمى ميان روذان (أي ما بين النهرين) واسمه الحالي باللغة التركية ايكي سو أراسي. وهذه المنطقة تقع حالياً في جمهورية قرغيزيا السوفيتية.. وكانت أكبر مدن المنطقة هي خيلام (يذكرها

المقدسي باسم خيرلام) وهي تقع على نهر خيلام (نارين) اول وأهم روافد نهر سيحون.. وكانت خيلام مدينة كبيرة ذات جامع جميل كما يصفها المقدسي.. ويذكر الاصطخري أن خيلام هذه هي مسقط رأس الأمير نصر بن أحمد الساماني..

ويتجه نهر سيحون (سرداريا) غرباً من منبعه في قرغيزيا حتى يدخل في جمهورية اوزبكستان عند مدينة خوقند التي اصبحت تابعة لجمهورية اوزبكستان ثم يتجه النهر شمالاً صوب مدينة طشقند (مدينة بنكث القديمة) عبر اقاليم ايلاق واشروسنة والشاش.. ويعرف سيحون في هذه المنطقة باسم نهر الشاش.. وتقع مدينة طشقند عاصمة جمهورية اوزبكستان والتي كانت تعرف قديماً بأسم بنكث الى الشرق من نهر سيحون.

ثم يدخل سيحون أراضي جمهورية قازاقستان من جنوبها الغربي ويواصل زحفه شمالا حتى يصب في بحيرة خوارزم (بحر الارال) قاطعاً بذلك الجزء الغربي من جمهورية قازاقستان وفي هذه المنطقة قبل مصبه تقع مدينة اكشميت أي المسجد الأبيض التي اسماها الروس قزيل أورد اي المدينة الحمراء بعد أن خضبوا أرضها بدماء ابنائها الزكية.. وبعد أن رفعوا الاعلام الحمراء على أرضها الطاهرة.. فأصبحت اسماً على مسمى.

ويبلغ طول نهر سيحون (سرداريا) من منبعه الى مصبه ٢٧٠٠ كم يجري خلالها عبر ثلاث جمهوريات اسلامية (سوفيتية) هي قرغيزيا ثم أوزبكستان ثم قازاقستان.

وقد كانت الأراضي الواقعة شرق نهر سيحون تعتبر أرض الكفار الى عام ٣٢٣ هـ (٩٤٣م) عندما اسلم خاقان القراخانيين ستوق بغراخان وتبعه بعد ذلك اسلام مائتي الف خيمة من قومه.. وذلك

بفضل الله اولاً ثم بفضل الدعاة الى الله من الصوفية. وكانت الأراضي الواقعة شرق النهر تعتبر أرضاً للكفار الترك من قبائل الغز والتغزغز والقرلوق فتحولوا الى الإسلام كما ذكرنا في القرن الرابع الهجري وظهر منهم الاتراك السلاجقة الذين كانوا دعائم الخلافة العباسية وحكامها في القرنين الخامس والسادس الهجريين.. كما ظهر منهم اتراك الدولة العثمانية الذين رفعوا راية الاسلام في وسط اوروبا.. واحتلوا القسطنطينية على يد محمد الفاتح وأصبحت منذ ذلك الحين عاصمة للخلافة العثمانية.

وكانت المدن الهامة على نهر سيحون (سرداريا) اقل عدداً وشأناً من المدن التي تقع على نهر جيحون.. ومن المدن الهامة التي تذكر في التاريخ الى يومنا هذا مدينة **خجندة (خوقند)** ومدينة **اخسكيت** عاصمة اقليم فرغانة ومدينة **بنكث (طشقند)** عاصمة اقليم الشاش.

أما أكبر مدينتين على الثغور في مواجهة القبائل التركية الكافرة (وذلك قبل اسلامها) فكانت مدينتا **اوش واوزكند**. وكانت اوش تعتبر ثالث مدن فرغانة من حيث الرقعة وتتكون من شهرستان (مدينة) وقهندز (قلعة) وربض (ضاحية).. وكانت دار الامارة والحبس بالقلعة.. وللمدينة سور كبقية المدن القديمة ولها ثلاثة أبواب وكان جامعها وسط السوق.. وكان بالمدينة رباط كبير للمجاهدين (المطوعة). وكذلك كانت اوزكند التي تبلغ ثلثي مدينة اوش. والطريق الكبير من خجندة (خوقند) الى أوش الذي يجتاز الاجزاء الجنوبية لاقليم فرغانة (رحلة ستة أيام) كان يمر على مجموعة من المدن الصغيرة أهمها **مدينة قبا** التي اسميت على أسم قبا الموجودة في المدينة المنورة اما الآن فقد تحول اسمها الى **كوفا** وكانت كثيرة البساتين وتفوق اخسكيت نفسها في الثروة وتظهر بعد ذلك مدينة **مرغينان** في اقليم فرغانة التي أصبحت في عهد

القراخانيين أهم مدينة في هذه المنطقة. وقد وصفها السمعاني بأنها (من أشهر البلاد من نواحي فرغانة) واخرجت لنا عدداً كبيراً من العلماء والفقهاء.

ومن مناطق فرغانة مدينة **انديجان** التي تزعم الروايات الشعبية أن بها قبر النبي أيوب وبها المياه التي استشفى بها سيدنا أيوب عندما دعا ربه: «اني مسني الضر».. وهو معروف الى الان باسم **حضرت ايوب على بعد ميل ونصف من قرية جلال أباد**.

ويتحدث المقدسي عن استشهاد ٢٧٠٠ من الصحابة والتابعين في أقليم فرغانة بالقرب من اسبيذبولان كان قد ارسلهم الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه تحت امرة محمد بن جرير فاستشهدوا جميعاً في واقعة مع الكفار. ولا يزال هذا الموضع قائماً الى اليوم بنفس الاسم كما يقول بارتولد (وهو أمر غريب لأنه لم يكن معلوم أن المسلمين قد وصلوا الى هذا الحد في توغلهم في بلاد ما وراء النهر). أما **خوقند أو خجندة** فهي مدينة عظيمة وسنذكرها مع اخسكيت عندما نتحدث عن فرغانة ومن ظهر بها من العلماء بشيء من التفصيل في فصل خاص. وفي خوقند مشهد عبد الله بن علي زين العابدين بن الحسين السبط وأخ محمد الباقر.. وقد توفي عبد الله بن علي سنة ١١٣ هـ (٧٣١ م). **وكذلك يوجد قبر قتيبة بن مسلم الباهلي فاتح بلاد ما وراء النهر في رباط سرهنك بقرية كاخ في اقليم فرغانة**. ويشير الاهالي حتى اليوم كما يقول بارتولد الى مقبرة الإمام الشيخ قتيبة في دائرة جلال كدك من أعمال انديجان.

ويقع اقليم فرغانة حالياً في جمهوريتين هما جمهورية قرغيزيا وجمهورية اوزبكستان التي تقع فيها مدينة خوقند (خوجنده).

وفي فرغانة تقع جبال اسبرة التي وصفها ابن حوقل بأنها (جبال بلق مقطعة سوداء حالكة واخرى حمراء قانية واخرى صفراء فاقعة) ومن

هذه الجبال كما يقول الاصطخري وابن حوقل توجد مناجم الفحم التي كانت تؤخذ من الجبال السود والتي كانت تباع بثمن بخس كل ثلاثة احمال بدرهم وكان وزن الحمل يقرب من تسعين كيلو جراماً. وقد لفت نظر الجغرافيين المسلمين مثل ابن حوقل والاصطخري وياقوت ان لهذا الفحم خاصية عجيبة وهي أنه يصبح شديد البياض بعد احتراقه، فتبيض به الثياب **ويصف ياقوت اقليم فرغانة** بقوله: «مدينة وكور واسعة وراء النهر (المقصود هنا سيحون) متاخمة لبلاد تركستان (المقصود بتركستان هنا موطن القبائل البدوية التركية التي لم تكن قد دخلت الاسلام) من ناحية هيطل من جهة مطلع الشمس على يمين القاصد لبلاد الترك، كثيرة الخيرات واسعة الرستاق.. يقال كان بها أربعون منبراً (أي مسجداً جامعاً تقام فيها الجمعة) بينها وبين سمرقند خمسون فرسخاً ومن ولايتها خجندة (خوقند) وبفرغانة في الجبال الممتدة بين الترك وبينها من الاعناب والجوز والتفاح وسائر الفواكه والورد والبنفسج وأنواع الرياحين مباح ذلك كله لا مالك له ولا مانع يمنع الآخذ منه).

أما الاصطخري فقد وصف فرغانة بإنها «اقليم عريض على سعة مدنها وقراها وقصبتها (أي عاصمتها) أخسكيت.. وليس بما وراء النهر اكثر قرى من فرغانة وربما بلغ حد القرية مرحلة لكثرة اهلها وانتشار مواشيهم وزروعهم».

وهكذا نرى في اقليم فرغانة مجموعة من المدن وتتبع كل مدينة مجموعة من القرى والارياف الكثيرة الخيرات الوافرة الثمرات.. وأهم مدن هذا الاقليم هي: **أخسكيت العاصمة تليها خجندة أو خوقند تليها ميرغينان تليها قبا المسماة الان كوفا تليها انديجان تليها مدينة كاسان.. تليها مدينتا نجم وكروان الواقعتان في شمال فرغانة..** ويذكر المقدسي أربعين مدينة في فرغانة بمسجد جامع.. وكان المسجد الجامع لا

يقام إلا في القرية الكبيرة أو المدينة.. أما القرى الصغيرة فلم يكن بها مسجد جامع.. وكان لكل مدينة مسجد جامع واحد فقط...

وقد اشتهرت فرغانة بثروتها المعدنية فقرب اخسكيت العاصمة وفي نقاد ومواضع أخرى كانت توجد معادن الذهب والفضة.. وقرب سوخ - يستخرج الزئبق وفي نسيا العليا - يستخرج الزفت والنفط والاسبيستوس والذهب والفضة والفيروز والحديد والصفر (النحاس) والآنك (الرصاص) وكما يقول بارتولد فإن فرغانة هي أحدى بلاد الإسلام القليلة التي يستخرج منها ملح النشادر (قرب اوزكند).

وتعتبر المنطقة الواقعة بين سمرقند وخجند (أي مائة وأربعة وثمانون ميلا) داخله ضمن ولاية اشروسنة وكانت الرحلة تستغرق ثمانية أيام بالراحلة وتقع بينهما عدد من المدن هي باركث ورباط سعد وزامين وساباط واركند وشاوكت.. وكانت عاصمة اشروسنة بعيدة عن هذا الطريق وهي بنجكث وهي الآن اطلال تقع الى الجنوب الغربي من اوراتبه (على بعد ١٦ ميلا).

وثاني مدن اشروسنة هي زامين تليها جيزك.. وفي أشروسنة توجد مناجم الفضة بالقرب من مدينة خشت.. وقد كان باشروسنة قريب من أربعمائة حصن، مما يدل على تخوفهم من غارات القبائل البدوية التركية في ذلك الوقت.. وفي هذه المنطقة كان يوجد حصن الافشين الأكبر الذي كان أكبر قواد الدولة العباسية في عهد المعتصم وهو في منطقة تعرف باسم رستاق مينك وبناحية منك ومرسندة كان يستخرج الحديد الذي تصنع منه الآلات والاسلحة بفرغانة والذي يصدر الى كافة البلاد حتى يصل بغداد..

وفي اشروسنة تقع جبال البتم التي بها معادن الذهب والفضة والزاج والنشادر.. والى الشمال الشرقي من اشروسنة وعلى الضفة اليمنى

(الشرقية) لنهر سيحون (سرداريا) كانت تقع ولايتا **ايلاق والشاش** اللتان كانتا تكونان من الناحية الجغرافية وحدة لا تتجزأ.

والمقصود من **ايلاق هو وادي نهر انجرين اما الشاش فيقصد به وادي نهر شرشيق (جيرجيق)** اللذان يعتبران روافد لنهر سيحون.

وقرب فم نهر انجرين كانت تقوم مدينة **بناكت** اما قرب فم نهر جيرجيق فكانت تقوم مدينة **نجاكت**.. وقد خرب المغول بناكت واعاد بناءها تيمورلنك وأسماها شاهرخيه على اسم ولده القائد الشجاع شاهرخ. واما اهم مدن الشاش فهي طشقند التي كانت تعرف باسم بنكت.. والتي تعتبر اليوم عاصمة جمهورية اوزبكستان بأكملها.. وسنتحدث عن طشقند عند حديثنا عن الشاش ومن ظهر بها من العلماء في فصل خاص. وتعتبر اشروسنه والشاش وايلاق جزءاً من جمهورية اوزبكستان في الوقت الحاضر. وتشتهر الشاش بالاضافة الى منتوجاتها الزراعية بانتاجها الوفير من معدن الفضة..

(ومعدن الشاش يرد ذكره كثيرا على السكة حتى في العصر العباسي) كما يقول بارتولد.

اما عاصمة **ايلاق فهي تونكث** التي لم يستطع الباحثون تحديد موقعها الى اليوم كما يقول بارتولد. ويذكر بارتولد سورا عظيما يمتد الجزء الغربي منه أربعة وعشرين ميلا وهو الحاجز المعروف باسم كمبير دوال اي الحائط العجوز لأنه بني قبل حوالي الف ومائتي عام وينسب بناؤه الى عبد الله بن حميد بن ثور الذي تولى حكم خراسان وما وراء النهر عام ٧٧٦ م.. وقد بني هذا الحائط الضخم ليمنع غارات القبائل التركية البدوية التي لم تكن قد دخلت في الاسلام آنذاك... وكان عدد مدن الشاش وايلاق كبيرا فيذكر المقدسي ٣٤ مدينة بالشاش و١٧ مدينة بايلاق.. وعلى عهد السامانيين كانت ولاية **اسفيجاب**، وهي

الأرض المزروعة في حوض نهر أريس (احد روافد سيحون) تعتبر من بلاد النهر وهي ثغر هام في وجه قبائل الترك الكافرة في ذلك الوقت.. ويبدو ان مدينة اسفيجاب التي تهدمت هي الآن قرية سيرام ذاتها كما يقول بارتولد ولقد كانت اسفيجاب تعج بالمجاهدين (المطوعة) الذين كان الأغنياء والأمراء يبنون لهم الأربطة وينفقون عليهم بسخاء. بل كان كل اهل مدينة من مدن ما رواء النهر مثل سمرقند وبخارى ونخشب يبنون لمتطوعيهم اربطة خاصة بهم. وكانت تدخل ضمن ولاية اسفيجاب جميع الأراضي الممتدة صوب وادي تلاس وصوب الشمال الغربي لتشمل سوران (صبران).

وقد كانت ولاية اسفيجاب تخرج كما يقول المقدسي سبعين الف مجاهد.. ولعله يقصد عدد المجاهدين الموجودين فيها من مختلف المناطق. وتقع اسفيجاب في جمهورية قازاقستان (في الجزء الجنوبي الغربي منها)..

وكانت ولاية فاراب تقع الى الشمال من اسفيجاب على الشط الأيسر (الغربي) لنهر سيحون اي في جمهورية قازاقستان الحالية.. ولفاراب عدة قرى منها قرية وسيج مسقط رأس الفيلسوف المشهور ابي نصر الفارابي ويذكر المسعودي ان نهر سيحون (سرداريا) كان يفيض احيانا في نواحي فاراب فيغمر مساحة من الأرض تزيد على ثلاثين فرسخا (٩٠ ميلا) وان القرى كانت تصبح كالقلاع على رؤوس التلال حتى كان الأهالي يلجأون الى استعمال الزوارق للانتقال.

وكانت سوران أو صبران من الثغور المواجهة للكفار الترك آنذاك ولذا كانت محكمة التحصين مليئة بالمجاهدين (المطوعة).. وشمال سوران كان نهر سرداريا يجتاز مفازة الترك الغزية (في جمهورية قازقستان الحالية).. وعلى مرحلتين من مصبه في بحر خوارزم (بحر الارال) كانت تقع مدينة ينيكنت (أي المدينة الجديدة) وتسمى أيضاً شهركنت وهي

الآن اطلال جنكنت الواقعة جنوبي سرداريا على بعد ثلاثة اميال من قلعة امارة خيوه المعروفة باسم جان قلعة.. وغير بعيد من ينيكنت كانت تقوم مدينة جند ومدينة جواره.. وكان جميع سكان هذه المدن من المسلمين منذ ما يقرب من الف عام.. رغم ان المناطق المحيطة بهذه المدن كانت لا تزال وثنية. وذلك بسبب نشاط تجار خوارزم.

وقد وقع مصب النهر في ايدي المسلمين منذ القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) على يد سلجوق، بينما كانت المنطقة الواقعة بين جند وفاراب من ارض الكفار الى القرن العاشر الميلادي..(الرابع الهجري).

وكانت عاصمة القبحاق غير المسلمين هي سغناق التي بقيت اطلالها في سناق قرغان كما يقول بارتولد.

وخلاصة القول ان نهر سرداريا (سيحون) من منبعه الى مصبه اصبح نهرا اسلاميا في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) الا منطقة بسيطة منه تقع بين جند وفاراب.. ومع هذا لم يأت القرن الحادي عشر الميلادي الا وقد دخلت هذه المنطقة ايضاً في دين الله.

وبهذا نكون قد تحدثنا بايجاز عن النهرين العظيمين جيحون (أموداريا) وسيحون (سرداريا) من منبعها الى مصبها.. وتحدثنا عن الأراضي الواقعة بينها.

وفي الفصل التالي سنتحدث باذن الله أولاً عن تركستان الشرقية (التي تستعمرها الصين) من الناحية الجغرافية والتاريخية ووضعها الحاضر وثرواتها وثوراتها.. وفي الفصول التالية سنتحدث عن التركستان الغربية وعن جغرافيتها ومناطقها وتاريخها منذ ان فتحها الله على المسلمين الى ان نكبت بالغزو الروسي القيصري ثم تلاه ما هو أدهى وأمر وهو الغزو الروسي البلشفي.. وسنتحدث عن مناطقها وثرواتها وثوراتها بايجاز..

ثم نفرد الفصول التالية للمناطق المشهورة من التركستان الغربية ومن ظهر بها من العلماء فنبدأ بمدينة بخارى ثم سمرقند ثم خوارزم ثم ننتقل الى فرغانة وفاراب ونسف وترمذ وبيهق ثم نعود الى خراسان نقطة انطلاق الجهاد الاسلامي في بلاد ما وراء النهر ونصف حالها سابقا ولاحقا وما آلت اليه من تقسيم.. ونذكر مرو عاصمتها بشيء من التفصيل ومن ظهر بها من العلماء والمشاهير.(في الجزء الثاني من هذا الكتاب إن شاء الله).

الفصل التاسع

تركستان الشرقية

تعد تركستان الشرقية المسماة سينكيانغ أي المستعمرة الجديدة من المناطق الهامة بالنسبة للصين الشيوعية رغم ان اغلبها قفار وصحارى.. ذلك لأن بها ثروة معدنية وبترولية هامة.. وتعتمد الصين اعتمادا كبيراً على معدن اليورانيوم الذي ظهر في التركستان الشرقية في تصنيع مفاعلاتها النووية ومن هذا المعدن تمكنت الصين من صنع قنبلتها النووية، واللحاق بالنادي النووي..

وتبلغ مساحة تركستان الشرقية ١,٧١٠,٧٤٥ كم مربعا.. وقد كان يسكنها ما يقرب من خمسة عشر مليون تركستاني أُبيد أكثرهم في الثورات المتعددة التي قاموا بها في وجه الاستعمار الشيوعي الصيني.. وفي أعمال السخرة التي فرضتها عليهم الصين الشيوعية.. وفي المجاعات المتكررة التي نكبت بها التركستان الشرقية بعد الاستعمار الصيني.. حتى بلغ تعداد التركستانيين حاليا اقل من ثمانية ملايين بينما زاد المستوطنون الصينيون الى عدة ملايين تماما مثلما فعلت اسرائيل في فلسطين عندما قتلت وشردت سكانها العرب وأحلت محلهم أشتات اليهود من مختلف اصقاع الأرض..

وأغلب ارض التركستان الشرقية صحارى وتنقسم اراضيها الى قسمين بواسطة سلسلة جبال تنغري الممتدة من هضبة بامير في الشرق الى حدود الصين في الغرب.. فالقسم الشمالي يعرف بحوض جونغاريا (زونغاريا) وأغلبه صحارى ومراعي والقسم الجنوبي يعرف بحوض نهر تاريم الذي ينبع من جبال قرة قوروم ويصب في بحيرة قرة بوران ويبلغ طوله ١٦٠٠ كم.. ونتيجة لوجود هذا النهر فان الأراضي التي يمر بها خصبة وزراعية واما باقي الأراضي فهي مراعي او صحارى جدبة. والجدير بالذكر ان معظم انتاج القطن في الصين وفي الاتحاد السوفيتي انما هو من اراضي التركستان.. واذا جمع انتاج تركستان الشرقية والغربية من القطن فانها بذلك تكون الدولة الأولى في العالم لانتاج

القطن. وكذلك فان الثروة الحيوانية لتركستان الشرقية كبيرة جدا.. اما الثروة المعدنية فهي هائلة جدا.. فمن جبال التاي في تركستان الشرقية يستخرج الذهب والفضة ويوجد البترول بكميات كبيرة في تركستان الشرقية ويبلغ احتياطي البترول فيها حسب احصائيات ١٩٦٤م، (وليست لدي احصائيات حديثة) ١٦٠ مليون طن من البترول ويوجد اليورانيوم في خمس مناطق من مناطق التركستان الشرقية.. وبكمية وافرة وانواع جيدة.. وهو الذي مكن الصين من صنع قنبلتها النووية. ويوجد الذهب في خمسين منطقة والحديد في ٤٦ منطقة والفحم في ٧٠ منطقة والقصدير في ١٣ منطقة والزئبق في ٦ مناطق. وفي عام ١٣٧٩هـ (١٩٥٩م) اكتشفت مناطق واسعة للفحم وقدر الاحتياطي الموجود بـ ٦٠٠ مليون طن ويبلغ عدد سكان تركستان الشرقية ١٥ مليوناً وأهم مدنها كاشغر ذات التاريخ المجيد التي كانت زاخرة بالمعاهد العلمية والمساجد وتسمى اليوم (شوفو) وأورموجي العاصمة وسكان تركستان الشرقية مسلمون سنيون الا قبيلة التاجيك فهم شيعة اسماعيلية. وقبائل التركستان الشرقية هم الايغور والقازاق والقيرغيز والاوزبك واتراك الدولان والتاجيك والتتار.. وأشهر المدن في هذه المنطقة هي اورموجي وهي العاصمة وقد غير الصينيون اسمها الى تيهوا، وكاشغر المدينة التاريخية الاسلامية التي اسماها الصينيون شوفو، وبارقند المسماة سوجي وخوتان (هوتين) وأقصوا المسماة (ونسوه).

وقد دخل اهل التركستان الغربية في الاسلام منذ دخل قتيبة بن مسلم الباهلي ارضهم عام ٨٦هـ (٧٠٥م) إلا ان مناطق تركستان الشرقية لم تدخل في الاسلام الا أفراداً قلائل حتى عام ٣٢٣هـ. (٩٤٣م) عندما اسلم خاقان الامبراطورية القراخانية المسمى ستوق بوغراخان.. فانتشر الاسلام بعد ذلك انتشارا عظيما في جميع اراضي التركستان الشرقية. اما تركستان الغربية فقد سبقت الى الاسلام منذ

ايام قتيبة بن مسلم الباهلي عندما اسلم ملك بخاري طغشادة بن الخاتون والذي سمي ابنه قتيبة تيمناً باسم القائد المسلم العظيم..

ومنذ ذلك الحين صار جميع اهل التركستان من أشد الناس حماساً للاسلام ودفعا عنه وظهر منهم العباقرة العظام في كل فن.. وخاصة من مناطق تركستان الغربية التي سنتحدث عنها وعنهم فيما بعد.. ورغم ان قتيبة بن مسلم الباهلي قد احتل كاشغر الا ان سلطة المسلمين على التركستان الشرقية كانت ضعيفة جدا آنذاك حتى دخل ستوق بغراخان الاسلام عام ٣٢٣ هـ كما تقدم ولقد كان اتراك التركستان الشرقية قبل الاسلام مجموعة من القبائل البدوية القوية الشكيمة التي تعيش على الرعي والسطو والنهب وخاصة المناطق الخصبة من التركستان الغربية.. وكانت هذه القبائل المختلفة مثل القارلوق أو الغز او التغزغز يشكلون خطرا على المدن الاسلامية مثل بخارى وسمرقند ولذا كانت الأسوار حولها تمتد مسافة ١٢ فرسخا (٣٦ ميلا) لتشمل المدينة وقراها.

وفي عهد العباسيين وانتظام دولتهم وبلوغها شأوا بعيدا انتقل المسلمون من الدفاع الى الهجوم فكانت الغزوات تذهب ضد هذه القبائل وتفتح أرضهم كما كانت تتصدى للقوات الصينية التي كانت تتحالف مع هذه القبائل ضد المسلمين وفي سنة ١٣٤ هـ (٧٥١ م) دارت معركة طاحنة بين القوات الاسلامية بقيادة زياد بن صالح والقوات الصينية بقيادة كاوهسن شت[(١)] وذلك عندما اعتدت القوات الصينية على سوياب وخربتها ثم قتلت عامل الشاش الذي استنجد بالقوات الاسلامية وكانت نتيجة المعركة قتل خمسين الف من قوات الصين وأسر عشرين الف منهم.. وكان هذا النصر عاملاً حاسماً جعل الصين تبتعد عن

(١) وقعت هذه المعركة الحاسمة المعروفة باسم معركة طلاس بقيادة القائد الكوري الاصل كاوهسن شيه عندما طلب حاكم فرغانة معونة الصين ضد حاكم الشاش المتحالف مع المسلمين .. وانضمت قوات ابو مسلم الخراساني الى قوات زياد بن صالح والتقى المسلمون والصينيون على أبواب مدينة طراز على يد طلاس (في قيرغيزيا اليوم).

التدخل في شئون تركستان الشرقية وعندما بعث أمير أشروسنه في العام التالي أي عام ١٣٥ هـ (٧٥٢ م) يطلب معونة الصين ضد المسلمين آثرت الصين عدم التدخل بعد الدرس القاسي الذي لقنته اياها القوات الاسلامية. وقد بذل العباسيون جهودا ضخمة في تفتيت قوى القبائل الكافرة التي كانت تغير على المناطق الاسلامية في التركستان الشرقية كما بعثوا الدعاة الى الله لنشر الاسلام وبعث المهدي رسله الى أخشيد الصغد (الأخشيد لقب تركي بمعنى الأمير أو الحاكم) وأخشيد أشروسنه وملك فرغانه وخان القزلوق وخاقان التغز وملك التبت.. واعترف هؤلاء جميعا بسلطة الدولة العباسية عليهم ورضوا بدفع الجزية..

وعندما قامت الحرب بين الأمين والمأمون نقض هؤلاء جميعا عهدهم وتوقفوا عن دفع الجزية ولكنهم عادوا الى الصلح ودفع الجزية عندما استتب للمأمون امر الخلافة.. وقام العباسيون وخاصة في عهد المأمون ثم بصورة أوسع في عهد المعتصم باستخدام هؤلاء الترك في الجيوش الاسلامية فقد أنشأ الفضل بن يحيى البرمكي والي خراسان ايام الرشيد فرقة من الاتراك بلغ عددها خمسون الف مقاتل سماهم العباسية.. كما اشترك في قوات الأمير علي بن عيسى رجال من الصغد.. وكان في جيش طاهر بن الحسين سبعمائة من الخوارزمية.. وجعل المأمون عدداً من حرسه الخاص من الاتراك.. اما في عهد المعتصم فقد تفوق العنصر التركي تفوقا حاسما في جيش الخلافة وكان حرس المعتصم الخاص مكوناً من الاتراك من فرغانة واشروسنه والصغد والشاش وبدأ الأتراك أنفسهم يتبنون حركة الجهاد بين جيرانهم من القبائل التركية التي لم تسلم بعد. يقول البلاذري في فتوح البلدان (المعتصم بالله حل شهود عسكره من جند أهل ما وراء النهر من الصغد والفراغنة والأسر (أي أشروسنه) وأهل الشاش وغيرهم، وحضر ملوكهم بابه، وغلب الاسلام على ما هناك، وصار اهل تلك البلاد يغزون من وراءهم من الترك

ففتح مواقع لم يصل اليها احد قبله).

وواصل السامانيون الذين تولوا أمر بلاد ما وراء النهر وخراسان في عهد المأمون والمعتصم ومن جاء بعدهم من الخلفاء العباسيين - واصلوا سياسة الاندفاع في التركستان الشرقية وقاموا بحملة على بلاساغون القريبة من الحدود الصينية ووقع ابن الخاقان أسيراً في ايديهم. وكما يقول الدكتور حسن أحمد محمود في كتابه (الاسلام في آسيا الوسطى) «والدور الخالد الذي قام به السامانيون ليس هو الجهاد فحسب انما كسبهم عالم الأتراك الشرقيين للحضارة الاسلامية.. لقد كان السامانيون يطبقون سياسة الجهاد الحقة بالسيف من ناحية (لاخضاع القوة المعادية) (والتبشير السلمي من ناحية أخرى)».

وقد نشطت مدارس بخارى وسمرقند في نشر الاسلام بين مختلف القبائل التركية.. وكان أوج نشاطها في القرن الرابع الهجري الذي يعتبر بحق عصر الدعوة الشاملة الى الاسلام بين الاتراك الشرقيين. واشترك في هذه الجهود المباركة الفقهاء والصوفية والتجار والأمراء وقد تقدم ذكر اسلام ساتوق بغراخان ملك القراخانيين واسلام مائتي الف خيمة معه في عام ٣٢٣ هـ (٩٤٣ م) وذلك على يد مجموعة من الدعاة الى الله من الصوفية ويقول بارتولد: (لقد قام هؤلاء المتصوفة بدور كبير الى جانب الفقهاء فالفقهاء يخاطبون الطبقة المثقفة والصوفية يتعمقون بالعقيدة في نفوس طبقات السذج والعوام.. ويكسبون قلوب الجماهير في مناطق البدو بحياتهم المتقشفة وسيرتهم وزهدهم وعمق ايمانهم وصدق دعوتهم).

ولقد شهد هذا القرن التوفيق بين التصوف والفقه وانطلق الجميع حتى التجار في نشر الاسلام بين مختلف القبائل التركية الوثنية وبهذا استطاع الدعاة الى الله ان يكسبوا الى صف الاسلام ملايين الأفراد من

القبائل التركية في فترة وجيزة من الزمان.. ولم يكونوا وحدهم في الميدان وانما كان دعاة النصرانية ودعاة البوذية ايضا يقومون بنشاط ضخم لكسب هؤلاء الأتراك اليهم.. وكتب الله النصر لدعاة الاسلام الذين استطاعوا ان يكسبوا الى صف الاسلام جميع القبائل التركية التي كانت الى ذلك الوقت وثنية.. بل واستطاعوا ان ينقلوا الدعوة الى الصين ذاتها والى أعماق روسيا حتى جعلوا نهر الفولجا نهرا اسلاميا خالصا من منبعه الى مصبه.

وكان أول من أسلم من الأتراك الشرقيين هم قبائل القرلوق الذين عرفوا فيما بعد باسم التركمان (وهي لفظة فارسية اصلها تورك مافند ومعناها أشباه الترك) أما قبائل الغز والتغزغز فقد ظهر منهم السلاجقة الذين حكموا دار الخلافة الاسلامية في بغداد ذاتها واصبح نفوذهم أقوى من نفوذ الخليفة العباسي ذاته، وبلغت دولتهم في عهد ملكشاه أقصى مداها والذي اضاف الى ارض الخلافة العباسية جزءاً كبيراً من الأناضول الذي كان عقر دار الامبراطورية البيزنطية. وبذلك كان يحكم رقعة واسعة من حدود الصين شرقاً الى الأناضول غرباً.

وبذل السلاجقة جهودا كبيرة في دعم دولة الخلافة وفي نشر الاسلام وكذلك فعل القراخانيون بعد اسلام ملكهم ساتوق بقراخان الذي تلقب حفيده هارون بن موسى بلقب شهاب الدولة وظهير الدعوة ونقش هذا اللقب على السكة (النقود) التي ضربها بايتاق سنة ٣٨٢ هـ - (٩٩٢ م).

ولعب القراخانيون دوراً في نشر الاسلام في المناطق الشرقية التي لم تسلم بعد واستشهد خان كاشغر وهو من القراخانيين سنة ٣٨٩ هـ (٩٩٨ م) اثناء جهاده في نشر الاسلام في المناطق الواقعة شرق كاشغر. وفي عام ٤٣٥ هـ (١٠٤٣ م) استطاع القراخانيون ان يكسبوا الى صف الاسلام اكثر من عشرة آلاف خيمة من خيام القرغيز (أي ما لا يقل عن

خمسين الف قرغيزي).

واتجه القراخانيون ايضا صوب نهر الفولجا ينشرون الاسلام بين سكانه. ونشروا الاسلام على جانبي جبال تيان شان.. واظهروا خضوعهم للخليفة العباسي واتخذوا لقب موالي امير المؤمنين وضربوا العملة باسم الخليفة القادر ودعوا له على منابر بلادهم واتخذ ملكهم ايلك خان لقب ناصر الحق. وسرعان ما تحولت ابجديتهم اليغورية وثقافتهم الصينية الى الحرف العربي والطابع الاسلامي الصرف. وقد احتل جنكيزخان هذه المناطق ثم اسس تيمورلنك امبراطوريته وكانت عاصمة دولته سمرقند في تركستان الغربية.. ولكنه لم يستطع ان يستولي على جميع اراضي تركستان الشرقية رغم انه فتح معظم دول العالم القديم حتى وصلت جيوشه روسيا وبولندا وهزم الدولة العثمانية والدولة الصفوية الشيعية في ايران.

واستمرت تركستان الشرقية تحكمها خانات وخان كلمة تركية تعني سلطان او حاكم. وفي عام ١١١١ هـ (١٦٩٩ م) ثار احد شيوخ الطرق الصوفية على الخان وهو من الأسرة الجغتائية[1] التي حكمت تركستان الشرقية لعدة قرون واستولى الشيخ هداية الله خوجة الصوفي على الحكم.

ثم انتشرت بعد ذلك الفتن الداخلية فاستولت الأسرة المنشورية على الحكم في التركستان وضمتها الى امبراطوريتها التي كانت تضم الصين ومنشوريا ومنغوليا.. واستمرت تحكم التركستان حتى عام ١٣٣٠ هـ (١٩١١ م).

وقد حاولت هذه الأسرة محو الاسلام من تركستان الشرقية فباءت

---

(١) الاسرة الجغتائية نسبة الى جغتاي بن جنكيز خان والتي حكمت بلاد ما وراء النهر وقد دخل احفاد جغتاي في الاسلام وخرج منهم مجموعة من خيرة الحكام العادلين الزاهدين مثل (طرمشيرين).

بالخسران واذاقت شعب تركستان الشرقية صنوف العذاب.. وقامت ثورات متعددة ضد حكمهم ابتداء من حركة حميد الله بك عام ١١٧٧ هـ (١٧٦٣ م) ثم حركة جهانكيزخان عام ١٢٣٥ هـ (١٨١٩ م) الى ١٢٤٢ هـ (١٨٢٦ م) ثم حركة يوسف خان خوجة عام ١٢٤٦ هـ (١٨٣٠ م) ثم استقلت التركستان عن حكم الامبراطورية الصينية المنشورية عام ١٢٨٠ هـ (١٨٦٣ م) واستمر استقلالها ١٤ عاماً ثم اخضعت مرة اخرى عام ١٢٩٣ هـ (١٨٧٦ م) واستمر حكم الامبراطورية الصينية حتى عام ١٣٣٠ هـ (١٩١١ م) ثم بدأت تركستان الشرقية ثوراتها منذ ذلك العهد حتى نجحت ثورة الحاج خوجة نياز وصالح دورغا المعروفة باسم ثورة القمول وذلك في فبراير ١٣٥٠ هـ (١٩٣١ م) وتكونت حكومة وطنية تركستانية عاصمتها كاشغر وذلك في ١٢ نوفمبر ١٣٥٢ هـ (١٩٣٣ م) ثم قامت روسيا البلشفية بالهجوم على تركستان الشرقية واخضعتها لسيطرتها لفترة عشر سنوات من عام ١٣٥٣ هـ (١٩٣٤ م) حتى عام ١٣٦٣ هـ (١٩٤٤ م) بعد ان قامت القوات البلشفية باجتياح البلاد وتعذيب كل من ابدى اي نوع من المقاومة وحطمت كثيراً من المساجد والمعاهد الدينية وعند دخول روسيا الى تركستان الشرقية عام ١٣٥٣ هـ (١٩٣٤ م) أعدمت الحاج خوجة نياز رئيس الجمهورية ومولانا ثابت رئيس مجلس الوزراء وشريف حاج قائد مقاطعة التاي وعثمان اوراز قائد مقاطعة كشغر ويونس بك وزير الدولة وطاهر بك رئيس مجلس النواب وعدد كبير من الوزراء والشخصيات البارزة.

ولما قامت الحرب العالمية الثانية انشغلت روسيا بالحرب القاسية الضروس التي شنتها عليها المانيا النازية.. وانهزمت القوات الروسية أمام القوات النازية واضطرت الى الانسحاب الى داخل الأراضي

الروسية واضطرت موسكو الى ارخاء قبضتها الحديدية على المناطق الاسلامية وخاصة تركستان الشرقية، لبعدها عنها ولانشغالها بالحرب واستغل الفرصة حاكم تركستان الشرقية الصيني الأصل والذي كان معينا من قبل الروس فاتصل بشينج كاي شيك الذي ارسل قواته واحتل التركستان وطرد الروس شر طردة.

وثار اهالي التركستان الشرقية في هذه الاثناء وحاولوا تكوين حكومة وطنية.. وايدتهم روسيا التي طردتها قوات شانج كاي شيك. وأُعلن الاستقلال في ١٣٦٣ هـ (٧/ ١١/ ١٩٤٤ م) تحت قيادة علي خان تورة.

ولكن روسيا تراجعت عن تأييدها للثورة والحكومة الجديدة وأعادت الاتصال بالصين.. وظهرت روسيا بدور الوسيط بين الثورة والحكومة الصينية وسلمت روسيا الصين هذا الخطاب بواسطة سفيرها: (لقد راجعت قنصلية الحكومة السوفيتية في ايلى وزارة الخارجية في موسكو واخبرتها بقيام ثورة ضد الصين واخبرتها باقتراح الثائرين وعلى هذا فان الثائرين يرجون ان تتوسط الحكومة السوفياتية بين الحكومة وبينهم فاذا ما وافقت الحكومة الصينية فان الحكومة السوفيتية مستعدة للقيام بالوساطة عن طريق قنصليتها هناك).

وفعلا توسطت روسيا حتى توجد لنفسها مكانا في تركستان الشرقية.. وكانت نتيجة المفاوضات حكومة وطنية محلية على ان تبقى امور الدفاع والخارجية بيد الصين ويعين رئيس الوزراء من قبل الحكومة الصينية.. وتم الاتفاق على ذلك في ١٥ يونية ١٣٦٥ هـ (١٩٤٦ م). وقام الروس في هذه الأثناء باختطاف علي خان تورة ونقلوه الى روسيا خوفا من ان يدبر ثورة على هذه الحكومة التي يهيمن عليها الصينيون وضمنت روسيا نفوذاً قوياً في ايلى وتار بغتاي واكتاي

نتيجة هذا التحالف الصيني الروسي.

وثار الأهالي على هذه الحكومة رغم ذلك فاضطرت الصين الى تعيين تركستاني مسلم على رأس هذه الحكومة وهو الدكتور مسعود صبري ومعه يوسف الب تكين وقاومت روسيا هذه الحكومة الجديدة بإثارة القلاقل الداخلية لها بواسطة الشيوعيين المحليين عملائها وقد كان شعار هذه الحكومة «نحن اتراك، ديننا الاسلام ووطننا تركستان»..

ولهذا رأت روسيا ان هذه الحكومة تشكل خطرا عليها لأنها ستثير في المستقبل اهالي تركستان الغربية.. حيث ان دعوتها الى اقامة وطن لتركستان يهدد المناطق الواسعة من تركستان الغربية التي تخضع لحكم الروس: وكانت روسيا في ذلك الوقت تمهد لقيام ثورة ماوتسي تونج الذي اطاح فيما بعد بحكومة شانج كاي شيك.. وحول الصين بكاملها الى دولة شيوعية واتصلت روسيا بحاكم تركستان السابق الجنرال جانج جي جونج وهو صيني وكان قد عزل عن منصبه كرئيس لوزراء التركستان الشرقية وجعل حاكما عسكرياً للمنطقة الشمالية الغربية من الصين.. وطلبت منه روسيا التعاون مع الحزب الشيوعي الصيني على ان يبقى هو حاكما لهذه المناطق.. وأمدته روسيا بالعون العسكري والمادي..

وقام الجنرال جانج الذي اتفق مع الروس سراً باقناع شانج كاي شيك بتغيير حكومة الدكتور مسعود صبري.. ووضع احد عملاء روسيا وهو برهان شهيدي في منصة الحكم من اجل كسب ود روسيا وضمان توقفها عن اثارة الأزمات الداخلية لشانج كاي شيك بواسطة الحزب الشيوعي الصيني.

واستطاعت قوات ماوتسي تونج ان تطيح بحكم شانج كاي شيك ودخلت قوات لين بياوبكين عام ١٩٤٩ م واصبحت بكين عاصمة الصين الشعبية الشيوعية.. وسرّت بذلك روسيا ولكنها رغم ذلك لم تحب ان ترى التركستان الشرقية تسقط في يد الصين الشيوعية رغم التحالف الوثيق بينهما آنذاك لأن روسيا نفسها كانت تطمح في جعل تركستان الغنية بمعادنها وبترولها تقع تحت تأثير نفوذها وهيمنتها.. ولا تزال تركستان من اهم أسباب الصراع بين الرفيقين الشيوعيين الصين وروسيا.

ولذا بادرت قوات ماوتسي تونج تحت تأثير نصائح جانج جي جونج الحاكم السابق لتركستان بالهجوم على تركستان الشرقية واحتلالها قبل ان تقع في قبضة الروس وسيطرتهم.

ورغم ان تركستان الشرقية كانت خاضعة الى حد كبير لحكم الصين الوطنية ولا تزال بها قوات كبيرة الا ان قائد هذه القوات الجنرال تاو سلم تركستان الى الشيوعيين بدون مقاومة..

وقام الأهالي بالدفاع عن انفسهم ضد الغزو الصيني الشيوعي ووقعت معارك هائلة طاحنة بين اهالي التركستان يعاونهم بعض جنرالات شانج كاي شيك الذين رفضوا التسليم للصين الشيوعية ضد قوات ماوتسي تونج.

وغزت القوات الشيوعية الصينية تركستان الشرقية وفي اكتوبر ١٣٦٩ هـ (١٩٤٩ م) تم الاستيلاء عليها.

وقامت الصين الشيوعية كما هو معهود في الأنظمة الشيوعية البوليسية بالفتك بأهالي التركستان واذلالهم وأعدمت جميع العناصر الوطنية والمتدينة جسديا. وزج بالآلاف في السجون ثم قامت الحكومة الصينية الشيوعية بتشريد الأهالي واحلال الجنود الصينيين محلهم وفي

بيان اذاعته اورموجي في ١٣٧٣ هـ(١/ ١/ ١٩٥٣ م) اعترفت الصين الشعبية باعدام ١٣٠,٠٠٠ من التركستان الشرقية المعادين للشيوعية كما حكم على ٢٦٨,٠٠٠ شخص بالسجن مع الاشغال الشاقة لعدم اطاعة اوامر الحزب.

وطردت الأهالي من مزارعهم ومراعيهم واستولت عليها ومما ساعد على ذلك ان الصين قد ضاقت بأهلها وان التركستان تكاد تكون خالية وفي خلال بضع سنوات نقص سكان التركستان الأصليين من ١٥ مليون الى سبعة ملايين فقط نتيجة المجازر الدموية والتشريد والهجرة.. وحل محلهم صينيون وصودرت الأراضي الخصبة واعطيت للجنود الصينيين لزراعتها حسب النظام الشيوعي الصيني.. واعطيت الأراضي الجدبة لأهالي التركستان ايضا حسب النظام الشيوعي وهو نظام الكوميون حيث تكون مجموعة من البشر تزرع الأراضي دون ان تملكها او تملك اي شيء من منافعها ويعيشون حياة الحيوانات او أقل.، تحت ظروف عمل شاقة وقاسية.. وليس لهم الا وجبة بسيطة خشنة كل يوم.. وبدلة واحدة من ارخص القماش في السنة كلها. وسقط الآلاف نتيجة الارهاق والمرض وأعمال السخرة وحطم النظام الأسري اذ كانت كل مجموعة من الرجال تسكن بعيدا عن اسرها ولا يسمح باجتماع الزوجين الا مرة واحدة في الاسبوع واحيانا مرة واحدة في الشهر.. واذا مات احدهم دفن في حفرة دون ان يغسل او يكفن او يصلى عليه.. ودون ان يراه اهله.. لأن في ذلك تعطيل للانتاج !!.

وكل من ابدى مقاومة لهذا النظام الاستبدادي الطاغي كان يلاقي اشد انواع التعذيب مثل قلع الأظافر وسلخ جلد الرأس والجسم وادخاله في ثلاجات.. وضربه بالسياط السلكية حتى يتقطع لحمه

ويتناثر.. وقد قامت الصين الشيوعية بتحطيم المساجد وتحويلها الى اسطبلات ونـواد وأُحرقت المصاحف وديست بالنعال.. وخاصة ايام الثورة الثقافية التي عمت الصين في أواخر أيام ماوتسي تونج.

وقد أجبر المسلمون على تربية الخنازير.. ومنعوا من الصيام والحج.. ومن وجد منهم يصلي فانه يكون قد خان تعاليم ماو الآله الجديد. وعليه فانه يواجه مزيداً من اعمال السخرة فان تكرر ذلك منه فانه يواجه التعذيب والسجن..

ووضعت الملصقات في كل مكان تنادي (الدين ضد العلم) (الدين افيون الشعوب) (الاسلام اختراع اغنياء العرب) (الاسلام دين رجعي خرافي) (الاسلام في خدمة الاستعمار) الخ.......

وقاموا بالغاء اللغة المحلية التي تكتب بالعربية ونشروا اللغة الصينية في المدارس بدلا عنها.. ومنع تدريس الدين في المدارس بل في ما بقي من المساجد كما منع الحج الى بيت الله الحرام.. واحرقت المصاحف حتى الاستماع الى الاذاعات الأجنبية منع. وامروا المسلمين بالتحدث عن ماوتسي تونج باسم (الاله الحي) كما امروا بتخصيص غرفة من كل غرفتين للرفاق الجنود الصينيين الذين اجبروا على اسكانهم في منازلهم..

وكانت للصين وسائل متعددة في التخلص من اهل تركستان حتى بعد خضوعهم لحكمها وذلك بالطرق الآتية:

- العمل المتواصل لمدة ١٨ ساعة في الجبال والطرقات الوعرة والمزارع وتحت ظروف جوية قاسية اما شديدة الحرارة كما هو في الصيف او شديدة البرودة في الشتاء دون غذاء او لباس كاف.
- افتعال المجاعات.

- القضاء على مجموعات كبيرة من عمـال المناجم التي تنهدم على العمال.
- القضاء على العمال المسلمين اثناء تفجير الجبال لفتح الطرقات..
- انهيار السدود واغراق الأهالي.

ورغم هذه السيطرة الوحشية الا ان اهالي التركستان قاموا بعدة ثورات وكانت اولها بعد احتلال الصين مباشرة ودامت حتى عام ١٣٧١ هـ (١٩٥١ م) ثم قامت حركة اخرى فيما بين عام ١٣٧٤ هـ (١٩٥٤ م) وعام ١٣٧٨ هـ (١٩٥٨ م) وفي عام ١٩٥٩ م قامت حركة ثالثة واستمرت حتى عام ١٣٨٣ هـ (١٩٦٣ م) وقد اخمدت جميع هذه الثورات بكل قسوة ونكل افرادها اشد التنكيل.. ورغم ذلك قامت ثورة اخرى عام ١٣٨٥ هـ (١٩٦٥ م) واستمرت حتى عام ١٣٨٨ هـ (١٩٦٨ م) وكلما ازدادت القوات الشيوعية الصينية في عتوها وجبروتها كلما كان ذلك دافعا للثورة عليها وعلى ظلمها.. وبعد وفاة ماوتسي تونج ومجيء الحكومة الجديدة نشرت بعض فضائح ماو ورفاقه فيما يسمى بالثورة الثقافية الكبرى.. وكيف كان يستخدم احط الوسائل واكثرها بشاعة لاخضاع خصومه. وكيف ان هذا النظام تسبب في مجاعات مات فيها الملايين، نتيجة لتخريب الزراعة في الصين ذاتها. وقد خفت في الوقت الحاضر وسائل البطش والتدمير واعطي المسلمون شيئا يسيرا من حريتهم الدينية وسمح لهم باداء بعض الشعائر وان كانوا لا يزالون يعانون من الحملة الشيوعية. ولكن الحال أخف بكثير مما كان عليه. والمسلمون مطالبون في بقاع الأرض بمساعدة مسلمي الصين ومسلمي تركستان ومدهم على الأقل بالمصاحف والمنح الدراسية لتعلم الاسلام واعادة نشره في بلادهم وبين اخوانهم.. ورغم ان اهالي التركستان الشرقية اليوم لم يعودوا يعرفون عن الاسلام الا القليل

وأغلبهم ان لم نقل كلهم لا يعرفون اللغة العربية بعد ان منعتهم السلطات الشيوعية من ذلك. الا ان التاريخ يذكر لنا كثيرا من الأسماء التي تنتهي نسبتها الى كـاشغر عاصمة التركستان الشرقية في العصور الاسلامية.. وممن ينسب الى كاشغر المحدث الواعظ الحسين بن علي بن خلف. الذي صنف أكثر من مائة وعشرين مصنفاً في الحديث والذي رحـل من كـاشغر واشتهر ببغـداد الـتي توفي بهـا سنـة ٤٨٤ هـ (١٠٩١ م).

الفصل العاشر

التركستان

عبر التاريخ الإسلامي[1]

كيف ومتى فتحت التركستان ؟

بعد ان هزم المسلمون قوات كسرى في القادسية ثم في المدائن عاصمة ملكه في عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب انطلقت جيوشهم تغزو في ارض الامبراطورية الفارسية وتطارد يزدجرد كسرى فارس وما بقي من قواته وكانت معركة جلولاء سنة ١٦ هـ (٦٣٧ م) احد المعارك الفاصلة حيث جمع كسرى فلول جيوشه واقتتل المسلمون والمجوس كما يقول البلاذري في فتوح البلدان (قتالا شديدا لم يقتتلوا مثله رميا بالنبل وطعنا بالرماح حتى تقصفت وتجالدوا بالسيوف حتى انثنت ثم ان المسلمين حملوا حملة واحدة قلعوا بها الاعاجم وهزموهم فولوا هاربين.. وركب المسلمون أكتافهم يقتلونهم قتلا ذريعا حتى حال بينهم الظلام) وكانت قوات المسلمين آنذاك بقيادة هاشم بن عتبة بن ابي وقاص الذي ارسله عمه الصحابي الجليل سعد بن ابي وقاص صاحب القادسية.. وفر يزدجرد في الظلام وتجمعت فلول قواته في نهاوند فأرسل عمر بن الخطاب رضي الله عنه الصحابي الجليل النعمان بن مقرن اليها.. ولذلك قصة لها مغزاها.. فقد كان النعمان يصلي الى جانب عمر رضي الله عنهما فلما فرغ النعمان من صلاته قال له عمر: اما اني سأستعملك فقال النعمان: اما جابيا فلا ولكن غازيا في سبيل الله.. فقال له عمر فانت غاز في سبيل الله فأرسله الى العراق ومنها الى نهاوند.. وهكذا كان يفر كثير من الصحابة من الولاية والحكم ولا يريدون الا الغزو في سبيل الله..

فذهب النعمان وقاد الجيش الاسلامي في نهاوند فقاتل حتى استشهد وانتصر المسلمون في تلك المعركة انتصارا عظيما.. فلما جاء البشير

بالنصر الى عمر سأل ما فعل النعمان فقيل له استشهد فاسترجع عمر وبكى..

وتم فتح نهاوند[١] سنة ١٩ هـ (٦٤٠ م) وفتحت همذان سنة ٢٤ هـ (٦٤٤ م) على يد جرير بن عبد الله البجلي وفتحت الري وقومس على يد الصحابي الجليل صاحب سر رسول الله حذيفة بن اليمان العبسي (حليف بني عبد الاشهل من الانصار) وعمر بن زيد الخيل الطائي وسير عمر بن الخطاب رضي الله عنه سبعة جيوش تسيح في ارض الامبراطورية الفارسية التي هزمت الامبراطورية الرومانية وكانتا آنذاك مثل امريكا وروسيا اليوم ولم يجفل صاحبا رسول الله ابو بكر وعمر منهما بل بعثا يحاربانهما معا بجيوش ضئيلة العدد ولكنها قوية الايمان شديدة العزم والاقدام.. فهزمت جيوش الاسلام جيوش الكفر والضلالة والطغيان في كل معركة وفي كل ميدان رغم قلة العدد وضآلة العدد. ووجه عمر بن الخطاب رضي الله عنه الاحنف بن قيس الى خراسان ليلحق بيزدجرد الذي فر اليها بعد معركة نهاوند.. فسار الاحنف الى خراسان وافتتح مدينة هراة (وهي من مدن افغانستان اليوم وقد اسلفنا القول ان خراسان مقسمة اليوم بين ايران وافغانستان والاتحاد السوفيتي) ثم توجه الاحنف الى بلخ وهي عاصمة اقليم باكتيا في افغانستان ويسيطر على هذا الاقليم المجاهدون الافغان هذه الايام[٢]) وتقابلت في بلخ قوات يزدجرد التي انضمت اليها قبائل الترك والصغد (بلاد تمتد بين سمرقند وبخارى وفيها نهر يعرف بنهر الصغد وهي في اوزبكستان اليوم في الاتحاد السوفيتي).. تقابلت قوات يزدجرد الهائلة بجيش الاحنف بن قيس.. وبعد معركة ضارية انتصر المسلمون انتصارا

---

(١) قيل أن فتح نهاوند تم سنة ١٨ وقيل سنة ١٩ وقيل بل سنة ٢١ (انظر كتاب الفتوحات الاسلامية للسيد أحمد زيني دحلان)..

(٢) ١٤٠٢ هـ (١٩٨٢ م).

مؤزرا وفر بعدها يزدجرد الى مرو حيث قتل هناك (وتقع مرو اليوم في جمهورية تركمنستان السوفيتية).

ووجه ابو موسى الأشعري رضي الله عنه (وكان واليا للكوفة في عهد عمر بن الخطاب) عبد الله بن بديل بن ورقاء الى ما بقي من خراسان فصالحه اهل طبسين.. وبما ان نهر جيحون يفصل بين خراسان في الغرب وبلاد ما وراء النهر (التركستان) في الشرق فان هذا النهر اعتبر حدا للقوات الاسلامية لم تستطع تجاوزه اثناء خلافة عثمان وعلي رضي الله عنهما وذلك لانتشار الفتن والحروب الداخلية الا قليلا. ليس ذلك فحسب بل ان كثيرا من الاراضي التي فتحت على عهد عمر رضي الله عنه انتقضت على المسلمين في عهد عثمان رضي الله عنه.. ومنها نواح من ارض خراسان فأرسل عثمان واليه على البصرة عبد الله بن عامر بن كريز ليعيد فتح ما انتقض من ارض فارس وخراسان فلما وصل عبد الله بن عامر وجد أهل الطبسين على صلحهم الذي صالحوا من قبل (عبد الله بن بديل بن ورقاء) فجدد العهد معهم.. وفتح بيهق وجوين ونيسابور.. ثم فتحت مرو عاصمة خراسان صلحا على الف الف درهم.. (ومرو اليوم من مدن جمهوية تركمنستان في الاتحاد السوفيتي). ووجه عبد الله بن عامر بن كريز امير البصرة الاحنف بن قيس لفتح طخارستان وهي تقع اليوم في جمهورية افغانستان وتشترك في حدودها مع الاتحاد السوفيتي و(طخارستان معناها ارض طخاري وطخاري هي بلخ الواقعة اليوم في افغانستان وهكذا ترى هذه البلاد الاسلامية مجزأة بين الاتحاد السوفيتي وافغانستان التي ترزح اليوم تحت اقدام احتلاله البغيضة). وتوجه عبد الله بن عامر بن كريز الى خوارزم (تسمى اليوم خيوه في اوزبكستان في الاتحاد السوفيتي) ولم يقدر عليها.. وصالح اهل بلاد ما وراء النهر..

وفي خلافة معاوية انتقضت اجزاء من خراسان فأرسل اليها معاوية،

عامر بن قيس السلمي فأخضعها مرة اخرى للحكم الاسلامي.. وولى معاوية امر العراق الى زياد بن ابيه سنة ٤٥ هـ (ويقال ان اباه هو ابو سفيان وهو من سفاح الجاهلية).

وارسل زياد بن ابيه الصحابي الحكم بن عمرو الغفاري سنة ٤٧ هـ (٦٦٧ م) فعبر الحكم بن عمرو نهر جيحون وغزا بلاد الصغانيان[١].. وكان بذلك اول من غزا وصلى في بلاد ما وراء النهر.. وقد كان عبد الله بن المبارك يقول لاحد تلامذته من اهل الصغانيان (التركستان) اتدري من فتح بلادك فقال التلميذ لا. فقال ابن المبارك: لقد كان اول من فتحها الحكم بن عمرو الغفاري.

ثم غزا عبيد الله بن زياد آخر سنة ٥٣ هـ واول سنة ٥٤ هـ أرض ما وراء النهر وكان عمره آنذاك ٢٥ سنة فتوجه الى بيكند (وبيكند مدينة في اوزبكستان تقع على بعد ٤٤ كم من بخارى) فزحفت اليه قوات الترك تحت امرة الخاتون ملكة بخارى والتي كانت تحكم نيابة عن ابنها القاصر طغشادة.. فدارت رحى المعركة وانتصرت قوات المسلمين على قوات المشركين المجوس من الاتراك وفتحت بيكند. ثم توجهت القوات الاسلامية المنتصرة الى بخارى عاصمة ملك الخاتون فحاصرتها فلما رأت الخاتون انها لا تستطيع صد القوات صالحت المسلمين على الف الف درهم وقدم عبيد الله بن زياد الى البصرة ومعه خلق كثير من اهل بخارى الذين اسلموا وحسن اسلامهم فيما بعد.. واتخذ الفين من خيرة رماتهم في جيشه وبذلك كان عبيد الله بن زياد أول من استخدم الاتراك في الجيوش الاسلامية.

---

(١) روى عبد الله بن بريدة الاسلمي عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال له وللحكم بن عمرو الغفاري «انتما عينان لأهل المشرق فقدما مرو وماتا بها. وكان الحكم بن عمرو الغفاري أول من غزا بلاد ما وراء النهر وفتح جبال الغور عام ٤٧ هـ واختلف مع معاوية فقيد وحبس في مرو بأمر معاوية بن أبي سفيان وأوصى أن يدفن في قيده ومات سنة ٥٠ هـ.

ثم ولى معاوية امر خراسان الى سعيد بن عثمان بن عفان فوجد الخاتون قد نقضت العهد فعبر نهرجيحون فوجد الترك والخاتون قد جمعوا جيشا عظيما لجبا فقاتلهم سعيد بن عثمان بن عفان سنة ٥٦ هـ (٦٧٥ م) قتالا شديدا فهزمهم ودخل مدينة بخارى فاعادت الخاتون الصلح رغم خيانتها. ثم توجه سعيد بن عثمان الى سمرقند ومعه قثم بن العباس بن عبد المطلب ابن عم النبي ﷺ فقاتله اهلها قتالا شديدا ثم لما رأى اهلها بوادر الهزيمة صالحوا المسلمين.. وكان فيمن استشهد في معركة سمرقند ابن عم رسول الله (ﷺ) قثم بن العباس.. وله فيها مزار يعرف بمزار شاه زندة اي السلطان الحي ذلك لأن الشهداء احياء عند ربهم يرزقون (وتقع سمرقند اليوم في جمهورية اوزبكستان في الاتحاد السوفيتي وقد بلغت شأنا عظيما في الحضارة.. وكانت عاصمة امبراطورية تيمورلنك).

وتوجه بعد ذلك سعيد بن عثمان الى ترمذ التي ينسب اليها الامام الترمذي صاحب السنن وافتتحها صلحا (وترمذ تقع اليوم في جمهورية اوزبكستان).

وانتقضت بعد ذلك بخارى وبلاد ما وراء النهر مرة اخرى فتوجه والي خراسان الجديد مسلم بن زياد بن ابيه فتوجه الى اهل بخارى وأخضعهم فجددوا الصلح مرة اخرى وانتقضت ترمذ ففتحها موسى بن عبد الله بن خازم سنة ٧٠ هـ واستقل بها وبما حولها عن حكم الامويين ولم يتم اخضاعها للدولة الاموية الا سنة ٨٥ هـ بواسطة القائد عثمان بن مسعود الذي ارسله والي خراسان المفضل بن المهلب بن ابي صفرة. ولما انشغلت الدولة الاموية بالثورات الداخلية والفتن مثل ثورة الحسين بن علي رضي الله عنه وثورة عبد الله بن الزبير وثورات الخوارج انتقضت

كثير من هذه الاراضي التي خضعت لحكم الاسلام.. وكان سبب هذه الثورات وهذا الانتقاض ظلم بني امية وولاتهم.. ولكن الدولة الاموية في أوج قوتها ظهر فيها قواد عظام وان كان فيهم جبروت وطغيان مثل المهلب بن ابي صفرة واولاده ومثل زياد بن ابيه واولاده ومثل الحجاج ابن يوسف الثقفي.. ومثل آل مروان من امثال محمد بن مروان وعبد الملك بن مروان ومسلمة بن عبد الملك.. وغيرهم وجميعهم كانوا من امهر القواد واشدهم بأسا واقداما واكثرهم خبرة بالحرب ومكايدها الا انهم جمعوا الى هذه المزايا الحميدة مثالب البطش والجبروت والطغيان واستغلال مال الامة لمنافعهم الخاصة ولذويهم.. واعاد المهلب بن ابي صفرة فيما اعاد للدولة الاموية خراسان وبلاد ما وراء النهر التي انتقضت على بني امية..

وتوقفت الفتوحات بل انتقضت كثير من البلاد المفتوحة ايام يزيد ابن معاوية الذي فتك بالامام السبط الحسين بن علي في واقعة كربلاء المعروفة والذي استباح المدينة ثلاثة ايام فقتل الشيخ الفاني والطفل الرضيع حتى يخضعهم ويرهبهم.. ثم ثارت ثورة ابن الزبير وما تبعها من ضرب الكعبة المشرفة بالمنجنيق حتى احرقها الحجاج بن يوسف الثقفي.

واستطاع الحجاج بجبروته وشدة بطشه ان يخضع العراقين (عراق العجم وعراق العرب) والحجاز لعبد الملك بن مروان فكافأه على ذلك وجعل له ولاية العراقين وخراسان وجميع بلاد ما وراء النهر.

ووجه الحجاج المهلب بن ابي صفرة الى كابول عاصمة افغانستان اليوم وكانت قد انتقضت فأخضع ملكها الذي يدعى الرتبيل وصالحه ملكها..

قتيبة بن مسلم الباهلي: ثم ولى الحجاج امر خراسان وما وراء النهر الى القائد العظيم قتيبة بن مسلم الباهلي فعبر قتيبة النهر عام

٨٦ هـ - (٧٠٤ م)، وحاصر مدينة بيكند التي نقضت العهد (وهي في اوزبكستان وعلى بعد ٤٤ كم من بخارى) واستولى عليها بعد جهد جهيد سنة ٨٧ هـ واعاد فتح بخارى وخوارزم وسمرقند عاصمة الصغد وبنى فيها مسجدا (وتقع جميع هذه المدن الاسلامية في جمهورية اوزبكستان بالاتحاد السوفيتي) ثم عاد قتيبة الى خراسان..

وفي العام التالي غزا بلاد الشاش وعاصمتها طشقند، وفرغانة وعاصمتها أخسكيت (كلاهما تقع في اوزبكستان بالاتحاد السوفيتي).

ثم فتح مدينة كاشغر (وتقع اليوم في تركستان الشرقية المسماة سينكيانغ تحت سيطرة الصين الشعبية) وتمت هذه الفتوحات في خلافة الوليد بن عبد الملك الذي تولى الخلافة بعد ابيه عبد الملك بن مروان.

وكان اهل بخارى وما حولها من المناطق يسلمون ثم يرتدون.. وكان قتيبة قد حملهم على الاسلام ثلاث مرات.. وفي المرة الرابعة اسكن بينهم العرب ومن معهم من العجم الذين قد ثبتوا على الاسلام.. ونتيجة للاتصال المباشر انتشر الاسلام بين اهل التركستان انتشارا عظيما وبقي فيهم الى يومنا هذا والى يوم الدين ان شاء الله.

وكان قتيبة يأمر المسلمين ان يخرجوا ومعهم اسلحتهم اثناء ذهابهم للصلاة لانهم كانوا يخشون انتقاض المجوس وانقضاضهم عليهم وهم في صلاتهم.. واصبحت بذلك عادة لدى اهل تلك المناطق الى الماضي القريب حينما كانوا يخرجون لصلاة العيد بكامل سلاحهم.

وقد بنى قتيبة اول مسجد في بخارى عام ٩٤ هـ (٧١٤ م) وجدد فيما بعد عام ٥١٥ هـ - (١١٢١ م) بأمر ارسلان خان.. وعندما دخلت القوات البلشفية الى بخارى حين قضت على ثورة اهل بخارى بقيادة الغازي انور باشا عام ١٩٢٢ م حولت هذا المسجد التاريخي الى متحف واحاطته بتماثيل ماركس ولينين...

وفي عهد قتيبة بن مسلم اسلم ملك بخارى طغشادة بن الخاتون على يد قتيبة نفسه وبقي ملكا على ارضه.. وانجب ولدا اسماه قتيبة تيمنا باسم الفاتح العظيم..

عهد عمر بن عبد العزيز: وتوالى دخول اهل هذه البلاد في الاسلام.. واسلم اهل سمرقند على يد الداعية صالح بن طريف المكنى بأبي الصيداء.. ورفعت عن اهل سمرقند الجزية وذلك في عهد الخليفة العادل خامس الراشدين عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه. الذي بعث لولاته حينما اخبروه ان الناس تدخل في دين الله افواجا وبذلك تمتنع الجزية والخراج التي كانت تملأ خزائن بني امية فكتب اليهم هذا الخليفة الراشد: ان الله قد بعث رسول الله محمدا داعيا ولم يبعثه جابيا واني على سنة محمد ﷺ..

وانتشر الاسلام انتشارا عظيما في جميع بقاع الارض التي وصلها المسلمون في عهد هذا الخليفة الراشد.. وكان من اسباب ارتداد هؤلاء الاقوام من قبل حداثة الايمان في قلوبهم وقرب عهدهم بمجوسيتهم.. وظلم بني امية وولاتهم فلما جاء عمر بن عبد العزيز فنصب راية العدل والمساواة بينهم اقبل الناس على دين الله افواجا[1]..

ظلم بني امية يؤدي الى نجاح الدعوة العباسية: ثم ارتكست حال

---

(١) ومما يذكر من عدل عمر بن عبد العزيز أن أهل سمرقند أوفدوا إليه وفداً يدعون فيه أن قتيبة عندما دخل مدينتهم وافقهم على أن لا يبقي جنده فيها وخشي قتيبة انتقاضهم فابقى جنده في المدينة فلما سمعوا بعدل عمر بن عبد العزيز عرضوا عليه شكواهم فجعل لهم الخليفة العادل أن يحكم بينهم قاضي تلك المنطقة فإن وجد ما قالوه حقا أمر الحاكم المسلم بالانسحاب بجنده من سمرقند. فلما وصل كتاب عمر بن عبد العزيز الى القاضي نظر في قضيتهم.

وحكم القاضي أغرب حكم وأعدله حيث أمر باخراج الوالي وجنده من سمرقند ويكون بذلك أهل سمرقند على بينة من أمرهم حتى ينابذوا الوالي المسلم ويقاتلوه إن شاءوا.. فعندئذ قال أهل سمرقند: لم نر أعدل منكم ودخلوا في دين الله أفواجاً وطلبوا بقاء الوالي وجنده بين ظهرانيهم.

الخلافة بعد عهد عمر بن عبد العزيز الى ما كانت عليه من قبل، فتوالت الثورات على الدولة الظالمة من كل مكان..

ومن ذلك ما فعله الاشرس بن عبد الله السلمي والي خراسان الذي بث الدعاة الى الله في اهل بلاد ما وراء النهر وأقام الاربطة والمدارس فلما دخل الناس في دين الله افواجا وانكسر الخراج أبى ان يضع عنهم الجزية والخراج بحجة انهم لم يتمكن الايمان من قلوبهم.. عندئذ ثار عليه الدعاة أنفسهم وقالوا ان هذا ظلم فان القوم قد حسن اسلامهم واقاموا الصلوات وتعلموا الاسلام فكيف تفرض عليهم الجزية وتأخذ منهم الخراج.. فلما أصر على موقفه قامت ثورة عظيمة في بلاد ما وراء النهر واستمرت من سنة ١١٠ الى ١١٥ هـ (٧٢٨ - ٧٣٣ م) وكان ذلك احد العوامل التي ادت الى نجاح دعوة ابي مسلم الخراساني.. ورغم انه قد تم للدولة الاموية اخماد هذه الفتنة سنة ١١٥ هـ (٧٣٣ م) الا ان ثورة جديدة قامت في العام التالي أي سنة ١١٦ هـ (٧٣٤ م) في بلاد ما وراء النهر بقيادة مبعوث ابي مسلم الخراساني، الحارث بن سريج الذي دعا الى العمل بكتاب الله وسنة رسوله والا تؤخذ الجزية من مسلم والا يظلم احد من الناس)..

وارتفع بذلك لاول مرة علم المسودة في بلاد ما وراء النهر.. وكان السواد هو شعار العباسيين.. وقد استطاع ابو مسلم ودعاته ان يكسب عشرات الآلاف من القرى في خراسان وما وراء النهر في فترة وجيزة من الزمان.. ذلك لأن النفوس كانت قد ضاقت من ظلم بني امية وولاتهم ومخالفتهم لمبادىء الاسلام..

وكان هؤلاء الدعاة يدعون للتمسك بالكتاب والسنة والمساواة التامة التي فرضها الاسلام بين المسلمين.. وللمبايعة للامام من آل محمد (وكانت

خطة العباسيين ان لا يوضحوا ذلك حتى يتبعهم العلويون واشياعهم)..

واستطاع ابو مسلم بذكائه وبلاغته وقوة شخصيته ان يكسب الى صفه جميع المعارضين للحكم الاموي بما فيهم خوارج سجستان (في غرب افغانستان وجنوب شرق ايران).

ورغم ان ابا مسلم واجه نصر بن سيار احد اعظم ولاة بني امية على خراسان وما وراء النهر الا ان الفتن التي كانت قد انتشرت بين القبائل العربية نفسها (فالمضريون ضد اليمنيين وربيعة ضد قيس).. جعلت محاولات نصر بن سيار في لمّ الشمل تذهب هدرا..

ذلك ان سياسة بني امية كانت تقوم الى حد بعيد على العنصرية ولا تلتزم بأحكام الاسلام التزاما دقيقا الا ما كان في ايام عمر بن عبدالعزيز الذي شهد له جميع خصوم الدولة الاموية بأنه كان عادلا راشدا..

وأدت سياسة بني أمية العنصرية وبعدهم عن تنفيذ الكتاب والسنة تنفيذا دقيقا الى الثورات المستمرة منذ قام الحسين بن علي رضي الله عنه بثورته ضد يزيد الى ثورة عبدالله بن الزبير الى ثورات الخوارج المتكررة حتى انتهت بثورة العباسيين التي قادها ابو مسلم الخراساني.. والتي استطاع بها ان يجمع جميع عناصر الثورة ضد الحكم الاموي..

ابو مسلم الخراساني: وكان ابو مسلم قد سار الى ابراهيم بن محمد العباسي في مكة خفية فأعجب صاحب الدعوة العباسية بأبي مسلم.. وكان ابراهيم خبيرا بالرجال فأرسله الى خراسان التي توسم ان تبدأ منها الثورة على بني امية..

وصدقت فراسته فقد دخلها ابو مسلم وحيدا على حمار ليس عليه

سرج وخرج منها بمئات الآلاف من الجنود الذين دكوا صرح الخلافة الاموية، واقاموا صرح الخلافة العباسية.. حتى قال المأمون (اجلّ ملوك الارض (اي الذين غيروا مجرى التاريخ ثلاثة: وهم الذين قاموا بثقل الدول: (الاسكندر) (وأردشير) (وأبو مسلم الخراساني).

الدولة الطاهرية: وكانت سياسة الخلفاء في العهد الاموي وشطرا من صدر العصر العباسي ان يغيروا الولاة الذين يبعثونهم من حين الى آخر حتى لا يطمع أحد فيما تحت يده ويستقل عن الدولة.. ولكن سياسة تغيير الولاة لم تكن تتيح للمشروعات الزراعية والاقتصادية الاستمرار فكان من جرائها نوع من الخلل.. فلما جاء المأمون ولى قائده الاكبر طاهر بن حسين أمر خراسان جزاء له على وقوفه بجند خراسان في صفه ضد أخيه الامين.. والذي كان له الدور الحاسم في انتصار المأمون على الامين وجعل المأمون أمر خراسان وجميع بلاد ما وراء النهر تحت تصرف طاهر بن الحسين. وتصرف طاهر بن الحسين بحكمة ومهارة وقضى على ثورات الخوارج وأسس دولة قوية تظهر الخضوع للخليفة رغم ما في ايديها من أسباب القوة.. مما جعل بعض الواشين يحذرون المأمون من مغبة الثقة الزائدة في طاهر بن الحسين. ولكن المأمون أظهر ثقته الكاملة بطاهر بن الحسين وقال مدافعا عنه: (ما حابى طاهر في جميع ما كان فيه أحداً، ولا مالأ أحدا ولا داهن ولا وهن ولا ونى ولا قصر في شيء، وفعل في جميع ما ركن اليه ووثق به فيه اكثر مما ظن به وأمله. وانه لا يعرف احد من نصحاء الخليفة الاكفاء فيمن سبق عصره ومن بقي في ايام دولته على مثل طريقته في مناصحته وغنائه وإجزائه).

وتأسست بذلك دولة الطاهريين في خراسان وما وراء النهر واستمرت منذ تولية طاهر بن الحسين امر خراسان سنة ٢٠٥ الى سنة

٢٥٩ هـ عندما اجتاح يعقوب بن الليث الصفار دولتهم واستسلم محمد بن طاهر آخر حكام الدولة الطاهرية له..

وكانت الدولة الطاهرية تبدي خضوعها للخلافة.. وتدعو للخليفة على منابرها وتدفع الخراج بانتظام لدار الخلافة.. وتبعث بالجيوش لنصرة الخليفة اذا احتاج لذلك..

ولم يكن نفوذ الطاهريين يقتصر على خراسان وما وراء النهر بل اضاف لهم المأمون حكم الجزيرة وأمر الشرط والسواد.. كما أضاف لهم المأمون سنة ٢١٢ هـ (٨٢٧ م) أمر أرمينية وأذربيجان..

ولذا كان نفوذ الطاهريين في الدولة العباسية قويا هائلا.. وكانوا سندا للدولة العباسية في مواجهة ثورات الزيديين التي بدأها الامام زيد بن علي زين العابدين بن الحسين السبط وتلاه ابنه يحيى بن زيد ثم تلاه في عهد الطاهريين يحيى بن عمر بن يحيى بن زيد.. ثم ثورة الحسن بن زيد التي اقامت الدولة العلوية في طبرستان والتي استمرت من سنة ٢٥٠ هـ (٨٦٤ م) الى سنة ٣٥٠ هـ (٩٦١ م).

وكان للطاهريين دور عظيم في النهضة العلمية والزراعية والعمرانية والثقافية التي شهدتها خراسان وبلاد ما وراء النهر.. وكانوا يتصفون بالحكمة وتشجيع العلم وحب العلماء واعزازهم كما ان كثيرا من مشاريع الري قامت في عهدهم.. وامتدت التجارة واتسعت طرقها في ايامهم..

وبدأت نهضة اللغة الفارسية الجديدة التي صارت اللغة العربية تمثل ما يقرب من نصفها ورغم ما يقوله المستشرقون عن الطاهريين من انهم شايعوا الثقافة الفارسية الا انهم يعترفون ان الطاهريين رفضوا كل ثقافة مخالفة للاسلام.. ومن ذلك ان رجلا اتى بلاط عبد الله بن طاهر في نيسابور وقدم له كتابا فارسيا قديما يتضمن قصة شيقة الفها بعض الحكماء وقدمها لكسرى انوشروان وهي قصة (وامق والعذراء) فلما كان

من عبد الله بن طاهر الا ان قال: «إنّا قوم نقرأ القرآن ولسنا بحاجة الى مثل هذه الكتب ويكفينا كتاب الله وسنة رسوله كما ان هذا الكتاب الفه مجوسي وأمر بأن يطرح الكتاب في الماء كما أمر باتلاف أمثال هذه الكتب[1] ».

وقامت في منطقة ما وراء النهر في عهد الطاهريين دولة السامانيين وكانوا في أول امرهم تابعين لحكم الطاهريين الا انهم اصبحوا بعد فترة وجيزة مستقلين بحكم بلاد ما وراء النهر.. ثم ما لبثوا ان حكموا خراسان ذاتها.

الدولة السامانية: وقصة ظهور آل سامان تستحق التنويه، فقد كان جدهم سامان فارسيا مجوسيا من اعيان بلخ فظلمه عامل بلخ وأخذ أرضه فذهب سامان هذا الى والي خراسان أسد بن عبد الله القسري الذي اشتهر باسم ناصر المظلومين.. وكان أسد بن عبد الله القسري من خيرة ولاة بني أمية شجاعة وفصاحة وعدلا.. تولى امارة خراسان لهشام ابن عبد الملك ثم عزل ثم تولى مرة أخرى سنة ١١٦ هـ (٧٣٤ م) وتوفي ببلخ سنة ١٢٠ هـ - (٧٣٧ م) فلما جاءه سامان وقف أسد بن عبد الله معه ضد والي بلخ واعاد الحق والارض لسامان.. فأعجب سامان بهذه الاخلاق واسلم على يديه واسمى ابنه اسدا تيمنا بأسد بن عبد الله القسري..

وولد لاسد بن سامان أربعة ابناء هم نوح وأحمد ويحيى والياس. ولما خرج رافع بن الليث بن نصر بن سيار في ايام الرشيد بعث الرشيد هرثمة بن أعين لاخضاعه فلم يتمكن من ذلك فكتب المأمون الى ابناء أسد بن سامان وأمرهم بمعاونة هرثمة فاستطاع ابناء سامان ان يخضعوا

---

(١) كما ينقله د. حسن أحمد محمود في كتابه الاسلام في آسيا الوسطى عن بارتولد وبراون.

رافع بن الليث هذا وحملوه على عقد صلح مع هرثمة وصاهروا بينهما.. واستراح الرشيد من هذه الفتنة ولكنه ما لبث ان مات بطوس (مشهد حاليا) فلما استتب الأمر للمأمون وولى طاهر بن الحسين خراسان وما وراء النهر جعل المأمون ابناء سامان ولاة على مدن ما وراء النهر من قبل طاهر بن الحسين.. فجعل سمرقند لنوح بن اسد، وجعل فرغانة لأخيه أحمد وولى الشاش (طشقند) ليحيى.. أما هراة (في افغانستان اليوم) فقد جعلها لالياس بن أسد. وذلك سنة ٢٠٢ هـ (٨١٧ م).

وأبدى هؤلاء الأخوة مهارة وحنكة في حكم هذه المناطق واستتب الامن في عهدهم وازدهرت العلوم ونمت التجارة وقاموا ببناء السدود واهتموا بالزراعة والصناعة..

واستمر ابناء سامان في حكم بلاد ما وراء النهر.. فلما توفي نوح بن أسد حاكم سمرقند واكبر الاخوة، جعل طاهر بن الحسين سمرقند لأخيه أحمد بن أسد الذي كان يحكم فرغانة ايضا وكان أحمد كما يقول النرشخي في كتابه تاريخ بخارى (رجلا عالما ورعا.. وكان يقيم بسمرقند الى ان غادر الدنيا فأخلفه ابنه نصر بن أحمد بن أسد فلما جلس مكان ابيه وصل من الخليفة الواثق بالله منشور اعمال ما وراء النهر باسمه في يوم السبت غرة شهر رمضان المبارك سنة ٢٥١ هـ (٨٦٥ م).. وقام الامير نصر بن أحمد بحكم بلاد ما وراء النهر يساعده في ذلك اخوته وقد ولي الامير نصر اخاه اسماعيل حكم بخارى التي لم تكن تابعة لآل سامان من قبل فدخلها اسماعيل بعد ان طلب الاهالي وعلى رأسهم الامام ابو حفص الكبير البخاري (شيخ الامام محمد بن اسماعيل البخاري) من نصر بن أحمد ان يتولى حكم بخارى بعد ما حدث فيها من فتن.. فدخلها اسماعيل في ٢٢ رمضان سنة ٢٦٠ هـ (٨٧٣ م).. وقرئت الخطبة في بخارى باسم الامير نصر والامير اسماعيل بعد أن اسقط اسم يعقوب بن

الليث الصفار الذي أسس دولة قوية في شمال أفغانستان وبعض مناطق خراسان وما وراء النهر..

وفي عهد اسماعيل بلغت بخارى شأوا بعيدا في الرقي حتى صارت مثابة العلوم كلها.. فقد حرض على نشر العلم وتقريب العلماء وإكرامهم..

ورغم ما حصل بين اسماعيل وأخيه نصر من حرب انتهت بانتصار اسماعيل الا ان نبل اسماعيل المنتصر وخضوعه لأخيه المنهزم وتقبيله يديه جعل اسماعيل اسطورة في معاملة خصومه.. اذ عامل اسماعيل جميع خصومه بكرم ونبل حينما تتاح له الفرصة للانتقام منهم بعد هزيمتهم.. ومنهم خصمه اللدود عمر بن الليث الصفار الذي هزمه اسماعيل بعد معارك طاحنة ولكنه احسن اليه وأكرم وفادته بعد ان انتصر عليه انتصارا حاسما..

ولما توفي الامير نصر بن احمد الساماني جاء منشور الخليفة المعتضد العباسي بجعل ولاية ما وراء النهر لاسماعيل وذلك في المحرم سنة ٢٨٠ هـ (٨٩٣ م)..

ولم يتوان السامانيون عن نشر الاسلام في مناطق ما وراء النهر واستعمال السيف حين لا يجدي الا السيف في اخضاع القبائل التركية التي لم تكن آمنت بعد والتي كانت لا تتوقف عن الاغارة على مدن ما وراء النهر الهامة مثل بخارى وسمرقند وفرغانة وبنجكث (طشقند).. والتي كانت تتعاون مع امبراطور الصين في كثير من الاحيان.

وكان لآل سامان وخاصة لاسماعيل فضل كبير في نشر الاسلام في كثير من مناطق ما وراء النهر اذ كانوا يبثون الدعاة الى الله لنشر الاسلام.. وفي نفس الوقت يقومون بحملات قوية لاخضاع القبائل

٢٥٩ هـ عندما اجتاح يعقوب بن الليث الصفار دولتهم واستسلم محمد بن طاهر آخر حكام الدولة الطاهرية له..

وكانت الدولة الطاهرية تبدي خضوعها للخلافة.. وتدعو للخليفة على منابرها وتدفع الخراج بانتظام لدار الخلافة.. وتبعث بالجيوش لنصرة الخليفة اذا احتاج لذلك..

ولم يكن نفوذ الطاهريين يقتصر على خراسان وما وراء النهر بل اضاف لهم المأمون حكم الجزيرة وأمر الشرط والسواد.. كما أضاف لهم المأمون سنة ٢١٢ هـ (٨٢٧ م) أمر أرمينية وأذربيجان..

ولذا كان نفوذ الطاهريين في الدولة العباسية قويا هائلا.. وكانوا سندا للدولة العباسية في مواجهة ثورات الزيديين التي بدأها الامام زيد بن علي زين العابدين بن الحسين السبط وتلاه ابنه يحيى بن زيد ثم تلاه في عهد الطاهريين يحيى بن عمر بن يحيى بن زيد.. ثم ثورة الحسن بن زيد التي اقامت الدولة العلوية في طبرستان والتي استمرت من سنة ٢٥٠ هـ (٨٦٤ م) الى سنة ٣٥٠ هـ (٩٦١ م).

وكان للطاهريين دور عظيم في النهضة العلمية والزراعية والعمرانية والثقافية التي شهدتها خراسان وبلاد ما وراء النهر.. وكانوا يتصفون بالحكمة وتشجيع العلم وحب العلماء واعزازهم كما ان كثيرا من مشاريع الري قامت في عهدهم.. وامتدت التجارة واتسعت طرقها في ايامهم..

وبدأت نهضة اللغة الفارسية الجديدة التي صارت اللغة العربية تمثل ما يقرب من نصفها ورغم ما يقوله المستشرقون عن الطاهريين من انهم شايعوا الثقافة الفارسية الا انهم يعترفون ان الطاهريين رفضوا كل ثقافة مخالفة للاسلام.. ومن ذلك ان رجلا اتى بلاط عبد الله بن طاهر في نيسابور وقدم له كتابا فارسيا قديما يتضمن قصة شيقة الفها بعض الحكماء وقدمها لكسرى انوشروان وهي قصة (وامق والعذراء) فما كان

من عبد الله بن طاهر الا ان قال: «إنّا قوم نقرأ القرآن ولسنا بحاجة الى مثل هذه الكتب ويكفينا كتاب الله وسنة رسوله كما ان هذا الكتاب الفه مجوسي وأمر بأن يطرح الكتاب في الماء كما أمر باتلاف أمثال هذه الكتب[1]».

وقامت في منطقة ما وراء النهر في عهد الطاهريين دولة السامانيين وكانوا في أول امرهم تابعين لحكم الطاهريين الا انهم اصبحوا بعد فترة وجيزة مستقلين بحكم بلاد ما وراء النهر.. ثم ما لبثوا ان حكموا خراسان ذاتها.

الدولة السامانية: وقصة ظهور آل سامان تستحق التنويه، فقد كان جدهم سامان فارسيا مجوسيا من اعيان بلخ فظلمه عامل بلخ وأخذ أرضه فذهب سامان هذا الى والي خراسان أسد بن عبد الله القسري الذي اشتهر باسم ناصر المظلومين.. وكان أسد بن عبد الله القسري من خيرة ولاة بني أمية شجاعة وفصاحة وعدلا.. تولى امارة خراسان لهشام ابن عبد الملك ثم عزل ثم تولى مرة أخرى سنة ١١٦ هـ (٧٣٤ م) وتوفي ببلخ سنة ١٢٠ هـ - (٧٣٧ م) فلما جاءه سامان وقف أسد بن عبد الله معه ضد والي بلخ واعاد الحق والارض لسامان.. فأعجب سامان بهذه الاخلاق واسلم على يديه واسمى ابنه اسدا تيمنا بأسد بن عبد الله القسري..

وولد لاسد بن سامان أربعة ابناء هم نوح وأحمد ويحيى والياس. ولما خرج رافع بن الليث بن نصر بن سيار في ايام الرشيد بعث الرشيد هرثمة بن أعين لاخضاعه فلم يتمكن من ذلك فكتب المأمون الى ابناء أسد بن سامان وأمرهم بمعاونة هرثمة فاستطاع ابناء سامان ان يخضعوا

---

(١) كما ينقله د.حسن أحمد محمود في كتابه الاسلام في آسيا الوسطى عن بارتولد وبراون.

رافع بن الليث هذا وحملوه على عقد صلح مع هرثمة وصاهروا بينهما.. واستراح الرشيد من هذه الفتنة ولكنه ما لبث ان مات بطوس (مشهد حاليا) فلما استتب الأمر للمأمون وولى طاهر بن الحسين خراسان وما وراء النهر جعل المأمون ابناء سامان ولاة على مدن ما وراء النهر من قبل طاهر بن الحسين.. فجعل سمرقند لنوح بن اسد، وجعل فرغانة لأخيه أحمد وولى الشاش (طشقند) ليحيى.. أما هراة (في افغانستان اليوم) فقد جعلها لالياس بن أسد. وذلك سنة ٢٠٢ هـ (٨١٧ م).

وأبدى هؤلاء الأخوة مهارة وحنكة في حكم هذه المناطق واستتب الامن في عهدهم وازدهرت العلوم ونمت التجارة وقاموا ببناء السدود واهتموا بالزراعة والصناعة..

واستمر ابناء سامان في حكم بلاد ما وراء النهر.. فلما توفي نوح بن أسد حاكم سمرقند واكبر الاخوة، جعل طاهر بن الحسين سمرقند لأخيه أحمد بن أسد الذي كان يحكم فرغانة ايضا وكان أحمد كما يقول النرشخي في كتابه تاريخ بخارى (رجلا عالما ورعا.. وكان يقيم بسمرقند الى ان غادر الدنيا فأخلفه ابنه نصر بن أحمد بن أسد فلما جلس مكان ابيه وصل من الخليفة الواثق بالله منشور اعمال ما وراء النهر باسمه في يوم السبت غرة شهر رمضان المبارك سنة ٢٥١ هـ (٨٦٥ م).. وقام الامير نصر بن أحمد بحكم بلاد ما وراء النهر يساعده في ذلك اخوته وقد ولي الامير نصر اخاه اسماعيل حكم بخارى التي لم تكن تابعة لآل سامان من قبل فدخلها اسماعيل بعد ان طلب الاهالي وعلى رأسهم الامام ابو حفص الكبير البخاري (شيخ الامام محمد بن اسماعيل البخاري) من نصر بن أحمد ان يتولى حكم بخارى بعد ما حدث فيها من فتن.. فدخلها اسماعيل في ٢٢ رمضان سنة ٢٦٠ هـ (٨٧٣ م).. وقرئت الخطبة في بخارى باسم الامير نصر والامير اسماعيل بعد أن اسقط اسم يعقوب بن

الليث الصفار الذي أسس دولة قوية في شمال أفغانستان وبعض مناطق خراسان وما وراء النهر..

وفي عهد اسماعيل بلغت بخارى شأوا بعيدا في الرقي حتى صارت مثابة العلوم كلها.. فقد حرض على نشر العلم وتقريب العلماء وإكرامهم..

ورغم ما حصل بين اسماعيل وأخيه نصر من حرب انتهت بانتصار اسماعيل الا ان نبل اسماعيل المنتصر وخضوعه لأخيه المنهزم وتقبيله يديه جعل اسماعيل اسطورة في معاملة خصومه.. اذ عامل اسماعيل جميع خصومه بكرم ونبل حينما تتاح له الفرصة للانتقام منهم بعد هزيمتهم.. ومنهم خصمه اللدود عمر بن الليث الصفار الذي هزمه اسماعيل بعد معارك طاحنة ولكنه احسن اليه وأكرم وفادته بعد ان انتصر عليه انتصارا حاسما..

ولما توفي الامير نصر بن احمد الساماني جاء منشور الخليفة المعتضد العباسي بجعل ولاية ما وراء النهر لاسماعيل وذلك في المحرم سنة ٢٨٠ هـ (٨٩٣ م)..

ولم يتوان السامانيون عن نشر الاسلام في مناطق ما وراء النهر واستعمال السيف حين لا يجدي الا السيف في اخضاع القبائل التركية التي لم تكن آمنت بعد والتي كانت لا تتوقف عن الاغارة على مدن ما وراء النهر الهامة مثل بخارى وسمرقند وفرغانة وبنجكث (طشقند).. والتي كانت تتعاون مع امبراطور الصين في كثير من الاحيان.

وكان لآل سامان وخاصة لاسماعيل فضل كبير في نشر الاسلام في كثير من مناطق ما وراء النهر اذ كانوا يبثون الدعاة الى الله لنشر الاسلام.. وفي نفس الوقت يقومون بحملات قوية لاخضاع القبائل

المجوسية التي كانت كثيرة الاغارة على المدن والقرى الاسلامية.

واستطاع اسماعيل بن أحمد الساماني ان يوطد ملكه في جميع ارجاء ما وراء النهر في خراسان بعد أن هزم عمرو بن الليث الصفار ودام حكمه في بلاد ما وراء النهر ثلاثين عاما.. وفي خراسان خمسة وعشرين عاما وكانت وفاته سنة ٢٩٥ هـ (٩٠٥ م)..

وكانت بخارى في عهده وعهد خلفائه عاصمة ملكه الذي امتد ليشمل خراسان وما وراء النهر وشمال افغانستان.

وتولى بعد اسماعيل ابنه أحمد الذي اشتهر بلقب الشهيد والذي كان كما يقول النرشخي: (يسير سيرة ابيه ويعدل وينصف الرعية غاية الانصاف وكان الرعية في راحة ودعة). وقد قضى أحمد بن اسماعيل هذا على بقايا الدولة الصفارية وقد اغتيل احمد سنة ٣٠١ هـ وتولى ابنه نصر بن أحمد الحكم..

وتوالى حكم آل سامان الى عام ٣٧٥ هـ (٩٨٥ م) عندما ضعف امرهم وآل الامر الى محمود الغزنوي اشهر حكام الدولة الغزنوية التي كان مقرها غزنة في جنوب افغانستان.. وانتهت دولة آل سامان بوفاة نوح الثاني بن نصر سنة ٣٨٧ هـ (٩٩٧ م).

وكان لآل سامان فضل عظيم في نشر الدين الاسلامي والثقافة الاسلامية في بلاد ما وراء النهر حتى اصبحت بخارى في عهدهم كما يقول الثعالبي: (مثابة المجد وكعبة الملك ومجمع افراد الزمان ومطلع نجوم أدباء الارض وموسم فضلاء الدهر).

وقد ازدهرت الحياة الاقتصادية في عهدهم ازدهارا لم تشهده البلاد من قبل.. واشار المقدسي الى ذلك وأشاد بفضل آل سامان في ذلك...

ونتيجة للاستقرار بصورة عامة لما وراء النهر وخراسان في عهد

السامانيين وانتشار العدل والاهتمام بالزراعة والصناعة والتجارة فقد توفرت العوامل كلها لوجود نهضة علمية مباركة كان من ابرز اعلامها الامام محمد بن اسماعيل البخاري...

ويقول المستشرق فامبري في كتابه تاريخ بخارى (ان عدد المدارس الجامعة ببخارى في عهد اسماعيل الساماني يزيد على نظائره في كل مدن آسيا.. حتى لنرى بلخ وهي التي تعرف بقبة الاسلام لم تستطع ان تبرز لتنافسها الا بعد ذلك بكثير). كما يقول بارتولد (وتدل الوثائق التي بين ايدينا على ان المدارس التي قامت بخراسان وما وراء النهر في القرن العاشر الميلادي (الرابع الهجري) لعبت الدور الأهم في نشر الاسلام. وانه اذا كانت الحركة الاسلامية قد احرزت نجاحا خارج حدود ما وراء النهر فان الفضل في ذلك يرجع الى مدارس ما وراء النهر).

ولقد اتاحت سياسة السامانيين هذه الى نشر العلوم في بلاد ما وراء النهر وفي خراسان.. وانتجت حركة فكرية دينية قوية وجعلت المد الاسلامي ينتشر في بلاد التركستان الشرقية بل والى داخل الصين شرقا.. كما جعلت المد الاسلامي يمتد شمالا عبر نهر الفولجا ليصل الى قازان ذاتها.. وفي عهد السامانيين انطلقت طاقة الشعوب الفارسية والتركية التي دخلت في الاسلام لتسهم في الانتاج الحضاري الاسلامي المبدع.. وظهرت في ايامهم كثير من الاسماء العلمية التي ظلت على مدى الزمن توضح عظمة الاسلام في استقطاب شعوب مختلفة وثقافات متباينة تنصهر جميعها في بوتقة الاسلام لتفيض بعطائها الفذ في مضمار الحضارة الاسلامية التي ترتفع فوق العصبيات والقوميات جميعا.. ولتكون اللغة السائدة هي لغة القرآن الكريم والسنة المطهرة.

وقد كان للسامانيين فضل عظيم في نشر الاسلام في قبائل الاتراك

الشرقيين الذين كانوا يشكلون خطرا مستمرا وحقيقيا على مدن ما وراء النهر مثل بخارى وسمرقند بل وخطرا على خراسان ذاتها..

فقد استطاع السامانيون ان يخضعوا هذه القبائل وينشروا بينها الاسلام الى حد كبير. وقام السامانيون بحملة كبيرة على بلاساغون ووقع ابن خاقان الترك اسيرا في ايديهم. وقد فرض السامانيون سلطانهم على مناطق الاتراك الشرقيين بصورة لم تشهدها البلاد من قبل.

وكما يقول الدكتور حسن احمد محمود في كتابه (الاسلام في اسيا الوسطى) (والدور الخالد الذي قام به السامانيون ليس هو الجهاد فحسب انما كسبهم عالم الاتراك الشرقيين للحضارة الاسلامية).

هؤلاء الاتراك الذين سيصبحون مادة للاسلام وقوة للحضارة الاسلامية. لقد كان السامانيون يطبقون سياسة الجهاد الحقة، السيف من ناحية والتبشير السلمي من ناحية اخرى).

نعم لقد تضافرت جهود المخلصين من الدعاة والمدارس الكثيرة المنبثة في مدن بخارى وسمرقند وفرغانة والشاش في نشر الاسلام.. وكان للسامانيين دور بارز في تشجيع هذه المدارس واولئك الدعاة وقد ظهر كما يقول مؤرخو هذه الفترة نشاط بارز للصوفية في الدعوة الى الله وقد نجحوا في ذلك نجاحا منقطع النظير عندما اسلم سكان مائتي الف خيمة من الاتراك الشرقيين على ايديهم في القرن الرابع الهجري ٣٤٠ هـ (٩٥١ م).

وقد شارك الفقهاء والصوفية بل والتجار في مجال الدعوة الى الله وكان لجهودهم المباركة اثر بالغ في اسلام الاتراك الشرقيين والبلغار الذين كانوا يعيشون على ضفاف نهر الفولجا..

وقد اطلنا الحديث عن الدولة السامانية لأهميتها في تاريخ بلاد ما وراء النهر ولدورها العظيم في نشر الاسلام والثقافة الاسلامية في تلك المناطق التي امتد تأثيرها الى الصين والى اعماق روسيا...

الدولة الغزنوية: وظهرت الدولة الغزنوية في اواخر عهد الدولة السامانية عندما قام الب تكين احد قواد الدولة السامانية باخضاع مناطق من خراسان وتولى امارتها نائبا عن الامير الساماني. ثم ذهب الب تكين هذا الى غزنة جنوب كابل (عاصمة افغانستان اليوم) وأسس الدولة الغزنوية التي كان لها أعظم الاثر في القارة الهندية.

ومن أشهر ملوك هذه الدولة سبكتكين الذي فتح اجزاء من الهند في غزوات متتالية من سنة ٣٦٦ هـ الى سنة ٣٨٧ هـ (٩٧٦ - ٩٩٧ م).. وتولى بعده ابنه محمود ابن سبكتكين الذي طبقت شهرته الافاق والذي لقبه الخليفة العباسي (يمين الدولة وأمين الملة.. والذي فتح مناطق واسعة من القارة الهندية وقام بنشر الاسلام فيها)..

ولم تكن جهود محمود الغزنوي مقصورة على فتوحاته الباهرة في الهند وبلاد ما وراء النهر بل اشتهر بحبه للعلماء وتقريبه لهم حتى اخذت غزنة وبلخ في عهده مكانة بخارى.

واستمرت الدولة الغزنوية تسيطر على خراسان ومعظم بلاد ما وراء النهر وافغانستان واجزاء واسعة من القارة الهندية لما يزيد عن قرن من الزمان ثم تقلص سلطانها بسبب الخلافات الداخلية والحروب بين الامراء انفسهم. ثم ظهرت دولة السلاجقة واعترف بهرام شاه الغزنوي بسيادة السلاجقة عليه سنة ٥١١ هـ (١١١٨ م) وكان آخر ملوك هذه الدولة خسرو ملك المتوفي سنة ٥٨٥ هـ (١١٩١ م)..

السلاجقة: وظهر سلطان السلاجقة وهم من الاتراك الشرقيين الذين دخلوا في الاسلام بعد أن كانوا من أشد اعدائه بسبب جهود الدولة

السامانية والعلماء والصوفية، وهم من قبائل الطغزغز وجد السلاجقة يدعى دقاق من بلاد كشغر التي تقع حاليا في التركستان الشرقية (المعروفة باسم سينكيانغ أي المستعمرة الجديدة للصين الشيوعية) وكان لدقاق ولد اشتهر بالفروسية والنجابة يدعى سلجوق الذي انطلق مع مجموعة كبيرة من قبيلته الى التركستان الغربية حيث أعلن اسلامه طواعية.. وأخذ في صد هجمات الأتراك الكفار من قبائل الطغزغز ثم بدأ يغزوهم بنفسه.. فلما رأى محمود الغزنوي تعاظم قوة السلاجقة فيما وراء النهر فرقهم بين خراسان واصفهان.. ولكنهم تجمعوا في عهد خليفته مسعود الغزنوي واسسوا دولتهم في خراسان وخطب لهم على منابرها سنة ٤٣١ هـ (١٠٣٩ م).. وانتهز طغرل بك السلجوقي انشغال مسعود الغزنوي بمحاربة اخيه فاستولى على جرجان وطبرستان سنة ٤٣٣ هـ (١٠٤١ م) وفي ٤٣٤ هـ (١٠٤٢ م) استولى طغرل بك السلجوقي على خوارزم.

وفي اثناء ظهور آل سلجوق كانت الفتن قد عمت الخلافة العباسية حتى وصلت الى بغداد ذاتها وفي هذه الاثناء عظم أمر طغرل بك حتى استولى على اصفهان سنة ٤٣٣ هـ (١٠٤١ م).. ودخل تبريز سنة ٤٤٦ هـ (١٠٥٤ م) فراسله القواد الاتراك من بغداد يطلبون دخولها ويبذلون له الطاعة فدخل بغداد في ٢٢ رمضان ٤٤٦ هـ (١٠٥٤ م) بحفاوة بالغة وجعله الخليفة العباسي قائدا عاما لجيوشه وخطب له على المنابر وازاح بذلك آخر سلطان من سلاطين آل بويه الملقب بالملك الرحيم.

وتوالى حكم السلاجقة واستولى الب أرسلان على خراسان وجميع بلاد ما وراء النهر وافغانستان وامتد سلطانه الى ديار بكر والشام وبلغت الدولة السلجوقية اقصى مداها على يد ملكشاه ابن الب أرسلان الذي

تولى الملك سنة ٤٥٦ هـ (١٠٦٤ م) واشتهر بالحكمة الى جانب الشجاعة.. وامتدت فتوحاته حتى خطب له في بلاد الصين شرقا وفي الشام والاناضول غربا وفي القوقاس وبلاد الروس شمالا واليمن جنوبا.. وكانت وفاة هذا الملك العظيم سنة ٤٨٥ هـ (١٠٩٢ م).

الدولة الخوارزمية: وبقي السلاجقة يحكمون خراسان وبلاد ما وراء النهر يتفقون حينا ويختلفون حينا آخر حتى ظهرت الدولة الخوارزمية القوية في خوارزم وامتد سلطانها ليشمل معظم بلاد ما وراء النهر وخراسان بما فيها شمال افغانستان وكان مقر دولتهم كركانج او الجرجانية التي بلغت شأوا بعيدا في عهودهم وكان جد شاهات خوارزم يعمل لدى السلطان السلجوقي ملكشاه في وظيفة الطشتدار (اي المشرف على الاواني السلطانية) وكانت نفقات هذا الجانب من البلاط السلطاني تغطى من خراج خوارزم وهكذا أصبح انوشتكين جد شاهات خوارزم مسئولا عن خراج خوارزم في عهد ملكشاه.. وتولى ابنه قطب الدين محمد السلطة في خوارزم أيام السلطان السلجوقي سنجر عندما أرسله السلطان لاخماد ثورة هناك.. واشتهر قطب الدين محمد بالعدل والحكمة وتقريبه لأهل العلم كما وصفه ابن الاثير في تاريخه. وتولى بعد قطب الدين ابنه اتسز الذي يعتبر بحق مؤسس دولة خوارزم وذلك سنة ٥٢٢ هـ (١١٢٧ م).

ورغم ان اتسز استمر في اظهار الولاء للسلطان سنجر السلجوقي في اول الامر الا انه بعد ان وطد اركان دولته في جميع بلاد ما وراء النهر أعلن استقلاله. وفي عهده وسع الحكم الاسلامي في مناطق واسعة من التركستان لم تكن قد خضعت من قبل للحكم الاسلامي.. كما قام بفتح اراضي القبجاق الذين لم يكونوا قد اسلموا بعد.

وامتد سلطان اتسز خوارزمشاه (أي حاكم أو ملك خوارزم) الى بلخ وسرخس وتولى بعده ابناؤه واحفاده وامتد سلطان هؤلاء السلاطين الى بلاد البلغار وارمينية وقزوين وبلاد الكرج (جورجيا) وظهر في عهودهم كثير من العلماء الذين احتضنوهم.. ومن اشهرهم الامام الفخر الرازي الذي كان صديق السلطان علاء الدين خوارزمشاه.. وكان علاء الدين هذا يوقر العلماء ويقربهم اليه واذا رغب في رؤية الفخر الرازي انتقل هو بنفسه الى داره..

وللأسف اصيبت الدولة الخوارزمية بالترف كما انها أصيبت بالصراع المستمر على السلطة مع منافسيها من الغور والسلاجقة بل والخليفة العباسي ذاته.. مما اضعف دولتهم وجعلها لقمة سائغة لجحافل جنكيزخان عندما هجم عليها سنة ٦١٨ هـ (١٢٢١ م).. ومات آخر سلاطين خوارزم جلال الدين شاه طريدا وحيدا في جزيرة في بحر الخزر بعد أن انهزمت جيوشه امام جنكيزخان.. ففر من بلد الى بلد حتى وصل الى هذه الجزيرة حيث مات اثر اصابته بالتهاب رئوي. وقد كان لشاهات خوارزم وأهلها دور عظيم في نشر الاسلام والثقافة الاسلامية في تركستان الشرقية وفي بلغار الفولجا.. وقاموا بدور هام في الحفاظ على الثقافة الاسلامية وتشجيع العلماء وتوقيرهم مما أدى في النهاية الى تحول كثير من القبائل التركية وقبائل بلغار الفولجا الى الاسلام..

كما أن الثقافة الاسلامية التي حافظوا على نشرها ادت في النهاية الى اسلام احفاد جنكيزخان رغم الدمار الهائل الذي حل ببلاد الاسلام نتيجة هجوم المغول الكاسح المدمر..

جنكيزخان والدولة المغولية: وقد كان ظهور جنكيزخان في بداية

لقد تحولت القبيلة الذهبية (الاوردوالذهبي) في عهد بركة خان الى الاسلام في القرن الثالث عشر الميلادي وتبعها بعد ذلك أولوس جغتاي وأولوس هولاكو.. واصبحت بذلك جميع الاراضي الواقعة في الاتحاد السوفيتي اليوم تابعة للمسلمين..

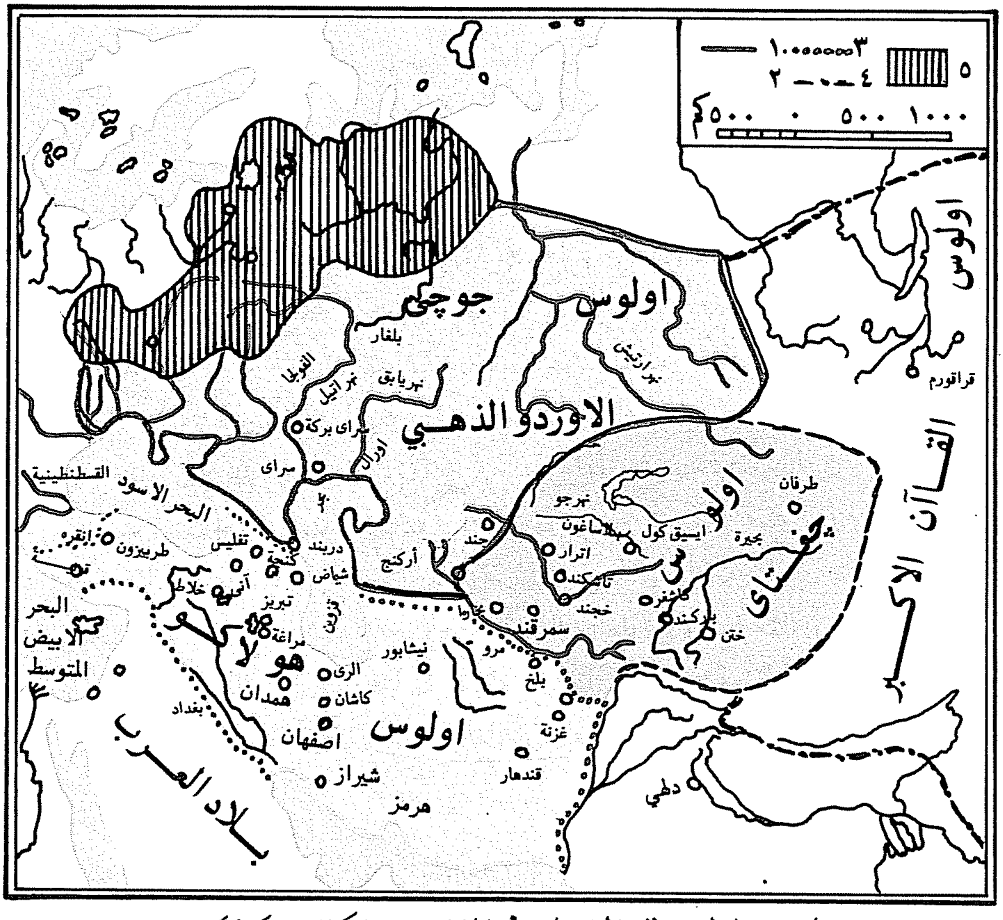

إمبراطورية المغول في القرن الثالث عشر

١ - أولوس جوچي الاوردوالذهبي ٣ - أولوس هولاكو (ايلخانات الفرس)

٢ - أولوس جغتاي. ٤ - أولوس القآن الأكبر

٥ - الإمارات الروسية الخاضعة للأوردوالذهبي

القرن السابع الهجري (بداية الثالث عشر الميلادي) ٥٩٨ - ٦٢٥ هـ (١٢٠١ - ١٢٢٧ م) وعدم تقدير جلال الدين خوارزمشاه لقوة جنكيزخان واستهتاره بها مما أدى الى اجتياح جنكيزخان لاراضي الدولة الخوارزمية وانهيارها السريع غير المتوقع امام جحافل جنكيزخان، بداية النكبات والمآسي للمسلمين على يد هؤلاء المغول مصاصي الدماء (وقد كان من عادة المغول ان يشربوا الخمر مع الدم مضافا اليها ذوب الذهب والفضة) وقد وصف المؤرخون المسلمون مثل ياقوت الحموي وابن الاثير تلك الوقائع المرعبة.. ولكن هؤلاء المغول الاجلاف الذين كانوا يدينون بالشامانية ابدوا نوعا من التسامح الديني بعد ان وطدوا اركان ملكهم.. وبما أنهم كانوا جهلة في تصريف شئون الدولة فانهم احتاجوا لمعونة كثير من الامم المغلوبة.. ومنذ عهد جنكيزخان كان في بلاطه بعض المسلمين كما كان في بلاطه مستشارون صينيون.. وسرعان ما دخل البلاط المغولي نصارى ايضا..

وفي اواخر عهد جنكيزخان (في عام ٦٢٣ هـ - ١٢٢٥ م) عاد جنكيزخان الى منغوليا (موطنه الاصلي) بعد أن تم له اخضاع دولة خوارزم وما وراء النهر..وبعد أن قامت قوات جنكيزخان بتدمير مدن ما وراء النهر تدميرا كاملا..

ورغم هذا الدمار الهائل الا ان الحياة سرعان ما استعادت قوة تدفقها الى بخارى وسمرقند بل وكركانج ذاتها عاصمة الدولة الخوارزمية.. وكما يقول المستشرق فامبري في كتابه تاريخ بخارى (ان خرائب بخارى سرعان ما حل محلها منشآت جديدة بل لم يأت عام ٦٣٢ هـ (١٢٣٤ م) ولما يمضي خمس عشر عاما على تخريب المكان بواسطة جنكيزخان حتى كانت المدرستان اللتان اقامها مسعود بك وسرقوني بك تزدحمان بألوف الطلبة يدرسون فيهما مختلف صنوف المعرفة).

وينقل بارتولد عن ابن الاثير وجويني ان الهدوء الذي ساد منطقة ما وراء النهر بعد الدمار الهائل الذي احدثه جنكيزخان اتاح لمدن ما وراء النهر ان تستعيد عمرانها ورونقها بأسرع مما فعلت مدن خراسان والعراق...

ويشهد ابن الاثير انه خلال فترة قصيرة من تخريب كركانج (الجرجانية) عاصمة خوارزم قامت مدينة جديدة مكانها واسماها المغول أوركانج بل وامتدت بعد ذلك لتشمل جانبي نهر جيحون بعد أن كانت، قبل ذلك واقعة في الضفة الغربية (اليسرى) للنهر فقط.. ورغما من ذلك فان كركانج عاصمة خوارزم وخوارزم نفسها لم تسترد رونقها الا في بطء ملحوظ فقد ظلت السدود وقتا طويلا في حالة خراب. وظل نهر اموداريا (جيحون) مدة ثلاثة قرون يصب في بحر قزوين بدلا من أن يصب في بحيرة خوارزم.. «ويكفي كما يقول بارتولد» لاعطاء فكرة جيدة عن الاختلاف بين خوارزم عهد المغول وخوارزم عهد السامانيين قول ابن بطوطة (انه كانت تمتد بين عاصمة خوارزم (اركنج) وبخارى مفازة ليس بها من العمارة سوى نقطة واحدة هي مدينة كاث الصغيرة).. وقد كانت هذه المنطقة ممتدة الخضرة والعمران.

ومنذ عهد مبكر ظهر ميل جوجي ابن جنكيزخان الى المسلمين الذي قال لحاشيته: (أن والده جنكيزخان قد فقد عقله كي يقتل مثل هذا الخلق ويخرب مثل هذا العدد من البلاد.. وأن الصواب هو أن يُقتل والده اثناء الصيد ويعقد هو حلفا مع المسلمين..) كما ينقله بارتولد عن الجوزجاني.. ولقد نما الى علم جغتاي ابن جنكيزخان ما قاله اخوه فأسرع بالخبر الى والده الذي أمر بسم جوجي سرا.. واختلفت الروايات في سن جوجي آنذاك حيث تجعله بعضها في العشرين بينما

تتحدث عنه بعض الروايات بأنه فيما بين الثلاثين والاربعين..

ولم يلبث جنكيزخان الا بضعة أشهر بعد ان قتل ابنه الاكبر جوجي الذي اظهر ميلا للمسلمين.. وكانت وفاة جنكيز خان في اغسطس سنة ٦٢٥ هـ (١٢٢٧ م) بعد ان ترك امبراطورية مترامية الاطراف لاولاده.

وكان لجنكيزخان أربعة ابناء هم **جوجي** الابن الاكبر الذي مر ذكره **وجغتاي واواكداي وتولوي**.. وقسم جنكيزخان مملكته الواسعة بين ابنائه في حياته كما عهد بالحكم العام للمغول أي الخان الاكبر الى اواكداي الذي تولى الملك بعد أبيه..

اواكداي بن جنكيزخان يولي المسلمين وزارة دولته: وكان **اواكداي** يتصف بنوع من دماثة الخلق ولين الجانب ولا شك ان هذا أمر نسبي فقد كان اواكداي مثل اخوته يقيم المجازر احيانا ولكنه اختلف عنهم وعن والده بعدم رغبته في سفك الدماء بدون مبرر الا فيما ندر..

ولهذا نرى اواكداي يقول: أن مليكنا جنكيز قد أقام أسس بيتنا بمجهود جبار. أما مهمتنا نحن الآن فهي تحقيق السلام والرفاهية لافراد الشعب لا إثقال كاهلهم بما لا يطيقون من الاعباء) وقد جعل اواكداي حكم بلاد ما وراء النهر الى وزيره المسلم محمود يلواج الذي كان يقيم بخوقند والذي وصفه ابن الفوطي في (معجم الآداب) بقوله: (فخر الدين أبو القاسم محمود بن محمد يعرف بيلواج الخوارزمي وزير الخاقان (أي أواكداي)) من أعيان دولة جنكيز خان والعظماء والوزراء في هذا الزمان.. وعليه مدار الملك في المشرق واليه تدبير ممالك تركستان وبلاد الخطل وما وراء النهر وخوارزم. وكان مع هذا الحكم والدهاء كاتباً سديداً يكتب بالمغولية والاويغورية والتركية والفارسية ويتكلم بالخطائية

والهندية والعربية. وكان غاية في الفهم والذكاء والمعرفة.. وبتدبيره انتظم للمغول ملكهم.. ووصفه جمال قرشي: بأنه اعدل وزراء الخواقين (جمع خاقان وهو ملك المغول) ضابط الممالك وحارس اهل الاسلام من المهالك.. ويقول عنه (عمرت البلاد بيده وانتعشت العباد بعدله).. وقد اثنى المؤرخون ومنهم الجويني على محمود يلواج وابنه مسعود بك واستردت البلاد في عهدهما رخاءها السابق وبلغت بخارى شأواً بعيداً بعد خرابها على يد جنكيزخان..

وقد كان لمحمود يلواج هذا فضل كبير في تجنيب المسلمين كثيرا من المهالك والمجازر.. التي كان يهم بها جغتاي ابن جنكيزخان وأخ اواكداي.. وكان جغتاي ينقم على المسلمين ذبحهم للحيوانات ووضوءهم من الانهار.. ولولا جهود محمود يلواج لنال المسلمين منه اذى كثيراً..

وقامت ايضاً ثورة في بخارى وما حولها قام بها مشعوذ زعم انه ولي يسمى تارابي وحصلت على يديه بعض الخوارق فاتبعته عامة الناس وثاروا على المغول وطردوهم.. وقتلوا منهم فلما اصيب تارابي هذا بسهم ومات انهزم من حوله وأراد المغول كعادتهم استباحة بخارى وتخريبها وذبح جميع سكانها فاستطاع محمود أن يتشفع لهم لدى اواكداي ويصدر بذلك عفوا عنهم..

وتولى الوزارة بعد محمود يلواج ابنه مسعود بك الذي فاق أباه في علو الهمة والحكمة كما يقول عنه المؤرخ ابن الفوطي.. وكما وصفه جمال قرشي بقوله: (صاحب السيف والقلم ناصب الطور والعلم ناشر البر والكرم راقي رتبتي الملك والعلم ساقي كاس البأس والحلم، سايق حليبي الحرب والسلم. ليثي الوثوب في الحرب، غيثي السيوب للنشوب برهان الدنيا والدين مسعود بن محمود الخوارزمي الذي هو خلاصة العقد) الخ.. ويذكر استتباب الأمن والدعة في عهده وانتشار العلم والمدارس في

أيامه.. وقد توفي مسعود هذا في بخارى في شوال سنة ٦٨٨ هـ ودفن في المدرسة التي أقامها.. ومسعود هذا هو الذي تحدث عنه فامبري في كتابه تاريخ بخارى واشاد بمدرسته التي كان يؤمها الآف الطلاب من كل مكان.

وتولى بعده الوزارة ابنه أبو بكر بن مسعود سنة ٦٨٩ هـ ومات في شعبان سنة ٦٩٧ هـ ثم تولى بعد ذلك اخوه ستلمشي بن مسعود.. ثم تولى بعده اخوه سيونج بن مسعود. وذلك سنة ٧٠٢ هـ.

وهكذا بقيت الوزارة في يد محمود يلواج وأبنائه واحفاده فترة طويلة من الزمان.. استطاعوا خلالها ان يجنبوا المسلمين المزيد من ويلات المغول.. كما استطاعوا أن يعمروا البلاد ويعيدوها الى شيء مما كانت عليه قبل الغزو المغولي.. وقد استطاع محمود ان يؤثر على اواكداي تاثيراً حسناً حتى أن المؤرخين الجويني والجوزجاني يقولان (أن اواكداي كان يفضل الاسلام على بقية الاديان.. وأنه كان يحمي المسلمين من كيد اعدائهم ومنافسيهم من الصينيين والايغور).

جفتاي بن جنكيزخان يحقد على المسلمين

وعلى النقيض من ذلك كان جغتاي ابن جنكيزخان الذي كان اكبر افراد البيت المالك سناً بعد وفاة جوجي الذي قيل انه سمه والده جنكيزخان كما تقدم.. وقد كان اواكداي يتحايل لحماية المسلمين من بطش جغتاي الذي كان يكن العداء للمسلمين ولاسلوب حياتهم.. ورغم ذلك فقد استطاع قطب الدين حبشي عميد وأصله من التاجيك من أهل مدينة أترار أن يصل الى مركز الوزير لدى جغتاي.. وقد تمتع حبشي عميد بدرجة من النفوذ جعلت الاسر الحاكمة تسعى الى مصاهرته ومن ذلك أن قطب الدين حاكم كرمان زوجه من احدى قريباته..

ومع هذا فلم يؤثر عن حبشي عميد أنه استطاع أن يؤثر في اتجاهات جغتاي نحو المسلمين ولا بطشه بهم وذلك ما حدا بالشاعر الصوفي باخرزي ان يخاطب الوزير بهذه القصيدة الفارسية التي تقول ترجمتها ما يلي[1]: (بما أن رب العزة قد أوكل اليك في هذه الدولة أن تنصر الحق فماذا سيكون عذرك يوم الحشر اذا أنت لم تقم بذلك؟

وفي ملتنا الاسلامية، نصرها الباري الى يوم الدين، فأن شروط الرياسة ثلاثة هي العلم والسن والإسلام.. فإذا أراد شاب لا خبرة له أن يتولى الرياسة فإنه في نظر العقلاء لا يعيب المسنين أن يحرموا منها (يعرض بحبشي عميد تعريضاً قوياً بأنه جاهل غمر لا علم له ولا دين). وحيث يصبح الهدهد القواد ملكاً فإنه لا عار على البازي في ايام دولته أن يكون بغير تاج.. ومن الأفضل للعقلاء أن ينأوا بأنفسهم اذا ما تولى السفهاء الرياسة (وهو تعريض اشد من سابقه) ذلك أن القصر عندما يصبح منبراً فإنه من الخير البقاء بلا منبر).

ويعلق بارتولد على ذلك قائلاً (لقد كان المتصوفة خلال الغزو المغولي أكثر حمية من غيرهم في اذكاء روح المقاومة ودعوة الشعب الى جهاد عدوهم وقد سقط اثنان من رؤسائهم هما نجم الدين الكبرا وركن الدين إمام زاده اللذان يعد الشاعر باخرزي من مريديهما، سقطا في الدفاع عن كركانج وبخارى ونجم الدين الكبرا هو مؤسس الطريقة الكبراوية المنتشرة الى اليوم في خوارزم وما حولها.

وفي عهد جغتاي لم يظهر أحد من المسلمين في بلاطه سوى حبشي عميد الذي كان يعتبر بمثابة الخائن من جمهرة علماء الاسلام.. بينما كان معظم مستشاريه من الصينيين الذين فازوا بالحظوة لديه.

---

(١) من كتاب التركستان من الفتح العربي الى الغزو المغولي لبارتولد ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم..

أما في عهد الخاقان اوكداي فقد كانت مكانة محمود يلواج وابنه مسعود بك عالية لا يضارعها أحد في المنزلة حتى أن اوكداي أوكل حكم الصين لمحمود يلواج بالإضافة الى تركستان وما وراء النهر..

وفي عهد محمود بك شيدت كثير من المعاهد والمدارس العلمية ويشيد المؤرخون بمدرسة مسعود ببخارى والمدرسة الخانية التي شيدت على نفقة أرملة تولوي الملكة سور قفتني بيكي التي كانت كما يستغرب بارتولد مسيحية وليست مسلمة..

وكان المتولي لأمر هذه المدرسة هو سيف الدين باخرزي الشاعر الصوفي المشهور الذي تقدم ذكره. كما أقام مسعود بك المدرسة المسعودية بكاشغر. وعندما تولى جغتاي بن جنكيزخان الأمور بعد وفاة اخيه اوكداي تعقدت الامور في وجه المسلمين وتولى بعد جغتاي ابنه قراهولاكو الذي كان يميل الى النصارى ولذا كان بابا روما يرسل الوفود اليه.. وتولى بعده كويوك الذي تأثر بأستاذه المسيحي قداـ وبمستشاره النصراني هو جينغاي.. وكان عهده أسوأ العهود بالنسبة للمسلمين اذ تعاون هؤلاء المغول مع الصليبيين لاستئصال المسلمين.. واستغل المسيحيون هذه الفرصة لتعذيب المسلمين وأوغروا صدر كويوك ضدهم وكانت الطامة عندما نصح دويوك راهب بوذي يدعى توين بأن يخصى جميع رعاياه المسلمين.

واصدر كويوك أمره الى توين الذي خرج يحمل نص هذا **القرار** فإذا بكلب شرس يمزقه شر ممزق.. مما جعل كويوك يغير رأيه ويلغي قراره هذا.

كويوك وهولاكو يقعان تحت تأثير الصليبيين ويشددان الحملة ضد المسلمين

وفي عهد كويوك (كيوك) ابن اواكداي قام هولاكو بتأثير كيوك وتشجيعه بغزو دار الخلافة بغداد.. ونشر الدمار على ربوع أرض الخلافة ولم يتوقف ذلك الدمار الذي نشره هولاكو إلا في عين جالوت عندما هزم قائده كتبغا على يد السلطان قطز وقائده المظفر الظاهر بيبرس البندقداري. وقد كان كويوك وهولاكو متأثرين بالنصرانية وكانت رسل البابا لا تنقطع عن بلاطهما.. وكذلك فعل اباقا بن هولاكو.. أما تكودار الابن الثاني لهولاكو فقد تحول من النصرانية الى الاسلام ولذا قتله ارغون ابن أخيه أباقا الذي كان شديد العداء للاسلام..

بركة خان يغير اتجاه المغول:

وظهر بركة خان بن جوجي ليغير اتجاه المغول الذي بدى معادياً للاسلام وقد كان بركة مثل والده جوجي محباً للمسلمين ويبدو أن لجوجي بن جنكيزخان (الذي وقف ضد والده جنكيزخان عندما هاله منظر الدماء التي سالت بدون مبرر والذي دفع حياته ثمناً لذلك)، أثراً في ذلك فقد عهد بتربية ابنه الى احد علماء المسلمين في خجند كما يقول الجوزجاني.. وكان بركة شديد التدين ورعاً تقياً ولم يسمح لأحد بأن يأكل الخنزير في معسكره بل لقد استطاع بركة خان أن يجعل جنوده جميعاً مسلمين...

وقد تولى بركة أمر تركستان واواسط آسيا بعد أخيه باتو الذي كان أيضاً متعاطفاً مع المسلمين. واستمر حكم بركة خان من (٦٥٤ - ٦٦٥ هـ)(١٢٥٦ - ١٢٦٧ م) وانتشر الإسلام انتشاراً واسعاً في عهده

وخاصة في القبيلة الذهبية التي جاءت من نسل جوجي وبلغ من إيمان بركة خان ان حارب ابن عمه هولاكو الذي كان شديد العداء للإسلام بسبب التيارات النصرانية التي أثرت فيه ووقف بركة خان مع السلاطين المماليك ضد هولاكو ثم ضد ابنه اباقابن هولاكو.

وامتد سلطان القبيلة الذهبية في روسيا وكان حوض نهر الفولجا اسلامياً خالصاً في عهدهم..

وأقام هؤلاء المغول امبراطورية اسلامية في داخل روسيا وحكموا موسكو وبولندا. ولم يكن أمير موسكو ينصب إلا بعد موافقتهم وأقاموا مدينة قازان القريبة من موسكو والتي اشتهرت بمدارسها ومساجدها.. كما أقاموا مدينة استراخان (الحاج طرخان) شمال بحر قزوين.. وكانت حاضرتهم مدينة السرا. على ضفاف نهر الفولجا..

وكان من هذه الاسرة السلطان محمد أوزبك الذي آل اليه أمرها سنة ٧١٣ هـ (١٣١٣ م) واستمر في الحكم حتى عام ٧٤١ هـ (١٣٤٠ م) وقد زاره ابن بطوطة وسجل ذلك في رحلته المشهورة وقال عنه: «وهذا السلطان عظيم المملكة شديد القوة كبير الشأن رفيع المكانة قاهر لاعداء الله أهل قسطنطينية العظمى مجتهد في جهادهم.. وبلاده متسعة ومدنه عظيمة منها الكفا والقرم والماجر وأراق وسرادق وخوارزم وحاضرته السرا..

«وهو أحد الملوك السبعة الذين هم كبراء الدنيا وعظماؤها وهم مولانا أمير المؤمنين ظل الله في أرضه امام الطائفة المنصورة الذين لا يزالون ظاهرين على الحق الى قيام الساعة (وهو الخليفة العباسي الذي انتقل الى مصر بعد خراب بغداد على يد هولاكو.. وأصبح مجرد رمز

للأمة الاسلامية) وسلطان مصر والشام (من المماليك) وسلطان العراق (من المغول المسلمين الذين يسمون ايلخانية) والسلطان أوزبك هذا (وهو من القبيلة الذهبية المغولية) وسلطان بلاد تركستان وما وراء النهر (وهو السلطان طرمشيرين الذي دخل الاسلام سنة ٧٢٧ هـ (١٣٢٦ م) وكان على درجة عظيمة من التقوى.. وهو من نسل جغتاي ابن جنكيز خان عدو الاسلام. وتحولت جميع الاراضي التي كان يحكمها الجغتاي في عهده الى الإسلام وارتفع لواء الاسلام في عهده الى مغولستان والى الصين حيث كانوا يحكمونها).. وسلطان الصين».

وقد ترك لنا أيضاً ابن بطوطة وصفاً دقيقاً لما فعله طرمشيرين بن جغتاي في بخارى وقد نقلنا ذلك عنه عندما تحدثنا عن بخارى فلا نعيده هنا.. (انظر فصل بخارى ومن ظهر بها من العلماء).

ومما تقدم يتضح لنا كيف أن أبناء جنكيز خان الأربعة وأحفادهم اتخذوا سياسات مختلفة نحو الاسلام والمسلمين.. وسنتحدث عنهم وعن احفادهم بإيجاز شديد:

جوجي ابن جنكيز خان: وقد تقدم انه كان محباً للمسلمين حتى فكر في اغتيال والده جنكيز خان ليوقف الدمار الذي احدثه والده ببلاد المسلمين..

ولذا فقد قدم جوجي حياته في سبيل هدفه النبيل اذ علم والده بنيته فبادر الى سمه.. وكان جوجي قد تولى حكم منطقة خوارزم وغربي سيبيريا وسهل القبجاق وما وراء النهر.. وترك جوجي ابنان هما باتو وبركة. فأما باتو فقد كان محبا للمسلمين مقرباً لهم ولكنه لم يعلن اسلامه، وأسس باتو القبيلة الذهبية الذين حكموا خوارزم وما وراء

النهر وسيبيريا ومناطق واسعة من روسيا.. وكان أول من أسلم من هذه القبيلة هو بركة خان بن جوجي الذي تولى أمرها من (٦٥٤ - ٦٦٥ هـ) (١٢٥٦ - ١٢٦٧ م) والذي انتشر الإسلام في عهده انتشاراً واسعاً في القبيلة الذهبية.

وقد كان بركة خان رجلا تقياً قرأ القرآن ودرس الاسلام في صغره على يد أحد علماء خجندة وذلك مما يدل على تعاطف والده جوجي مع المسلمين حيث سمح لابنه الصغير بأن يدرس على يد أحد علماء الاسلام.

وقد اسلمت معظم عشائر القبيلة الذهبية منذ اسلام بركة خان في القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي).. وكانوا مسلمين سنة وكان لهم شأن بالغ في نشر الاسلام في منغوليا وسيبيريا وروسيا..

ويقص علينا ابن بطوطة في رحلته زيارته للسلطان محمد أوزبك الذي كان يحكم نهر الفولجا من منبعه الى مصبه تقريباً كما كان يحكم القريم.. وكان السلطان محمد أوزبك قد اعتلى عرش السلطنة سنة ٧١٣ (١٣١٣ م) واستمر في الحكم حتى وفاته سنة ٧٤١ هـ (١٣٤٠ م) والسلطان محمد أوزبك هو من القبيلة الذهبية.

وفي القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي) وبالتحديد في سنة ٨٤٢ هـ (١٤٣٨ م) تحولت املاك القبيلة الذهبية الى عدة دويلات وانقسمت الى عدة خانيات هي:

١ - **استراخان**: وتولى كوجوس حفيد اوروس خان حكم منطقة استرخان الواقعة شمال بحر قزوين وذلك سنة ٨٤٢ هـ (١٤٣٨ م) وبقيت في سلالته وخلفائه حتى عام ٩٦٥ هـ (١٥٥٧ م) عندما احتلها إيفان الرابع المسمى ايفان الرهيب.

٢ - **خانية قازان**: أما قازان فقد صارت خانية وحكمها الغ محمد سنة ٨٤٢ هـ (١٤٣٨ م) وقد قتل الغ محمد هذا سنة ٨٥٠ هـ (١٤٤٦ م) وبقيت قازان القريبة من موسكو في يد ابنائه واحفاده حتى انتزعها منهم ايفان الرهيب سنة ٩٦٠ هـ (١٥٥٢ م).

٣ - **خانية القريم**: انتقل حاجي كراي ابن أخ الغ محمد مؤسس خانية قازان الى القريم وصار هو خان القريم وذلك سنة ٨٥٣ هـ - (١٤٤٩ م) وتوفي حاجي كراي سنة ٨٧٠ هـ (١٤٦٦ م).. واستمرت سلالة حاجي كراي في حكم جزيرة القرم حتى استولى الروس في عهد الامبراطورة كاترين سنة ١١٩٨ هـ (١٧٨٣ م)..

٤ - **أمارة قاسموف التترية الصغيرة**.. وقد حكم عدة امراء من فرع الغ محمد وحاجي كراي وفرع الشيبانية السيبيري هذه الأمارة من سنة ٨٥٦ هـ (١٤٥٢ م) الى سنة ١٠٩٢ هـ (١٦٨١ م).

وعندما استولت روسيا على املاكهم افرّ هؤلاء الخانات وتشتتوا في البلاد والتجأ بعضهم الى الخلافة العثمانية وبعضهم الى بخارى حيث كانت لا تزال مستقلة يحكمها الشيبانيون..

٥ - **الشيبانيون** وينسب هؤلاء الى شيبان أصغر أولاد جوجي (وبعضهم يجعله أصغر احفاده) وأسس الشيبانيون مملكة عظيمة في بخارى وامتد سلطانها لتشمل معظم بلاد ما وراء النهر.. وقد عاشوا جنوب شرقي جبال الاورال المعروفة الآن في قازاقستان ثم توجهوا الى سهل القبجاق واحتلوا المنطقة المعروفة الآن باسم اوزبكستان وأسسوا دولتهم القوية التي كانت عاصمتها بخارى وأنهوا بذلك حكم التيموريين.

واشتهر من هذه الاسرة عدد كبير من الحكام الاقوياء المتمسكين

بالشريعة الاسلامية والمدافعين عنها والناشرين لواء الدعوة.. والمشجعين للعلم وخاصة العلوم الشرعية.

وقد استطاع ابو الخير الشيباني أن يوسع مملكته فاستولى على خوارزم سنة ٨٥١ هـ (١٤٤٧ م) وغزا حفيده محمد الشيباني افغانستان وخراسان سنة ٩٠٦ هـ (١٥٠٠ م) وضمها الى مملكة آل شيبان.. وكان شديداً في صراعه مع الشيعة وقتل في اثناء معركة مع الشاه اسماعيل الأول صاحب الدولة الصفوية بالقرب من مرو سنة ٩١٦ هـ (١٥١٠ م).واستمر حكم هذه الاسرة حتى عهد اسكندر الثاني الشيباني الذي لم يكن له عقب.. وكان قد زوج ابنته الى الامير جان ابن يار محمد الذي فر من استراخان بعدما سقطت في يد إيفان الرهيب فلما مات اسكندر الثاني تولى الحكم بعده زوج ابنته جان ابن يار محمد الاسترخاني وذلك سنة ١٠٠٦ هـ (١٥٩٨ م) وبذلك أسس من جديد الأسرة الاستراخانية (أو الاشتراخانية) وتسمى أحياناً الجانية.. وهم أيضاً فرع من أسرة جوجي ابن جنكيز خان.

وفي خوارزم (خانية خيوه) حكم الشيبانيون منذ سنة ٩١١ هـ (١٥٠٥ م) بصورة مستقلة وذلك بفرعهم المعروف باسم عرب شاهية.. ومن هذا الفرع المؤرخ المشهور ابو الغازي بها درخان مؤلف كتاب شجرة الاتراك.. وقد حكم هذا الفرع خانية خيوة حتى عام ١١٠٧ هـ (١٦٩٥ م) حيث انتقل الحكم الى أسرة قونغرات الذين لقبوا انفسهم بالخانات منذ عام ١٢١٩ هـ (١٨٠٤ م)..

وفي فرغانة نما فرع من فروع الشيبانية وأسس خانية خوقند (خجند) التي استمرت تحكم حتى استولى عليها الروس سنة ١٢٩٣ هـ (١٨٧٢ م).

وكان للشيبانيين فروع أخرى تحكم داخل روسيا حيث خضعت مدينة تومن (تيومن) للأمير الشيباني ايبك سنة ٨٨٦ هـ (١٤٨١ م) واستمر احفاده في حكمها وحكم نهر توبول الأعلى حتى سنة ١٠٣٥ هـ (١٦٢٥ م) عندما احتلت روسيا القيصرية اراضيهم.

وهكذا نرى كيف ارتبط جوجي وأولاده وأحفاده بالاسلام منذ اللحظة الأولى وكيف اسسوا الدول الاسلامية في بخارى وخوارزم وامتد سلطانهم الى قازان القريبة من موسكو واستراخان والقريم. وكيف كان نهر الفولجا في أيامهم نهراً إسلامياً من منبعه الى مصبه.. أما سيبيريا فقد كانت مناطق واسعة منها تابعة لهم. ونشروا الاسلام فيها. وسنرى كيف تعامل بقية ابناء جنكيز خان واحفاده مع الاسلام في السطور التالية بإيجاز شديد...

جغتاي ابن جنكيز خان: لقد مر معنا موقف جغتاي المتعنت المتصلب ضد الاسلام وكيف كان النصارى والبوذيون يتقربون اليه ويبغضونه في الاسلام والمسلمين.. وهكذا كان أولاده بل وحفيده قراهولاكو الذي أقام حلفاً مع الصليبيين ضد المسلمين.. وكذلك كان خليفته كيوك ابن اوكداي الذي كان نصرانياً حاقداً على الاسلام والمسلمين.. وكان عهد جغتاي واحفاده من أسوأ ما مر بالمسلمين. وتعاون كيوك وهولاكو الذي كان مستولياً على فارس للقضاء على المسلمين قضاء تاماً.. واستطاع هولاكو أن يدك عرش الخلافة العباسية وأن يبيد من سكان بغداد وما حولها اكثر من مليون ولولا ان أوقف الله هذاالطوفان المدمر لأتى على كل مدينة وحاضرة اسلامية فكانت هزيمته في عين جالوت على يد السلطان قطز والقائد المظفر بيبرس البندقداري بداية النهاية للمد المغولي النصراني الحاقد على الاسلام..

ورغم ان إباقا ابن هولاكو كان أيضاً نصرانياً حاقداً إلا أن أخاه تكودار تحولمن النصرانيةالى الاسلام ورغم أن ارغون ابنأباقاالنصراني قتل عمه المسلم تكودار وبذلك ابقي على تيار الصليبية في المغول الذين حكموا فارس إلا أن حفيد أرغون نفسه تحول الى الاسلام وعرف باسم أبو سعيد وتولى حكم فارس والعراق من سنة ٧١٧هـ (١٣١٦م) الى سنة ٧٣٦هـ (١٣٣٥م) وكان أشهر من دخل من اسرة جغتاي المتعصبة ضد الاسلام في الاسلام هو السلطان ترمشيرين سنة ٧٢٧هـ (١٣٢٦م).. وكان هذا السلطان على درجة عظيمة من التقوى والعدل والصلاح..

وتحولت بإسلامه جميع الأراضي التي كان يحكمها الجغتاي الى الاسلام.. وقد امتد سلطانهم من منغوليا الى اجزاء من الصين.. واسهموا في صبغ هذه المناطق بالصبغة الاسلامية (كما تقول دائرة المعارف الاسلامية) وقد زار ابن بطوطة في رحلته المشهورة هذا السلطان ووصف عدله وورعه وتقواه وقد نقلنا بعض ما قاله عنه (في فصل بخارى ومن ظهر بها من العلماء) فنحيل القارىء عليه. وقد وصف المستشرق فامبري في كتابه تاريخ بخارى اسلام ترمشيرين حيث يقول: وبعد أن دخل الجغتائيون المتأخرون في الاسلام نجد كتب الحديث تروج أيام علاء الدين ترمشيرين المغولي كما نجد هؤلاء الأمراء باعتناقهم الاسلام عن قرب تدفعهم غيرتهم الدينية الى رعاية هذه الحركة الروحية لا يألون جهداً في ذلك. ولقد رأينا كيف يتقبل احفاد الفاتح المغولي (جنكيز خان) بكل خضوع زجر الشيوخ المحافظين لهم وتعنيفهم اياهم بمسجد عام في مواجهة رعاياهم، وهم من بعد ذلك يتولاهم الخجل لما كان قد وقع منهم ويستغفرون لذنوبهم على مشهد من الملأ جميعاً.

وانتهى حكم الجغتائيين هؤلاء سنة ١٠٨٩هـ (١٦٧٨م) عندما سقطت منهم آخر معاقلهم في كشغر.

اوكداي ابن جنكيز خان: وقد تولى اوكداي أرض أبيه الاصلية.. وكان ميالا للمسلمين رغم انه لم يدخل الاسلام.. وقد مر معنا كيف استوزر محمود يلواج الخوارزمي الذي استطاع ان ينقذ المسلمين من مهالك محققة.. ليس ذلك فحسب بل استطاع محمود يلواج (أي السفير) وابنه مسعود بيك من بعده ان يبسط الأمن وأن يعيد بناء المدن الاسلامية التي خربها جنكيز خان ففي عهده قامت بخارى وسمرقند وكركانج (الجرجانية) كأحسن ما تكون المدن واستعادت كثيرا من عظمتها ورونقها ومدارسها ومعاهدها..

ولا يذكر لنا التاريخ ان هذا الفرع دخل الاسلام بل بقي على وثنيته ودينه الشاماني.. واستمر اولاد اوكداي وأحفاده على دينهم وانتهت الأمور الى الحرب بينهم وبين الجغتائيين المسلمين وفر آخر حاكم من أسره أوكداي وهو جابار الى امبراطور الصين في القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) واندثر هذا الفرع وتولى الجغتائيون المسلمون حكم مناطقهم وتحول من بقي منهم الى الاسلام..

تولى ابن جنكيز خان: وهو أصغر ابناء جنكيز خان وتولى حكم منغوليا وسقطت الصين في يد قبلاي ومونككة ابني تولى.. وكانت عاصمة منغوليا قراقوم وتحول قبلاي الى البوذية وتشرب خلفاؤه الذين أصبحوا اباطرة الصين الثقافة الصينية والدين الصيني..

أما هولاكو ابن تولى فهو أشهر أحفاد جنكيز خان فقد التصق اسمه بالدمار الشامل الذي حل بالخلافة العباسية وبالمسلمين على يديه وكان ابنه أباقا ايضا صليبيا نصرانيا حاقدا على الاسلام والمسلمين ولكن اخاه تكودار تحول من النصرانية الى الاسلام وكان بذلك أول ابناء هولاكو دخولا في الاسلام.. وكان تكودار أول شهيد من آل هولاكو فقد قتله ابن اخيه ارغون بن أباقا غيلة.. ذلك لأنه مليء بالحقد

الصليبي مثل أبيه فجن جنونه عندما علم بإسلام عمه وخاف أن يتحول مغول فارس على يديه الى الاسلام..

ولكن احفاد هولاكو دخلوا في الاسلام وافرين وكذلك دخل ابن ارغون نفسه في الاسلام.. وعرف فرع هولاكو الذي حكم فارس والعراق باسم ايلخانات الفرس.. وأصبحوا احدى الدول التي تدافع عن الاسلام بعد أن كانوا أشد أعدائه وأعتى خصومه..

تيمورلنك: ولد سنة ٧٦٥ هـ (١٣٣٦ م) في مدينة كشي بالقرب من سمرقند واعتلى العرش بعد معارك طاحنة مع منافسيه وهو من التتار الذين يمتون بصلة نسب الى المغول الذين ظهر منهم جنكيز خان ويقال ان التتار والمغول كعبس وذبيان في قبائل العرب وكان التتار قد أسلموا جميعاً وكان والد تيمورلنك شيخاً ورعاً زاهداً وينتسب تيمورلنك من جهة أمه الى جنكيز خان فورث تيمورلنك من جده جنكيز خان بطشه وجبروته وحبه للدماء وورث من أبيه ورعه وزهده ومحافظته على الصلاة وقراءة القرآن.. وكان تيمورلنك يجمع بين العبادة والبطش جمعا غريبا نادر المثال فكان يداوم على قراءة القرآن ولا يصلي الا في المسجد ومع ذلك كان يقيم اهراماً من الجماجم اذا وجد مقاومة كما فعل في أهل اصفهان وتبريز عندما قاومته الدولة الصفوية..

وأسس تيمورلنك امبراطورية ضخمة جعل قاعدتها سمرقند.. وفي عهده بلغت سمرقند ذروة مجدها وغناها وعظمتها وجمالها وكان تيمورلنك شديد الطموح عالي الهمة وكثيرا ما يقول: «اذا كان هناك رب واحد فحسب الواجب ان يحكم الدنيا سلطان واحد فقط، وما تكون الدنيا بالقياس الى طموح أمير عظيم».

واجتاحت قوات تيمورلنك اواسط آسيا فدانت له منغوليا

والتركستان وجميع ما وراء النهر وأفغانستان والهند وفارس والعراق والشام وامتد ملكه ليشمل روسيا وبولندا سنة ٧٨٦ هـ.. كما انه حارب بشراسة السلطان بايزيد الأول العثماني وهزمه وأخذه معه أسيراً.. وتلقب تيمورلنك بخليفة جغتاي وسليل جنكيزخان واهتم تيمورلنك الى جانب اعماله العسكرية التي لم يضارعه فيها من القدماء الا الاسكندر المقدوني وجنكيزخان.. بالعلوم.. وكان يأخذ معه المهندسين ومهرة العمال ليبنوا المساجد والقصور ومدارس العلم..

واستطاع تيمورلنك ان يقضي على ايلخانات المغول في تركستان وما وراء النهر وفي فارس والعراق واستراخان والقريم وقازان.. وان يخضعهم جميعا لسلطانه..

ومات تيمورلنك سنة ٨٠٧ هـ (١٤٠٥ م) بعد أن أسس امبراطورية ضخمة لم يحسن اولاده المحافظة عليها ما عدا امبراطوريتهم في الهند التي عرفت باسم الامبراطورية المغولية (وهي ليست مغولية) وظهر منهم أكبر خان وأورنك زيب الملك الصالح..

وقد كانت الامبراطورية المغولية في الهند باذخة حقا ومن آثارها تاج محل كما ان لها دور كبير في نشر الاسلام في القارة الهندية.. وقد كانت مسيطرة على القارة الهندية سيطرة شبه كاملة حتى جاء الانجليز ومزقتهم الفتن والخلافات التي استثمرها الانجليز أحسن استثمار حتى قضوا عليهم.. أما امبراطوريتهم في بلاد ما وراء النهر فسرعان ما قضت عليها الاسرة الشيبانية التي تنتسب الى القبيلة الذهبية التي أسسها باتوبن جوجي ابن جنكيز خان والذي مر معنا ذكرهم ودورهم في حكم بلاد ما وراء النهر وروسيا..

وقد حكم التيموريون ما وراء النهر بعد وفاة تيمورلنك لمدة قرن من الزمان تقريبا (٨٠٧ - ٩٠٦ هـ) (١٤٠٥ - ١٥٠٠ م) كثرت فيها

الحروب فيما بينهم.. وظهر منهم آلغ بيك المحب للعلوم ومؤسس المدارس المشهورة في بخارى وسمرقند كما أسس مرصدا ضخما لمسح الأرض وتحديد خطوط الطول والعرض والكرات السماوية والنجوم.. ووضع الخرائط الدقيقة نسبيا لمختلف المناطق على الكرة الارضية..

واشتهر هذا الأمير بأنه قضى غالب حياته مجتمعا بالعلماء حفيا بهم وبطلبتهم بل ومشاركا لهم في دروسهم ومناقشاتهم. كما اشتهر من أحفاد تيمورلنك أبو سعيد الذي وحد جميع بلاد ما وراء النهر وانطلق الى خراسان وسيستان وكرمان وفارس.. ولكنه اصطدم مع مؤسس دولة التركمان القوي في أذربيجان أوزون حسن وقتل في ميدان المعركة معه.

أما في هراة (أفغانستان) فقد كان يحكمها حسين بيقرا احد احفاد تيمورلنك الذي استطاع ان يبعث في هراة امجاد خراسان القديمة متمثلة في تلك الحياة الفكرية والثقافية الرائعة التي شهدتها هراة في عهده.

وبانتهاء التيموريين وظهور الشيبانيين عادت بلاد ما وراء النهر وتركستان عامة الى حكم المغول المسلمين.. كما مر معنا تولي الشيبانيين ثم الاستراخانيين وهم أيضاً من الأسرة الذهبية المغولية الذين فروا من وجه القياصرة الى بخارى وتولي جان ابن يار محمد الاستراخاني الحكم في بخارى بعد وفاة اسكندر الثاني اخر حكام الشيبانيين وذلك سنة ١٠٠٦ هـ (١٥٩٨ م)..

الاشتراخانيون:(١٠٠٦ - ١١٥٧ هـ) (١٥٩٧ - ١٧٣٧ م).

لقد حكم الاوزبك الشيبانيون بخارى وما وراء النهر من (٩٠٦ الى ١٠٠٦ هـ) (١٥٠٠ - ١٥٩٧ م) ثم انتقل الحكم الى جان بن يار الاستراخاني الذي فر من استراخان بعد استيلاء الروس عليها الى الامير اسكندر الثاني الشيباني في بخارى والذي زوجه ابنته.. ولم يكن

للأمير اسكندر أي عقب من الابناء فتولى الحكم بعده الامير جان وبهذا ابتدأ حكم الاشتراخانيين الذي دام من سنة ١٠٠٦ هـ (١٥٩٧ م) ودام الى سنة ١٠٩٩ هـ (١٦٨٩ م).

وقد تقدم ان هؤلاء الاشتراخانيون هم أيضاً من نسل جوجي ابن جنكيز خان مثل اقاربهم الشيبانيين.

وكان جد هؤلاء الاشتراخانيين قتلق تيمور أحد قواد تيمورلنك وهو الذي استولى على بولندا عام ٧٨٦ هـ (١٣٥٦ م). ثم أسس أحفاده خانية استراخان التي قضى عليها ايفان الرهيب سنة ٩٦٥ هـ (١٥٥٧ م). واستمرت الحروب في عهد الاشتراخانيين بين بخارى والدولة الصفوية الشيعية في ايران كما كان الامر من قبل في عهد الشيبانيين.. وهذا ما أضعف المسلمين وجعلهم لقمة - سائغة للغزو الروسي في تلك المناطق.

ولأول مرة في تاريخ أي دولة اسلامية يتكرر تنازل الحكام طواعية ليذهبوا الى المدينة المنورة لكي يعيشوا حياة العباد والزهاد ويدفنوا في بقيعها..

وممن فعل ذلك قلي خان سنة ١٠٥٠ هـ (١٦٤٠ م) وعبد العزيز بن نظر خان الذي آثر العزلة على محاربة أخيه سبحان قلي فانسحب الى المدينة المنورة.. وفي اثناء الطريق الى مكة هاجمته عصابة من قطاع الطرق حاول جهده معهم ان يتجنب اراقة الدماء فلما وجدهم مصرين على أخذ جميع متاعه ومتاع رفاقه حاربهم وقضى عليهم ثم واصل طريقه الى مكة ومنها الى المدينة حيث دفن في بقيعها بجوار ابيه وعمه.

وكان آخر السلاطين الاقوياء (نسبيا) من الاشتراخانيين هو سبحان قلي الذي بلغت بخارى في ايامه شأوا بعيدا حتى كان السفراء يأتون إليها من كاشغر والقرم وبلاد الهند والدولة العثمانية.

المنغيت:

وانتهى حكم الاشتراخانيين بظهور المنغيتيين وهم من الاوزبك الـذين يرجعون في أصولهم الى جنكيز خان مثل الشيبانيين والاشتراخانيين.. وقد ظهر هؤلاء المنغيت كجنود وقادة لامراء خيوه وللامراء الاشتراخانيين وتقلد زعيمهم رحيم باي الوزارة عند ابي الفيض الاشتراخاني.. وكذلك تولى ابنه دانيال باي الوزارة.

وكان لدانيال هذا ولد يدعى معصوم لزم في شبابه فرق المتصوفة ولبس الخرقة واعتكف في المساجد وزهد في الدنيا.. وعرضت عليه الوزارة فرفضها.. وعندما حدثت الفتنة التي أثارها يناز علي بك أمير شهرسبز الحَّ الناس عليه في تولي الوزارة والقيادة العامة للجيوش فخرج من عزلته الى ميدان الجهاد وأخمد هذه الفتنة وازداد حب الناس له لعدله وتنفيذه احكام الشريعة.

وعندما رأى أن سلطان بخارى أبا الغازي يتهاون في تنفيذ الشرع عزله سنة ١١٩٩ هـ (١٧٨٤ م) وأجمعت الأمة على توليه السلطة فتولاها..

وقام الأمير معصوم المنغيتي الزاهد العابد المجاهد باخضاع بلخ ومرو التي كان يحكمها امراء متنازعون بعيدون عن تطبيق الشريعة الاسلامية..

وظل هذا الامير يحكم ثمانية عشر عاما ذاع فيها صيته لاستمساكه الشديد بالشريعة وتطبيقه اياها واحيائه للسنة ورقابته الشديدة على جميع رعاياه في ذلك.. وزهده وعدله الذي اقتدى فيه بسيد المرسلين وبالخلفاء الراشدين حيث كان يكتفي بأبسط الطعام ويقنع بثوب واحد في كل عام يمشي به في الاسواق مرقعا..

وقد نعمت بخارى وما وراء النهر في عهده بدرجة كبيرة من الرخاء والعدل.. ونتيجة الفتاوى المتعددة التي تلقاها من العلماء الذين كان يقربهم ويجلهم ويحترمهم فقد قام بحروب متواصلة ضد الدولة الايرانية الشيعية لاعتقاده زيغهم ومجانبتهم للإسلام الصحيح.. فقضى اثني عشر عاما في حرب متواصلة معهم. وللأسف الشديد استغلت روسيا هذه الحروب واستطاعت ان تختطف من شاه ايران اقا محمد خان القاجاري أراضي واسعة في القوقاس نتيجة انشغاله في مواجهة هجمات الامير معصوم المنغيتي.

ومات هذا الامير العادل الزاهد سنة ١٢١٧ هـ (١٨٠٢ م) وخلفه ابنه سعيد حيدر تورة الذي تسمى باسم الامير السعيد وقضى معظم ايام حكمه التي دامت ٢٣ عاما في سلام يلتزم فيها خلوته ساعات طويلة كل يوم ويكثر فيها من الصلاة والذكر والصيام حتى نسبت اليه الخوارق والكرامات.

ثم تولي بعده ابنه نصر الله سنة ١٢٤٢ هـ (١٨٢٦ م) وفي عهده بدأ الروس يتطلعون الى حكم بخارى واتصل به الانجليز من الهند.. ولم يفطن هذا الامير الى وعود الروس والانجليز له وظن انه على مقدار كبير من القوة..

وبدلا من ان ينتبه الى هذه المخاطر قام بحرب أمير خوقند القوي محمد علي خان الذي كان قد انتصر على القوات الصينية الغازية. واستطاع الامير نصر الله المنغيتي ان يلحق الهزيمة بأمير خوقند نتيجة استخدامه الاسلحة الحديثة التي ساعده على استخدامها ضابط ايراني يدعى عبد الصمد خان وتكررت الحروب بين خوقند وبخارى في عهد الامير مظفر الدين خان (١٢٧٧ - ١٢٨٧ هـ) (١٨٦٠ - ١٨٧٠ م).

ونتيجة هذه الحروب المتكررة على خوقند ضعفت هذه الخانية وأصبحت لقمة سائغة للروس الذين قاموا باحتلالها سنة ١٢٩٣ هـ (١٨٧٦ م) ودمروها تدميرا الحقها بالتراب لأنها استمرت تقاومهم سنة كاملة وذلك تحت قيادة الجنرال بيروفسكي.

وسقطت طشقند بيد الروس سنة ١٢٨٢ هـ (١٨٦٥ م) وفي عام ١٢٨٣ هـ (١٨٦٦ م) استطاع الأمير مظفر الدين ان يهزم القوات الروسية خارج بخارى واندفع هذا الأمير ليحرر طشقند فانهزم في معركة يردجار ولم ينج بحياته الا بمشقة كبيرة.. وفي عام ١٢٨٣ هـ (١٨٦٨ م) زحف الروس بعد أن وصلتهم امدادات كبيرة على سمرقند فسقطت في أيديهم.. ثم اتجه الروس بعد ذلك الى بخارى.. وبرغم مقاومة البخاريين الباسلة الا أنهم انهزموا في موقعة سربول. واضطر الامير مظفر الدين الى أن يعقد صلحا مع الروس اضطر فيه الى دفع الجزية لهم ولم يرض الأهالي بهذه المعاهدة المهينة فالتفوا حول ابنه وقاموا بالثورة ضد مظفر الدين الذي قام باخضاعهم بمعونة الروس ألد أعدائه.

واستمر حكم المنغيت في بخارى تحت الحماية الروسية حتى اجتاحتهم قوات لينين عام ١٣٤١ هـ (١٩٢٢ م).. وفر آخر خانات بخارى الى أمير أفغانستان ليشرح له أهوال البلاشفة الذين كان قد انخدع بوعودهم.

وهكذا انتهت قصة الدول الاسلامية المتعددة فيما وراء النهر وبدأت قصة الغزو الروسي القيصري ثم البلشفي التي سنتحدث عنها في الفصل القادم..

الفصل الحادي عشر

التركستان

الغربية في العصور الحديثة

الغزو الرّوسي لتركستان

لقد انتهت الدول القوية من سلالات جنكيز خان الذين دخلوا الاسلام منذ القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) الى دويلات صغيرة متنافرة. فمن فرع جوجي ابن جنكيز خان مؤسس القبيلة الذهبية انتهت الدول القوية الى دويلة صغيرة من فرع الشيبانية تحكم بخاري التي حلت محلها الأسرة الاستراخانية (نسبة الى استراخان) أما خوارزم فقد حكمها فرع آخر من الأسرة الشيبانية وفي فرغانة قام فرع آخر من هذه الاسرة الشيبانية ليؤسس خانية خوقند.. أما خانيات قازان واستراخان والقرم فقد انتهت بالاحتلال الروسي لها منذ أن قام ايفان الرهيب باحتلال قازان سنة ٩٦٠ هـ (١٥٥٢ م) واستراخان سنة ٩٦٥ هـ (١٥٥٧ م).. وسقطت القرم بيد كاثرين سنة ١١٩٨ هـ (١٧٨٣ م)..

لقد بدأ الغزو الروسي لتركستان بصورة مكثفة عندما وجد نيقولا الاول قيصر روسيا أن سياسته التوسعية تجاه الدولة العثمانية تواجه بمعارضة الدول الاوربية وخاصة بريطانيا وفرنسا اللتين كانتا تنافسان روسيا على تركة (رجل أوربا المريض) وعندما انتهت حرب القرم سنة ١٢٧٣ هـ (١٨٥٦ م) التي دخلت بسببها بريطانيا وفرنسا الحرب مع تركيا لتحد من أطماع نيقولا الأول عندئذ تقدم وزير الخارجية الروسي بتقريره المشهور الذي يقول فيه: **ان مستقبل روسيا التوسعي الاستعماري ليس في اوربا بل في آسيا..**

وكان الدافع الثاني لغزو التركستان هو أن روسيا كانت محتاجة

لمزارع واسعة للقطن لكي تمد مصانع النسيج التي ظهرت في المدن الروسية الكبيرة.. كما انها كانت محتاجة لإيجاد أسواق جديدة حيث أن الأسواق الاوروبية تكاد تكون مقفلة في وجه الصناعة الروسية المتخلفة عنها.

لذا توجهت القوات الروسية بكثافة واحتلت طشقند عام ١٢٨٢ هـ (١٨٦٥ م) ثم سمرقند في عام ١٢٨٣ هـ (١٨٦٦ م) وفي عام ١٢٩٠ هـ (١٨٧٣ م) فرضت روسيا حمايتها على خانية بخارى وفي السنة التالية ١٢٩١ هـ (١٨٧٤ م) على خانية خوارزم.. وفي عام ١٢٩٢ هـ (١٨٧٥ م) توجهت القوات الروسية لإخضاع خانية خوقند فواجهت مقاومة ضارية استمرت عاما كاملا.. وانتقمت القوات الروسية من أهالي خوقند انتقاما مريعا فدمرت المدينة بكاملها وأبادت جميع سكانها.. مما يذكرنا بأعمال جنكيز خان عندما كانت تستعصي عليه احدى المدن أو يواجه مقاومة فيها فيقوم بتدميرها تدميرا كاملا ويبيد من عليها ابادة تامة(١).

وقامت روسيا بغزو تركمنستان فيما يعرف بالحرب التركمانية التي دامت من عام ١٢٩٠ هـ (١٨٧٣ م) الى عام ١٣٠٢ هـ (١٨٨٤ م) ورغم المقاومة الباسلة التي ابدتها القبائل التركمانية الا أن الأسلحة الروسية المتقدمة والتنظيم الحربي الحديث والجيوش الضخمة اثبتت تفوقها على الشجاعة التي لا تمتلك من الاسلحة الا القليل.

واستطاعت روسيا في هذه الحرب ان تحتل المدن الهامة مثل مرو وسرخس وبيهق ونسا التي أخرجت الآف العلماء والمشاهير في التاريخ الاسلامي.. وقد ظهرت مدينة عشق اباد ومدينة قزيل عروت بعد الاحتلال الروسي على أثر تخريب مدينة نسا. وأصبحت عشق آباد

---

(١) أنظر كتاب المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي.

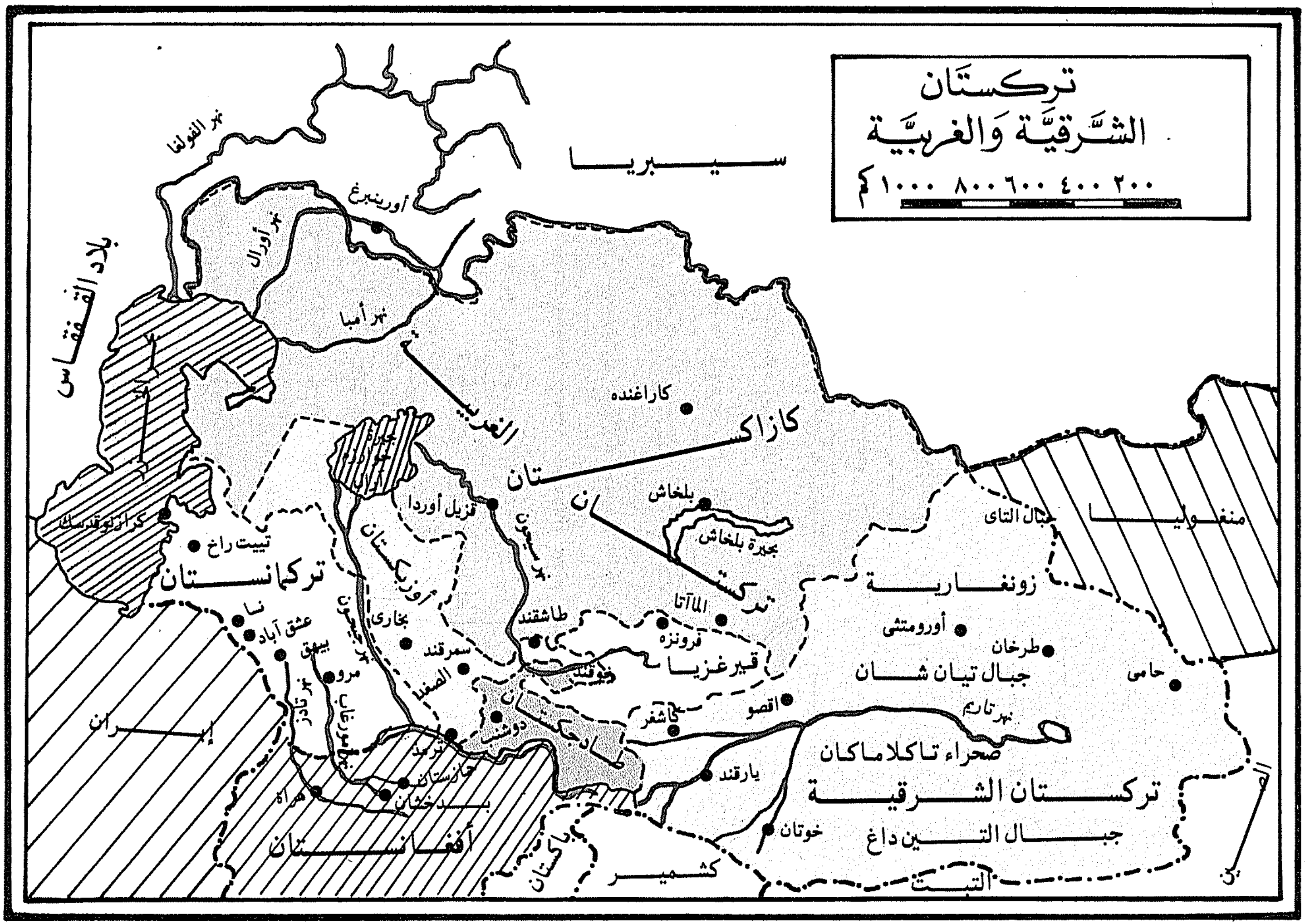
تركستان
الشرقية والغربية
٢٠٠ ٤٠٠ ٦٠٠ ٨٠٠ ١٠٠٠ كم
سيبريا
نهر الفولغا
أورينبرغ
نهر أورال
نهر أمبا
بلاد القفقاس
كاراغنده
كازاكستان
الغربية
قزيل أوردا
بلخاش
بحيرة بلخاش
تركستان
الماآتا
فرونزه
قيرغزيا
طاشقند
نهر سيحون
أوزبكستان
بخارى
سمرقند
الصغد
تبيت راخ
تركمانستان
نسا
عشق آباد
بيهق
مرو
نهر تادز
نهر جيحون
ترمذ
دوشنبه
طاجكستان
كاشغر
اقصو
يارقند
خوتان
إيران
هراة
بدخشان
أفغانستان
باكستان
كشمير
التبت
جبال التاى
منغوليا
زونغاريا
أورومتشي
طرخان
حامى
جبال تيان شان
نهر تاريم
صحراء تاكلاماكان
تركستان الشرقية
جبال التين داغ
الصين

(أشخباذ) احدى المدن الهامة في المستعمرة الروسية الجديدة.

واكتمل فتح التركستان بوصول القوات الروسية الى هضبة بامير التي تعرف بسقف العالم لارتفاعها الشاهق سنة ١٩٠٠ م..

السياسة الاستعمارية الروسية

لقد قامت روسيا بحكم التركستان بواسطة ادارة عسكرية روسية ذات أهداف استعمارية بحتة كما وصفها بنجيسين ولومرسييه[١].. وقامت السلطات الروسية بفرض سياسة العزلة التامة على التركستان حتى تبعدها عن تأثير الحركات الاستقلالية وخاصة تتار الفولجا.. وقد كتب الجنرال كاوفمان أول حاكم عام روسي للتركستان يصف هذه السياسة: (على آسيا الوسطى ان تظل في حالة من الركود والتأخر كما في القرون الوسطى.. الأمر الذي لا بد أن يمنع في هذا الإقليم أي امكانية للمقاومة الوطنية ضد الفاتحين)..

وخضعت التركستان لسياسة نهب ثرواتها فقد صودرت جميع الاراضي الزراعية الخصبة وأعطيت للروس الذين حولوها الى مزارع للقطن لامداد صناعة النسيج في المدن الروسية... وكما يقول بنجيسن ولومرسييه[٢]..(**ظل التركستانيون سليلو التاريخ المجيد، خاضعين لسياسة تمييز عنصري وديني شبيه بسياسة التمييز العنصري الحالية في اتحاد جنوب افريقيا**).

كازاخستان

لقد بدأت الهيمنة الروسية على سهوب كازاخستان في وقت مبكر وذلك باسم الحماية الروسية والمساعدة التي بدأت القوات الروسية تقدمها لقبائل الكازاخ التي كانت في صراع مرير ضد قبائل الدجونغار

---

(١) و(٢) كتاب المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي.

البوذية الصينية التي كانت تستهدف القضاء على القازاخ المسلمين..

ولذا فإن الحماية الروسية لم تواجه في أول أمرها (في القرن السابع عشر الميلادي) أي مقاومة بل اعتبرت عاملا مساعدا لصد الهجمات الصينية.

ولكن ما أن تمكن الروس من بسط نفوذهم حتى قاموا باسقاط الخانيات الاربع التي كانت تحكم اراضي كازاخستان الواسعة وذلك في حروب متصلة امتدت من سنة ١٢٣٨ هـ (١٨٢٢ م) الى سنة ١٢٥٨ هـ (١٨٤٢ م)...

واعتمدت روسيا سياسة بريطانيا في محمياتها فلم تتدخل أول الأمر في حياة البدو ولم تفرض على السكان الخدمة العسكرية في الجيش الامبراطوري.. وتركت لهؤلاء الرعاة أراضيهم الخاصة ومواشيهم..

وقامت روسيا مثلما كانت تفعل بريطانيا بأخذ أبناء رؤساء العشائر الى موسكو ذاتها لتعليمهم نمط الحياة الروسية وليكونوا أدواتها في تنفيذ أغراضها الاستعمارية..

وحتى عام ١٣٠٨ هـ (١٨٩٠ م) ظلت السلطات الروسية تنمي في القازاخ الروح القومية النافرة من الاندماج في التركستان أو التتار المسلمين. وأنشأت لهم المدارس الخاصة بهذه الغاية وبذلت الجهود لإيجاد لغة القازاق الأدبية، والمكتوبة بالحرف الروسي بدلا من الحرف العربي.

وكانت هذه السياسة الخبيثة ناجحة الى حد كبير. لكنها اصطدمت بالفشل عندما امتلأت سهوب قازاخستان بالمستوطنين الروس الذين غمروا السهوب خلال سنتي ١٣٠٩ هـ (١٨٩١ م) و ١٣١٠ هـ (١٨٩٢ م).. وقام هؤلاء المستعمرون الروس بطرد السكان من أخصب اراضيهم واستولوا على مراعيهم ومواشيهم.

واستمرت هذه السياسة الاستعمارية الجديدة حتى عشية نشوب الحرب العالمية الاولى سنة ١٣٣٣ هـ (١٩١٤ م) حيث بلغ عدد المستوطنين الروس والاوكرانيين أكثر من مليون وفي احصاء ١٣٩٩ هـ (١٩٧٩ م) بلغ عدد المستوطنين الروس ٥,٩٩١,٠٠٠ وعدد الاوكرانيين ٨٩٨,٠٠٠ وعدد الروس البيض ١٨١,٠٠٠.. ونتيجة لسياسة الاستيلاء على الأراضي والمراعي الخصبة وطرد السكان الكازاخ.. الى المناطق الجافة.. ثار القازاق واتجهوا بقوة الى الاسلام للحفاظ على هويتهم وذاتيتهم.. وارتبط لديهم مفهوم القومية (الملة) بمفهوم الدين (الاسلام) ارتباطا وثيقا مثلما حصل مع التتار المسلمين من قبل.. وأصبح الحفاظ على الاسلام هو الحفاظ على كيان الأمة وذاتيتها..

وانتشرت الثورات القازاخية ضد المستعمرين الروس واستشهد عشرات الالاف في ميادين القتال.. كما مات منهم الملايين نتيجة المجاعات المريعة التي انتشرت بسبب الاستيلاء على أراضيهم الخصبة. ففي عامي (١٣٤٠ - ١٣٤١ هـ) (١٩٢١ - ١٩٢٢ م) مات مليون قازاخي نتيجة طردهم من مزارعهم ومراعيهم بسبب المجاعة التي حدثت فيهم وفي عام ١٣٤٥ هـ (١٩٢٦ م) مات مليون آخر نتيجة مجاعة أخرى بسبب هذه السياسة الاستعمارية الرهيبة.. **(وقامت السلطات الروسية فيما بين عامي (١٣٤٥ - ١٣٥٨ هـ) (١٩٢٦ - ١٩٣٩ م) بسياسة (تحضير) اجبارية تميزت بالقسوة الرهيبة وكلفت حياة مليون قازاخي) كما يقول الكاتبان الفرنسيان بنجيسن ولومرسييه في كتابهما (المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي)..**

وفي فقرة أخرى يقول المصدر السابق **(لقد سببت سياسة التحضير في الثلاثينات من هذا القرن هلاك وموت ثلث شعب القازاخ).**

ويا لها من سياسة تحضير رهيبة أدت الى موت ثلث الشعب بأكمله!!..

الاحزاب السياسية في كازاخستان

لقد ظلت كازاخستان تواجه حرب إبادة واذابة حقيقية تشابه تلك التي واجهها تتار الفولجا والقرم والبشكير.. والتي أدت رغم الابادة والاذابة الى تجذير الاسلام في مفهوم هذه الشعوب وارتباطها به ارتباطاً كاملاً لأن كيانها وبقاءها كأمة مرتبط بإسلامها.. وكلما ازداد الهجوم الروسي شراسة ضد الإسلام لازالته وابادته كلما ازدادت هذه الاقوام تمسكاً به باعتباره ملاذها الوحيد للحفاظ على كيانها.

وعندما أعلنت الحريات الدينية والسياسية عام ١٣٢٣ هـ (١٩٠٥ م) تأخر تكون الاحزاب السياسية في كازاخستان بعكس ما حصل عند تتار الفولجا والقرم والبشكير والقوقاس بل والتركستان ذاتها.

ففي كازاخستان كانت الانتلجينسيا (النخبة المثقفة) مستغربة متروّسة الى حد كبير وكانت الى ما قبل ثورة اكتوبر ١٣٣٦ هـ (١٩١٧ م) علمانية ومتطلعة الى الغرب[١].. بينما كانت الجماهير باجمعها اسلامية الاتجاه وتكن العداء الشديد للروس الذين يحتلون أرضهم وما لبث موقف هذه النخبة المثقفة نتيجة استمرار توافد المستوطنين الروس والاوكرانيين الى بلادهم بكثافة واحتلالهم لمدنهم واراضيهم أن تحولوا هم بدورهم الى المعسكر المعادي للروس وإن كان تحولهم بصورة بطيئة، ومتجها الى الخط الليبرالي المنادي بالحريات العامة في إطار روسيا الكبرى..

---

(١) كتاب المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي.

وفي عام ١٣٣١ هـ (١٩١٢ م) تكون حزب (الاش أوردا) الليبرالي والذي كان يدعو الى التعاون مع الاشتراكيين المعتدلين الروس وطالب بإيقاف الاستيطان الروسي في كازاخستان.. ووقف هذا الحزب عند قيام الثورة مع قوات روسيا البيضاء المحاربة للينين وثورته البلشفية.. ولكن موقف كولشاك ودينكين المعادي لاي استقلال ذاتي للمسلمين أدى الى أن يتخلى هذا الحزب عن سياسته المؤيدة للروس البيض ويضطر الى الانحياز الكامل الى قوات لينين الحمراء. تماماً مثل ما فعل البشكير من قبل عندما قاموا بزعامة زكي فيلدي (والدي) طوقان بالقتال في صف قوات روسيا البيضاء ثم اضطروا بعد ذلك للانسحاب بكامل قواتهم والانضمام الى الجيوش الحمراء التي كانت تعلن صباح مساء على لسان لينين وستالين انها ستعطي المسلمين في روسيا حريتهم الدينية والسياسية الكاملة وتؤكد حق المسلمين في روسيا في إقامة حكومتهم الاسلامية الحرة الابية!!

هكذا كان موقف (الانتليجنسيا) (أو النخبة المثقفة) روسيا وليبراليا منذ البداية ولكنه انتهى نتيجة السياسة المتعنتة لقادة روسيا البيضاء الى صف الثورة البلشفية.. أما موقف الجماهير الشعبية القازاخية فقد كان يعبر عنها بصورة أقرب الى الواقع حزب (اوش جوز) الذي تكون عام ١٩١٣ في منطقة سرداريا (سيحون) في جنوب شرق كازاخستان.. وكان قادة هذا الحزب من رجال الملا (علماء الدين) والمثقفين من صغار البورجوازيين وعامة الشعب.. وكان العمود الفقري لبرنامج هذا الحزب هو إقامة دولة اسلامية متحدة مع التركستان وبقية المناطق الاسلامية في روسيا.. وترتكز في مفهومها لتطبيق الحكم على القرآن والشريعة الاسلامية ولم تكن تخفي عداءها للروس سواء كانوا حمراً أم بيضاً.. اشتراكيين بلشفيين أم ليبراليين ديمقراطيين وسواء كانوا ميالين الى القياصرة أم ميالين الى دكتاتورية البروليتاريا..

فجميعهم أعداء للمسلمين مهما كانت ألوانهم ومذاهبهم.. وكلهم يلتقون في خط واحد بالنسبة للاسلام والمسلمين.. وهو خط المواجهة والعداء السافر وابادة المسلمين واذابتهم وتحويلهم عن دينهم..

ولقد أثبتت الايام صدق ما ذهب اليه هذا الحزب ليس في روسيا فحسب بل في جميع اصقاع الارض وحيث يوجد مسلمون اينما كانوا وحلوا.. وفي عام ١٩١٦ قام هذا الحزب بثورته المشهورة التي عمت جميع ارجاء كازاخستان.. والتي اطلق شرارتها أوامر القيصر نيقولا الثاني بتجنيد جميع المسلمين من سن ١٩ الى ٤٣ وجعلهم يقومون بأخس الاعمال وأقذرها.. كما أثارها تلك الاعمال الاستفزازية الاستبدادية التي ما فتىء المستوطنون الروس يقومون بها ضد القازاخ..

وقام القيصر نيقولا الثاني بإصدار أوامره لابادة قبائل كاملة من القازاخ عن بكرة ابيها وكما يقول بنجيسن ولومر سييه[1] (..**لقد قامت السلطات الروسية بإخماد الثورة بوحشية نادرة وأبادت قبائل عن بكرة أبيها فيما هربت قبائل أخرى الى الصين. وغرقت البلاد في بحر من الدماء والفوضى**).

وقد أدت هذه الاحداث الى قيام أشهر ثورات التركستان في العصر الحديث وهي ثورة الباسمشتيه التي امتدت من سنة ١٣٣٧ هـ (١٩١٨ م) الى سنة ١٣٤٧ هـ (١٩٢٨ م) وفي بعض المناطق الى عام ١٣٥٥ هـ (١٩٣٦ م).

(**ولقد شكلت هذه الثورة أصعب عملية قمع عرفها تاريخ الاتحاد السوفيتي**) واضطر حزب (الآش اوردا) المعتدل والمتعاطف نسبياً مع الروس الى تغيير أرضيته السياسية نتيجة الاحداث المتتالية وخاصة من بعد قيام ثورة ١٣٣٥ هـ (١٩١٦ م)... ومنذ ذلك الوقت طرح بعنف مطلب طرد الروس ثم مطلب اقامة جمهورية قازاخية ذاتية.. وعند

قيام ثورة أكتوبر ١٣٣٦ هـ (١٩١٧ م) وتفكك الامبراطورية الروسية وانشغال قوات لينين بمحاربة قوات كولشاك ودينكين واركانجل استغل القازاخ هذه الفرصة وأقاموا دولتهم المستقلة المعروفة بحكومة (الاشي)..

وكانت هذه الحكومة في أول أمرها ميالة الى حكومة روسيا البيضاء الليبرالية وبالفعل التحق قادة القازاخ بصفوف المعادين لثورة لينين البلشفية.. وكونوا فرقة قازاخ اورنبرغ في ديسمبر ١٣٣٦ هـ (١٩١٧ م). وفي ١٠ ديسمبر ١٣٣٦ هـ (١٩١٧ م) أعلنوا الحكم الذاتي السياسي. ونظراً الى شساعة سهوب قازاخستان ألفّوا حكومتين واحدة لكازاخستان الشرقية وأخرى لكازاخستان الغربية...ولكن ما أن تولى كولشاك قيادة روسيا البيضاء حتى أظهر سياسته المتعنتة تجاه المسلمين وأعلن حل حكومة القازاخ التي يقاتل جنودها في صفه. تماماً مثل ما فعل مع البشكير مما دفع بقادة القازاخ والبشكير الى الانسحاب من صفوفه وتوجيه قواتها الى صف لينين الذي كان يعلن بإصرار استعداده لاعطاء المناطق الاسلامية في روسيا استقلالها الذاتي.

وهكذا انضمت قوات (الاش أوردا) الى قوات لينين في مايو سنة ١٣٣٨ هـ (١٩١٩ م) وتشكلت لجنة ثورية كازاخية نصفها من قادة حزب (الاش اوردا) والنصف الثاني من الروس البلاشفة..

وقامت هذه اللجنة الثورية التي حكمت بلاد القازاخ بالقضاء على قوات كولشاك ودينكين في سهوب قازاخستان.. وكونت بعد ذلك حكومة جمهورية كازاخستان الاشتراكية الاتحادية السوفيتية...

وقد برز من قادة (الاش اوزدا) مجموعة من السياسيين الذين تعاونوا مع لينين الى أقصى حد بل وتبنوا مخططاته نذكر منهم علي بوكيخانوف ودوست محمد وأحمد بيطرسون ومير يعقوب دولاتوف..

وعندما استتب الامر للينين قام بالبطش بهؤلاء الذين وطدوا له دعائم حكمه الأحمر في قازاخستان عندما تجرأوا وطالبوا ببعض الحقوق لمواطنيهم..

قيرغيزيا

لقد بدأ الاحتلال الروسي لقيرغيزيا سنة ١٢٨٤ هـ (١٨٦٦ م).. واتبع الروس تجاه القرغيز سياسة استعمارية استيطانية مثلما تفعل اسرائيل في فلسطين منذ البداية وتوافد المستوطنون المستعمرون على قيرغيزيا منذ احتلالها وصادرت السلطات أخصب الاراضي الواقعة حول نهر سيحون (سرداريا) من السكان المسلمين وأراضي الاوقاف الاسلامية وأعطتها لطبقة النبلاء الروس والاوكرانيين وما أن حل عام ١٣٣٤ هـ (١٩١٥ م) حتى كان الروس قد أقاموا ثمانين مستعمرة في أخصب أراضي قيرغيزيا وطردوا منها أهلها ليواجهوا المجاعة في الصحاري والقفار مما أدى الى قيام الثورات المتتابعة والتي كانت تقمع بكل وحشية وهمجية.. وفي ثورة عام ١٣٣٥ هـ (١٩١٦ م) أبادت السلطات الروسية ١٥٠,٠٠٠ قرغيزي وتبع ذلك مجاعة مات فيها مئات الآلاف..

ولقد استطاعت سياسة الروس الاستعمارية الاستيطانية أن تبيد سكان شمال قيرغيزيا عن بكرة أبيهم.. ومن أفلت منهم فر الى الصين حيث لاقى الكثير منهم حتفهم اثناء فرارهم ومن وصل منهم الى الصين كان مصيره معسكرات الاعتقال الصينية.. وأعمال السخرة التي مات فيها الكثير ممن بقي منهم..

حتى المواشي والاغنام لم تسلم من الابادة الروسية فقد جاء في احصاء ١٣٤٨ هـ(١٩٢٩ م) أن عددها في قيرغيزيا كان ستة ملايين رأس انخفضت بعد ثمان سنوات من الحكم الشيوعي الدموي الى مليوني رأس فقط وذلك في احصاء عام ١٣٥٦ هـ (١٩٣٧ م).

ولم يسلم من الإبادة حتى اولئك القرغيز الذين تظاهروا بالشيوعية وساروا في ركابها فقد قامت السلطات الروسية بطرد رئيس وزراء قيرغيزيا يوسوب عبد الرحمانوف.. (يوسف بن عبد الرحمن) والزج به في المعتقل كما اعدمت الرفيق رزفيلوف القرغيزي وعبد الكريم صديقوف.. وكان ذنبهم الوحيد انهم طالبوا باشباع مواطنيهم من منتجات قيرغيزيا الزراعية قبل تصديرها الى روسيا..

التركستان

لقد ظلت التركستان ترزح تحت السياسة الاستعمارية الصرفة التي رسمها الجنرال كاوفمان أول حاكم عام روسي للتركستان في القرن التاسع عشر.. والمتلخصة في ابقاء آسيا الوسطى في حالة من الركود والتخلف مع سياسة الاستيطان والاستيلاء على الأراضي الخصبة في جميع انحاء التركستان وتحويلها بكثافة الى زراعة القطن الذي تحتاجه مصانع النسيج الروسية وتحويل السكان المسلمين الى عبيد للاقطاعيين الروس الذين وزعت عليهم أراضي المسلمين..

وكما يقول كتاب (الاتحاد السوفيتي والعالم الاسلامي[1]).. **(أن الحكومات الروسية المتعاقبة صادرت من اموال المسلمين واوقافهم ٤١,٦٧٥,٠٠٠ دياستين (الدياستين = ٢,٧ فدان) أي اكثر من مئة مليون فدان من أخصب أراضي المسلمين).**

ونتيجة لهذه السياسة الاستعمارية البشعة قامت الثورات المتعاقبة في التركستان وفي جميع الأراضي التي خضعت للحكم الاستبدادي الدموي القيصري.

---

(١) تأليف ايفار سبكتور (انظر ثبت المراجع في آخر الكتاب).

الأحزاب السياسية في التركستان

لقد كانت الحركات السياسية والثورية في التركستان تحت قيادة رجال الملا (علماء الدين) والصوفية الذين تجذروا في صفوف الفلاحين والعمال والتجار وأصبحت لهم سيطرة قوية عليهم... وكانت مواقف هؤلاء الملا والصوفية شديدة العداء تجاه الكافر الروسي.. وتشبه الى حد كبير مواقف رجال الملا والصوفية في القوقاس الذين اشتهرت ثوراتهم المتكررة..

وقد قام الشيخ خليفة محمد بثورته العارمة في التركستان سنة ١٣٠٥ هـ (١٨٨٥ م) ولكنها أخمدت بكل قسوة معروفة عن أمة الروس التي وصفها لنا المؤرخون المسلمون مثل ابن فضلان وابن رسته وابن بطوطه والمسعودي بانهم (أمة همجية وأهل غدر).

وقد سبقت ثورة الشيخ الامام خليفة محمد ستة عشرة ثورة في التركستان فقط.. وكان قادة هذه الثورات المتلاحقة هم من علماء الدين والصوفية الذين قاموا بالثورات العارمة ضد الكافر الروسي على امتداد الأرض التي احتلها الروس من القوقاس غربا الى حدود الصين شرقا. وبقيت التركستان بعيدة عن التيارات العلمانية والقومية الحديثة الى بداية القرن العشرين.

وفي عام ١٣٢٣ هـ (١٩٠٥ م) امتد نشاط المثقفين التتار الى التركستان وخاصة بعد هزيمة روسيا في حربها مع اليابان.. وظهر تأثير نفوذ تركيا الفتاة لدى بعض المثقفين التركستانيين الذين درسوا في تركيا منذ عام ١٣٢٦ هـ (١٩٠٨ م).

وكون هؤلاء (حزب البخاريين الشباب) في بخارى عام ١٣٢٧ هـ (١٩٠٩ م) كجمعية سرية من المثقفين الشباب وبعض علماء الدين الذين

تلقوا تعليمهم في اسطمبول وتأثروا بالأفكار السائدة في تركيا آنذاك والمنادين بالاصلاح السياسي واقامة دولة برلمانية وتحديد سلطات أمير بخارى ومع هذا فقد كانت سياستهم تجاه روسيا عدائية ويطالبون بالاستقلال التام لوطنهم.

ورغم هذه الاتجاهات الليبرالية المحدودة الا ان قيادة المقاومة كانت مقصورة على مشايخ الطرق الصوفية وأئمة المساجد وعلماء الدين واتباعهم من المثقفين وفي عام ١١٣٦ هـ (١٩١٨ م) تكون حزب (الشورى الاسلامية) في طشقند وتولى قيادته رجال الملا (علماء الدين) المنادين بتطبيق الشريعة الاسلامية تطبيقا كاملا وباستقلال تركستان والأراضي الاسلامية في الامبراطورية الروسية عن روسيا.

وعندما قامت ثورة اكتوبر ١٣٣٦ هـ (١٩١٧ م) أعلن التركستانيون قيام دولتهم المستقلة في خوقند (فرغانه) في نوفمبر ١٩١٧ م.. وكذلك خانية بخارى (التي كانت محكومة من قبل أمير بخارى المنغيتي الذي يرجع بنسبه الى جنكيزخان) وأمارة خيوه اللتان كانتا تخضعان لحماية روسيا القيصرية..

اما طشقند التي كانت محكومة بحامية روسية قوية مع أعداد غفيرة من المستوطنين الروس الذين استعمروها بكثافة فقد سقطت في يد هذه الحامية.. ورغم ان هؤلاء الروس هم من كبار ملاك الأراضي ومن الطبقة الارستقراطية والطبقة البورجوازية إلا أنهم أعلنوا ولاءهم للينين نتيجة بعد قوات روسيا البيضاء عنهم. **وكما يقول بنجيس ولومرسييه**[1]...

(وفي اكتوبر ١٣٣٦ هـ (١٩١٧ م) حصل البولشفيك الذين استولوا

---

(١) كتاب المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي

على السلطة في طشقند على عون لم يكونوا يتوقعونه من قبل السكان الروس المستوطنين في طشقند لأنهم من حيث تركيبتهم الاجتماعية كموظفين وتجار وملاك أراضي في دولة القياصرة كان المفروض أن يكونوا معادين للثورة الشيوعية.. والسبب الرئيسي في اندفاع هؤلاء البورجوازيين والاقطاعيين الروس في تأييد الثورة الشيوعية هو أنهم كانوا يعتبرون (المسلم) عدوهم الرئيسي.. وان الروسي الأحمر خير من (المسلم) مهما كان مذهبه.. وليس من العجب إذاً ان يتصرف النظام الجديد بصورة استعمارية محضة.. وأن يكون المسلمون جميعا قد ابعدوا عن ادارة شئون طشقند).

وهكذا انشطرت التركستان فكانت منطقة طشقند لا تزال تحت حكم الروس وان تغير علمهم من الأبيض الى الأحمر بينما كانت خوقند وما حولها نواة دولة التركستان المستقلة..

وواجهت دولة التركستان في خوقند والتي لم تكن تملك الا اليسير من الأسلحة والقوات المنظمة حربا شرسة من القوات الروسية القيصرية التي تحولت بكاملها في تلك المنطقة الى صف لينين.. وفي ٥ فبراير ١٣٣٧ هـ (١٩١٨ م) هدمت مدينة خوقند تهديما كاملاً وأُبيد سكانها وذلك للمرة الثانية (واجهت فرغانة حرب الإبادة الكاملة والتدمير التام في عهد القياصرة سنة ١٢٩٣ هـ (١٨٧٦ م).

وفي مارس ١٣٣٧ هـ (١٩١٨ م) شن الروس البلاشفة هجومهم الثاني على أمير بخارى لكن ذلك الهجوم فشل مما أدى الى ارتفاع الروح المعنوية لدى أهل التركستان وتكونت في نفس العام حركة الباسمشتية التي استمرت تقاوم الروس الحمر من سنة ١٣٣٧ هـ (١٩١٨ م) الى سنة ١٣٤٧ هـ (١٩٢٨ م) وفي بعض المناطق الى عام ١٣٥٥ هـ (١٩٣٦ م).

وكان أهم أهداف هذه الحركة هو إقامة حكومة اسلامية للتركستان وطرد المستعمر الروسي مهما كان اتجاهه قيصريا أم سوفيتيا، ورأسماليا أو شيوعيا.

ومما زاد في هياج أهل التركستان أخبار المذابح في خوقند وتهديم المدينة بكاملها واغتصاب الفتيات المسلمات من قبل الجنود والمستوطنين الروس.. ونزعهم حجاب النساء المسلمات في شوارع طشقند والاعتداء عليهن واغتصابهن مما لم يترك لأي مسلم عرق إلا ونبض بالثورة ضد هؤلاء الهمج المتوحشين الذين وصفهم لنا ابن فضلان وابن بطوطه والمسعودي وابن رسته بأنهم زرق العيون شقر الشعور قباح الوجوه أهل غدر وأقذر الأمم قاطبة..

(ولم تكن هذه الحركة) كما يقول بنجيسن ولومرسييه[1] (سوى حركة شعبية مناهضة للروس شملت العناصر الأكثر فقرا في الريف المسلم).

وكان المركز الرئيسي لهذه الثورة في وادي فرغانة ثم انتقلت بعد ذلك الى بخارى والى التركمان.

وقد اشترك في هذه الثورة كل فئات الشعب من الفلاحين والفقراء وقبائل التركمان وعلماء الدين والمرشدين الصوفيين والتجار وسكان المدن. وانضم الى هذه الثورة العارمة أحمد زكي والدي طوقان الذي ترأس أول دولة مستقلة في البشكير وجرب الروس البيض فوجدهم اعداء للمسلمين ثم انخدع بوعود لينين فانضم اليه فلما تبين له غدره انضم الى الثورة في التركستان.. كما انضم لها انور باشا ناظر الحربية السابق في تركيا..

---

(١) كتاب المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي.

ويصف هذه الثورة كتاب (المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي) بقوله:

(ان هذه الحركة هي ثورة عفوية غريزية ضد الكافر الظالم.. وهي ذات طابع ديني واجتماعي.. وهي حركة مجابهة بين الفلاحين والبدو المسلمين الفقراء وبين الفاتح الغريب القوي.. وهذا الفاتح هو العدو القديم الذي عاد الى الظهور بمظهر جديد.. وغايته ليس فقط سلب المسلمين أراضيهم ومراعيهم (كما فعل القياصرة) بل ايضا تدنيس عالمهم الروحي والحق يقال ان الصراع الذي خاضه الجيش الأحمر ضد البشمستية شكل أصعب عملية قمع عرفها تاريخ الاتحاد السوفيتي!!).

أنور باشا وزير الحربية التركي السابق ودوره في ثورة التركستان

لقد استطاعت جحافل لينين ان تجتاح معظم مدن التركستان واستعصت عليه بخارى وخيوه. وما لبث انور باشا ناظر حربية تركيا الذي فر من وجه الحلفاء الى لينين مصدقا وعوده الخلابة بأن يقف مع المسلمين - ما لبث انور باشا ان عرف حقيقة لينين وانه وضع في الكرملين كرهينة واستطاع انور ان يقنع لينين بأنه ذاهب الى تركيا في الأناضول ليدافع عن وطنه فسمح له بالذهاب.. ولما وصل أنور باشا باطوم (وهي على البحر الأسود وكانت تابعة للخلافة العثمانية ولكن استولت عليها روسيا القيصرية في اواخر القرن التاسع عشر).. وجد أن القوات التركية قد صدت القوات اليونانية المهاجمة وانتصرت عليها فتوجه سرا من باطوم حتى وصل بخارى وهناك نظم الثورة ضد روسيا البلشفية التي اذاقت المسلمين من الأهوال ما لم يفعله جنكيزخان وهولاكو، وما لم يفعله ايفان الرهيب وبطرس الملقب بالعظيم من قياصرة روسيا الذين اشتهروا بشدة بطشهم بالمسلمين.. واستطاع انور

باشا ان يوجد مصنعا محليا لصنع الرصاص.. وبقواته القليلة التي لم تزد على خمسة آلاف جندي من اهالي التركستان استطاع ان يقلق جيوش الامبراطورية الجديدة التي أسسها لينين واستطاع ان يحرر نصف اراضي التركستان وان يهزم الروس في معارك عديدة.

استشهاد أنور باشا وفي يوم عيد الأضحى وبعد ان تفرق معظم جنود أنور باشا للاحتفال بالعيد عام ١٣٤١ هـ (١٩٢٢م) (اغسطس) باغتتهم قوة ضخمة بلغ تعدادها ثمانين الف جندي.. فثبت لها انور باشا والتف جنوده البواسل حوله واستطاع ان يهزم مقدمة الجيش الأحمر.. فقد كان أنـور باشا من امهر القواد وأشجعهم.. وبينما هو على صهوة جواده ينظم قواته أصابه وابل من رصاص العدو فوقع عن صهوة جواده شهيداً.. واضطربت قواته بعد وفاته واستطاعت جحافل لينين ان تقضي على ذلك الجيش الصغير قضاء مبرماً..

ثم انتقمت قوات لينين من اهالي التركستان فاعملت فيهم قتلا وسحلاً وتشريداً وكانت سياسة لينين وستالين من بعده هي تغيير المناطق الاسلامية تغييرا كاملاً وذلك باحراق المصاحف وهدم المساجد وتحويلها الى اسطبلات او حانات أو نـواد.. ومنع اي دراسة للدين الاسلامي وتغيير لغات وعادات أهل هذه المناطق..

حرب ابادة واذابة للمسلمين وواجه المسلمون في التركستان وفي غيرها من المناطق التي تحتلها روسيا البلشفية حرب ابادة واذابة.. فكان الروس يقتلون ويسحلون مئات الألوف ليعتبر بهم غيرهم كما كانوا يقومون بنقل اعداد كبيرة من السكان المسلمين من مناطقهم الغنية الى مجاهل سيبيريا واحلال الروس والسلاف والاوكرانيين محلهم..

وفي عام ١٣٥٣ هـ (١٩٣٤م) ثارت التركستان مرة أخرى واعدم ستالين مائة الف تركستاني كما اعدم جميع اعضاء الحكومة المحلية

التركستانية وجميع المثقفين المعارضين للشيوعية وفيما بين عام (١٣٥٦ - ١٣٥٣ هـ) (١٩٣٧ - ١٩٣٩ م) استطاعت قوات ستالين ان تلقي القبض على نصف مليون تركستاني من بينهم عدد من ذوي الوظائف المحلية فأعدمت فريقا منهم وأرسلت الباقين الى مجاهل سيبيريا.

وفي ثورة عام ١٣٧٠ هـ (١٩٥٠ م) قتلت القوات الروسية سبعة الاف من سكان التركستان واعتقل عشرات الالاف واستطاع عشرون الف تركستاني ان يفروا في ذلك العام من وجه الطغيان الشيوعي الروسي الى ايران وأفغانستان والى الهند والملايو.

وفي عام ١٣٧١ هـ (١٩٥١ م) ألقي القبض على ١٣٥٦٥ تركستاني واودعوا غياهب السجون وكما ذكرنا في السابق عن التركستان الشرقية (سنكيانغ) التي وقعت في قبضة روسيا عام ١٣٥٣ هـ (١٩٣٤ م) واستمرت تحت حكمها حتى عام ١٣٦٣ هـ (١٩٤٤).. قامت القوات الروسية الغازية باعدام الحاج خوجة نياز رئيس الجمهورية ومولانا ثابت رئيس مجلس الوزراء وشريف حاج قائد مقاطعة التاي وعثمان اوراز قائد مقاطعة كشغر ويونس بك وزير الدولة وطاهر بك رئيس مجلس النواب.. وعدد كبير من الوزراء والشخصيات البارزة والعلماء والمثقفين..

وكان مجموع من فر من سكان التركستان الشرقية والغربية من وجه الزحف الأحمر منذ دخوله الى الان ثلاثة ملايين تركستاني مفرقين بين مختلف ارجاء البلاد الاسلامية وخاصة ايران وأفغانستان والملايو وتركيا..

ويوجد عدد غير قليل من أهل التركستان في المملكة العربية السعودية التي فتحت صدرها لهم منذ ايام المغفور له الملك عبد العزيز..

وكم من أسماء تركستانية اصيلة بين أظهرنا حتى نسي أولادهم ان لهم وطنا منكوبا بالشيوعية..

ولم تكتف روسيا بذلك بل انها نقلت نصف مليون من سكان التركستان من وطنهم وأسكنتهم في سيبيريا واوكرانيا تنفيذا لقانون مزج الشعوب.. واذابة المسلمين..

المجاعة المروعة ونتيجة لتأميم المزارع وقتل اصحابها والاستيلاء على المحصول وارساله الى روسيا التي كانت نفسها تعاني من المجاعات فقد أصيب التركستان بنكبة عظيمة ومجاعة مريعة حتى أكلت القطط والكلاب.. بل حتى أكلت الميتة من الحيوانات ومن أطفال بني الانسان.. ولقد مات في هذه المجاعة المريعة التي حدثت عام ١٣٥١ هـ (١٩٣٢ م) واستمرت حتى عام ١٣٥٣ هـ (١٩٣٤ م) أكثر من ثلاثة ملايين من التركستان..

٦٦٨٢ مسجداً و٧٠٥٢ مدرسة اسلامية تقفلها السلطات الشيوعية

ولقد بلغ عدد المساجد التي هدمت أو حولت الى نواد وملاهي في التركستان وحدها ٦٦٨٢ مسجداً منها مساجد اثرية ذات تاريخ عظيم منها جامع قتيبة بن مسلم الباهلي وجامع الامير فضل بن يحيى وجامع خوجة (أحرار) وجميعها في طشقند وجامع منارة مسجد كالان في بخارى ومسجد كتة وجامع في قوقان.. أما المدارس الاسلامية التي اقفلت في التركستان فقط فقد بلغ تعدادها ٧٠٥٢ مدرسة وديوان بيكي في بخارى ومدرسة بكلريك ومدرسة وبران خان مدرسة في طشقند وغيرها من المدارس التاريخية..

ذبح علماء المسلمين

وقامت روسيا بحملات متتالية على علماء الاسلام في تركستان وغيرها من المناطق الاسلامية الواقعة في براثن الاستعمار الروسي الشيوعي.. وممن قتلتهم من علماء تركستان: الشيخ برهان البخاري قاضي القضاة في بخارى.. والشيخ خان مروان خان مفتي بخارى.. والشيخ عبد المطلب داملا والشيخ عبد الأحد داد خان والشيخ الحاج ملا يعقوب والشيخ ملا عبد الكريم..

وقد ذكرنا سابقا فظائع الصين الشيوعية ايام ماوتسي تونج في التركستان الشرقية وكيف اعدموا مائة وثلاثين الفا من أهل التركستان الشرقية (سينكيانغ) وذلك عام ١٣٧٣ هـ (١٩٥٣ م) واعتقلوا في ذلك الحين ٢٦٨,٠٠٠ وكيف استخدموا وسائل التعذيب الرهيبة في تلك السجون حتى مات منهم خلق كثير.

آخر ثورات التركستان: واستمر الشيوعيون الروس في التركستان في طغيانهم واستبدادهم وكان نتيجة ذلك ان كثرت الثورات من الشعب التركستاني الابي رغم ما واجهه من قتل وتشريد وابادة واذابة واخر ما حدث من الثورات ثورة عارمة في كازاخستان (من جمهوريات التركستان) وذلك عام ١٩٧٨ فأخمدتها القوات الروسية من الفرقة الحادية والعشرين..

قدرة الله: وكان من سياسة روسيا ان تقسم تركستان الغربية الواقعة تحت سيطرتها الى خمس جمهوريات واسكنت في هذه الجمهوريات مجموعة كبيرة من الروس الصقالبة والسلافيين والاوكرانيين حتى تذيب أهل التركستان المسلمين...

ولكن الله جلت قدرته شاء لأهل التركستان والمناطق الاسلامية ان

يحافظوا على كيانهم رغم محاولات الابادة والاذابة.. وارتفع النسل بينهم ليعوض ما فقدوه في النكبات التي قاسوها على أيدي البلاشفة.. مما ازعج روسيا ازعاجا شديدا اذ يبلغ تناسل المسلمين ضعف ما هو عليه عند الروس ولولا ذلك لاندثر المسلمين اندثاراً..

ولولا كثرة النسل الذي أوصى به المصطفى صلوات الله عليه في قوله «**تناكحوا وتناسلوا فإني مكاثر بكم الأمم**» لكان سكان التركستان أقلية في وطنهم.. وهذا ما أزعج الروس اشد الإزعاج لأنهم يتوقعون ان يصبح عدد المسلمين في روسيا مائة مليون بانتهاء هذا القرن.. كما انهم يتوقعون ان يبلغ تعداد المسلمين في جيوش الاتحاد السوفيتي ما بين ثلاثين الى أربعين بالمائة من مجموع القوات المسلحة.. وذلك في التسعينات من هذا القرن الميلادي والسبب في ذلك ان خصوبة المسلمين في التناسل هي الآن ضعف خصوبة الروس ونتيجة لذلك فإن التقسيم الديموجرافي للسكان المسلمين يميل إلى كثرة الاطفال والشباب بينما نجد في روسيا العكس حيث نرى كثرة الشيوخ والعجائز.. وتلك نتيجة طبيعية لقلة النسل.. فكلما زاد التناسل زادت اعداد الشباب في الأمة.. وكلما قل التناسل زادت اعداد الشيوخ والكهول.. وذلك في حد ذاته من المخاطر التي تحذرها القيادة السوفيتية.. فهي لا تثق في الجنود المسلمين.. وقد رأت في حربها مع أفغانستان ما زاد شكوكها في المسلمين اذ فر اعداد منهم الى المجاهدين الافغان فاضطرت لاستبدال الفرق الاسلامية بفرق روسية..

الفصل الثاني عشر

جمهوريات التركستان الغربية

جُغرافيّة تركسْتان الغربيّة وَتقسيمهَا السِّياسي وَالإداري وَبُنيتهَا الدّيمُوجرَافيّة

تشمل تركستان الغربية جزءاً كبيراً من خراسان وهي الواقعة في جمهورية تركمنستان السوفيتية التي تحدها غربا ايران وجنوباً أفغانستان وشرقاً اوزبكستان السوفيتية وشمالا الجزء الشمالي الغربي من قازاقستان وبحر الخزر كما تشمل تركستان ما كان يعرف عند المسلمين باسم ما وراء النهر.. وهو الاقليم الواسع الواقع شرق نهر جيحون من منبعه في جبال بامير الى مصبه في بحر الارال (بحيرة خوارزم).. ويشمل جميع الأراضي الواقعة بين نهر سيحون في الشرق ونهر جيحون في الغرب. كما يشمل ايضا الأراضي الممتدة شرق نهر سيحون.. ويمتد تعريف التركستان الغربية ليشمل اراضي قازاقستان التي يقع جزء كبير منها شمال وشرق نهر سيحون بل وشمال بحيرة خوارزم (بحر الارال) التي يصب فيها كلا النهرين العظيمين سيحون وجيحون.

إذن نحن أمام بلاد واسعة لم تكن محددة من قبل بمثل هذا التحديد مع متغيرات سياسية أدت الى تقسيم خراسان الى ثلاث جمهوريات هي: جمهورية ايران الاسلامية، وجمهورية افغانستان الاشتراكية، وجمهورية تركمنستان السوفيتية.. وتقع اثنتان منها تحت براثن الدب الروسي ويتطلع الى افتراس الثالثة.

وتشكل أرض التركستان الغربية منطقة سهلية حوضية كبيرة بين قازاقستان وجبال الاورال في الشمال وجبال هندكوش وبامير في الجنوب وجبال تيان شيان والتاي في الشرق.. وكانت في القديم منطقة تغمرها المياه ثم ردمتها الرواسب والجروفات التي حملتها اليها الأنهار المنحدرة

من الجبال العالية المحيطة بها.. وقد حلت ظروف الجفاف بعد فترات المطر التي تميز بها الزمن الرابع مما أدى الى جفاف هذه البحيرة الضخمة الهائلة ولم يبق منها إلا مناطق محدودة هي:

(١) **بحر قزوين (بحر الخزر)** الذي ينخفض سطح الماء فيه الى ستة وعشرين مترا تحت سطح البحر...

(٢) **بحر الارال (بحيرة خوارزم)** التي يصب فيها كلا نهري سيحون (سرداريا) وجيحون (اموداريا) وهي تقع أيضاً تحت سطح البحر..

(٣) **مجموعة من البحيرات الصغيرة.**

في هذه المناطق الصحراوية وشبه الصحراوية عاشت قبائل فرضت عليها طبيعة الأرض الارتحال وأجبرها الكلأ على الانتقال.. وهي تلك القبائل المعروفة بالقبائل التركية مثل قبائل القرلوق والغُز والتغزغز.. اما المناطق الواقعة في حوض نهر جيحون وحوض نهر جيحون فقد تمتعت باستقرار ورخاء.. وكان أهلها مزارعون مقيمون..

وتقسم هذه المناطق المعروفة باسم التركستان الغربية الى خمس جمهوريات سوفيتية وذلك منذ ان استعمرها البلاشفة. وظهر هذا التقسيم منذ عام ١٣٤٣ هـ (١٩٢٤ م) عندما اقيمت جمهورية اوزبكستان ثم جمهورية تركمنستان عام ١٣٤٤ هـ (١٩٢٥ م) ثم طادجكستان عام ١٣٤٨ هـ (١٩٢٩ م) ثم قازاقستان وقيرغيزيا سنة ١٣٥٥ هـ (١٩٣٦ م). وهذه الجمهوريات هي:

(١) قازاقستان.

(٢) تركمنستان.

(٣) طادجكستان

(٤) اوزبكستان

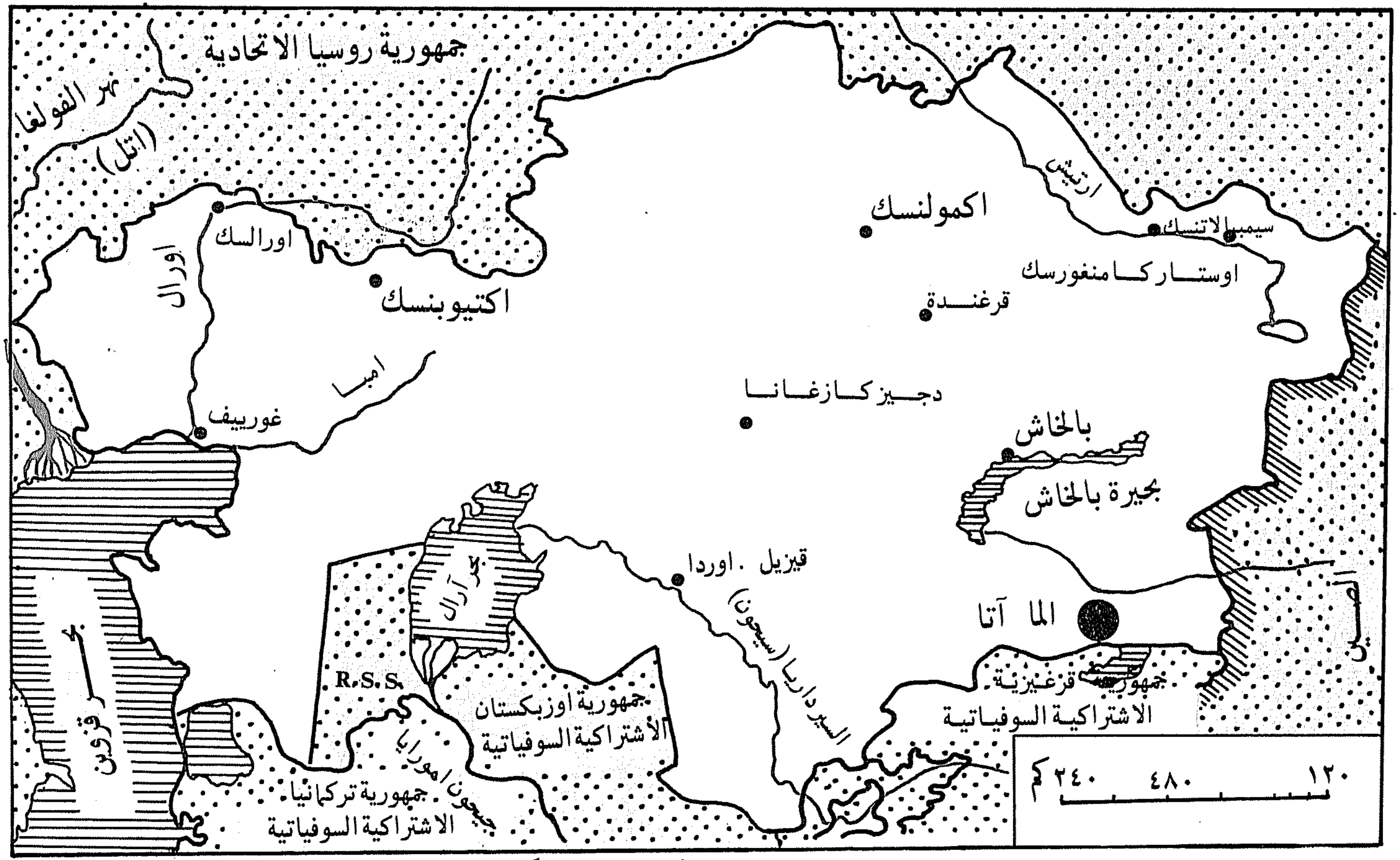

خريطة جمهورية كازاخستان الاشتراكية السوفيتية

(٥) قرغيزيا

وسنتحدث عن كل واحدة من هذه الجمهوريات بشيء من الايجاز وقد تعرضنا لتاريخ هذه المنطقة منذ الفتح الاسلامي الى الغزو السوفيتي بشيء من الايجاز ايضاً..

جمهورية قازاقستان: أي ارض القوزاق وهي اكبر الجمهوريات السوفيتية الاسلامية وثاني اكبر جمهورية سوفيتية في الاتحاد السوفيتي اذ تأتي بعد روسيا مباشرة. وتبلغ مساحتها ٢,٧١٧,٣٠٠ كم مربع.. وهي تمتد من دلتا نهر الفولجا (اتل) في الغرب الى حدود الصين في الشرق ومن سيبريا في الشمال الى اوزبكستان (في الجنوب الغربي) وقزغيزيا (في الجنوب) وتركستان الشرقية (في الجنوب الشرقي).

ورغم هذه المساحة الشاسعة إلا انها قليلة السكان حيث لا يزيد سكانها عن ١٥ مليون نسمة ٤٢٪ منهم من المسلمين بسبب الهجرة الروسية الى هذه الجمهورية.

تتألف أراضي قازاقستان من مرتفعات في الشرق هي السفوح الشمالية لجبال تيان شيان في أقصى الجنوب الشرقي، والسفوح الغربية لجبال التاي في الشرق والتي تمتد غرباً مكونة منطقة مرتفعة واسعة وسط البلاد تعرف باسم ضهرة قازاقستان وبين السلسلتين توجد مجموعة من البحيرات أكبرها بحيرة بلخاش التي تقع في وسط البلاد تقريبا.

وتجري المياه من المرتفعات الجنوبية الشرقية (أي من جبال تيان شيان) فتتجه نحو بحيرة بلخاش.. ويجري فيها نهر سيحون سرداريا بعد ان يمر بطشقند (بنكت) عاصمة اقليم الشاش سابقا وعاصمة جمهورية اوزبكستان حاليا.. وفي هذه المنطقة كان سيحون يعرف باسم نهر الشاش ويتجه سيحون شمالا حتى يصل الى مصبه في بحيرة خوارزم (بحر الارال) قاطعا بذلك الجزء الغربي الجنوبي من جمهورية قازاقستان..

وتقع على سيحون في هذه المنطقة مدينة اكشميت (المسجد الأبيض) التي اسماها الروس البلاشفة قزيل أورد أي المدينة الحمراء للدلالة على انتمائها للحزب الأحمر.. وفي الشمال الغربي من جمهورية قازاقستان يجري من جبال الأورال نهر الاورال الذي تقع عليه مدينة اونبرغ والتي كانت ولا تزال احدى المدن الاسلامية الهامة في الاتحاد السوفيتي.. والتي فصلت عن جمهورية قازاقستان حسب التقسيم الجديد وغير اسمها الى شكالوف امعانا في المسخ.

ويجري ايضا من جبال الاورال نهر امبا.. ويصب كلا النهرين الاورال وامبا في الجزء الشمالي الغربي من بحر قزوين (بحر الخزر). وفي الشمال الشرقي من قازاقستان يجري نهر إرتيش الذي يعتبر من أهم روافد نهر أوب الذي يصب في المحيط المتجمد الشمالي.

ثروات قازاقستان: تتمتع قازاقستان بثروة زراعية ومعدنية هائلة فتكثر فيها زراعة التفاح في الأودية الواقعة جنوب بحيرة بلخاش حتى ان العاصمة وهي تقع قريبا من حدودها مع قرغيزيا (أي في اقصى جنوب قازاقستان) تدعى الما أتا (الما أضا) اي مدينة التفاح..

وتكثر السهوب الصالحة لزراعة القمح ولولا النظام الشيوعي حيث ينعدم الحافز الفردي والبيروقراطية لكان انتاج قازاقستان من القمح من اكبر وأضخم الانتاج في العالم.. ومع هذا فان معدل ما تنتجه قازاقستان سنويا من القمح يبلغ ١٢,٥٠٠,٠٠٠ طن وتكثر كذلك زراعة البنجر (الشوندر السكري) ويبلغ متوسط الانتاج السنوي ١,٧٠٠,٠٠٠ طن.. كما تنتج قازاقستان كمية متوسطة من القطن يبلغ متوسطها السنوي ستين الف طن.

أما الثروة المعدنية فهي هائلة اذ تعتبر قازاقستان الأولى في انتاج الكروم في الاتحاد السوفيتي حيث تنتج عشرين الف طن سنويا، وتنتج

قازاقستان ١٣,٤٠٠,٠٠٠ طن من الحديد سنويا. و ٥٠٠,٠٠٠ طن من النحاس سنويا (ما يعادل ٥٧,٤٪ من النحاس في الاتحاد السوفيتي) و ٢٧,٩٠٠,٠٠٠ طن من الفحم سنويا (وخاصة في حوض كارغندة).
و ٣,٠٠٠,٠٠٠ طن من النفط سنويا (وخاصة من مكامن نهر امبا).
و ١,٠٠٠,٠٠٠ طن من الالمنيوم سنويا.

كما تنتج قازاقستان ٥٦,٣٪ من رصاص الاتحاد السوفيتي و٤٩,٨٪ من زنك الاتحاد السوفيتي وكميات كبيرة من الفضة.

وتعتبر الثروة السمكية كبيرة حيث تصطاد الأسماك من بحر قزوين (بحر الخزر) وبحيرة خوارزم (بحر الارال) وبحيرة بلخاش..

وتذهب جميع خيرات وثروات قازاقستان الزراعية والمعدنية والسمكية الى المستعمرين الروس البلاشفة الذين حكموا قازاقستان وجميع المناطق الاسلامية بالحديد والنار.. وهدموا مساجدها وحطموا مدارسها وحولوا كثيرا منها الى معاهد لتعليم الشيوعية.. وعندما قاومهم الأهالي ابادوا مئات الآلاف وشردوا الملايين في مجاهل سيبيريا.

مدن قازاقستان: تقع العاصمة (الماأتا) أي مدينة التفاح في أقصى الجنوب بالقرب من حدودها مع قيرغيزيا.. اما كرغنده فتقع في وسط البلاد شمال بحيرة بلخاش وتشتهر بمناجم الفحم التي تحيط بها.. وتقع مدينة بلخاش على بحيرة بلخاش وتشتهر بغناها بمناجم النحاس. أما قزيل أوردا أي المدينة الحمراء فهو الاسم الجديد لمدينة اكشميت أي المسجد الأبيض.. دلالة على الحمرة القانية التي خضبت أرضها بعد دخول الشيوعيين الروس اليها اما قزيل أورد هذه فتقع على مجرى نهر سيحون (سرداريا) الاسفل قبل ان يصل الى مصبه في بحيرة خوارزم (بحر الاورال).. وعلى هذا النهر تقع اسنجاب وفاراب التي أخرجت أبا النصر الفارابي.

ورغم ان مدينة اورنبرغ (اسمها الجديد شكالوف) قد آخرجت من قازاقستان إلا انها في الأصل احدى مدن قازاقستان المشهورة بمدارسها الاسلامية ومساجدها الأثرية.. والتي حطم أغلبها البلاشفة الروس وحولوا ما بقي منها الى متاحف وقاعات للترفيه واللهو..

المعطيات الادارية: في ٢٦ أغسطس ١٩٢٠ تحول الاقليم الذي كان يسمى (كيرخيزسكي كراي) الى جمهورية كيرخيزيا الاشتراكية السوفياتية المحكومة ذاتيا، وعاصمتها اورنبرغ وفي ابريل ١٩٢٥م تغير الاسم الى جمهورية كازاخستان الاشتراكية السوفياتية ذات الحكم الذاتي ونقلت العاصمة الى قيزيل أوردا.. وضمت هذه الجمهورية اقليم كاراكلباك الذي تغير وضعه فيما بعد وضم الى جمهورية اوزبكستان الاشتراكية السوفياتية.

وفي ٥ ديسمبر ١٩٣٦م تحولت جمهورية كازاخستان من درجة الحكم الذاتي الى مصاف جمهورية اشتراكية سوفيتية (وكلها مسميات لا أصل لها من الحقيقة).

وأصبحت (الما آتا) العاصمة منذ مايو ١٩٢٩م التي بلغ سكانها عام ١٩٧٩م (وهو آخر احصاء معلن) ٩١٤,٠٠٠ نسمة.

الوضع الديموجرافي: كان عدد السكان في احصاء ١٩٧٩م ١٤,٦٨٤,٠٠٠ منهم ٧,٩٢٠,٠٠٠ سكان المدن (٥٤٪ من المجموع) و ٧,٧٩٤,٠٠٠ (٤٦٪) سكان الأرياف. وكان السكان يتوزعون كالتالي:

المسلمون	العدد	النسبة المئوية
الكازاخ	٥,٢٨٩,٠٠٠	٪ ٣٦
التتار	٣١٣,٠٠٠	٪ ٢,١
الاوزبك	٢٦٣,٠٠٠	٪ ١,٨
اليغور	١٤٨,٠٠٠	٪ ١,٠
الاذربيجانيون	٧٣,٠٠٠	٪ ٠,٥
غير المسلمين		
الروس	٥,٩١٩,٠٠٠	٪٤٠,٨
الروس البيض	١٨١,٠٠٠	٪ ١,٢
الاوكرانيون	٨٩٨,٠٠٠	٪ ٦,١
الكوريون	٩٢,٠٠٠	٪ ٠,٦

وهكذا نجد ان الكازاخيين (القزخ) يشكلون أقلية (كبيرة) في وطنهم حيث ان نسبتهم من مجموع السكان بلغت ٣٦٪ بينما بلغت نسبة الروس والاوكارنيون ٤٨٪.. وهي ترينا الى أي مدى اتسمت السياسة الروسية بالاستعمار الاستيطاني الذي يشبه ما تقوم به اسرائيل في فلسطين.

لقد قام الروس القياصرة بفرض حمايتهم على سكان قازاخستان بحجة مساعدتهم في صد غزوات القبائل الصينية البوذية. وما لبثوا ان تغلغلوا في الحياة السياسية وقاموا باسقاط الخانيات الأربع التي كانت موجودة وذلك من سنة ١٢٣٨ هـ (١٨٢٢ م) الى سنة ١٢٥٨ هـ (١٨٤٢ م).

ومنذ عام ١٣٠٩ هـ (١٨٩١ م) بدأت روسيا سياسة الاستعمار الاستيطاني فامتلأت سهوب كازاخستان بالمستوطنين الروس. وقام هؤلاء

المستعمرون بطرد السكان من أخصب أراضيهم كما قاموا بمصادرة أراضي الأوقاف الاسلامية لصالح الاقطاعيين من النبلاء الروس وكبار الموظفين والضباط مما أدى الى قيام الثورات المستمرة من الشعب القازاخي.. وحرب الإبادة من قبل السلطات الروسية البربرية..

ومنذ الاستيلاء الشيوعي على قازاخستان ازداد قدوم المستوطنين الروس واستمرت سياسة الاستيلاء على أراضي المسلمين القازاخ بالقوة وطردهم منها واعطائها للمستعمرين الروس.. ونتيجة لطرد هؤلاء القازاخ من اراضيهم وانتشار المجاعات فيهم مات منهم مليون في مجاعة ١٣٤٠ - ١٣٤١ هـ (١٩٢١ - ١٩٢٢ م) كما مات مليون آخر في مجاعة ١٣٤٥ هـ (١٩٢٦ م). ومنذ عام ١٣٤٥ هـ (١٩٢٦ م) الى عام ١٣٥٨ هـ (١٩٢٩ م) (قامت السلطات الروسية) كما يقول الكاتبان الفرنسيان بنجيسن ولومرسييه (بسياسة تحضير) اجبارية تميزت بالقسوة الرهيبة وكلفت حياة مليون قازاخي.. لقد سببت سياسة التحضير في الثلاثينات من هذا القرن هلاك وموت ثلث شعب القازاخ المسلم).

ولولا أن القازاخ تميزوا مثل بقية المسلمين بخصوبة عالية لانقرضوا في وطنهم كما انقرض الهنود الحمر في امريكا..

واذا دققنا النظر في احصاء ١٣٩٩ هـ (١٩٧٩ م) الذي بلغ فيه عدد الروس والاوكرانيين سبعة ملايين نسمة تقريبا نجد ان سكان المدن هم أساساً من هؤلاء الروس والاوكرانيين المستعمرين بينما نجد ان الريف لا يزال في معظمه اسلاميا وهي سياسة نراها في مختلف المناطق الاسلامية التي استولى عليها الروس حيث نجد ان المناطق الأفقر والأكثر تخلفاً هي للمسلمين بينما المناطق الأكثر تقدما هي للروس المستعمرين.

ويوجد القازاخ خارج جمهوريتهم نتيجة للهجرة ففي احصاء

١٩٧٩م نجد أن هناك ٥٩٥,٠٠٠ قازاخي في اوزبكستان و ٥١٨,٠٠٠ في روسيا و ٨٠,٠٠٠ في تركمنستان و ٢٧,٠٠٠ في قيرغيزيا ويوجد في اقليم سينكيانغ (المستعمرة الجديدة للصين أو التركستان الشرقية) ٥٨٠,٠٠٠..

ويتشكل القازاخ من قبائل تركية (التركستان الشرقية) وقبائل مغولية.. وهو نفس التركيب المنتشر على طول المناطق التركستانية بمفهومها الواسع بل في جميع المناطق الاسلامية التي تحتلها روسيا.

وفي خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين ظهرت ثلاث تجمعات قبلية كبيرة (ثلاثة زهوز) وظلت هذه التجمعات القبلية تشكل التنظيم السياسي للقزاخ حتى قيام الثورة البلشفية.

يحتل التجمع القبلي الكبير (أولو زهوز) كازاخستان الشرقية ويضم اثني عشر قبيلة وكان هذا التنظيم يخضع لسيطرة خانية خوقند الى ان الحقته روسيا بأراضيها في النصف الثاني من القرن التاسع عشر.

أما التجمع المتوسط (اورتا زهوز) فمؤلف من خمس قبائل ولكنها تشكل العدد الأكبر للقازاخ.. وينتشرون في جميع أراضي قازاخستان.

وأخيراً هناك التجمع القبلي الصغير (كينشي هزوز) ويقع في غرب قازاخستان.

اللغة: تعود اللغة القازاخية الى فئة من اللغات التركية المعروفة باسم نوغاي والتي كانت تكتب بالحرف العربي وتدخلها كثير من الكلمات العربية.. ومنذ بداية الاستعمار الروسي فرضت السلطات الروسية عليهم كتابتها بالحرف الكريلي (الروسي) حتى تبعدهم عن الاتصال باللغة العربية والقرآن..

الاسلام في قازاخستان (قازاقستان):

لقد دخل الاسلام أرض القزخ منذ وقت مبكر في القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) بواسطة جهود الدعاة الى الله من الصوفية وتلاميذهم من تجار بخاري وسمرقند وخوقند الذين كانوا يجوبون السهوب.. وقد تميزت المناطق الجنوبية من قازاخستان التي يقع فيها معظم مجرى نهر سيحون (سرداريا) بكثافة الدعوة الاسلامية منذ القرن الهجري الثالث عندما كان السامانيون يحكمون بخارى وما وراء النهر و«الذين قاموا» كما يقول (كتاب الاسلام في آسيا الوسطى) «ليس بالجهاد فحسب وانما كسبوا عالم الأتراك الشرقيين للحضارة الاسلامية.» هؤلاء الأتراك الذين سيصبحون مادة للاسلام وقوة للحضارة الاسلامية[١].

وتعتبر المدن الواقعة في جنوب قازاخستان مثل قزيل أوردا ودجامبول وتشمقند مدنا اسلامية منذ القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي[٢]).. حيث لا تزال هذه المناطق الى اليوم الأكثر تدينا في كل كازاخستان.. وفيها توجد معظم المساجد التي لا تزال مفتوحة للعبادة اليوم.

أما في مناطق السهوب شمال سيحون (سرداريا) فلم يدخل فيها الاسلام الا في بداية القرن الرابع عشر الميلادي. وظل فيها ذا تأثير سطحي.

«ثم جاءت موجة ثانية من نشر الاسلام في القرنين الخامس والسادس عشر الميلاديين بواسطة المريدين الصوفيين التابعين لطريقتي الياساوية والنقشبندية والاتين من الجنوب.

---

(١) تأليف.حسن أحمد محمود

(٢) المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي تأليف بنجينسن - ولومرسييه.

«لكن الدين الاسلامي لم يتجذر في الجماهير الا بعد الغزو الروسي لكازاخستان.. ويعود انتشاره ونموه الى جهود تجار تتار الفولجا الذين طردهم القياصرة من وطنهم والذين كانوا يقومون ببناء المساجد والمدارس القرآنية.

«وخلافاً لكل توقع لم يتجذر الاسلام في عمق الجماهير القزخية الا اثناء الاستعمار السوفيتي ويعود هذا الى السياسة الاستعمارية الروسية التي قامت بحرب ابادة ضد القازاخ ودينهم... ونتيجة المجازر الرهيبة التي قام بها المستعمرون الروس. وخاصة مذبحة عام ١٣٣٥ هـ (١٩١٦ م).. وسياسة (التحضير) في الثلاثينات التي قضت على ثلث سكان قازاخستان المسلمين.. وأخيراً وصول المنفيين من مسلمي الشاشان والاينغوش والقوقاس والتتار القرميين الى كازاخستان اثناء الحرب العالمية الثانية حيث أدخل هؤلاء معهم طرقهم الصوفية (القادرية والنقشبندية) الى كازاخستان وخاصة في المناطق الجنوبية من الجمهورية والتي قامت بتجذير الاسلام وتعميق الكره للمستعمر الروسي الكافر[١]».

جمهورية اوزبكستان

الاحتلال الروسي:

لقد بدأ الاحتلال الروسي لمدن اوزبكستان الهامة في القرن التاسع عشر الميلادي حيث سقطت طشقند (الشاش سنة ١٢٨٢ هـ (١٨٦٥ م) وسمرقند سنة ١٢٨٣ هـ (١٨٦٨ م) وفرضت روسيا حمايتها على خانية بخارى عام ١٢٩٠ هـ (١٨٧٣ م). وفي العام التالي بسطت حمايتها البغيضة على خانية خيوه (خوارزم) واحتلت خوقند فرغانه بعد

---

(١) من كتاب المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي..

معارك دامت عاما كاملا سنة ١٢٩٣ هـ (١٨٧٦ م) مما دفع بالقوات الروسية الى الانتقام من هذه المدينة الباسلة فأزالوها من الوجود.. وأبادوا سكانها عن بكرة أبيهم إلا من استطاع منهم الفرار من هذا المصير البائس.

وقامت السياسة الروسية على طرد الأهالي من أخصب أراضيهم والاستيلاء عليها لصالح المستوطنين الروس الذين توافدوا بكثافة على كل مناطق التركستان.

وقد قامت هذه المناطق بعشرات الثورات المتلاحقة ضد الاستعباد الروسي البشع. وأظهر رجال الملا (علماء الدين) والصوفيون مقاومة باسلة ومستمرة ضد الطغيان الروسي.. وكان هؤلاء العلماء من الصوفية حجر الزاوية في مواجهة الغازي الكافر..

وعند قيام ثورة اكتوبر سنة ١٣٣٦ هـ (١٩١٧ م) البلشفية تحولت حامية طشقند الروسية الى صف البلاشفة وتبعها المستوطنون الروس رغم انتماءاتهم الطبقية المعادية والمناقضة للشيوعية حيث كانوا من كبار الملاك والضباط وموظفي دولة القياصرة.. الا أن الانتماء العرقي كان فوق كل اعتبار.. والسياسة الاستعمارية ضد المسلمين المستعمرين المستعبدين واحد سواء كانت من الأوربي الرأسمالي أم الشيوعي البلشفي الروسي..

وأعلنت بقية المناطق قيام دولة التركستان المستقلة بقيادة علماء الدين والصوفية والمثقفين.. وكانت قاعدتها مدينة خوقند.

وفي ٥ فبراير ١٣٣٧ هـ (١٩١٨ م) هدم الروس مدينة خوقند للمرة الثانية.. وأبادوا سكانها عن بكرة ابيهم وقاموا بأفظع الجرائم والمنكرات واغتصبوا الفتيات المسلمات العفيفات.

وانطلقت شرارة الثورة لتعم كل مدن التركستان والتي عرفت باسم ثورة (البصمة جي) أو (البسمشتية) والتي دامت من سنة ١٣٣٧ هـ (١٩١٨ م). والتي انضم اليها زكي والدي طوقان رئيس أول دولة في البشكير.. وأنور باشا وزير الحربية التركي في اثناء الحرب العالمية الأولى..

وفي ٣٠ أبريل ١٣٣٧ هـ (١٩١٨ م) تغير اسم كراي تركستان ليصبح جمهورية تركستان.

وسقطت بخارى عام ١٣٤١ هـ (١٩٢٢ م) أمام جحافل لينين وخيوه عام ١٣٤٣ هـ (١٩٢٤ م). وتأسست في ٢٧ اكتوبر ١٣٤٣ هـ (١٩٢٤ م) جمهورية اوزبكستان. وقد كانت اراضي هذه الجمهورية موزعة قبل ذلك بين خانية بخارى وخانية خيوه وحكومة التركستان العامة (كراي تركستان) التي كانت خاضعة مباشرة للحكم العسكري الروسي القيصري منذ سنة ١٣٠٤ هـ (١٨٨٦ م). وكانت خانية خيوه وبخارى غير داخلتين في جمهورية اوزبكستان وفي ٢٧ اكتوبر ١٣٤٧ هـ (١٩٢٨ م) أصدر ستالين مرسوماً بتكوين جمهورية اوزبكستان الاشتراكية السوفيتية الفيدرالية ضاماً اليها اراضي خانية خيوه وخانية بخارى وجمهورية طادجكستان ذات الحكم الذاتي..

وفي ٥ ديسمبر ١٣٤٨ هـ (١٩٢٩ م) قرر ستالين فصل طادجكستان عن اوزبكستان وجعلها جمهورية فيدرالية سوفيتية.

ومرة أخرى قرر ستالين تغيير حدود اوزبكستان فأضاف اليها **جمهورية كاراكلباك**[1] الذاتية اليها وذلك عام ١٣٥٥ هـ (١٩٣٦ م).

وهكذا تتغير المعالم الجغرافية والسياسية لمناطق المسلمين حسب أهواء حفنة من الحكام الطغاة الجبابرة الذين اتصفوا بكل صفات

(١) من كتاب المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي..

فرعون ونمرود.. والذين يقولون للشعوب قولة فرعون اللعين (ما علمت لكم من اله غيري).

الوضع الديموجرافي:

لقد سجل احصاء عام ١٣٩٩ هـ (١٩٧٩ م) زيادة في عدد سكان اوزبكستان حيث بلغوا ١٥,٣٩١,٠٠٠ بينما كانوا في احصاء عام ١٩٧٠ م ١١,٨٠٠,٠٠٠ أي بزيادة ٣٠ في المائة. ومن حسن حظ المسلمين أن خصوبتهم عالية وأن هذه الزيادة في السكان كانت أساساً من نصيب المسلمين.

وفي احصاء ١٩٧٩ يتبين ان عدد الاوزبك بلغ ١٠,٥٦٩,٠٠٠ وبقية المسلمين في اوزبكستان من كازاخ وتاجيك وتركمان وقرغيز وتتار وكاراكلباخ ٢,٧٧٠,٠٠٠ بينما بلغ عدد الروس المستوطنين ١,٦٦٦,٠٠٠ وعدد الاوكرانيين ١١٤,٠٠٠ واليهود ١٠٠,٠٠٠ والكوريين ١٦٣,٠٠٠.. من ذلك يتبين ان المسلمين يشكلون الأغلبية الساحقة من السكان (٨٧٪) بينما يشكل غير المسلمين من الروس والاوكرانيين وغيرهم ١٣٪.. بينما كان هؤلاء الكفار يشكلون ١٧٪ من السكان في احصاء ١٩٧٠ م.

وهذه الخريطة الديموجرافية تدل على الزيادة الكبيرة في عدد المسلمين في السنوات الأخيرة نتيجة الزيادة المضطردة في نسبة المواليد لدى المسلمين وانخفاضها لدى غير المسلمين مما أعاد الى هذه المنطقة طابعها الاسلامي على الأقل من الناحية العددية. حيث كان عدد المسلمين قد انخفض نتيجة المذابح الجماعية التي أقامها الروس لسكان اوزبكستان حيث بلغ عدد الاوزبك عام ١٩٢٦ م ٣,٩٨٨,٠٠٠ فقط..

ويعيش مجموعة من الاوزبك خارج نطاق جمهوريتهم ولكنهم

يتركزون اساسا في بقية الجمهوريات التركستانية وفي شمال أفغانستان ففي قـازاخستـان يعيش منهم ٢٦٣,٠٠٠ وفي قـيرغـيزيـا ٤٢٦,٠٠٠ وفي طـادجكستـان ٨٧٣,٠٠٠ وفي تركمنستـان ٢٣٤,٠٠٠ - وفي شمال افغانستان اكبر مجموعة من الاوزبك خارج نطاق الاتحاد السوفيتي حيث يبلغ عددهم مليون ونصف المليون من الذين فروا من وجه الاستعمار الروسي الشيوعي منذ فشل ثورة الباسماش.. والاضطهاد العنيف الذي لاقاه سكان اوزبكستان.. كما أن هناك مجموعات صغيرة متوزعة في شتى انحاء العالم الاسلامي.

اللغة: قامت السلطات الروسية باستبدال الحرف العربي الذي كان يكتب به أهل اوزبكستان الى الحرف اللاتيني وذلك سنة ١٣٤٦ هـ (١٩٢٧ م) وفي عام ١٣٥٩ هـ (١٩٤٠ م) غير الحرف اللاتيني الى الحرف الروسي.. كما استبعدت الكلمات العربية التي كانت تتخلل اللغة الاوزبكية.

النشاط الديني: تأتي أهمية اوزبكستان من الناحية الدينية لمسلمي الاتحاد السوفيتي أن فيها معظم المدن الاسلامية ذات التاريخ المجيد.. فطشقند وبخارى وترمذ وسمرقند وخوارزم وخوقند كلها تقع الآن في اوزبكستان. وفي اوزبكستان المدرستان الوحيدتان في الاتحاد السوفيتي التي يسمح فيهما بتدريس المواد الدينية وهما مدرسة (مير عرب) في بخارى ومدرسة الامام البخاري في طشقند.

ومفتي اوزبكستان الموجود في طشقند ضياء الدين بابا خانوف يعتبر بمثابة المفتي العام لجميع مسلمي الاتحاد السوفيتي.

ويتراوح عدد المساجد المفتوحة رسميا للعبادة في اوزبكستان قرابة مائة مسجد وفي احصاء ١٣٩٩ هـ (١٩٧٩ م) كان في طشقند ١٢ مسجدا

جامعا وعشرات المساجد الصغيرة.. وهناك ثلاثة مساجد جامعة في كل من بخارى وسمرقند.. ويفترض أن هناك مسجدا على الأقل مفتوح للعبادة في كل مدينة ما عدا الجزء الجنوبي من اوزبكستان حيث توجد مناطق كاملة ليس بها مساجد رسمية. اما من الناحية غير الرسمية ففي كل حي مسجد سري على الأقل ويخدمه ملا (عالم دين) غير مسجل ويتمثل الاسلام غير الرسمي في الطرق الصوفية التي تقوم بالدعوة الى الاسلام واقامة المساجد السرية وحلقات قراءة القرآن.. وأهم هذه الطرق هي:

(١) الطريقة النقشبندية: ومركزها بخارى ومريدوها في جميع أطراف البلاد. ومركزها الأساسي في القوقاس.

(٢) الطريقة القادرية: ومريدوها في كل اوزبكستان وفي القوقاس وقد جددها الشاشان (التشتشين) والاينغوش.

(٣) الطريقة القلندرية: وهي طريقة جوالة انتشرت منذ القرن الخامس الهجري في مختلف انحاء العالم الاسلامي.. وتضم اتباعا في كل ارجاء اوزبكستان.

(٤) الطريقة الكبراوية: ومركزها خوارزم ومريدوها منتشرون في خوارزم وتركمنستان ومناطق من اوزبكستان..

(٥) الطريقة الياسوية: ومركزها في وادي فرغانة وتنتشر في شمال اوزبكستان وجنوب كازاخستان. والغريب ان لهذه الطرق الصوفية تأثير قوي على نقابات العمال..

وتعتبر اوزبكستان هي البلد الأكثر محافظة في كل الاتحاد السوفيتي على العادات الاسلامية مثل الختان وطريقة الزواج ودفن الموتى..

وتواجه اوزبكستان حربا شرسة ضد الاسلام منذ دخول القياصرة الى مناطقها.. وازدادت هذه الحرب ضراوة منذ ان احتلتها القوات البلشفية.. وقد فرضت دراسة الالحاد والشيوعية في المدارس ومنع تدريس الدين منعا باتاً.

كما أن الحملة ضد الاسلام مكثفة في أجهزة الاعلام كافة وفي المدارس خاصة وقد نشرت مئات الكتب المناهضة للدين الاسلامي في السنوات العشر الأخيرة.

جغرافية جمهورية اوزبكستان: تبلغ مساحة جمهورية اوزبكستان ٣٠٠,٠٠٠ كم مربع وتتألف من منطقة جبلية في الجنوب الشرقي وتميل تدريجيا نحو الشمال الغربي حتى صحراء قزيل قوم.. ونجد سهل طوران على ضفاف بحيرة خوارزم.

وتضم اوزبكستان معظم المناطق الهامة الواقعة شرق نهر جيحون بعد خروجه من طخارستان في افغانستان ويشكل جيحون في مجراه الأعلى (أي بالقرب من منبعه) الحدود بين أفغانستان وجمهورية طادجكستان السوفيتية اولا ثم بين افغانستان وجمهورية اوزبكستان.. وبالقرب من الحدود بين اوزبكستان وأفغانستان تقع مدينة ترمذ التاريخية راكبة على الضفة الشرقية منه وسنفرد لترمذ ومن ظهر بها من العلماء فصلا خاصا بها ان شاء الله.

ويقع اقليم الصغانيان والصغد وخوارزم في جمهورية اوزبكستان الحالية وقد تحدثنا عن هذه الاقاليم عند حديثنا عن نهر جيحون من منبعه الى مصبه..

والصغانيان هي اول ما يصادفنا من بلاد ما وراء النهر (أي نهر جيحون) ويقع في جنوب اوزبكستان محاذيا لطخارستان في (افغانستان).. وأول من غزا هذا الاقليم هو الحكم بن عمرو الغفاري سنة

٤٦ هـ.. وكان يعتبر أول من غزا بلاد ما وراء النهر ثم توجه بعد ذلك عبيد الله بن زياد والي خراسان لمعاوية سنة ٥٥ هـ الى بيكند وبخارى فغزاها..

ونجد اقليم الصغد شمال اقليم الصغانيان ويقع شرق جيحون في وسط اوزبكستان ويجري نهر الصغد (نهر زرفشان) ليغذي سمرقند وما حولها من المناطق.. وتقع بخارى وقراها شمال الصغد مباشرة ويجعل كثير من الجغرافيين المسلمين الصغد صغدان صغد سمرقند وصغد بخارى.. ثم اذا اتجهنا شمالا مع جيحون نجد اقليم خوارزم الذي يبدأ عند مدينة درغان ثم يمر بمدينة كالف فمدينة كات فمدينة كركانج عاصمة اقليم خوارزم وعندما غير النهر مجراه في القرن السادس عشر قامت مدينة خيوه عند مصب النهر وقامت في هذا الاقليم دولة خوارزم العظيمة.. وفي العصور القريبة الماضية قامت خانية خيوه في اقليم خوارزم وما حوله حتى انتهت على يد البلاشفة سنة ١٩٢٤م.

وفي الجهة الشرقية من اوزبكستان نجد نهر سيحون (سرداريا) بعد خروجه من مرتفعات قرغيزيا.. ويسير في اوزبكستان مارا بمدينة خوقند وبذلك يدخل جزء من اقليم فرغانه في اوزبكستان الحالية بل ان اهم اجزاء فرغانة تقع في جمهورية اوزبكستان ثم يواصل نهر سيحون زحفه شرقا في اوزبكستان ثم يتجه صوب الشمال ليمر قريبا من طشقند (بنكث) عاصمة جمهورية اوزبكستان الحالية.. وطشقند (بنكث القديمة) هي عاصمة اقليم الشاش ويسمى نهر سيحون في هذه المنطقة نهر الشاش..

وهكذا نرى اهم مناطق نهر جيحون (اموداريا) واهم واشهر بلاد ما وراء النهر الواقعة شرقيه تقع في جمهورية اوزبكستان وهي الصغانيان والصغد وخوارزم ومدن هذه الأقاليم ترمذ وسمرقند وبخارى

وكركانج (الجرجانية) وخيوه - كلها تقع في جمهورية اوزبكستان..

وكذلك نرى اهم مناطق نهر سيحون (سرداريا) وما حولها تقع في اوزبكستان ايضا فاهم مناطق فرغانة تقع في اوزبكستان وكذلك تقع اقاليم اشروسنة وايلاق والشاش جميعا في اوزبكستان. والواقع ان اوزبكستان فيما بين دفتي نهر جيحون ونهر سيحون تمثل اهم المناطق الاسلامية قاطبة في آسيا الوسطى على مدار التاريخ، ولما لهذه المناطق من أهمية بالغة فسنفرد لها فصولا خاصة.. فقد أفردنا فصلا طويلاً لبخارى وما حولها من المدن ومن ظهر بها من العلماء كالامام البخاري وابن سيناء وغيرهم وكذلك افردنا فصلاً طويلاً لكل من سمرقند وخوارزم وفرغانة والشاش. ولهذا سنرجىء الكلام عن هذه المناطق الهامة الى حينه.

وليس من الغريب إذاً على اوزبكستان أن تكون بها ثروة زراعية وحيوانية هائلة اذ انها تقع في منطقة كثيرة الأنهار كثيرة المراعي متصلة الخضرة حتى وصفها ياقوت والمقدسي والاصطخري بأنها أجمل مناطق الدنيا واكثرها خضرة.

وتنتج اوزبكستان ثلاثة ملايين طن من القطن سنويا اي ٦٨٪ من جملة انتاج الاتحاد السوفيتي بأكمله من القطن وربع مليون طن من القمح ومائة وستة الف طن من الذرة.. ومختلف انواع الفواكه وكمية هائلة من البنجر (الشوندر السكري) وبها تسعة مليون رأس من الغنم ومليونين ونصف المليون من البقر.. وبها المزارع الواسعة لشجر التوت الذي تنمو عليه دودة القز مما جعلها تنتج ثلث الحرير الذي ينتج في الاتحاد السوفيتي.. كما ان ثروتها الحيوانية مكنتها من انتاج ثلث الصوف الذي ينتجه الاتحاد السوفيتي. وبسبب كثرة الأحراش والمراعي فانها تنتج ٨٥٪ من جملة ألياف القنب الذي ينتج في الاتحاد السوفيتي.

هذا عن ثروتها الزراعية والمائية والحيوانية اما ثروتها السمكية فتجمع من بحيرة خوارزم (بحر الأرال)..

ليس هذا فحسب وانما تنتج اوزبكستان ستة ملايين طن من الفحم سنويا. وبها معادن الحديد والفضة والنحاس تستخرج من جبال البتم ومن الشاش وايلاق واشروسنة ومن فرغانة.

ولهذا قامت بها صناعة الحديد والصلب وصناعة الجرارات والسيارات وكثير من الصناعات الثقيلة.. كما ان بها مصانع كثيرة للأدوات الكهربائية ولصناعة الراديو والتليفزيون.

وقد اشتهرت ترمذ من قديم الأزمنة بصناعة الصابون وصناعة السفن. ويبلغ عدد سكان اوزبكستان ١٥ مليونا كلهم من المسلمين ما عدا المستعمرين الروس الذين اصبحوا يشكلون ١٣٪ من السكان. وهكذا نرى اوزبكستان درة التاج في عقد المستعمرات السوفيتية مثلما كانت الهند درة التاج في مستعمرات بريطانيا.. تنهب روسيا خيراتها وتستغل ثرواتها وتستبيح حرماتها وتدوس كرامتها وتمتهن دينها.. وتحارب تراثها وثقافتها فتمنع اللغة العربية ودراسة القرآن وعلوم الاسلام منعا باتاً.. وتحطم المساجد والمدارس الاسلامية وتحول ما بقي منها الى معارض ومسارح ودور للهو..

فما أعظم مصيبة المسلمين.. وما أشد ما نُزلت بهم من خطوب.. خطب تلو خطب وقارعة تلو قارعة ومصيبة اثر مصيبة وهم سادرون لاهون.. فانا لله وانا اليه راجعون..

جمهورية تركمنستان: تقع جمهورية تركمنستان غربي نهر جيحون وبذلك تشكل جزءاً مما عرف في التاريخ الاسلامي باقليم خراسان.. وهذا الاقليم مقسم حالياً بين جمهورية إيران في الغرب وجمهورية

تركمنستان السوفيتية في الشرق وجمهورية افغانستان (الجزء الشمالي منها) في الجنوب. ولهذا فان هذا الاقليم مرتبط تاريخيا وجغرافيا باقليم خراسان وسنفرد له عدة فصول لأهميته البالغة في التاريخ الاسلامي ولظهور آلاف العلماء والمشاهير منه.. فقد افردنا خراسان السوفيتية (تركمنستان) بفصل كامل كما افردنا كلا من سرخس وآمل وشهرستان ونسا وبيهق ومن ظهر بهذه المدن من العلماء، بفصول خاصة لكثرة علمائها ولأهميتها في التاريخ الاسلامي.

والغريب ان تركمنستان التي تبلغ مساحتها ٤٨٨,٠٠٠ كم مربع والتي كانت في التاريخ الاسلامي آهلة بالمدن العامرة مثل مرو وسرخس وآمل وشهرستان ونسا وبيهق تكاد تكون خالية من السكان في القرن العشرين بعد ان دنستها اقدام البلاشفة الروس وأبادوا سكانها وحرقوا ديارها.. وهدموا مساجدها.. وغيروا معالمها وأبادوا مدارسها.. واضاعوا ثقافتها وعلومها.

ويبلغ سكان تركمنستان مليون ونصف المليون فقط بعد ان كان سكان مرو وحدها في عهدها الزاهر قريب من هذا العدد.. وفي احصاء ١٣٩٩ هـ (١٩٧٩ م) بلغ سكان تركمنستان ٢,٧٦٥,٠٠٠ نسمة.

وتشمل تركمنستان صحراء قرة قوم التي تحتل اغلب مناطق تركمنستان اما القسم الجنوبي المحاذي لأفغانستان فتهطل عليه الأمطار الشتوية ويمر به نهر مورغاب (ويسمى ايضا نهر الروذ لأن مرو الروذ تقع عليه) الذي ينبع من جبال هندكوش في افغانستان ثم يخترق الحدود ليسير شمالا في تركمنستان حتى يصل مرو عاصمة خراسان سابقا وينتهي شمال مرو، ويتصل نهر مورغاب بواسطة قناة بنهر جيحون في الشرق وأخرى بنهر تادزهن من الغرب.

وفي القسم الجنوبي يمر نهر تادزهن وهو امتداد نهر هاري (هاري رد)

الذي ينبع في جبال افغانستان الشمالية (هندكوش) ويمر بمدينة هرات ثم يتجه شمالا ليشكل الحدود بين تركمنستان وايران.. وفي هذه المنطقة يصله رافد من ايران يسمى نهر طوس لأنه يمر بمدينة طوس الشهيرة والتي تسمى الآن مشهد لأن فيها مشهد الامام علي الرضا بن موسى الكاظم بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط.

والمدن المهمة التي تقع على هذا النهر هي هرات في أفغانستان وسرخس وبيهق في تركمنستان.. وتقع بيهق قرب مصبه. والمنطقة التي لا تزال آهلة بالسكان هي السفوح الشمالية لمرتفعات ايران وافغانستان (أي المنطقة الجنوبية من تركمنستان) اضافة الى حوض نهر جيحون (أي المنطقة الشرقية) حيث يشكل نهر جيحون الحدود بين تركمنستان في الغرب واوزبكستان في الشرق.

اما منطقة بحر قزوين فتمثل جزءاً من طبرستان.. وهي تمثل النصف الجنوبي من الشاطىء الشرقي لبحر قزوين (بحر الخزر) اما الجزء الشمالي من الشاطىء الشرقي ومعظم الشاطىء الشمالي من بحر قزوين فيدخل في جمهورية قازاقستان ويبقى الساحل الجنوبي لبحر الخزر (بحر قزوين) تابعا لجمهورية ايران.. اما الساحل الغربي فقد أصبح تابعا لجمهوريات القوقاس السوفيتية وهي جمهورية اذربيجان وجمهورية داغستان وجمهورية ارمينية وجمهورية جورجيا (كرجستان او بلاد الكرج سابقا) وتعتبر منطقة طبرستان الواقعة في جنوب شرق بحر قزوين وشمال جبال البرز مقسمة حاليا بين ايران وجمهورية تركمنستان فبالقرب من مدينة عشق اباد عاصمة تركمنستان تقوم جبال كوت داغ والاداغ التي تشكل جزءاً من طبرستان والتي تخضع لجمهورية تركمنستان بينما نجد الأجزاء الغربية من طبرستان تخضع لجمهورية ايران اما جرجان فتقع بكاملها في ايران.. وكذلك يقع اقليم مازندران في شمال ايران على الساحل الجنوبي لبحر قزوين.. ومازندران جزء من

طبرستان وقد فتح طبرستان سعيد بن العاص والي الكوفة لعثمان بن عفان سنة ٢٩ هـ (٦٥٠ م) وكان معه سبطي رسول الله ﷺ الحسن والحسين يجاهدان..[١] وبعد فترة من الثورات والقلاقل في عهد معاوية استقرت الطبرستان ولاية اسلامية اخرجت لنا الكثير من النوابغ وعلى رأسهم الإمام ابن جرير الطبري المؤرخ المفسر الفقيه المجتهد المشهور.

الاستعمار الروسي: وقد استولى الروس على هذه المنطقة الواسعة اثر الحرب التركمانية عام ١٢٩٧ هـ (١٨٨٢ م) وقامت روسيا بعمليات ابادة واذابة لسكان تركمنستان ثم اقامت مستوطنات روسية وبدأوا بمشاريع مائية لتوطين الروس فيها ومثلما تفعل اسرائيل حالياً بحفر قناة من البحر الميت الى البحر الابيض المتوسط كذلك فعل الروس وحفروا قناة كلوخوسكي التي تصل المجرى الاسفل لنهر جيحون ببحر قزوين وذلك سنة ١٣٧٠ هـ (١٩٥٠ م) وقبلها في سنة ١٣٦٦ هـ (١٩٤٧ م) حفروا قناة قرة قوم وهي تصل المجرى الأوسط لنهر جيحون بنهري مورغاب وتادزهن.. وتوافد الروس على البلاد حتى شكلوا ثلث السكان. وقد كان هذا الاقليم المعروف بآخال تكه تابعاً لشاهات خوارزم حتى القرن العاشر الميلادي ثم تبع حكم الاوزبك وكان يعرف باسم طاغ بيو اي جانب الجبل تميزاً له عن جانب الماء وهي خوارزم. وقد ظهرت مدينة عشق آباد وقزيل عروت بعد الاحتلال الروسي عام ١٨٨٢ م وذلك بعد ان خربت مدينة نسا المشهورة.

وأهم مدن تركمنستان في التاريخ هي مرو التي كانت عاصمة اقليم خراسان بأكمله.. والتي سنتحدث عنها وعمن ظهر بها من العلماء في فصل خراسان بتفصيل واف. اما الآن فهي مدينة منسية قابعة في

---

(١) ذكر كتاب الفتوحات الاسلامية أن طبرستان فتحت سنة ٣٠ هـ فتحها سعيد بن العاص ومعه الحسن والحسين سبطي رسول الله وعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن عمر بن العاص وحذيفة بن اليان ورهط من صحابة رسول الله ﷺ.

زوايا النسيان اما العاصمة فهي عشق آباد (أشخباد) التي تقع بالقرب منها في الجهة الجنوبية مدينة نسا التي أخرجت لنا الإمام النسائي. ومن مدنها أيضاً مدينة سرخس ومدينة بيهق اللتان تقعان على نهر تادزهن وهو امتداد نهر (هاري رد) وسنتحدث ان شاء الله عنهما بشيء من التفصيل في فصول خاصة.

اما ميناء تركمنستان فهو كرازنوفودسك ويقع على بحر قزوين.

ثروات تركمنستان: تنتج تركمنستان كمية وافرة من القطن تبلغ في معدلها السنوي ٥٤٠,٠٠٠ طن ومن القمح ٢٠,٠٠٠ طن ومن الذرة ٢٤,٠٠٠ طن وبها اربعة ملايين رأس من الماعز كما ان بها ثروة نفطية لا بأس بها في نبيت داغ جنوب شرق بحر قزوين كما تنتج الكبريت والجبس وتشتهر تركمنستان مثل بقية اقاليم خراسان بصناعة السجاد الفاخر. وتحتل جمهورية تركمنستان المرتبة الثانية في انتاج القطن في الاتحاد السوفيتي بعد اوزبكستان.. والثالثة في انتاج الغاز الطبيعي[١].

المعطيات الادارية والديموجرافية:

تأسست جمهورية تركمنستان الاشتراكية السوفيتية في ٢٧ اكتوبر ١٩٢٤م. ورغم مساحتها الواسعة (٤٤٨,١٠٠ كم مربع) الا أن عدد سكانها ضئيل حيث بلغوا في آخر احصاء معلن وهو احصاء ١٩٧٩م ٢,٧٦٥,٠٠٠ نسمة منهم ٤٨ بالمئة سكان المدن وأغلبهم من الروس والاوكرانيين و٥٢ بالمئة سكان الأرياف وأغلبهم مسلمون وتدعى العاصمة عشق آباد (أشخباد) وقد ظهرت بعد ان تحطمت مدينة نسا التاريخية المشهورة وذلك بعد الاحتلال الروسي لها سنة ١٨٨٢م..

وقام الروس بحرب إبادة لسكان تركمنستان المسلمين حيث وصل

(١) مجلة المسلمون في الشرق السوفياتي العدد ٢ (٥٠) ١٤٠١ - ١٩٨١.

عددهم سنة ١٩٢٦م ٧٧٦,٠٠٠ نسمة فقط.. ولكن الله جعل للمسلمين خصوبة عالية لا ينافسهم فيها إلا القليل من الأمم فتكاثروا رغم حرب الإبادة وزادوا الى مليون شخص عام ١٩٥٩م ثم الى ٢,٠٢٨,٠٠٠ عام ١٩٧٩م.

وكما يقول بنجينسن ولومرسييه (ويعتبر هذا الزخم الديموجرافي الأول بين شعوب الاتحاد السوفيتي.. وهو عائد أساساً لخصب طبيعي استثنائي[(١)]).

وفي الاتحاد السوفيتي بصورة خاصة تظهر لنا أهمية زيادة النسل بين المسلمين.. ولولا هذه الزيادة المضطردة لأبيدت شعوب اسلامية بكاملها ولاندثرت ولكن هذه الخصوبة العالية تواجه حرب الإبادة المستمرة بفيض من المواليد.. بحيث ان السكان رغم الإبادة يتزايدون بدل ان يتناقصوا ويندثروا.. وتوجد في قبائل التركمنستان عدة قبائل كبيرة.. وكان لهم دور كبير في الدولة التركمانية التي بلغت أوجها في عهد أوزون حسن التي كانت منافسا خطيرا للدولة العثمانية في أول ظهورها...

كما توجد في القبائل التركمانية أربع قبائل صغيرة تتمتع بنفوذ كبير لأنها تنتسب الى رسول الله ﷺ وهذه القبائل الهاشمية العربية هي:

١ - **قبيلة عطا**: في شرق تركمنستان في وادي جيحون قرب تشاردجو.

٢ - **قبيلة حجة**: في غرب تركمنستان (شمال كراسنوفودسك) وهي المنطقة التي حكمها اولاد الإمام زيد بن علي بن الامام السبط الحسين بن علي في طبرستان والديلم وتوجد هذه القبيلة ايضاً في جنوب تركمنستان قرب مدينة قزيل عرفات.

---

(١) المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي تأليف إبنجينسن ولومرسييه.

٣ - **قبيلة السيد:** وموطنهم في غرب تركمنستان ايضا (طبرستان القديمة) جنوب خليج كارابوغاز حيث قامت الدولة العلوية.

٤ - **قبيلة الشيخ:** وموطنهم كذلك في غرب تركمنستان شمال مدينة كراسنوفودسك.

وهذه المواطن معروفة في التاريخ الاسلامي بأنها كانت موطن الدولة العلوية في طبرستان والديلم والتي قامت في ايام العباسيين بعد مقتل الامام زيد بن علي ثم مقتل ابنه الامام يحيى بن زيد.. وهذه القبائل الشريفة الأربع تعتبر القائدة والرائدة للنشاط الديني المتمثل في الطرق الصوفية التي واجهت الروس القياصرة ثم البلاشفة وهي الآن تقوم بنشاط ديني سري كبير[(١)].

المعطيات الدينية: لقد دخل الاسلام الى اراضي طبرستان والديلم لأول مرة في عهد عمر بن الخطاب ورغم الانتقاض الذي حصل في عهد عثمان رضي الله عنه إلا أن هذه المناطق أصبحت اسلامية عندما بعث الامام علي الاحنف بن قيس فوجد اهلها قد اسلموا وقرأوا القرآن.. مما يدل دلالة واضحة على دخول الاسلام اليها في وقت مبكر جداً (القرن الهجري الأول أي السابع الميلادي). ولم تكن القبائل التركمانية تسكن هذه المناطق اذ كان موطنها الأول في التركستان الشرقية.. وجاؤوا اليها بعد ظهور السلاجقة وهم من التركستان الشرقية وذلك في القرن الخامس والسادس الهجريين (الثاني عشر الميلادي).

وقد انتشرت بينهم الطرق الصوفية التي كان لها دور كبير في اسلامهم ثم في تعميق الاسلام فيهم وإبقاء جذوته مشتعلة في قلوبهم والتي يوجهها ويقودها السادة من آل بيت النبي ﷺ وهم بيت عطاء وبيت

---

(١) المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي تأليف بنجينسن ولومرسييه.

حجة وبيت السيد وبيت الشيخ..

وأهم هذه الطرق المنتشرة بين التركمان هي:

الطريقة الياساوية التي أسسها الداعية العلامة أحمد يسوي المتوفي سنة ٥٦٢ هـ (١١٦٦ م) والمقبور في مدينة تركستان (في جنوب جمهورية كازاخستان) والتي كانت تدعى يس (يسا).

الطريقة الكبروية التي أسسها نجم الدين أحمد الكبرى من أهل خيوة والذي عاش في القرن الثاني عشر الميلادي (١١٤٥ - ١٢١١ م) والمقبور قرب مدينة أورغتشي في غرب خوارزم (في جمهورية تركمنستان) سنة ٥٤٠ هـ - ٦١٦ هـ..

الطريقة النقشبندية التي لم تظهر في بلاد التركمان الا في القرن التاسع عشر الميلادي.

يقول بنجينسن ولومرسييه في كتابهما (المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي) ما يلي:

«وتعرف الصوفية اليوم في جمهورية تركمنستان نشاطا متزايدا هو رد فعل للحملة المناهضة للدين التي بدأها السوفيت في البلاد عام ١٩٢٨ والتي كانت أقسى ما عاناه سكان آسيا الوسطى المسلمون. وقد أسفرت هذه الحملة المستمرة حتى عام ١٩٤١، والتي عادت فاستعرت عام ١٩٤٨م عن اضعاف الاسلام الرسمي كثيرا..

«وهكذا فما أن أقبل عام ١٩٧٩ حتى أصبح عدد المساجد المفتوحة للعبادة في جمهورية تركمنستان أربعة مساجد فقط..

.. اثنان في منطقة ماري جنوب تركمنستان وهما مسجد حجة يوسف بابا همداني في قرية بيرم علي (وحجة يوسف بابا همداني هو

شيخ الولي المشهور هناك أحمد اليساوي) ومسجد طلختان بابا في قرية يولاتان..

.. واثنان في منطقة كاشادوز شمالي الجمهورية هما مسجد شاليكار في مدينة طاشاورز ومسجد بلال بابا في مدينة ايليالي».

وهكذا أصبحت تركمنستان التي تضم مرو وسرخس وبيهق وآمل وجزءاً من خوارزم والطبرستان والتي كانت مساجدها ومعاهدها الاسلامية لا تعد ولا تحصى لكثرتها - هكذا أصبحت اليوم في العهد السوفيتي لا يوجد فيها سوى أربعة مساجد مفتوحة للعبادة ولكن كما يقول المصدر السابق: «ان العاطفة الدينية لا تقاس بعدد المساجد المفتوحة لعبادة المؤمنين فتركمنستان هي الجمهورية الأكثر تدينا في آسيا الوسطى» ويعود ذلك الى أربعة عوامل هي:

١ - نشاط الطرق الصوفية المتزايد المتمثلة في الطرق الثلاث الياساوية والكبروية والنقشبندية.. وهي التي ساهمت في الماضي في ادخال التركمان الى الاسلام.. وهي تحافظ اليوم على تجذير الاسلام وابقاء جذوته مشتعلة في النفوس.

٢ - ارتباط مفهوم القومية بالاسلام بحيث ان لفظ مسلم يعني تركماني.. وهي ظاهرة لا تشاهد بقوة إلا في الاتحاد السوفيتي حيث ارتبط مفهوم (الملة) وهي تعني قوم باللغة التركية بمفهوم الدين. ويكفي ان لفظ القوم او القومية قد أصبح لدى مسلمي الاتحاد السوفيتي عامة يعبر عنه بلفظ الملة التي تعني في اللغة العربية الدين.

٣ - تأثير علماء الدين وأغلبهم من الأوزبك.

٤ - تأثير الدعوة الاسلامية الممتدة من ايران المجاورة.. وبخاصة تلك الدعوة المستمرة التي يوجهها راديو جرجان باللغة التركمانية..

جمهورية قيرغيزيا تبلغ مساحة قيرغيزيا ١٩٨,٥٠٠ كم مربع بينما نجد سكانها لا يزيدون عن ثلاثة ملايين نسمة وذلك بسبب ما واجهه القرغيز من حملات الابادة والاذابة منذ الاحتلال الروسي القيصري لقيرغيزيا عام ١٢٨٤ هـ (١٨٦٦ م) ثم تبعه الاحتلال الروسي البلشفي الاحمر الذي خضب أرضها بالدماء الزكية. ومثلما تفعل اسرائيل فتطرد المواطنين العرب ليحل محلهم مستوطنون يهود كذلك فعلت روسيا منذ العهود القيصرية الى العهود البلشفية فكانت تطرد القيرغيز وتبيدهم ليحل محلهم مستوطنون روس.. فمنذ دخولهم عام ١٢٨٤ هـ (١٨٦٦ م) الى عام ١٣٣٤ هـ (١٩١٥ م) فقط كانوا قد أقاموا ثمانين مستعمرة روسية داخل قيرغيزيا. خمسون منها في وادي فرغانة الخصيب حيث طردوا منه سكانه القيرغيز الى الصحاري والقفار المجدبة.. وتناقص لذلك سكان القيرغيز وقامت الثورات المتتالية ضد هذا الاستعمار الروسي الغاشم.. وكانت هذه الثورات ذريعة للقوات الروسية لإبادة سكان القرغيز شيوخا وشبابا نساء وأطفالا، ففي ثورة عام ١٣٣٥ هـ (١٩١٦ م) ابادت القوات الروسية ١٥٠,٠٠٠ قرغيزي وتبع ذلك مجاعة مات فيها مئات الالاف.

وقد أبيد سكان الجزء الشمالي من قيرغيزيا عن بكرة ابيهم.. ومن أفلت منهم فر الى الصين حيث لاقى الكثير منهم حتفه اثناء الفرار.. وفي معسكرات الاعتقال الصينية.

ولم تكن الإبادة موجهة الى القرغيز فقط ولكنها شملت مواشيهم وزروعهم.. ففي الاحصاء الرسمي السوفيتي جاء ان عدد المواشي في قيرغيزيا تناقص من ستة ملايين عام ١٣٤٨ هـ (١٩٢٩ م) الى مليونين فقط عام ١٣٥٦ هـ (١٩٣٧ م). أما المناطق الجنوبية التي بقي فيها القرغيز فقد واجهوا الاهانات والمذلة من الاسياد الروس.. وحتى

اولئك القرغيز الذين تظاهروا بالشيوعية كانوا يواجهون الموت او السجن اذا طالبوا بتوفير المنتجات الغذائية المنتجة في قيرغيزيا لأهل قيرغيزيا اولا ثم يصدر الفائض بعد ذلك الى روسيا.. ولهذا السبب طرد رئيس وزراء قيرغيزيا يوسوف عبد الرحمانوف (يوسف بن عبد الرحمن) واعدام الرفيق رزفيلوف القيرغيزي وعبد الكريم صديقوف.. ولم يكن لهم من ذنب الا مطالبتهم باشباع مواطنيهم من منتجات قيرغيزيا الزراعية الوفيرة. وهكذا واجه الروس كل من طالب بالفتات للشعب القيرغيزي حتى ولو كان منتسبا للحزب الشيوعي.

تحد قيرغيزيا من الشمال قازاقستان ومن الجنوب والشرق تركستان الشرقية المسماة سينكيانغ أو المستعمرة الجديدة للصين الشيوعية.. ومن الجنوب الغربي طادجكستان ومن الغرب اوزبكستان، وينبع نهر سيحون (سرداريا) من جبال قيرغيزيا في وسطها ثم يتجه غربا ليصل الى اقليم فرغانة الذي الحق الجزء الغربي منه في جمهورية اوزبكستان ولذا فإن خوقند (خجندة) تقع في أوزبكستان، أما عاصمة فرغانة اخسكيت فيصفها ابن حوقل بانها تمتد لأكثر من ثلاثة فراسخ (أي تسعة اميال).. ببساتينها.. بينما يقول المقدسي ان البساتين تمتد خارج المدينة مسافة فرسخين (٦ أميال). وفي الجانب المقابل من النهر (أي سيحون) مروج ومزارع كثيرة تليها رمال ممتدة بمقدار مرحلة. وتقع اخسكيت على نهر سيحون (سرداريا ويسمى احيانا نهر الشاش لانه يمر باقليم الشاش) وكما يقول الاصطخري فإن عموده يخرج من حد أوزكند ثم يجتمع اليه نهر خوشاب ونهر اوش وغير ذلك ويمتد الى أخسكيت ثم الى خجندة (خوقند) ثم على بنكث (طشقند). وهذا مما يجعلنا نثق بان أخسكيت تقع اليوم في قيرغيزيا رغم اننا لم نعثر لها على ذكر في الخرائط الموجودة بين ايدينا.. ذلك لأن خوقند (أو خجندة) انما تقع على نهر سيحون بعد ان يمر سيحون باخسكيت اولا وحسب ما نراه من خريطة النهر فإنه

ينبع اولا في وسط قيرغيزيا ثم يتجه غربا حتى يقطع الجزء الغربي من قيرغيزيا فيدخل الى اقليم خوقند في أوزبكستان ثم يتجه شمالا ليصل الى بنكث وهي طشقند عاصمة أوزبكستان ثم يدخل في جمهورية قازاقستان حتى يصل مدينة فاراب موطن الفيلسوف ابي النصر الفارابي فاذا جاوز سيحون فاراب مر على مدينة صبران (سوران) ثم يجري بعدها في برية حتى يصل الى مصبه في بحيرة خوارزم (بحر الارال) واستمع الى ياقوت يصف اقليم فرغانة الذي يقع الجزء الاعظم منه في قيرغيزيا (فرغانة مدينة وكور واسعة وراء النهر متاخمة لبلاد تركستان (الشرقية). كثيرة الخيرات واسعة الرستاق يقال كان بها اربعون منبرا (أي أربعون مسجداً جامعاً.. وكان لكل مدينة مسجد جامع) بينها وبين سمرقند خمسون فرسخا ومن ولايتها خجندة.. وبفرغانة في الجبال الممتدة بين الترك وبينها من الاعناب والجوز والتفاح وسائر الفواكه والورد والبَنفسج وأنواع الرياحين مباح ذلك كله لا مالك له ولا مانع يمنع الاخذ.. وكذلك في جبالها وجبال كثيرة مما وراء النهر من الفستق المباح ما ليس ببلد غيره »..

أما الاصطخري فيقول: « وليس بما وراء النهر أكثر قرى من فرغانة وربما بلغ حد القرية مرحلة لكثرة أهلها وانتشار مواشيهم وزروعهم». وها هي فرغانة وقيرغيزيا لا يجد أهلها قوتهم بعد الاحتلال الروسي البغيض.. وأين هي مدنها وقراها الكثيرة التي كان يذكر منها أربعين ذات مسجد جامع ومنبر (كما يقول ياقوت والمقدسي) وسنفرد فرغانة ومن ظهر بها من العلماء والجهابذة بفصل خاص ان شاء الله فنرجيء بقية الحديث عنها الى حينه.

وقد كثرت المستعمرات الروسية في قيرغيزيا وخاصة في اقليم فرغانة الكثير الخيرات وتذهب خيرات قيرغيزيا الى الروس اولا ثم يأخذ

القيرغيز الفتات. وتنتج قيرغيزيا سنويا :

٣٠٠,٠٠٠ طن من القمح
٢٢٤,٠٠٠ طن من الذرة
١,٦٠٤,٠٠٠ طن من البنجر (الشوندر السكري)
٢٨٠,٠٠٠ طن من القطن

كما تنتج كميات هائلة من الفواكه والفستق واللوز.. وتربي حاليا سبعة ملايين رأس من الأغنام وكمية كبيرة من الخيول..

أما ثروتها المعدنية فهائلة اذ تعد قيرغيزيا من أكبر مناطق انتاج الزئبق والانتيموني في العالم.. كما انها تنتج كمية وافرة من الفحم اذ يبلغ معدل انتاجها السنوي ٥,١٠٠,٠٠٠ طن كما ان بها ايضا معادن الذهب والقصدير والرصاص والزنك.

وعاصمتها فرونزي (فرونزة) وترتبط العاصمة بشبكة خطوط حديدية محدودة لكثرة الجبال في البلاد.

المعطيات الادارية: أحتل القياصرة قيرغيزيا سنة ١٢٨٤ هـ (١٨٦٦ م) واعتمدت سياسة الاستيطان الروسي وطرد السكان الاصليين منها.

وفي عام ١٣٣٥ هـ (١٩١٦ م) ثار القرغيز ضد الطغيان القيصري وابيد منهم ١٥٠,٠٠٠ شخص.

وتعاون القرغيز في أول الأمر مع ثورة لينين التي خدعوا بدعايتها الماكرة التي أدعت أن لينين سيعطي المسلمين حقوقهم الدينية والمدنية كاملة..

وفي عام ١٣٤٣ هـ (١٩٢٤ م) أنشئت منطقة كارا قيرغيزيا ذات الحكم الذاتي التابعة مباشرة لجمهورية روسيا الاشتراكية الفيدرالية.. وفي

أول فبراير (شباط) ١٣٤٥ هـ (١٩٢٦ م) تحول اسمها الى جمهورية قيرغيزيا ذات الحكم الذاتي وفي عام ١٣٥٥ هـ (١٩٣٦ م) تحولت الى جمهورية فيدرالية سوفيتية وأصبحت تدعى جمهورية قيرغيزيا الاشتراكية السوفيتية..

الوضع الديموجرافي: بلغ عدد سكان قيرغيزيا عام ١٩٧٩ م ٣,٥٢٩,٠٠٠ نسمة وكان سكان العاصمة فرونزي ٥٣٣,٠٠٠..

ويتوزع السكان كالتالي:

قرغيز	١,٦٨٧,٠٠٠	٤٨٪
الاوزبك	٠,٤٢٦,٠٠٠	١٢٪
التتار	٧٢,٠٠٠	٢٪
الويغور	٣٠,٠٠٠	٠,٨٪
القزاخ والتاجيك	٥٠,٠٠٠	١,٥٪
الروس	٩١٢,٠٠٠	٢٥,٩٪
الاوكرانيون	١٠٩,٠٠٠	٣,١٪
قوميات أخرى	٢٣٧,٠٠٠	٦,٧٪

ويشكل المسلمون عام ١٣٩٩ هـ (١٩٧٩ م) نسبة ٦١,٥٪ من مجموع السكان بينما كانوا في عام ١٣٧٩ هـ (١٩٥٩ م) ٥٧,٧٪ فقط وذلك يعود الى زيادة التناسل بين المسلمين ومرة بعد مرة نرى أهمية كثرة النسل بين المسلمين وأنها الوسيلة الوحيدة التي يملكونها في وجه حرب الابادة المستمرة ضدهم.

واذا دققنا النظر في احصاء عام ١٣٩٩ هـ (١٩٧٩ م) نجد أن الروس يتكاثرون بشكل خاص في شمال قرغيزيا وفي مدينة فرونزي

حيث لم يكن المسلمون يشكلون سوى ٢٠,٣ بالمئة من سكانها عام ١٣٩٠ هـ (١٩٧٠ م) بينما نرى الأرياف مناطق اسلامية وخاصة في منطقة نارين حيث يشكل المسلمون ٩٦٪ من السكان والجزء الشرقي القرغيزي من وادي فرغانة حيث تبلغ نسبة المسلمين ٨٦ بالمئة. والعدد الاجمالي للقرغيز ١,٩٠٠,٠٠٠ داخل الاتحاد السوفيتي. وتوجد اعداد كبيرة من القرغيز في أقليم سينكيانغ (التركستان الشرقية) وفي أفغانستان في اقليم واخان وفي منغوليا.. والبنية الاساسية في المجتمع القرغيزي هي العائلة الموسعة التي يسمونها (بير أتانينغ بلداري) أي الاولاد المتحدرون من أب واحد.. وتشكل كل خمس أو سبع عائلات عشيرة وتشكل مجموعة من العشائر قبيلة. وتتجمع القبائل القرغيزية في تجمعين كبيرين:

الأول: وهو تجمع (اطزا وول) أي الابناء الثلاثون.

الثاني: هو تجمع ايتشي كيليك.

الاسلام في قيرغيزيا: لقد دخل الاسلام الى وادي فرغانة مبكراً في نهاية القرن الأول الهجري عندما فتح قتيبة بن مسلم الباهلي هذه المناطق.. ويوجد قبر قتيبة بن مسلم في رباط سرهنك في فرغانة حيث يسميه الاهالي (الامام الشيخ قتيبة) كما نجد في خوقند قبر الإمام عبد الله بن علي زين العابدين بن الإمام السبط الحسين بن علي المتوفي عام ١١٣ هـ (٧٣١ م) ويحدثنا بارتولد في كتابه الموسوعي (التركستان) أن بفرغانة في منطقة اسيد بولان قبور ٢٧٠٠ من الصحابة والتابعين الذين بعثهم الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه تحت امرة محمد بن جرير فاستشهدوا جميعاً في واقعة مع الكفار.. ولا يزال هذا الموقع معروفاً وقائماً الى حين زيارة بارتولد له في بداية القرن العشرين. وهذه الواقعة ان صحت تدل على أن المصادر التاريخية التي تتحدث عن أول غزو لبلاد ما وراء النهر بأنه

حدث عام ٥٠ هـ على يد الصحابي الحكم بن عمرو الغفاري في عهد معاوية غير دقيقة.. فقد سبقها كما يقول بارتولد غزو وصل الى فرغانة في وادي نهر سيحون (سرداريا) في عهد عثمان رضي الله عنه. من هذه الأدلة التاريخية الواضحة يبدو أن الاسلام قد دخل الى وادي فرغانة في القرن الأول الهجري وتجذر بعمق في القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) عندما أسلمت قبائل بكاملها وهذا يدل على أن ما ذهب اليه بنجينسن ولومرسييه في كتابهما (المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي) من أن الاسلام دخل اراضي قيرغيزيا متأخراً في القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين - قول تنقصه الادلة التاريخية الكثيرة.. ويبدو أن مناطق من القرغيز لم تدخل الاسلام إلا في وقت متأخر بينما دخلت مناطق اخرى وخاصة الواقعة في وادي فرغانة أو بالقرب منه في وقت مبكر (في القرن الثالث الهجري أي التاسع الميلادي).

ويذكر بنجينسن ولومرسييه دور الطرق الصوفية الهام في نشر الإسلام في هذه المناطق وجميع المؤرخين يؤكدون على أهمية هذا الدور منذ أن دخلت قبائل القراخانيين في الاسلام عندما اسلم ستوق بغراخان رئيسهم واسلم معه مليون من اتباعه وذلك في نهاية القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي).

ويبدوا أن سكان شمال قيرغيزيا لم يدخلوا في الاسلام الا في القرن الثامن عشر الميلادي (الثاني عشر الهجري) بواسطة رجال الطرق الصوفية واهم هذه الطرق أربع هي:

١ - الطريقة النقشبندية:

التي تتمتع بشعبية واسعة في جميع الاتحاد السوفيتي من القوقاز والداغستان في الغرب الى قرغيزيا في الشرق.. ومركزها الرئيسي في بخارى وقد قاد رجال هذه الطريقة الجهاد ضد الغازين البوذيين

(الاويروت) في القرن السابع عشر والثامن عشر الميلاديين في قيرغيزيا مما جعل لهذه الطريقة شعبية كبيرة بين القرغيز تشبه الى حد كبير اكبار الناس لهذه الطريقة في القوقاس حيث اخرجت الامام الملا محمد والإمام محمد شامل وحركة المريدين التي قاومت الغزو الروسي للداغستان والقوقاس لأكثر من ١٣٧ عاماً.. والتي كان من آخر أبطالها الإمام نجم الدين غوتسو الذي أعلن استقلال الداغستان سنة ١٣٣٧ هـ (١٩١٨ م) والذي استمرت ثورته الى عام ١٣٤١ هـ (١٩٢٢ م) عندما تم اخضاعها بواسطة القوات البلشفية الكثيفة..

٢ - الطريقة القادرية:

وهي إحدى أشهر الطرق الصوفية والتي تنتسب الى الإمام الرباني السيد عبد القادر الجيلاني الذي ينتسب الى الإمام السبط الحسن بن علي. ورجال هذه الطريقة منتشرون في مختلف ارجاء العالم الاسلامي ولهم دور كبير في أفريقيا حيث قاموا بنشر الاسلام في مناطق مختلفة منها.

أما في الاتحاد السوفيتي فلهم دور مجيد يماثل الى حد ما دور الطريقة النقشبندية وقد انتشرت هذه الطريقة في القوقاس.. كما انتشرت في وادي فرغانة منذ القرن الثامن عشر الميلادي.. ولها دور كذلك في مواجهة الغزو الروسي القيصري ثم البلشفي ..

٣ - الطريقة الياسوية:

ومؤسسها أحمد اليسوي أحد كبار العلماء ورجال الطرق الصوفية وأحد فحول الشعراء وهو مغولي الاصل وقد أسلم على يديه مئات الآلاف من المغول. واستطاع بفضل الله عليه وجهوده المباركة ان ينشر الإسلام في مناطق واسعة في التركستان كما استطاع أن يجذر الاسلام

ويعمقه لدى القبائل الهمجية التي دخلت في الاسلام. وقد توفي أحمد اليسوي في مدينة يسي التي نشأ بها والتي عرفت فيا بعد باسم تركستان وهي في منطقة تشيمقند في جمهورية كازاخستان وكانت وفاته سنة ٥٦٢ هـ (١١٦٦ م). وفي منطقة قيرغيزيا قاوم اصحاب هذه الطريقة الروس القياصرة فلما جاء البلاشفة انقسموا الى فرقتين فرقة صدقت وعود لينين للمسلمين فتعاونوا معه للقضاء على ما بقي من قوات روسيا البيضاء وفرقة لم تصدق وعود لينين وحاربته منذ أول لحظة كما حاربت القياصرة من قبل. وهذه الفئة الثانية تعرف بأسم (الايشان) ويتهم مريدوها بالتعصب الديني والنشاط المناهض للسوفيت منذ عام ١٣٣٩ هـ (١٩٢٠ م) وكان مركزها مدينة ارسلانبا في وادي مزغاز ولها اتباع في أوزبكستان وقيرغيزيا أما فئة لاشي التي تعاونت في أول الأمر مع لينين مصدقين وعوده سرعان ما عرفوا حقيقته البشعة فغيروا موقفهم ولجأوا الى العمل السري ولم يكتشفهم السوفيت إلا بعد عام ١٣٧٠ هـ (١٩٥٠ م) ورغم ما واجهوه من اعدامات وسجون وتشريد وتعذيب إلا أنهم لا يزالون ينتشرون في القرى وخاصة في منطقة اوشي.

ويعتبر مركز الطريقة الياسوية الاساسي في جنوب كازاخستان ومنها انطلقت الى مختلف مناطق التركستان.. وفي عام ١٩٦٣ م اكتشفت السلطات السوفيتية تنظيماً سرياً لهذه الطريقة تدعو للتحضير لاقامة دولة إسلامية كما أنهم يقومون بتنظيم مدارس دينية سرية وأماكن للصلاة سرية وقد حكم على أكثرهم بالاعدام والسجن.

الطريقة الكبروية: وموطنهم خوارزم ومنها انطلقت الى مختلف مناطق التركستان. وقد أسسها نجم الدين أحمد الكبري الخيوي نسبة الى مدينة خيوه عاصمة خوارزم في العصور المتأخرة والذي عاش في القرن

(السادس الهجري) (٥٤٠ - ٦١٦هـ) (١١٤٥ - ١٢١١م) وبفضل الله اولاً ثم بفضل جهود هؤلاء الصوفية استطاع الاسلام أن يكسب أنصاراً وأتباعاً في جميع مناطق الاتحاد السوفيتي منذ أن دخل القراخانيون في الاسلام في القرن الثالث الهجري ثم دخول المغول احفاد جنكيزخان وهولاكو في الاسلام.. ثم دخول قبائل التركمان وقبائل القرغيز والقازاخ وتتار الفولجا والبلغار وعشرات الامم.. ولم يقم هؤلاء الصوفية بدورهم في نشر الاسلام فحسب ولكنهم قاموا بتعميقه وتجذيره والدفاع عنه في وجه القبائل الوثنية ثم في وجه القياصرة البيض ثم في وجه البلاشفة الحمر. وكانوا هم قادة المجاهدين وأول المدافعين عن الاسلام في تلك البقاع.

وبفضل الله ثم بفضل جهودهم في قيرغيزيا في وادي فرغانة (اصبحت هذه المنطقة احدى المناطق الأكثر تديناً في آسيا الوسطى رغم شدة الحملات الدعائية ضد الاسلام هناك)[١]..

جمهورية طادجكستان: تقع أصغر الجمهوريات التركستانية طادجكستان شمال أفغانستان وتشترك معها في الحدود والاقاليم ومنابع المياه. اذ ينبع نهر جيحون من جبال بامير الموجودة فيها ويأخذ روافده في مجراه الاعلى منها ومن شمال شرق أفغانستان وتدخل مقاطعات وخان وبذخشان بين افغانستان وطادجكستان.

وسكان طادجكستان هم من العنصر الفارسي الطاجيك الذين ظهر منهم الشاعر الموهوب الفردوسي صاحب الشاهنامة والشيخ الرئيس ابن سينا الذي ولد ونشأ في بخارى (وقد ذكرنا ترجمته في فصل بخارى ومن ظهر بها من العلماء) ويشكل الطاجيك ما يقرب من ٣٠٪ من سكان افغانستان ايضا. وبينما نرى سكان طادجكستان شيعة جعفرية

(١) أنظر كتاب المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي.

واسماعيلية فإننا نرى الطاجيك في افغانستان قد تحولوا الى المذهب السني..

ويسكن التاجيك الاسماعيليون (وهم طائفة من الشيعة مثل النصيرية في سوريا والبهرة في الهند) في مرتفعات بامير المنيعة والتي ظهر فيها أحد أشهر زعمائهم الحسن الصباح صاحب قلعة ألموت أي وكر النسر لمناعتها ومشابهتها في البعد والمنعة..

وقد كانت هضبة بامير تتبع افغانستان حتى عام ١٣٤٤ هـ (١٩٢٥ م) عندما ابتعلتها القوات الروسية البلشفية مثلما تفعل روسيا اليوم بافغانستان ذاتها. وتبلغ مساحة طادجكستان ١٤٣,٠٠٠ كم مربع ولا يزيد سكانها عن ثلاثة ملايين وتشغل هضبة بامير اكثر من نصف مساحة البلاد وهي تحتل الجزء الجنوبي والجنوبي الشرقي من طادجكستان.. أما القسم الشمالي فتشغله سلسلة جبال الآي واقل الاماكن ارتفاعاً هو الجزء الجنوبي الغربي وتمتد أراضيها جنوب خوقند الواقعة في جمهورية اوزبكستان.. وبذلك تقع جنوب نهر سيحون في هذه المنطقة. اما منابع نهر جيحون والمجرى الاعلى لنهر جيحون فيمر بالقرب من حدودها مع افغانستان (أي في حدودها الجنوبية).. ونتيجة لكثرة المياه فإن طادجكستان ذات ثروة زراعية هائلة بالمقارنة مع حجمها اذ تنتج سنوياً:

١٤٦,٠٠٠ طن من القمح

٣٧,٠٠٠ طن من الذرة

٥٠٠,٠٠٠ طن من القطن

وبها ما يقرب من مليونين ونصف من الاغنام.. كما أن بها ثروة معدنية وخاصة معدن الزنك والتنغستين.. أما أقليم بذخشان الذي يقع بين افغانستان وطادجكستان فقد اشتهر منذ اقدم الأزمنة بخصبه

وبثروته الهائلة من الياقوت واللازورد يليهما الذهب والفضة.. وتقع عاصمة أقليم بذخشان في افغانستان وهي مدينة فايز آباد (فايظا اباد).

ونتيجة لمساقط المياه الكثيرة من المرتفعات فإن الطاقة الكهربائية تولد بوفرة من هذه المساقط التي ترفد نهر جيحون. وعاصمة طادجكستان دوشني تقع بالقرب من حدودها الجنوبية (أي بالقرب من حدودها مع أفغانستان) وقد غير الروس اسمها أيام ستالين الى ستالين آباد (أي مدينة ستالين) فلما مات ستالين وظهرت فضائحه ونبش قبره في روسيا غير القياصرة الجدد اسمها الى لينين اباد (أي مدينة لينين الذي أقام أول وأكبر دولة شيوعية في العالم بمساعدة عائلة روتشيلد اليهودية الاخطبوطية).

ومن مدن طادجكستان كاكا نوفيتشي اباد (ولم أعثر على اسمها الحقيقي وكم زيف الروس واقع وتاريخ هذه البلاد..

الوضع الاداري وتاريخ تكوين جمهورية طادجكستان

تأسست منطقة طادجكستان ذات الحكم الذاتي في ١٤ أكتوبر ١٣٤٣ هـ (١٩٢٤ م) وكانت تابعة لجمهورية أوزبكستان الاشتراكية السوفيتية.. وكانت تضم في باديء الأمر بعض المناطق العائدة لحكومة التركستان العامة السابقة ولإمارة بخارى فلما سقطت حكومة التركستان وامارة بخارى بيد البلاشفة الروس قاموا بوضع التقسيم الاداري الجديد وجعلوا طادجكستان جمهورية ذاتية تابعة لاوزبكستان ثم ما لبثوا ان أضافوا إليها القسم الشمالي من منطقة البامير المعروفة باسم عورنو وبذخشان. وهي المنطقة المحاذية لافغانستان والمشهورة بثروات الفيروز واللازورد والذهب وفي ١٥ مارس ١٣٤٤ هـ (١٩٢٥ م) تحولت طادجكستان من مقاطعة الى جمهورية ذاتية تابعة ايضا لاوزبكستان. وفي ٥ ديسمبر ١٩٢٩ أعلن ستالين طادجكستان جمهورية اشتراكية

سوفيتية فيدرالية وتبلغ مساحة طادجكستان بوضعها الحالي ١٤٣,٠٠٠ كم مربع ويبلغ عدد سكانها حسب احصاء ١٣٩٩ هـ (١٩٧٩ م) ٤,٩٣,٠٠٠ نسمة.. وتسمى عاصمتها دوشابي.

الوضع الديموجرافي ذكر احصاء عام ١٩٧٩ الزيادة المطردة في سكان طادجكستان حيث ارتفع عدد السكان التاجيك من ٩٨,٠٠٠ نسمة عام ١٣٤٥ هـ (١٩٢٦ م) الى ١,٣٩٧,٠٠٠ عام ١٣٧٩ هـ (١٩٥٩ م) والى ٢,٢٣,٧٠٠ عام ١٣٩٩ هـ (١٩٧٩ م). مشكلين بذلك ٥٨,٥ بالمئة من مجموع سكان طادجكستان..

ويبلغ عدد الروس المستوطنين في طادجكستان ٣٩٥,٠٠٠ (أي ١٠,٥ في المئة) والاوكرانيون ٣٦,٠٠٠ (١,٨ في المائة) وبقية المستوطنين ١٠٨,٠٠٠ (٢,٨ في المئة). وبذلك يشكل هؤلاء الكفرة حوالي ١٤٪ من مجموع السكان..

أما بقية السكان فهم من الاوزبك والقرغيز والتركمان والتتار. ويعيش مجموعة من التاجيك في بقية جمهوريات التركستان ويبلغ عددهم ٤٣,٠٠٠ تاجيكي.. أما العدد الاكبر من التاجيك فيعيشون في أفغانستان حيث يوجدون باعداد تفوق عددهم في جمهوريتهم طادجكستان.. ففي افغانستان يبلغ التاجيك قرابة أربعة مليون نسمة مشكلين بذلك حوالي ثلث سكان افغانستان ويشكل التاجيك أمة واحدة أصولها فارسية ولغتها أيضاً فارسية.. وقد فرض على التاجيك ان يكتبوا بالحرف الروسي (الكيريلي) منذ عام ١٣٥٨ هـ (١٩٣٩ م) بدلا من الحرف العربي حتى يبعدوهم عن اصولهم الثقافية الاسلامية.

المعطيات الدينية للتاجيك لقد دخل التاجيك في الاسلام منذ الفتوح الاسلامية لامبراطورية كسرى وظهر منهم العديد من العلماء والشعراء والمثقفين.. ومن أشهر علمائهم ابن سينا الشيخ الرئيس

الفيلسوف الطبيب الحكيم.. والفردوسي صاحب الشاهنامة.. وعمـ
الخيام صاحب الرباعيات.. ويشكل تاجيك أفغانستان أكبر تجمـ
للتاجيك حيث يبلغون قرابة أربعة ملايين وقد اندمجوا في تاريخ
أفغانستان القديم والحديث وكانوا هم عماد الدولة والتجار والعلماء
فيها.. وجميعهم سنة أحناف..

أما تاجيك الاتحاد السوفيتي فأغلبهم سنة أحناف ولكن منهم مائة
ألف تاجيكي يعيشون في هضبة بامير وهم من الطائفة الاسماعيلية
النزارية (اتباع اغا خان) وهناك مجموعة اخرى من التاجيك شيعة
جعفرية امامية مثل شيعة ايران والعراق.. وأكثر هؤلاء موجودين في
العاصمة دوشامبي ومدينة لينين جراد ويوجد في طادجكستان بضعة
مساجد مفتوحة للعبادة رسميا (١٨ مسجداً عام ١٣٨٣ هـ (١٩٦٣ م)
وحوالي عشرة مساجد عام ١٣٩٩ هـ (١٩٧٩ م)) ولكن هناك العديد من
المساجد السرية التي يشرف عليها رجال الملا ودعاة الطرق الصوفية
وخاصة النقشبندية والطريقة القلندرية.. والتي تقف ببطولة أمام حملات
الدعاية الاتحادية الشيوعية حيث القيت في طادجكستان عام ١٣٧٩ هـ
(١٩٥٩ م) وحدها ٤٠,٥٠٠ محاضرة ضد الإسلام.

جمهورية كاراكلباك الاشتراكية السوفيتية ذات الحكم الذاتي

لقد قامت السياسة الاستعمارية الروسية بتمزيق المنطقة الواحدة الى
عدة مناطق.. ويتجلى ذلك بصورة شديدة الوضوح في القوقاس
والتركستان.. وهي تشبه في ذلك السياسة الاستعمارية البريطانية الا أنها
تختلف عنها في أن السياسة البريطانية كانت في الغالب لها صفة
الاستمرارية بينما تميزت السياسة الروسية البلشفية بسياسة متقلبة تتبع
اهواء الحاكم ونزعاته. فقد تأسست مثلا منطقة الكاراكلباك ذات الحكم
الذاتي في ١٦ فبراير ١٩٢٥ م وكانت تابعة لجمهورية تركستان ثم تحولت
الى منطقة تابعة لكازاخستان في مايو ١٩٢٥ م وفي ٢٠ مارس ١٩٢٦ م

أصبحت تابعة مباشرة لجمهورية روسيا الاشتراكية الفيدرالية السوفيتية.. وفي عام ١٩٣٦م أعلنت هذه المنطقة جمهورية ذات حكم ذاتي تابعة لجمهورية كازاخستان ثم في ٥ ديسمبر من نفس العام اصبحت تابعة لجمهورية اوزبكستان!!

تبلغ مساحة هذه الجمهورية ١٦,٥٠٠ كم مربعاً تقع على دلتا نهر جيحون عند مصبه في بحر الارال(بحيرة خوارزم).. وتعداد سكانها قرابة المليون (٩٠٥,٠٠٠) حسب إحصاء عام ١٩٧٩م ويشكل المسلمون أغلبيتهم الساحقة ٩٥٪.. وتعتبر بذلك كاراكلباك المنطقة التي تضم اكبر نسبة من الاتراك المسلمين في جميع انحاء الاتحاد السوفيتي..

عاصمة هذه الجمهورية **نوخوس** وغالبية الكاراكلباك من الفلاحين.. وكما يقول كتاب المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي فإن الامة الكاراكلباكية هي ذات تكوين مصطنع.. احدثها النظام السوفيتي على أساس تجميع قبائل تركية.. ولذا فإن الكاراكلباك لا يوجد لديهم الشعور القومي كامة وانما انتماءآتهم قبلية «ويبقى الدين الاسلامي أهم عنصر يجمع هذه القبائل» ويعتبر الكاراكلباك كما يقول المصدر السابق «شعبا من اكثر الشعوب تمسكا بالاسلام في آسيا الوسطى وذلك يعود الى نشاط الطرق الصوفية الاربع وهي الكبراوية ومركزها **خوارزم** والياساوية ومركزها جنوب **كازاخستان** والنقشبندية وتنتشر في جميع ارجاء الاتحاد السوفيتي وخاصة في القوقاس والقلندرية وهي طريقة جواله ليس لها مركز ثابت».

ثروات تركستان

وتتلخص ثروات تركستان الغربية التي تستولي عليها روسيا فيما يلي:

(١) ثروات زراعية هائلة جعلت الاتحاد السوفيتي الدولة الثانية في انتاج القطن في العالم.. ولولا السياسة الزراعية الفاشلة لكانت ايضاً الدولة الثانية في انتاج القمح.. وتنتج تركستان الغربية كمية هائلة من

الفواكه التي تصدر الى الاتحاد السوفيتي بأكمله.

(٢) ثروات معدنية جعلت الاتحاد السوفيتي الدولة الثانية في العالم في انتاج الذهب والفضة كما ان بالتركستان ثروة بترولية جيدة حيث يوجد بها ٢٤ بئرا للبترول واذا أضيف ذلك الى انتاج باكو في أذربيجان (الإسلامية) التي يحتلها الروس فان ذلك يجعل روسيا اكبر منتج للبترول في العالم. حيث تنتج روسيا ١٢ مليون برميل يوميا وتأتي المملكة العربية السعودية التي بلغ أقصى انتاجها عام ١٩٨٠ عشرة مليون يوميا وقد خفض الإنتاج السعودي عام ١٩٨١ الى تسعة ملايين اما في عام ١٩٨٢ فقد بدأ التخفيض الى سبعة ملايين ونصف المليون..

وتنتج التركستان الذهب من ٢٥ منجما والفضة من ١٦ منجما وانتاج التركستان جعلها الدولة الثانية في العالم في انتاج الذهب والفضة اما الكروم فإنتاج التركستان منه جعل الاتحاد السوفيتي الدولة الاولى في العالم في انتاجه ويدخل الكروم في صناعة الطائرات والادوات الكهربائية وفي التركستان ايضا ٤٦ منجما للحديد و٢٣ منجما للرصاص و٦٣ منجما للصوديوم و١٣ منجما للكبريت.. وكمية هائلة من الفحم.. وكمية جيدة من اليورانيوم الذي مكن الاتحاد السوفيتي من تنفيذ برامجه النووية بحيث اصبح ينافس امريكا في ذلك..

أما ثروات التركستان الشرقية فقد سبق أن تحدثنا عنها في الفصل السابق وكيف تنهبها الصين الشيوعية.

وهكذا نرى ثروات العالم الاسلامي اما ان تذهب الى امريكا وأوربا أو تذهب الى روسيا والصين الشيوعية بينما يلقى الفتات للمسلمين الذين يتضورون جوعا في بنجلاديش وساحل افريقيا الشرقي ويموت الملايين منهم كل عام من المسغبة.. ويتنصّر الآلاف في أندونيسيا وافريقيا في مقابل حفنة من الأرز أو رغيف من الخبز تتصدق به عليهم المؤسسات الكنسية والهيئات التبشيرية.

الفصل الثالث عشر

دورُ العُلماء في انتِشار الإسلام
وَمُواجهة الإلحاد وَالشيُوعية
في الاتحاد السّوفيتي

. يجهل اكثر المثقفين الأدوار البطولية العظيمة التي قام بها علماء الاسلام ومشايخ الطرق الصوفية في نشر الاسلام في المناطق الشاسعة التي دخلت في الاسلام على امتداد القرون فيما يعرف اليوم بالاتحاد السوفيتي.

ومنذ وقت مبكر جداً كانت الفتوحات الاسلامية التي قادها أجلة الصحابة في عهد عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن ابي طالب رضي الله عنهم، كانت هذه الفتوحات العسكرية الباهرة مصحوبة بالدعوة الى الله بالقول والفعل وباللسان والسنان..

وكان ممن اشترك من أجلة الصحابة في فتح أذربيجان وكرجستان وأرمينية وطبرستان والديلم وخراسان وبلاد ما وراء النهر حذيفة بن اليمان صاحب سر رسول الله ﷺ والبراء بن عازب وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو بن العاص وحبر الأمة عبد الله بن عباس وأخوه قثم ابن العباس الذي استشهد في معركة فتح سمرقند وسيديّ شباب أهل الجنة السبطين الشهيدين الحسن والحسين ابناء فاطمة الزهراء. والحكم بن عمرو الغفاري اول من فتح بلاد الصغانيان وهي الآن في جمهورية اوزبكستان السوفيتية. وعبد الله بن عامر بن كريز الذي أعاد فتح خراسان في عهد عثمان رضي الله عنه بعد أن انتقضت كثير من مناطقها.

وكان لهؤلاء الصحابة والتابعين دور كبير في نشر الاسلام في ربوع خراسان المقسمة اليوم بين ايران وافغانستان وجمهورية تركمنستان السوفيتية.. وتقع مرو وبيهق ونسا وسرخس وهي من أهم مدن خراسان في جمهورية تركمنستان.

وقد أخرجت جهود هؤلاء الصحابة مئات العلماء والفضلاء والأجلاء

من تلك البلاد وقاموا بخدمة الاسلام أجل خدمة.

وعندما توقف المد العسكري في القرن الرابع الهجري وتوقفت الفتوحات عند حدود الصين والتركستان الشرقية قام العلماء ومشايخ الطرق الصوفية ومريدوهم من التجار بنشر الاسلام في الاصقاع الواسعة الواقعة شرق نهر سيحون (سرداريا) والمعروفة آنذاك باسم التركستان (أي التركستان الشرقية) والواقعة شرق فرغانة كما انتشروا شمالا في سهوب القفجاق، وامتدوا من خوارزم صوب سهوب الاستيبس في ما يعرف بقازاقستان حاليا وشرقا وشمالا صوب سيبيريا الغربية.. وفي الشمال الغربي صوب نهر الفولجا حيث كان يقطنه بلغار الفولجا.. وفيما يلي نبذ موجزة عن هذا الجهد المبارك:

١ - انتشار الاسلام في التركستان الشرقية (أي ما يعرف بطريقة الحرير)

لقد تم دخول ستوق بغراخان ملك الترك الشرقيين على يد الدعاة الى الله من الصوفية سنة ٣٢٣ هـ (٩٣٤ م) وتبعه في إسلامه مليون شخص على الأقل (مائتي الف خيمة).

٢ - انتشار الاسلام على طول نهر الفولجا (طريق الفراء)

وذلك منذ القرن الثالث الهجري ويحدثنا ابن فضلان في رحلته التي قام بها الى بلاد البلغار بأمر الخليفة العباسي سنة ٣٠٩ هـ (٩٢١ م) عندما جاء وفد من بلغار الفولجا وطلبوا من الخليفة العباسي أن يرسل لهم من يعلمهم امور دينهم كما طلبوا منه خبراء عسكريين ومهندسين ليبنوا لهم استحكامات عسكرية في وجه أمة الروس الهمجية، يحدثنا ابن فضلان عن ملك البلغار ألمش بن يلطوار المسلم وعن انتشار الاسلام بين رعيته.

وقد كان إسلام بلغار الفولجا يتم بواسطة الدعاة من العلماء

والصوفية وتلاميذهم ومريديهم من التجار.

٣ - **دور الصوفية والعلماء في مواجهة الغزو المغولي الذي قام به** جنكيزخان وذلك سنة ٦١٨ هـ ثم دورهم العظيم في نشر الاسلام بين صفوف هؤلاء المغول الجفاة البرابرة الهمج حتى دفع جوجي ابن جنكيزخان ابنه لهؤلاء العلماء من الصوفية لتعليمه فتعلم ابنه بركة خان القرآن في صغره ونشأ على الاسلام وقد تولى بركة خان حكم القبيلة الذهبية سنة ٦٥٤ هـ (١٢٥٦ م) وبقي أميراً عليها الى أن توفاه الله سنة ٦٦٥ هـ (١٢٦٧ م) وانتشر الاسلام في عهده انتشارا واسعا بين صفوف المغول وخاصة قبيلته الذهبية وقد حكمت هذه القبيلة معظم مناطق الاتحاد السوفيتي الحالية حيث كان مقرها أولا في خوارزم وغرب سيبيريا وسهل القبجاق وجميع بلاد ما وراء النهر (أي جيحون).. وقد وصلت هذه القبيلة الى حكم منغوليا وجميع أراضي روسيا والقرم ومعظم مناطق القوقاس وقد وصف لنا ابن بطوطة في رحلته السلطان محمد اوزبك الذي حكم الأراضي الواقعة على نهر الفولجا وشبه جزيرة القرم. (٧١٣ - ٧٤١ هـ).. كما وصف لنا مملكة السلطان طرمشيري الذي كان يحكم خوارزم وما وراء النهر.. وكلاهما من نسل جنكيز خان..

وقد ظل ابناء القبيلة الذهبية يحكمون الأراضي الواقعة على نهر الفولجا حتى سقطت خانياتهم في قازان واستراخان على يد ايفان الرهيب سنة ٩٦٠ هـ (١٥٥٢ م) أما خانية القرم التي حكموها فقد بقيت في ايديهم حتى سقوطها بيد كاترين سنة ١١٩٨ هـ (١٧٨٣ م) كما بقيت اماراتهم في خيوه وخوارزم وبخارى حتى سقوطها نهائياً بيد لينين سنة ١٣٤١ هـ (١٩٢٢ م).

وللطرق الصوفية ورجالها أعظم الفضل بعد الله في إسلام هؤلاء المغول وتحولهم الى صف الاسلام والدفاع عنه ونشره.

ولم يكن للعلماء الصوفيين فضل إدخال المغول في الاسلام فحسب بل كان لهم ايضا شرف المحافظة على إسلام هؤلاء القوم وتعميق الاسلام بينهم على مدى العصور.

وينقل لنا ابن بطوطة اثناء رحلته صورة مشرقة بالنور ونحن نرى العالم الصوفي حسام الدين الياغي وهو يعظ السلطان طرمشيرين (سلطان بخاري وما وراء النهر) المغولي حتى يبكيه يقول ابن بطوطة: «وكان هذا الشيخ يعظ الناس في كل جمعة ويأمر السلطان بالمعروف وينهاه عن المنكر والظلم. ويغلظ عليه القول والسلطان ينصت لكلامه ويبكي. وكان الشيخ لا يقبل من عطاء السلطان شيئاً. ولم يأكل قط من طعامه ولا لبس من ثيابه».

كما يصور لنا ابن بطوطة هذا السلطان التقي المؤمن فيقول: «وهو السلطان المعظم علاء الدين طرمشيرين وهو عظيم المقدار كثير الجيوش والعساكر ضخم المملكة شديد القوة، عادل الحكم». ويذكر لنا أن السلطان تأخر قليلاً ذات يوم عن موعد إقامة صلاة العصر فأرسل غلامه ليستأذن من الامام حسام الدين الياغي في تأخير الصلاة قليلا ريثما يتوضأ السلطان. فغضب الامام حسام الدين وقال الصلاة لله أو لطرمشيرين» وامر المؤذن بالاقامة.. فجاء السلطان وقد فاتته ركعتان فصلى بالقرب من موضع النعال فلما قضى صلاته قام مسرعا الى الامام ليسلم عليه. فقال الامام لابن بطوطه: إذا مشيت الى بلادك فحدث أن فقيراً من فقراء الأعاجم يفعل هكذا مع سلطان الترك».

وكذلك يصف لنا ابن بطوطة الامام الصوفي العالم نعمان الدين الخوارزمي الذي كان يعظ السلطان محمد أوزبك ويعنّفه والسلطان محمد أوزبك هو أحد السلاطين السبعة الذين كانوا يحكمون الدنيا آنذاك.. فقد كان ملكه يمتد في ارض روسيا على طول نهر الفولجا ويحكم القرم

والقوقاس حتى تصل حدوده بحدود مملكة طرمشيرين في خوارزم.

يقول ابن بطوطة عن الامام الصوفي العالم نعمان الدين الخوارزمي الذي كان يقيم في زاوية صغيرة في مدينة السرا حاضرة ملك السلطان محمد اوزبك «وهو من فضلاء المشايخ حسن الاخلاق كريم النفس شديد التواضع شديد السطوة على أهل الدنيا، يأتي اليه السلطان محمد أوزبك زائراً في كل جمعة فلا يستقبله ولا يقوم اليه. ويقعد السلطان بين يديه ويكلمه ألطف كلام ويتواضع له. والشيخ بضد ذلك. وفعله مع الفقراء والمساكين والواردين خلاف ذلك بأن يتواضع لهم ويكلمهم بألطف كلام ويكرمهم».

هكذا كان أصحاب الزوايا من العلماء الزهاد من مشايخ الصوفية لا يلتفتون الى السلاطين ولا يسعون نحوهم بل السلاطين يجثون على ابوابهم ويسمعون تقريعهم وتأنيبهم بكل أدب وخضوع.

وكان للعلماء من الصوفية ومريديهم دور عظيم في دخول المغول في الاسلام وفي تجذيره وتعميقه في نفوسهم.

الطريقة الياسوية:

ولقد كان للطريقة الصوفية الياسوية تأثير خاص على هؤلاء المغول إذ أن مؤسسها الشيخ أحمد اليسوي نفسه من هؤلاء المغول..

وقد نشأ هذا الشيخ وتوفي في مدينة يس التي عرفت فيما بعدم باسم تركستان وهي في منطقة تشيمقند (حاليا في جمهورية قازاقستان) وقد كانت وفاته سنة ٥٦٢ هـ (١١٦٦ م). وكان لتلامذته واتباع طريقته تأثير قوي على الأتراك والمغول على مدى القرون.. وكان لهم دور كبير في انتشار الاسلام بين المغول والقبائل التركية والقازاخية كما كان لهم دور كبير في تجذير الاسلام وتعميقه في نفوسهم وفي العصور الحديثة قام

شيوخ هذه الطريقة ومريدوها بمقاومة القياصرة بعنف في منطقة قرغيزيا وقازاقستان مقاومة شديدة.

وعندما قامت ثورة لينين ضد القياصرة وأعلن وعوده الكاذبة للمسلمين بأنهم سيعطون حريتهم الدينية والسياسية كاملة صدقه كثير من المسلمين.. ومن بينهم بعض مشايخ الطريقة الياسوية.. وانقسمت هذه الطريقة عندئذ الى فرقتين: فرقة صدقت لينين ووعوده الخلابة للمسلمين ووقفت معه لتحارب قوات روسيا البيضاء وتعرف هذه الفئة باسم لاشي.

وفرقة لم تصدق وعود لينين وحاربته منذ أول وهلة كما حاربت قوات القياصرة وكما حاربت قوات روسيا البيضاء. وتعرف هذه الفئة باسم الايشان. ويتهم مريدوها بالتعصب الديني والنشاط المناهض للسوفيت منذ عام ١٣٣٩ هـ (١٩٢٠ م) كما يقول بنجيسن ولومرسييه في كتابها «المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي».

وكان مركز الايشان مدينة أرسلانبار في وادي فرغانة واتباعها منتشرون في قرغيزيا واوزبكستان.

أما فئة لاشي التي تعاونت أول الأمر مع لينين مصدقة وعوده الكاذبة فسرعان ما عرفت الحقيقة وتحولت الى العمل السري ضد الشيوعية وفي عام ١٣٧٠ هـ (١٩٥٠ م) اكتشفت السلطات تنظيماتهم الصوفية المناهضة للسوفيت وقامت الحكومة باجراءات تعسفية في ملاحقتهم بعد ان قتلت جميع من قبضت عليهم من زعمائهم.. ورغم ذلك بقيت هذه الطريقة تعمل سراً لنشر الاسلام وتجذيره ومحاربة الالحاد والشيوعية وفي عام ١٩٦٣ م إكتشفت السلطات البوليسية السوفيتية تنظيماً سرياً آخر لهذه الطريقة وكان الاتهام الموجه اليهم هو إقامة بيوت سرية لإقامة الصلوات ودراسة القرآن والحديث وتنظيم

حلقات دراسية والتمهيد لإقامة حكم إسلامي ومحاربة الالحاد والشيوعية. وقد حكم على معظم اعضاء هذا التنظيم بالاعدام.

ولا يزال اتباع هذه الطريقة ينتشرون سراً في جنوب كازاخستان وقرغيزيا وبعض مناطق اوزبكستان.

الطريقة الكبراوية: وتنتسب هذه الطريقة الى مؤسسها الشيخ نجم الدين الكبرى الخيوي نسبة الى مدينة خيوه والذي عاش في القرن السادس الهجري (٥٤٠ - ٦٠٦ هـ) (١١٤٥ - ١٢١١ م) يوجد قبره في مدينة اورغتشي في غرب خوارزم.. وقد كان لهذه الطريقة دور بارز في تعميق الاسلام وتجذيره في مناطق خوارزم كما كان لهم دور بارز في نشر الاسلام في المناطق الواقعة شمال خوارزم وبين القبائل التركمانية.

وتنتشر هذه الطريقة في منطقة خوارزم الواقعة حاليا في شمال جمهورية أوزبكستان السوفيتية وفي غرب جمهورية تركمنستان.. كما تنتشر ايضا في كثير من مناطق جمهورية تركمنستان.

وقد وفدت القبائل التركمانية من التركستان الشرقية بعد ظهور السلاجقة وهم ايضا من الأتراك الشرقيين.. وسكنوا في مناطق خوارزم وطبرستان والديلم وخراسان..

ويتزعم هذه الطرق الصوفية أربع قبائل كلها تنتمي الى آل البيت النبوي الشريف.

وهذه القبائل الهاشمية العربية هي:

١ - قبيلة عطا: وموطنها في شرق تركمنستان في وادي جيحون (أموداريا) قرب تشاردجو.

٢ - قبيلة حجة: وموطنها غرب تركمنستان شمال كراسنوفودسك وهي المنطقة التي حكمها أولاد الامام زيد بن علي بن الامام

السبط الحسين بن علي في طبرستان والديلم. وتوجد هذه القبيلة ايضا في جنوب تركمنستان قرب مدينة قزوين عرفات.

٣ - قبيلة السيد: وموطنهم في غرب تركمنستان جنوب خليج كارابوغاز حيث قامت الدولة العلوية الزيدية الهاشمية في طبرستان.

٤ - قبيلة الشيخ: وموطنهم كذلك في غرب تركمنستان شمال مدينة كراسنوفودسك.

وهذه المواطن معروفة في التاريخ الاسلامي بأنها كانت موطن الدولة العلوية في طبرستان والديلم والتي قامت في ايام العباسيين بعد مقتل الامام زيد بن علي زين العابدين ثم مقتل ابنه الامام يحيى بن زيد.. والتي كان للامام حسن الاطروش دور كبير في تأسيسها وفي نشر الاسلام وتجذيره في تلك المناطق.

ويقول كتاب المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي للمؤلفين الفرنسيين بينجنسن ولومرسييه أن هذه القبائل الأربع تعتبر القائدة والرائدة للنشاط الديني المتمثل في الطرق الصوفية التي واجهت الروس القياصرة بعنف وضراوة في الحرب التركمانية التي امتدت حتى عام ١٢٩٧ هـ (١٨٨٢ م).. ثم قامت هذه الطرق الصوفية بمحاربة لينين والدعوة البلشفية وواجه التركمان حرب إبادة شديدة من النظام القيصري ثم البلشفي.. ولولا الخصوبة العالية التي خصهم الله بها لاندثروا..

ولا يزال لهذه الطرق دور كبير في نشر الاسلام وتجذيره في مناطق التركمنستان. وهم يواجهون حملات الابادة والسجن والتشريد دون ان تشير الى ذلك أجهزة الاعلام الغربية التي يوجهها ويملكها اليهود.

الطريقة النقشبندية:

تعتبر الطرق الصوفية وخاصة الطريقة النقشبندية أكثر الفئات الاسلامية صمودا في وجه الطغيان الروسي القيصري ثم الشيوعي البلشفي.. ويطلق الروس على المؤسسات الصوفية اسم الاسلام الموازي والمقصود بذلك الموازي للاسلام الرسمي المحدود الذي تسمح به السلطات السوفيتية. ويعتبر «الاسلام الموازي» كما يقول مؤلفا كتاب «المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي» هو العنصر الديني النشيط الذي تخشاه السلطات الروسية أشد الخشية لأنها تعتبره الأكثر رجعية وتمسكا بالاسلام ومقاومة للروس وللشيوعية.

وتعتبر الطريقة النقشبندية من أوسع الطرق الصوفية انتشارا في الاتحاد السوفيتي وربما اكثرها أهمية.

لقد تأسست هذه الطريقة على يد الشيخ محمد بهاء الدين نقشبند في مدينة بخارى الذي يقول بانتسابه الى ابي بكر الصديق رضي الله عنه. وقد ولد هذا الشيخ عام ٧١٨ هـ (١٣١٧ م) وتوفي سنة ٧٩٢ هـ (١٣٨٩ م) بعد أن ترك اتباعه ينتشرون في آسيا الوسطى والقوقاس وتتار الفولجا ووصلت طريقته الى الهند والصين ثم امتدت الى الشرق الأوسط ذاته.

ولقد شكلت الطريقة النقشبندية المحرك الرئيسي لقوى الجهاد الاسلامي في وجه المستعمر الكافر الروسي في العهد القيصري ثم في العهد البلشفي الشيوعي وامتد جهاد شيوخها ومريديها عبر مئات السنين وعلى امتداد الأراضي الواسعة من القوقاس في جبال الداغستان والشاشان غربا الى بخارى وقرغيزيا على حدود الصين شرقا.. واشتهرت بصورة خاصة مقاومة المريدين في القوقاس.

ولقد أدخل الشيخ منصور أشرمه هذه الطريقة الى القوقاس في القرن الثاني عشر الهجري (الثامن عشر الميلادي). وكان هذا الشيخ هو أول من اقاوم الغزو الروسي على القوقاس. وقد قام مع مريديه بافناء فرقة روسية كاملة على نهر سوبخا سنة ١٢٠٠ هـ (١٧٨٥ م) واستمر في الجهاد حتى أسر في ميدان القتال عام ١٢٠٦ هـ (١٧٩١ م) حيث أودع السجن في قلعة شلو سليبرغ وهناك وافته المنية عام ١٢٠٨ هـ (١٧٩٣ م).. ثم ظهر بعد ذلك الشيخ النقشبندي خاس محمد أفندي الباراغلاي وتولى الجهاد ضد الروس حتى استشهد. ثم تولى بعده الجهاد تلميذه الشيخ جمال الدين الكازيكومخي.. وكان الشيخ جمال الدين هذا استاذا ومرشداً للامامين العظيمين الملا الغازي محمد الكمراوي والشيخ محمد شامل الكمراوي اللذين قاما بثورة الداغستان الشهيرة مع تلميذهما الامير حمزة الخنزاجي والتي استمرت من سنة ١٢٤٦ هـ (١٨٣٠ م) الى عام ١٢٧٦ هـ (١٨٥٩ م).. وقد استشهد الملا الغازي محمد والأمير حمزة في ميدان القتال ثم أسر الشيخ محمد شامل عام ١٨٥٩ م.

ومع إطلالة القرن الرابع عشر الهجري قامت مرة أخرى ثورة المريدين من الطريقة النقشبندية وبعد معارك طاحنة مع القوات الروسية تم اخضاعها عام ١٣٠٥ هـ (١٨٨٧ م).

أما في بلاد الشاشان فقد دخلت الطريقة النقشبندية أثناء إمامة الشيخ محمد شامل في الداغستان على يد أحد نوابه وهو الشيخ تاشو حجي وذلك سنة ١٢٤٦ هـ (١٨٣٠ م) وقد اشتهر الشيخ تاشو حجي بأعماله البطولية الباهرة في مقاومة الغزو الروسي الكافر.

وفي آسيا الوسطى كان النقشبنديون «كما يقول لومرسييه وبنجينسن» هم المسئولون عن ثورة المسلمين ضد الروس في وادي فرغانة (مدينة انديجان) ١٣١٦ هـ (١٨٩٨ م). وكان زعيم هذه الثورة

الشيخ النقشبندي - المجاهد الايشان (وهو لقب بمعنى الشيخ) ما دالي.. وقد استشهد هذا الشيخ أيضاً.

وفي قرغيزيا قاد رجال الطريقة النقشبندية الجهاد ضد الغزاة البوذيين الاويروت وذلك في القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين كما كان لهم دور بارز في الجهاد ضد الروس الغزاة اثناء الحكم القيصري ثم اثناء الحكم البلشفي.

وفي تركمنستان كان لشيوخ الطرق الصوفية المختلفة (الياساوية والكبراوية والنقشبندية) دور بارز في المعارك الطويلة التي دارت بين التركمان في أواخر القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي) والتي انتهت باستيلاء الروس على تركمنستان عام ١٢٩٧ هـ (١٨٨٢ م) ويقول بينجسن ولومر سييه «إن معظم قادة الثورة البسمشتية كانوا من المريدين الصوفيين الذين جاهدوا بقوة السلاح الجيش الأحمر من سنة ١٩١٨ الى سنة ١٩٢٨. وقد اشتهر من هؤلاء الشيوخ إسلام قرباشي وملادهقان وكورشيرمات ومادامين ودجانبيك».

وعندما احتلت القوات الروسية القوقاس عام ١٢٧٦ هـ (١٨٥٩ م) بعد هزيمة الشيخ محمد شامل الكمراوي أقامت هذه القوات المذابح والمشانق لمشايخ الطريقة النقشبندية ومريديها. واستطاع بعضهم الفرار الى الدولة العثمانية. ورغم هذه المذابح فقد بقيت هذه الطريقة تجاهد في الشاشان تحت قيادة الشيخ تاشوحجي تلميذ الامام محمد شامل ثم بعد استشهاده تحت قيادة تلميذه الشيخ بشير الكوميكي الداغستاني.. وقد أسر الشيخ بشير ونفي الى سيبيريا حيث وافته المنية هناك ولكن سلالته المعروفة باسم سلاسة اكساي تولت بعده الطريقة النقشبندية في القوقاس الشمالي وواصلت الجهاد ضد الروس وخاصة في الشاشان. وقام خلف الشيخ بشير وهو الشيخ

اليخان كوميكا بمواصلة الجهاد ولكنه أسر ونفي أيضا إلى سيبيريا حيث توفي هناك.. ثم ظهر المرشد الثالث لسلالة أكساي وهو الشيخ دني أرسانوف وانتقم لشيخه اليخان فقتل الضابط الروسي الذي نفى الشيخ اليخان.. ثم كون فرقة لقتال الروس قامت بعده معارك ناجحة على نهر ترك.. واستشهد عام ١٣٣٦ هـ (١٩١٧ م).

وفي نفس العام اختار علماء الداغستان الشيخ نجم الدين غوتسو إماما للداغستان والشاشان وقاد هذا الإمام الرباني الصوفي المجاهد الثورة ضد الروس القياصرة والبلاشفة من عام ١٩١٧ الى ان أسر في ميدان القتال عام ١٩٢٥. واشتهر في الجهاد معه مجموعة من مشايخ الطريقة النقشبندية وهم أوزون حجي ومحمد البلوكاني ودرويش محمد الاندي وابراهيم حجي الكوتشري وسيد امين الانسلطاوي وسراج الدين حجي.. ولقد ذاعت بصورة خاصة بطولات أوزون حجي الذي كان شيخاً كبيراً والذي توفي اثناء الثورة عن عمر يناهز التسعين.. وقد استشهد معظم هؤلاء المشايخ في ميادين القتال، أما نجم الدين غوتسو وسيد أمين فقد أسرا في المعركة الاخيرة عام ١٩٢٥م وتم تنفيذ حكم الاعدام بهما.

وتبع ذلك قمع طويل قامت به السلطات الروسية البلشفية كما يقول بنجينسن ولومرسيبه سالت فيه الدماء أنهاراً. وصفيت كل المحاكم الشرعية ونزع السلاح من الأهالي واوقف معظم علماء الدين ومشايخ الطرق الصوفية حتى اولئك الذين لم يشتركوا في ثورة نجم الدين غوتسو. وقامت السلطات باعتقال مرشد الطريقة القادرية علي ميتانين عام ١٩٢٤ م وأعدم عام ١٩٢٧ م، بعد محاكمة صورية.. واعتقل شيخ الطريقة النقشبندية في الشاشان عام ١٩٢٨ م وهو الشيخ سالسا ياندراوف وأعدم عام ١٩٢٩، وفي نفس العام أعدم ايضا الشيخ

النقشبندي علي الأكوشي.

وقامت السلطات السوفيتية بما أسمته حركة التطهير الكبيرة عام ١٩٢٨م ضد علماء الاسلام ومشايخ الطرق الصوفية. وأحدث ذلك انتفاضة وثورة عظيمة كافح فيها مريدو الطريقتين النقشبندية والقادرية جنباً الى جنب.. وكان ممن استشهد في هذه المعارك الشيخ شيتا ايستامولوف والشيخ إرسانوكاي خيضر وهما من الطريقة النقشبندية.. اما في بلاد الاينغوش فقاد الانتفاضة الطريقة القادرية المعروفة باسم طريقة بطل حجي وقد قتل تسعة من ابناء مؤسس هذه الطريقة وتسعة من أحفاده وهم يحملون السلاح كما يقول بينجنسن ولومرسييه.

ولم تتمكن السلطات السوفيتية من قمع هذه الثورة الا في عام ١٩٣٦ لكنها عاودت انطلاقتها عام ١٩٤٠ مما أدى الى المذابح الرهيبة في الشاشان والى نفي هذه الشعوب بأكملها الى مجاهل سيبيريا.

وقد استطاع عدد من المريدين القادريين الذين اشتركوا في الثورة أن يعتصموا بالجبال العالية حتى عام ١٩٤٧ عندما استطاعت السلطات السوفيتية القبض على الشيخ قريش بلهورييف آخر فرع من سلالة بطل حجي بلهورييف ونفي الشيخ قريش الى سيبيريا.

وفي اثناء السبي لشعوب الشاشان واينغوش في مجاهل سيبيريا قام رجال الطرق الصوفية وخاصة طريقة عويس حجي التي أسسها رجل من الشاشان يدعى عويس حجي زاغييف، بجهود جبارة لابقاء جذوة الحماسة الدينية والمحبة بين الافراد الذين يواجهون الموت في مجاهل سيبيريا... ويقول بينجنسن ولومرسييه «لقد أعطى السبي الى مجاهل سيبيريا نتيجة لم تكن في الحسبان لقد أدى ذلك الى وثبة جديدة للحركات الصوفية. ذلك لأن الطرق الصوفية كانت الرمز الوحيد للأمة

في معسكرات سيبيريا ومنفى السهوب الكازاخية. وكانت دافعا أساسيا لحب البقاء عند جميع المسبين ويعترف بهذه الحقيقة كل الاختصاصيين السوفييت. ويقول احدهم وهو د.كليموفيتش «اثناء الحرب (العالمية الثانية) وبسبب الظروف السائدة بعدها أحيى رؤساء جماعات المريدين الاعتقادات الدينية. ومما يوضح سبب هذا البعث الديني تعاسات الحرب وعبادة الشخصية (التي تفرضها الأنظمة الشيوعية) والخرق الشرس لسياسة لينين حول القومية في حالة التشتشين والانغوش».

ولقد تكونت طريقة عويس حجي القادرية عام ١٩٥٥م في اثناء العيش في مجاهل سيبيريا وكانت عاملا مهماً في إذكاء الروح الدينية والمحافظة على العقيدة الاسلامية وروح الإخاء والمحبة بين الشعوب المسبية في فيافي سيبيريا. وقد عرفت هذه الطريقة في الأدب السوفيتي باسم «أخوية القلنسوات البيض» لأن رجال هذه الطريقة يلبسون قلنسوات بيضاء من الفراء اثناء الذكر الجماعي.

ولم يكن تأثير هذه الطريقة مقصوراً على شعوب الشاشان اينغوش ولكن أثرها امتد الى شعوب كازاخستان وقيرغيزيا الشمالية.

وعندما عادت شعوب الشاشان واينغوش الى وطنها وجدوا كل مساجدهم وجوامعهم مهدمة كما يقول بينجنسن ولومرسييه «ولقد ظلت جمهورية الشاشان اينغوش حتى عام ١٩٧٨م الاقليم المسلم الوحيد في الاتحاد السوفيتي الذي أجريت فيه التجربة الجذرية القاضية بمحق الدين الاسلامي من خلال هدم وحل كل مؤسسات العبادة». ولكن هذه الاجراءات العنيفة ضد الاسلام فشلت فشلاً ذريعاً بفضل الله أولاً ثم بفضل جهود الطرق الصوفية.

(١) **الطريقة القادرية**: تنسب هذه الطريقة الى الامام الرباني المجاهد الشيخ عبدالقادر الجيلاني الحسني المتوفي سنة ٥٦١هـ (١١٦٦م).

وانتشرت هذه الطريقة في مختلف أرجاء العالم الاسلامي وفي البلاد العربية وشمال افريقيا وتركيا والهند وفي الاتحاد السوفيتي.

وتتركز الطريقة القادرية في عدة مناطق في القوقاس وآسيا الوسطى.. وتختلف الطريقة القادرية عن الطريقة النقشبندية بأن القادرية يعتمدون الذكر العلني بينما يعتمد النقشبنديون الذكر القلبي الخفي مما جعل الروس يطلقون عليهم اسم «شيبتوني» اي المتمتمين بينما يطلق الروس على الطريقة القادرية اسم «ذيكريستي» أي اصحاب الذكر (العلني).

وقد ظهر أول مرشد قادري في القوقاس حوالي سنة ١٨٥٠ م ويدعى كونتاحجي الذي ذهب الى بغداد لأخذ الطريقة القادرية من شيوخها هناك. وانتشرت طريقة كونتاحجي في الشاشان حيث لاقت نجاحاً كبيراً هناك.. «وفي الربع الأخير من القرن التاسع عشر الميلادي قام القادريون بنشر الاسلام بين الاينغوش الذين كانوا لا يزالون وثنيين». كما يقول كتاب المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي. وسرعان ما انضم مريدو الطريقة القادرية الى مريدي الطريقة النقشبندية في مواجهة الكفار الروس واشتركوا معهم في معاركهم الجهادية. وقامت السلطات الروسية باعتقال كونتاحجي عام ١٨٦٤ وتوفي في السجن عام ١٨٦٧ م وعاملت السلطات الروسية مريديه بكل شدة وعنف.

ويقول المؤلفان الفرنسيان لكتاب «المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي» ما يلي: «اشتركت الطريقتان النقشبندية والقادرية في الثورة الكبرى في الداغستان والشاشان خلال عامي ١٨٧٧ و١٨٧٨ م.. وواجه هؤلاء المريدون أشد أنواع البطش القيصري وسبي آلاف المريدين.. وشيوخ الطريقة الذين لم يقتلوا في ميادين القتال شنقوا في الميادين

العامة. والغريب في الأمر أن محنة ١٨٧٨م بدلاً من أن تشكل بداية انحطاط الطرق الصوفية في القوقاس شكلت نقطة إنطلاق لبعثها ومدّ نفوذها». حتى يقول كاتب تشتشيني معاصر «لقد كان جميع أفراد الشعب البالغين تقريبا في الشاشان - اينغوشيا ينتمون الى احدى الطريقتين القادرية والنقشبندية خلال الفترة الطويلة الممتدة من عام ١٨٧٧ الى عام ١٩١٧م».

ولقد استقطبت الطريقة القادرية الطبقات الشعبية بينما استقطبت الطريقة النقشبندية أغلب علماء الدين والمثقفين وبينما كانت الطريقة النقشبندية أكثر استعداداً للصراع المكشوف ضد الروس كانت الطريقة القادرية أميل للصراع السري.. واشتركت كلا الطريقتين في الصراع الدموي الرهيب ضد الروس الكفار في جميع العهود القيصرية والبلشفية على حد سواء الذي استمر حتى عام ١٩٤٧م. وتشعبت الطريقة القادرية بعد موت كونتاحجي الى أربعة فروع (ورد) وهي: (١) الورد النظامي - الذي ظل يحمل اسم كونتاحجي وانتشر هؤلاء في الشاشان اينغوشا والداغستان. (٢) طريقة بطل حجي بلهورييف ومركزها في بلاد الاينغوش ثم انتشرت في الشاشان والداغستان.. وهي تطبق حرفيا احكام الجهاد ومثله العليا ولذا قتل معظم قادتها في المعارك أو نفذت فيهم السلطات القيصرية ثم البلشفية أحكام الاعدام.. وهم شديدو التمسك بالشريعة وآدابها وبروح الجهاد ويتحاشون الاختلاط بغير المؤمنين. (٣) طريقة بامات حجي ميتانيف ومركزها ايضا بلاد الاينغوش. (٤) طريقة تشيم ميرزا وتتركز في مقاطعة شامي من بلاد الشاشان.

تنفيذ

مركز الصف الالكتروني

براج وخطيب

تصميم - اخراج - طباعة

بيروت ص.ب ١١-٤١٥٤

تلفون ٨٠٤٦٠٧-٨٠٤٧٠٦

دار الشروق جدة

للنشر والتوزيع والطباعة

تليفون: الادارة: ٦٣١٠٠٣٢ (٠٢) المكتبة: ٦٤٢٦٦١٠ (٠٢)

برقياً: مشكاتنا - تلكس SHORCO SJ ٤٠١٢٠٩

ص.ب. ٤١٤٦ - جدة - المملكة العربية السعودية